لكتاب الذي كشف فضائح البيت الأبيض
والذي سعى ترامب جاهداً لمنعه

مايكل وولف

نار وغضب

البيت الأبيض في عهد ترامب



مكتبة الكندل العربية

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

Table of Contents

مكتبة الكندل العربية1

نار وغضب1

إلى فيكتوريا ولويز، الأم والابنة1

المحتويات1

ملاحظات الكاتب1

تمهيد أيلز وبانون1

الفصل الأول1

يوم الانتخابات1

الفصل الثاني1

برج ترامب1

الفصل الثالث1

اليوم الأول1

الفصل الرابع1

بانون1

الفصل الخامس1

جارفانكا1

الفصل السادس1

في المنزل1

الفصل السابع1

روسيا1

الفصل الثامن1

الهيكل التنظيمي1

الفصل التاسع1

مؤتمر العمل السياسي المحافظ1

الفصل العاشر1

غولدمان1

الفصل الحادي عشر1

التنصّت1

الفصل الثاني عشر1

إلغاء واستبدال1

الفصل الثالث عشر1

معاناة بانون1

الفصل الرابع عشر1

غرفة الأزمات1

الفصل الخامس عشر1

الإعلام1

الفصل السادس عشر1

كومي1

الفصل السابع عشر1

في الخارج وفي الوطن1

الفصل الثامن عشر1

عودة بانون1

الفصل التاسع عشر1

مايك مَن؟1

الفصل العشرون1

ماكماستر وسكاراموتشي1

[الفصل الحادي والعشرون1]
[بانون وسكاراموتشي1]
[الفصل الثاني والعشرون1]
[الجنرال كيلي1]
[خاتمة بانون وترامب1]
[كلمة شكر 1]
[Table of Contents 1]



مكتبة الكندل العربية

مايكل وولف

نار وغضب

البيت الأبيض في عهد ترامب





شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS s.a.l.

الجناح، شارع زاهية سلمان
مبنى مجموعة تحسين الخياط
ص.ب.: ٨٣٧٥-١١ بيروت، لبنان
تلفون: ٨٣٠٦٠٨ ١ ٩٦١+ فاكس: ٨٣٠٦٠٩ ١ ٩٦١+
email: publishing@all-prints.com
tradebooks@all-prints.com
website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠١٨
ISBN: 978-9953-88-987-0 النسخة الورقية
ISBN: 978-6144-58-294-7 النسخة الإلكترونية

Originally published as: FIRE AND FURY.

صورة الغلاف: Wikimedia Commons/Michael Vadon
صورة الكاتب: © David Bailey
تصميم الغلاف: ريتا كلزي
الإخراج الفني: بسمة تقي

إلى فيكتوريا ولويز، الأم والابنة

المحتويات

ملاحظات الكاتب	9
تمهيد :أيلز وبانون	13
الفصل الأول :يوم الانتخابات	21
الفصل الثاني :برج ترامب	33
الفصل الثالث :اليوم الأول	59
الفصل الرابع :بانون	75
الفصل الخامس :جارفانكا	93

الفصل السادس :في المنزل	113
الفصل السابع :روسيا	127
الفصل الثامن :الهيكل التنظيمي	145
الفصل التاسع :مؤتمر العمل السياسي المحافظ	167
الفصل العاشر :غولدمان	183
الفصل الحادي عشر :التنصّت	195
الفصل الثاني عشر :إلغاء واستبدال	207
الفصل الثالث عشر :معاناة بانون	221
الفصل الرابع عشر :غرفة الأزمات	235
الفصل الخامس عشر :الإعلام	249
الفصل السادس عشر :كومي	267
الفصل السابع عشر :في الخارج وفي الوطن	279
الفصل الثامن عشر :عودة بانون	293

الفصل التاسع عشر :مايك مَن؟	307
الفصل العشرون :ماكماستر وسكاراموتشي	327
الفصل الحادي والعشرون :بانون وسكاراموتشي	341
الفصل الثاني والعشرون :الجنرال كيلي	355
خاتمة :بانون وترامب	371
كلمة شكر	383

ملاحظات الكاتب

إن السبب الذي دفعني لإصدار هذا الكتاب سبب جليّ .فمع تولّي دونالد ترامب زمام السلطة في 20 كانون الثاني/يناير2017 ، دخلت الولايات المتحدة قلب عاصفة سياسية هي الأكبر والأغرب منذ فضيحة ووترغيت على الأقل .ومع اقتراب اليوم المنشود، اتخذت القرار بأن أروي هذه القصة بأسلوب معاصر قدر الإمكان، وأن أحاول رؤية الحياة في البيت الأبيض في عهد ترامب بمنظار الأشخاص الأقرب إليه.

كان من المفترض بهذا الكتاب أن يروي ما جرى في الأيام المئة الأولى من إدارة ترامب، وهي العلامة الفارقة التقليدية في عهد أيّ رئاسة .لكن الأحداث توالت بسرعة ومن دون استراحة طبيعية لأكثر من مئتي يوم، ولم تنسدل الستارة على الفصل الأول من رئاسة ترامب إلا مع تعيين الجنرال المتقاعد جون كيلي في منصب كبير موظفي البيت الأبيض أواخر تموز/يوليو وخروج ستيفن ك .بانون، كبير المستشارين الاستراتيجيين، بعد ثلاثة أسابيع.

تستند الأحداث التي أرويها في هذا الكتاب إلى أحاديث وحوارات جرت على مدى ثمانية عشر شهراً، مع الرئيس ومعظم كبار الموظفين الذين تحدث إليّ البعض منهم عشرات المرات، ومع العديد من الأشخاص الذين تحدثوا بدورهم إليهم .جرت المقابلة الأولى قبل حتى أن أتخيّل ترامب في البيت الأبيض، وحتى قبل أن أفكر في إصدار كتاب عنه، وذلك في أواخر أيار/مايو من العام2016 ، في منزل ترامب في بيفرلي هيلز، يوم كان مرشحاً يلتهم ما تبقى في علبة من الأيس كريم بنكهة الفانيلا من نوع هاغين داز، وهو يتحدث بسعادة وشغف عن العديد من الموضوعات المختلفة، في حين أن مساعديه، هوب هيكز وكوري ليفاندوفسكي وجاريد كوشنر، ما انفكّوا يدخلون إلى الغرفة ويخرجون منها .واستمرت الحوارات مع أفراد فريق الحملة خلال مؤتمر الجمهوريين في كليفلاند، حيث كان من الصعب أن نتخيّل فكرة أن يُنتخب ترامب .وانتقلت إلى برج ترامب مع ستيفن بانون الفصيح، قبل الانتخابات، حيث كان لا يزال يبدو شخصية غريبة مسليّة، وحيث ظهر لاحقاً بعد الانتخابات، كصانع معجزات.

بُعَيْدَ 20 كانون الثاني/يناير، اتخذت ما يشبه المقعد شبه الدائم على أريكة في الجناح الغربي .ومنذ ذاك الحين، أجريت أكثر من مئتي مقابلة.

وعلى الرغم من أن إدارة ترامب جعلت من العدائية مع الصحافة سياسة افتراضية، فإنها قد بدت أكثر انفتاحاً على وسائل الإعلام من أيّ عهد آخر في تاريخنا الحديث .في البداية، التمست وسيلة دخول رسمية إلى البيت الأبيض، كمراقب يسجل مشاهداته من دون أيّ تدخّل منه .وقد شجّع الرئيس نفسه هذه الفكرة .لكن، بالنظر إلى كثرة ما في البيت الأبيض الذي يحكمه ترامب، من

معاقل ظهر الخلاف في ما بينها إلى العلن منذ الأيام الأولى، بدا أنّ ما من أحد قادر على تحقيق ذلك .لم أجد من يقول لي» ارحل .«وهكذا، أصبحت متطفلاً أكثر مني ضيفاً مدعوّاً، أقرب إلى شخص طفيلي، لم يوافق على أي قواعد، أو يقطع أيّ وعود حول ما يمكن أن يكتبه وما لا يمكن.

تتعارض الروايات بشأن ما حدث في البيت الأبيض في عهد ترامب، فضلاً عن أن كثيراً من تلك الروايات غير صحيح تماماً .هذه الصراعات، وهذا التراخي في التعامل مع الحقيقة، إن لم يكن مع الواقع كله، شكّلا عنصراً أوّلياً في الكتاب. في بعض الأحيان، تركت كلّاً من اللاعبين يقدّم روايته، تاركاً للقارئ حرية الحكم عليها .وفي أحيان أخرى، اخترت نسخة للأحداث رأيت أنها صحيحة بفضل تقاطع الروايات والمصادر التي وثقت بها.

تحدّثت بعض مصادري إليّ بشكل غير رسمي، كما هي حال الكتب السياسية الحديثة التي تبيح الوصف بصيغة المجهول لأحداث رواها شاهد لم يُسمَّ .كذلك استندت إلى مقابلات سريّة وغير مسجّلة، حيث سمحت للمصدر بأن ينقل حديثاً عن لسان شخص آخر مع إدراكه أنه لن يُعزى إليه .تحدّثت إليّ مصادر أخرى مع إدراكها أنّ مادة المقابلات لن تُنشر قبل صدور الكتاب .أخيراً، تحدّثت بعض المصادر بشكل صريح ومباشر للتسجيل.

تجدر الإشارة في الوقت نفسه إلى الصعوبات الصحافية التي واجهتها عند تعاملي مع إدارة ترامب، والتي نتج العديد منها عن غياب الإجراءات الرسمية في البيت الأبيض، وافتقار المسؤولين فيه إلى الخبرة .تشمل هذه التحديات تعاملي مع مواد رُوِيت بشكل غير رسمي، أو مواد غير قابلة للنشر، لكنها نُشرت لاحقاً

بشكل غير منتظم؛ وتعاملي مع مصادر قدّمت روايات بصورة سرية، ثم قامت بنشرها على نطاق واسع كما لو أنّ الحديث الأول حرّرها من قيودها؛ وإغفالي المتكرر تحديد معايير لاستخدام محادثة ما؛ ومع وجهات نظر معروفة ومتداولة لمصدر معيّن سيبدو غريباً ألا نأتي على ذكرها؛ فضلاً عن الحوارات والأحاديث المتبادلة والروايات الطويلة أو الحوارات الخاصة والسرية .وفي كل زاوية من هذه القصة، ترد للرئيس أحاديث وآراء متواصلة ومطردة وجامحة، سرية وعلنية، يتلقّفها الآخرون بشكل يومي، وبشكل افتراضي أحياناً، وهو يتلفظ بها.

ولسبب ما، يبقى أن أقول إن معظم الذين تواصلت معهم إن لم أقل كلّهم، من كبار موظفي البيت الأبيض إلى المراقبين الملتزمين، قد أمضوا الكثير من الوقت معي، وكلٌّ منهم له أسبابه؛ وبذلوا الكثير من الجهد لتسليط الضوء على طبيعة الحياة الفريدة داخل البيت الأبيض في عهد ترامب .في النهاية، ما شهدته، وما يدور حوله هذا الكتاب، هو مجموعة من الأشخاص كافحوا، كل على طريقته، ليتصالحوا مع معنى العمل لحساب دونالد ترامب.

أنا أدين لهم بالكثير.

تمهيد

أيلز وبانون

كان يفترض أن تبدأ الأمسية عند الساعة السادسة والنصف، لكن ستيف بانون الذي أصبح فجأة من بين أقوى الرجال في العالم والذي فقد تدريجياً إدراكه للوقت، قد تأخر.

وعد بانون بأن يحضر هذا العشاء الصغير الذي رتّبه أصدقاء مشتركون في قرية غرينويتش، حيث من المفترض أن يقابل روجر أيلز، الرئيس السابق لفوكس نيوز والشخصية الأبرز في وسائل إعلام اليمين، ومَثَل بانون الأعلى في بعض الأمور .في اليوم التالي، أي في 4 كانون الثاني/يناير2017 ، قبل أقل من أسبوعين من تسلّم صديقه دونالد ترامب زمام السلطة، بوصفه الرئيس

الخامس والأربعين، سيتوجّه إيلز إلى بالم بيتش في تقاعد أُرغم عليه، لكنه يأمل أن يكون مؤقتاً.

كان الثلج ينهمر بغزارة .بدا وكأن العشاء مسألة مشكوك فيها .فأيلز الذي يبلغ من العمر ستّاً وسبعين سنة، والذي يعاني مشكلات في ساقه ووركه، بالكاد يستطيع أن يمشي؛ ووصوله إلى مانهاتن مع زوجته بيث إلى منزله في هيدسون مقلق على الطرقات الشديدة الانزلاق .لكن أيلز كان متشوّقاً إلى رؤية بانون . وكانت إلكسندرا بريت، مساعدة بانون ترسل بانتظام رسائل خطيّة حول التقدم الذي يحرزه بانون في سحب نفسه من برج ترامب.

في الوقت الذي كانت فيه المجموعة الصغيرة تنتظر بانون، كانت الأمسية أمسية أيلز .وقد كان أيلز مذهولاً من انتصار صديقه القديم دونالد ترامب كبقية الحاضرين تقريباً، فقدّم إلى المجتمعين ما يشبه المطالعة المصغّرة حول عشوائية السياسة وسخافتها .قبل إطلاق فوكس نيوز عام1996 ، ظلّ أيلز على مدى ثلاثين عاماً، من كبار الناشطين السياسيين في الحزب الجمهوري .وعلى الرغم من أنه تفاجأ بوصول ترامب، إلا أنه، استطاع أن يرسم خطاً مستقيماً من نيكسون وصولاً إلى ترامب .لكنه لم يكن واثقاً، بحسب كلامه، أن ترامب نفسه، الذي كان جمهورياً حيناً ومستقلاً حيناً آخر وديمقراطياً أيضاً، سيكون مقنعاً .لكنه ظنّ أنه يعرف ترامب جيداً كما يعرفه الآخرون، وكان متلهفاً لتقديم المساعدة .كما بدا توّاقاً للعودة إلى لعبة إعلام اليمين .وقد وصف بحيوية كبيرة بعض الإمكانيات للحصول على مليار دولار أو أكثر، وهو المبلغ الذي يلزمه لإنشاء شبكة تلفزيون جديدة.

يرى كلا الرجلين، أي أيلز وبانون، أنهما طالبان في مجال التاريخ، ذاتيّا التعلّم ومولعان بنظريات المجال العالمي .لذلك كانت نظرتهما إلى الأمر نظرة المفتون، فعلاقتهما بالتاريخ علاقة شخصية، على غرار علاقتهما بدونالد ترامب.

أما الآن، فقد أدرك أيلز، وإن على مضض، أنه يمرر، وفي الوقت الراهن على الأقل، شعلة الجناح اليميني إلى بانون، وهي شعلة سطعت بالمفارقات .هيمنت شبكة فوكس الإخبارية التابعة لأيلز بأرباحها السنوية التي بلغت 1,5 بليون دولار، على سياسة الحزب الجمهوري لعقدين .وها هي شبكة بريتبارت الإخبارية العائدة إلى بانون، والتي بلغت أرباحها السنوية قرابة 1,5 مليون دولار، تطالب بتولّي هذا الدور .وعلى مدى ثلاثين عاماً، عمد أيلز، الذي بقي حتى تاريخ قريب الشخصية الوحيدة الأقوى في الأوساط السياسية المحافظة، إلى ملاطفة دونالد ترامب والتساهل معه، والسكوت عنه، إلا أن بانون وبريتبارت أقدما على انتخابه في نهاية الأمر.

قبل ستة أشهر، وحين بدا انتصار ترامب غير ممكن، جرى تسريح أيلز المتهم بالتحرّش الجنسي من شبكة فوكس الإخبارية، في خطوة خطّط لها الأبناء الليبراليون للمحافظ روبير مردوخ البالغ من العمر خمساً وثمانين سنة، وهو المساهم المتحكّم بشبكة فوكس الإخبارية، وأقوى مالك لوسيلة إعلامية في هذا العصر .واستحق سقوط أيلز احتفالات كثيرة أقامها الليبراليون .فالفزاعة الكبرى بين المحافظين، أسقطتها المعايير والأعراف الاجتماعية الجديدة .وبعد أقل من ثلاثة أشهر، جرى انتخاب ترامب الذي ذاع صيت سلوكه السيّء والتعسفي.

***

استمتع أيلز بأمور كثيرة تخص ترامب :شخصية البائع وحب الظهور لديه، فضلاً عن الشائعات والفضائح المحيطة به .وكان معجباً بحاسة ترامب السادسة في ما يتعلق بالأسواق العامة، أو على الأقل محاولاته الدؤوبة والحثيثة والتي لا تعرف الكلل لكسبها .كان يحب لعبة ترامب، ويحب تأثيره وعدم حيائه . قال أيلز متعجباً لأحد الأصدقاء، بعد المناظرة الأولى مع هيلاري كلينتون» :إنه يمضي قدماً فحسب .يمكن أن تسدد ضربة إلى رأس دونالد، لكنه يتابع مسيره .لا يعلم حتى أنه تلقّى ضربة.«

لكن أيلز كان مقتنعاً تماماً بأن ترامب لا يملك أيّ قناعات أو ركائز سياسية .ويُعدُّ تحوّل ترامب إلى رمز شبكة فوكس المطلق للرجل العادي الغاضب، دليلاً آخر على أننا نعيش في عالم مقلوب رأساً على عقب .كانت النكتة تستهدف شخصاً ما لتجعله يبدو أحمق، وظنّ أيلز أنه قد يكون في النهاية هذا الشخص.

تجدر الإشارة إلى أن أيلز يراقب السياسيين منذ عقود .وقد شهد خلال مسيرته المهنية الطويلة مختلف الأنواع والأنماط والغرائب والأمزجة، وجميع أشكال التعطّش والهوس .الناشطون مثله، ومثل بانون الآن، عملوا مع الأجناس كافّة .إنها العلاقة الأكثر تكافلاً وتعاضداً .رجال السياسة يشكّلون الواجهة في مجهود تنظيمي معقّد .ويعرف الناشطون أصول اللعبة، وكذلك هي حال معظم المرشحين والموظفين والمسؤولين .لكن أيلز كان واثقاً تماماً أن ترامب يجهلها؛ فهو غير منضبط، ولا يملك القدرة على التزام مخطّط أيّ لعبة .وهو لا يستطيع

أن يكون جزءاً من أيّ منظمة، ولا يمكنه أن يلتزم أي برنامج أو مبدأ .وهو في رأي أيلز» ثائر من دون قضية .«إنه» دونالد .«فحسب، وكأنما لا حاجة إلى قول المزيد.

في أوائل آب/أغسطس، بعد أقل من شهر على طرد أيلز من شبكة فوكس الإخبارية، طلب ترامب إلى صديقه القديم أن يتولى إدارة حملته الكارثية .لكن أيلز الذي يعرف أن ترامب غير مستعد للعمل بالنصيحة، أو حتى الاستماع إليها، رفض .وهكذا، تولى بانون هذه المهمة بعد أسبوع.

بعد فوز ترامب، بدا أن أيلز قد ندم، لأنه لم يستغل فرصة إدارة حملة صديقه، بعد أن تبيّن لاحقاً أن ذاك العرض كان يشكل الفرصة الأهم والأبرز. أدرك أيلز أن وصول ترامب إلى السلطة انتصار غير متوقّع للعديد من الأمور التي يمثّلها هو) أي أيلز (وشبكة فوكس الإخبارية .في أيّ حال، ربما كان هو الشخص الذي يتحمّل مسؤولية إطلاق العنان للتيارات التي أدّت إلى فوز ترامب :فقد اخترع إعلام اليمين الذي استمتع بشخصية ترامب وطباعه.

وايلز، الذي كان فرداً من حلقة الأصدقاء والمستشارين المقرّبين الذين تعوّد ترامب الاتصال بهم والاستعانة بهم، وجد نفسه يأمل بأن يحظى بمزيد من الوقت مع الرئيس الجديد بعد انتقاله هو وبيث إلى بالم بيتش؛ وهو يعلم أن ترامب يخطّط للقيام برحلات منتظمة إلى مارآلاغو، القريبة من منزله الجديد. وعلى الرغم من أن أيلز يدرك تماماً أن الفوز في السياسة يغيّر كل شيء، فالفائز هو الفائز؛ إلا أنه لم يستطع أن يستوعب الحقيقة الغريبة، حقيقة أن صديقه دونالد ترامب أصبح الآن رئيساً للولايات المتحدة.

***

أخيراً وصل بانون .وصل عند الساعة التاسعة والنصف، أيّ بعد تأخير ثلاث ساعات، وبعد أن تناول المجتمعون جزءاً كبيراً من العشاء .انضم الرجل البدين وغير الحليق، البالغ من العمر ثلاثاً وستين سنة، والذي يرتدي سترة غير مرتبة، وملابس عسكرية، إلى الضيوف الآخرين الجالسين إلى المائدة، وسرعان ما سيطر على الحوار .وبعد أن أبعد كأساً من النبيذ قُدّمت إليه قائلاً» أنا لا أشرب«، غاص في شرح مباشر للوضع، أشبه بتحميلٍ سريعٍ للمعلومات عن العالم الذي سيتولى إدارته.

قال عن قرارات الحكومة العسكرية والاقتصادية التي تشبه قرارات رجال الأعمال والعسكريين في خمسينات القرن العشرين» :إننا سنبذل كل ما في وسعنا كي تنتهي جلسات الاستماع إلى أعضاء الحكومة خلال الأيام السبعة القادمة . تيلرسون :يومان، سيشنز :يومان، وماتيس :يومان.«...

وانحرف بانون عن موضوع ماتيس، الجنرال المتقاعد الذي عيّنه ترامب وزيراً للدفاع، نحو حديث مطوّل عن التعذيب، وليبرالية الجنرالات المفاجئة، وحماقة البيروقراطية المدنية-العسكرية .وعاد بعدئذ إلى التعيين الوشيك لمايكل فلين، الجنرال المفضّل عند ترامب، الذي استهلّ كثيراً من التجمّعات التي دعا إليها، كمستشار الأمن القومي.

»إنه جيد .هو ليس جيم ماتيس وليس جون كيلي ...لكنه جيد .يحتاج فقط إلى فريق العمل المناسب حوله .«وتحوّل مجدداً عن الموضوع، ليقول» :عندما تستبعد مختلف الأشخاص الذين يرفضون تماماً العمل مع ترامب والذين

وقّعوا كل تلك الخطابات، وجميع المحافظين الذين استدرجونا إلى تلك الحروب كلها ...فلن تجد بدلاء كثيرين.«

قال بانون إنه حاول أن يرشّح جون بولتون، الدبلوماسي المتشدد الشهير، لمنصب مستشار الأمن القومي .وبولتون من الأشخاص الذين يحبهم أيلز أيضاً.

قال أيلز» :إنه يثير المتاعب، وهو وغد غريب الأطوار لكنك تحتاج إليه .مَن غيره يجيد العمل على ملف إسرائيل؟ فلين يشغله الملف الإيراني .وتيلرسون] أيّ وزير الخارجية المعيّن[، لا يفهم إلا في النفط.«

شخر بانون، وردّ ساخراً» :شارب بولتون مشكلة، فترامب يرى أنه لا يليق بالمنصب .تعلم أن شخصية بولتون تتطلّب وقتاً كي يتعوّدها المرء.«

حسناً .لقد تعرّض للمتاعب، لتورّطه في عراك داخل أحد الفنادق، ومطاردته بعض النساء.

لو أخبرت ترامب هذا لنال المنصب.

***

والغريب هو أن بانون كان قادراً على تبنّي ترامب واحتضانه، وهو يوحي في الوقت عينه أنه لا يأخذه على محمل الجدّ تماماً .التقى ترامب، المرشح الدائم لرئاسة الجمهورية، في العام .2010 وفي اجتماع عُقد في برج ترامب، اقترح بانون على ترامب أن ينفق نصف مليون دولار على مساندة مرشحين من مثل حركة حزب الشاي، كطريقة لتعزيز طموحاته الرئاسية .غادر بانون الاجتماع متخيّلاً أن ترامب لن يقبل أبداً بدفع مثل هذا المبلغ .فهو لم يكن أبداً لاعباً جدياً .وما

بين هذا اللقاء الأول ومنتصف شهر آب/أغسطس2016 ، عندما تولّى إدارة حملة ترامب، كان بانون واثقاً أنه لم يقضِ أكثر من عشر دقائق في حديث مباشر ومتواصل مع ترامب، باستثناء اللقاءات القليلة التي أجراها معه لحساب برنامجه على شبكة بريبارت.

لكن الفرصة المؤاتية قد حلّت بالنسبة إلى بانون .وظهر في كل مكان في العالم إحساس مفاجئ بالقلق والشك .فالمشهد الحالي كان عبارةً عن :انسحاب المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي؛ موجات المهاجرين غير الشرعيين الذين يصلون إلى الشواطئ الأوروبية الغاضبة؛ تجريد العمّال من حقوقهم؛ المزيد من الانهيار المالي، بيرني ساندرز ونزعته الانتقامية الليبرالية :إنها ردود فعل عنيفة في كل مكان .حتى أكثر الناس دعماً للعولمة أخذوا يتريثون .رأى بانون أن عدداً كبيراً من الناس قد التقطوا فجأة رسالة جديدة :يحتاج العالم إلى حدود، أو يتوجب على العالم أن يعود إلى زمن كانت فيه الحدود قائمة .عندها كانت أميركا عظيمة . وتحوّل ترامب إلى منصة لهذه الرسالة.

لكن في تلك الأمسية من شهر كانون الثاني/يناير، كان بانون غارقاً في عالم دونالد ترامب منذ خمسة أشهر تقريباً .وعلى الرغم من أنه راكم الكثير من المعلومات عن سمات ترامب الخاصة، وأسباباً كافية لأخذ الحذر من ردود أفعال رب عمله وآرائه التي لا يمكن التنبؤ بها، إلا أنّ هذا لم يقلّل من انجذاب الجناح اليميني، وحركة حزب الشاي، وميم إنترنت 1إلى ترامب، كما أنه لم يقلّل، بعد الفوز بالانتخابات، من أهمية الفرصة التي قدّمها إلى ستيف بانون.

وفجأة، سأل أيلز، وهو ينظر بحدة إلى بانون» :هل يفهم ما يحدث؟.«

وعنى بسؤاله هذا ترامب .بدا وكأنه سؤال عن جدول أعمال الجناح اليميني :هل فهم زير النساء الملياردير، قضية العمّال الشعبوية فعلاً؟ لكن هذا السؤال قد يكون سؤالاً يستهدف طبيعة السلطة نفسها .هل أدرك ترامب إلى أين أوصله التاريخ؟

ارتشف بانون القليل من الماء، وأجاب بعد تردُّد لوقت طويل بعض الشيء : »نعم، فعل .أو أنه يدرك ما يدركه.«

بقي أيلز ينظر إليه بشكل جانبي، وكأنه ينتظر منه أن يكشف المزيد من الأوراق.

وتابع بانون قائلاً» :إنه، حقاً، يسير وفق البرنامج .إنه برنامجه .«وانتقل من الحديث عن ترامب نفسه إلى الحديث عن برنامجه» .سنقوم بداية بنقل السفارة الأميركية إلى القدس .نتانياهو موافق على ذلك ويدعمه .وشيلدون، أي شيلدون أديلسون، الثري صاحب الكازينوهات، والمُدافِع الأبرز والأكثر تشدداً عن إسرائيل، والداعم لترامب، يدعم هذه الخطوة .نحن ندرك ما نفعله في هذا الإطار.«

وسأل أيلز المشكّك» :هل يعلم دونالد؟.«

ابتسم بانون، مع ما يشبه الغمزة، وأردف قائلاً» :لندع الضفة الغربية للأردن، وغزة لمصر .لندع البلدين يتعاملان مع هذا الموضوع، أو يغرقان فيما هما يحاولان .السعوديون على شفير الهاوية، وكذلك المصريون، وكلهم خائفون حتى الموت من بلاد فارس ...اليمن، سيناء، ليبيا ...هذا أمر سيّىء ....لهذا

السبب، روسيا لاعب أساسي ...هل روسيا بهذا السوء؟ إنهم سيئون وأشرار، لكن العالم مملوء بالأشرار.«

قال بانون هذا بشيء من الحماسة ...حماسة رجل يعيد تشكيل العالم.

قال أيلز في محاولة للضغط على بانون» :لكن من الجيد أن نعلم أن الأشرار هم الأشرار .ولعل دونالد لا يعلم.«

واختار بانون رده بعناية، بحيث لا يدافع كثيراً عن ترامب أو يهينه، فقال إنّ العدو الحقيقي هو الصين .الصين هي الجبهة الأولى في الحرب الباردة الجديدة . وقد أسيء فهم هذا كله في سنوات حكم أوباما، وما ظننا أننا فهمناه لم نفهمه أبداً .هذا هو مكمن فشل الاستخبارات الأميركية .وقال بانون، متحدثاً عن مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية» :أعتقد أن كوماي رجل من الدرجة الثالثة .وأرى أن برينان رجل من الدرجة الثانية.«

»إنّ البيت الأبيض حالياً كالبيت الأبيض في عهد جونسون في العام .1968 سوزان رايس) مستشارة أوباما للأمن القومي (تدير الحملة ضد داعش كمستشارة للأمن القومي .هم يختارون الأهداف، وهي تختار الضربات .أعني أنهم يديرون الحرب بالفاعلية نفسها التي أظهرها جونسون في العام .1968 إن البنتاغون بعيد تماماً عما يجري .وأجهزة الاستخبارات لا علم لها بما يجري . ووسائل الإعلام تركت أوباما يفعل ما يشاء .إذا نزعنا الأيديولوجية عن المسألة، فهذا عمل هواة .لا أعلم ما يفعله أوباما .ما من أحد في الكابيتول يعرفه، وما من رجل أعمال يعرفه - ما الذي أنجزه، وما الذي يفعله.«

سأل أيلز، وقد بدا له جلياً أن بانون قد تقدّم على راعيه» :أين دونالد من هذا كله؟.«

»إنه على اطلاع تام على الموضوع.«

»هل يركّز؟.«

»إنه يصدّق.«

فقال أيلز بنبرة مرحة» :ما كنت لأشغل بال دونالد بالكثير من الأمور.«

شخر بانون قبل أن يجيب» :الكثير أو القليل - هذا لا يغيّر واقع الأمر بالضرورة.«

***

الفصل الأول

يوم الانتخابات

بعد ظهر الثامن من تشرين الثاني/نوفمبر2016 ، جلست كيليان كونواي، مديرة حملة ترامب والشخصية المركزية والمحورية في عالمه، داخل مكتبها الزجاجي في برج ترامب .بقي المركز الرئيسي لحملة ترامب هادئاً وكسولاً حتى الأسابيع الأخيرة من السباق على الرئاسة .وميّزه هذا من مكتب خلفي مشترك، حيث توجد بعض الملصقات والشعارات اليمينية.

كانت كونواي في مزاج مبتهج بشكل لافت قياساً على شخص سيختبر هزيمة مدويّة إن لم تكن كارثية .سيخسر دونالد ترامب الانتخابات، وهذا أمر كانت واثقة منه، إلا أن الهزيمة قد تكون بأقل من ست نقاط .وهذا يُعتبر فوزاً كبيراً . أما الهزيمة الوشيكة فقد تجاهلتها :الذنب ذنب راينس بريبوس، وليس ذنبها.

قضت جزءاً كبيراً من يومها وهي تتصل بالأصدقاء والحلفاء في عالم السياسة لتنحي باللائمة على بريبوس .وقد أعطت آنذاك معلومات لبعض منتجي وسائل الإعلام والأعلام فيها، الذين بنت معهم علاقات قوية والذين أملت أن يعرضوا عليها عملاً دائماً على الهواء بعد الانتخابات، وهي التي أجرت معهم الكثير من المقابلات في الأسابيع الأخيرة .حرصت أن تتودد إلى العديد منهم منذ انضمامها إلى حملة ترامب في منتصف شهر آب/أغسطس، وبعد أن أصبحت الصوت المقاتل الذي يُعوّل عليه في هذه الحملة، بابتساماتها المتشنجة وخليط الضعف ورباطة الجأش في وجهها الذي يجعله وجهاً تلفزيونياً بامتياز.

وبعيداً عن كل أخطاء الحملة المريعة الأخرى وحماقاتها، كانت المشكلة الحقيقية برأيها تكمن في الشيطان الذي لم يتمكنوا من السيطرة عليه :اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري التي يديرها بريبوس ومساعدته كايتي والش البالغة من العمر اثنين وثلاثين عاماً، والناطق باسمهما شون سبايسر .فبدلاً من الالتزام تماماً، عمدت اللجنة والتي هي أداة الحزب الجمهوري، إلى المراوغة منذ أن فاز ترامب بالترشيحات في أوائل فصل الصيف .وعندما احتاج ترامب إلى دفعة، لم تأتِ.

كان هذا القسم الأول من جولة كونواي .أما القسم الآخر، فهو أنّ الحملة، ورغم كل شيء، شقّت طريقها عائدة من الهاوية .لقد أبلى هذا الفريق الذي يعاني من نقص فادح في الموارد، ويعمل فعليّاً لحساب أسوأ مرشح في تاريخ السياسة الحديثة، بلاءً حسناً .وكانت كونواي تقلّب عينيها أو تنظر بجمود كلما أتى أحدهم على ذكر اسم ترامب .وأدركت كونواي، التي لم يسبق لها أن عملت في

أيّ حملة وطنية، والتي أدارت قبل ترامب، شركة صغيرة تُعنى باستطلاعات الرأي، أنها ستتحوّل بعد الحملة إلى أحد الأصوات القيادية المحافظة على شبكات الأخبار.

في الواقع، راح جون ماكلافلين، أحد مسؤولي استطلاعات الرأي في حملة ترامب، يشير خلال الأسبوع الفائت إلى أنّ الأرقام في بعض الولايات الرئيسية المهمة، حيث الصورة قاتمة حتى الساعة، قد تتغيّر لصالح ترامب .لكن يقين كونواي وترامب نفسه وصهره جاريد كوشنر، وهو رئيس الحملة الفعلي أو المراقب الذي عيّنته العائلة، لم يتزعزع :فمغامرتهم غير المتوقعة سوف تنتهي قريباً.

وحده ستيف بانون، بنظرة الرجل الغريب، أصرّ على أن الأرقام ستتغيّر لصالحهم .لكن بما أنها وجهة نظر بانون أو ستيف المجنون، فهي بعيدة كل البعد عن أن تكون مطمئنة.

اعتبر الذين عملوا في الحملة، التي كانت مواردها محدودة للغاية، أنفسهم فريقاً واضح الرؤية، فريقاً واقعيّاً بشأن إمكانياته وآفاقه بقدر أيّ شخص آخر في السياسة .لكنهم متفقون، وإن بشكل غير معلن، على الآتي :دونالد ترامب لن يتولى الرئاسة بل لا ينبغي له أن يفعل .وهذه القناعة الأولى ببساطة عنت أنّ أحداً لن يُضطر إلى التعامل مع المسألة الأخيرة.

ومع اقتراب نهاية الحملة، كان ترامب نفسه متفائلاً .فقد تجاوز نشر شريط بيلي بوش الذي أثار ضجة جعلت اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري تتجرأ على الضغط عليه لينسحب من السباق إلى الرئاسة .وسدّد مدير مكتب التحقيقات

الفيدرالي جيمس كومي ضربة إلى هيلاري حين أعلن قبل أحد عشر يوماً من الانتخابات أنه سيعيد فتح التحقيق في رسائلها الإلكترونية، ما ساعد على تجنّب فوز كلينتون بشكل ساحق.

وكان ترامب قد قال لمساعده السابق والحالي سام نانبرغ، قبل انطلاق الحملة» :يمكنني أن أكون أشهر رجل في العالم.«

فسأله نانبرغ) سؤالاً مختلفاً نوعاً عن السؤال الذي يُطرح عادة على أيّ مرشّح» :لمَ تريد أن تكون رئيساً؟» :(«لكن هل تريد أن تصبح رئيساً؟ .«ولم يحصل نانبرغ على جواب.

لم يكن الحصول على جواب أمراً مهمّاً. فبحسب نانبرغ، لن يصبح ترامب رئيساً.

كان صديق ترامب القديم روجر أيلز يحب أن يقول إنك إذا رغبت في الحصول على مهنة في عالم التلفزيون، فعليك أولاً أن تترشّح للرئاسة .وراح ترامب الآن وبتشجيع من أيلز، يطلق شائعات عن شبكة لترامب .إنه مستقبل عظيم.

أكد ترامب لأيلز أنه سيخرج من هذه الحملة بصورةٍ أقوى وفرص لا تُحصى .وقال له في حوار جرى بينهما قبل أسبوع من الانتخابات» :هذا أكبر مما حلمت به يوماً .أنا لا أفكر في الخسارة لأنها ليست خسارة .لقد ربحنا .«كما أنه أعدّ ردّه العلني على خسارة الانتخابات :لقد سُرقت الانتخابات!

كان دونالد ترامب ومجموعة حملته الصغيرة مستعدين للخسارة بغضب ناري .ولم يكونوا مهيأين للفوز.

***

لا بد لشخص ما من أن يخسر في السياسة، لكن الجميع من دون استثناء يظنون أنهم قادرون على الفوز .ولا يمكنك على الأرجح أن تفوز إلا إذا آمنت بأنك ستفوز، لكن الاستثناء هو حملة ترامب.

كانت الفكرة المهيمنة على ترامب بخصوص حملته تفيد بأنها حملة سيئة، وبأن كل العاملين فيها فاشلون .كما كان مقتنعاً بأن العاملين مع كلينتون هم فائزون بامتياز .وقد تعوّد أن يردّد قائلاً» :لديهم الأفضل ولدينا الأسوأ .«وغالباً ما يكون الوقت الذي تقضيه مع ترامب على متن الطائرة المخصصة للحملة تجربة أسطورية في الإهانة والتحقير :فالكل من حوله غبي.

كان كوري ليفاندوفسكي الذي تولّى منصب أول مدير رسمي تقريباً لحملة ترامب الانتخابية، يتعرّض باستمرار لتوبيخ المرشّح .وبقي لأشهر يسميه» الأسوأ« قبل أن يطرده أخيراً في حزيران/يونيو 2016. ومنذ ذاك الحين، أعلن ترامب أن حملته محكوم عليها بالإخفاق من دون ليفاندوفسكي .كان يقول» :نحن كلنا مخفقون .كل رجالنا سيئون، لا أحد يعرف ما يفعله ...ليت كوري يعود .« وسرعان ما صبّ ترامب غضبه على مدير حملته الثاني بول مانافورت.

ومع حلول شهر آب/أغسطس، وفيما كان متخلفاً عن كلينتون باثنتي عشرة إلى سبع عشرة نقطة، ويواجه هجوم الصحافة عليه بشكل يومي، لم يستطع

ترامب أن يتخيّل حتى سيناريو فوزه في الانتخابات .وفي هذه اللحظة العصيبة، باع ترامب نوعاً ما حملته الانتخابية .فقد نقل الملياردير اليميني بوب ميرسر الذي كان يدعم تيد كروز بادئ الأمر، دعمه إلى ترامب وضخّ 5 ملايين دولار أميركي .رأى ميرسر أن الحملة تتداعى، فركب مع ابنته ريبيكا مروحية من منزلهما في لونغ آيلند، وخرجا في محاولة مبرمجة لجمع التبرعات في المنزل الصيفي لوودي جونسون، مالك شركة نيويورك جيتس وجونسون إند جونسون، على أمل أن ينضم مانحون آخرون إليهما.

لم تكن هناك علاقة وثيقة تربط ترامب بالأب أو ابنته، فهو لم يتحدث سوى مرات قليلة إلى بوب ميرسر الذي يتكلم عموماً بشكل مقتضب .أما علاقة ريبيكا بترامب فتقتصر على صورة التقطتها معه في برج ترامب .لكن عندما عرضت عائلة ميرسر خطتها لتولّي الحملة وتعيين أشخاص تختارهم، أي ستيف بانون وكيليان كونواي، لم يرفض ترامب العرض .واكتفى فقط بأن يعبّر عن عدم فهمه للسبب الذي يدفع أيّ شخص لتقديم مثل هذا العرض .فقال لميرسر: »هذه المسألة ملعونة وغير مجدية.«

كانت كل المؤشرات المنطقية تدلّ على أن شيئاً ما أكبر من القدر المحتوم قد أرخى بظلّه على ما أسماه ستيف بانون» الحملة المحفوفة بالمخاطر«، إنه نوع من الاستحالة الهيكلية أو البنيوية.

فالمرشح الذي أعلن أنه ملياردير عشرات المرات يرفض أن يستثمر أمواله في حملته .قال بانون لجاريد كوشنر الذي سافر في إجازة مع زوجته وعدو ترامب ديفيد جيفن إلى كرواتيا بعد أن تولّى بانون الحملة، إنهم سيحتاجون إلى مبلغ 50

مليون دولار إضافية، بعد المناظرة الأولى في أيلول/سبتمبر، وذلك لتغطية النفقات حى يوم الانتخاب.

فرد كوشنر الواقعي» :من المستحيل أن نحصل على خمسين مليوناً إلا إذا استطعنا أن نضمن الفوز.«

أصرّ بانون» :خمسة وعشرون مليوناً.«

»إذا استطعنا أن نقول إنّ الفوز مرجّح بقوة.«

في نهاية المطاف، جلّ ما استطاع ترامب أن يفعله هو أن يُقرض الحملة عشرة ملايين دولار شرط أن يستعيد المبلغ فور تمكُّنهم من جمع المال) .حضر ستيف منوشن الذي تولّى حينذاك إدارة شؤون الحملة المالية، لتسلُّم الأموال بمجرد أن أصبحت تعليمات التحويل جاهزة، بحيث لا يتناسى ترامب إرسالها.(

في الواقع، لم تكن هناك حملة حقيقية بسبب غياب أيّ تنظيم حقيقي . ويمكننا القول إنّ الحملة كانت قائمة لكنها عانت من خلل فاضح .قدّم روجير ستون، المدير الأول للحملة بحكم الأمر الواقع، استقالته، أو أن ترامب طرده . فقد ادعى كل من الرجلين في العلن أنه تخلى عن الآخر .وأطاح ليفاندوفسكي بسام نانبرغ، مساعد ترامب الذي عمل مع ستون، بشكل أثار ضجة حوله .وزاد ترامب الطين بلة ونشر غسيله القذر في العلن، حين رفع دعوى على نانبرغ .وكان ليفاندوفسكي على علاقة عاطفية بهوب هيكس، مساعدة العلاقات العامة التي عيّنتها إيفانكا ترامب، انتهت بشجار علني في الشارع، وهي حادثة استشهد بها

نانبرغ في رده على دعوى ترامب .لم تكن الحملة في ظاهرها مُصمَّمة للفوز بأيّ شيء.

وحتى تخطّي ترامب المرشحين الجمهوريين الستة عشر الآخرين وأقصاهم، وهو الأمر الذي بدا في البداية بعيد المنال للغاية، لم يجعل الهدف النهائي المتمثل بالوصول إلى الرئاسة يبدو أقلّ منافاة للعقل والمنطق.

وإذا بدت إمكانية الفوز خلال الخريف أكثر احتمالاً قليلاً، فإن الآمال قد تبخّرت مع ظهور قضية بيلي بوش .قال ترامب على الهواء لبيلي بوش، الذي يقدّم برنامجاً على شاشة إن.بي.سي، وفي خضم النقاش الجاري على الصعيد الوطني حول التحرّش الجنسي» :أنا أنجذب تلقائياً إلى الجميلات، وأبدأ بتقبيلهن فقط . الأمر أشبه بالمغنطيس .أقبّل فقط .حتى أنني لا أنتظر .وهن يدعنك تفعل حين تكون نجماً .يمكنك أن تفعل ما تشاء ...أن تمسكهن بأعضائهن التناسلية . يمكنك أن تفعل ما تشاء.«

كان هذا الكلام مثيراً، وهذا التطوّر في الأحداث قاتلاً إلى حدّ أنّ راينس بريبوس، رئيس اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، لم يستطع أن يحمل نفسه على مغادرة مقره، عندما استدعي من واشنطن إلى نيويورك، لعقد اجتماع طارئ في برج ترامب .واحتاج فريق ترامب إلى ساعتين لإقناعه بالقدوم إلى المدينة.

اتصل بانون اليائس ببريبوس، وقال له متملقاً» :يا أخي، قد لا أراك مجدداً بعد اليوم، لكن عليك أن تأتي إلى هذا المبنى، وأن تدخل من الباب الأمامي.«

***

أما الجانب المشرق للخزي الذي اضطرت ميلانيا ترامب إلى تحمّله بعد عرض بيلي بوش، فهو أنّ وصول زوجها إلى الرئاسة قد بات الآن مستحيلاً.

إن زواج دونالد ترامب لغز حيّر كل من حوله تقريباً، أو لعله كان كذلك لأولئك الذين لا يملكون طائرات خاصة والعديد من المنازل .فهو وميلانيا لا يقضيان الكثير من الوقت معاً .وقد تمر أيام من دون أن يتواصلا، حتى وإن كانا كلهما في برج ترامب .وغالباً ما كانت تجهل مكانه أو لا تأبه حتى لهذا الأمر. فزوجها يتنقّل بين منازله المختلفة مثلما يتنقّل من غرفة إلى أخرى .وكانت معلوماتها عن أعماله محدودة بقدر معرفتها لمكانه، فهي لم تكن تهتم بهذا الأمر. هذا الوالد المتغيّب عن حياة أبنائه الأربعة الأوائل، غاب أكثر عن حياة ابنه الخامس بارون، ابنه من ميلانيا .والآن، وبعد زواجه الثالث، أخبر أصدقاءه أنه أصبح أخيراً يُتقن فن العيش وترك غيره يعيش» :افعل ما يحلو لك.«

اشتهر ترامب بأنه زير نساء، ولعله أصبح خلال الحملة أشهر المتحرشين في العالم .صحيح أن أحداً لن يصف ترامب بالرجل الحساس عندما يتعلق الأمر بالنساء، لكنَّ ترامب لديه العديد من الآراء حول كيفية التعامل معهن، بما في ذلك نظرية ناقشها مع أصدقائه تقول إنه كلما كان فارق العمر بين الثنائي كبيراً، فإنّ الفتاة الشابة لا تأخذ خيانة الرجل المسن لها على محمل شخصي.

في أيّ حال، فإن الفكرة الشائعة بأن هذا الزواج صوريّ فحسب بعيدة كل البعد عن الحقيقة .فهو غالباً ما يتحدث عن ميلانيا حين لا تكون حاضرة . ويعرب عن إعجابه بمظهرها وشكلها، وغالباً ما يفعل هذا في حضور آخرين ما يزعجها ويحرجها .تعوّد أن يقول للناس بفخر ومن دون استهزاء إنها» الزوجة الجائزة .«ولعله لم يشاركها في حياتها إلا أنه شاركها وبكل سرور مباهجها وغنائمها .وكان يردد مقولة شائعة بين الأثرياء» :زوجة سعيدة تعادل حياة سعيدة.«

كما سعى ترامب إلى نيل إعجاب ميلانيا) .في الواقع سعى ترامب إلى نيل إعجاب كل النساء اللواتي يحطن به، وهؤلاء كنّ حكيمات بمنحه ذلك .(في العام 2014، عندما بدأ يفكّر جدياً بالترشّح للرئاسة للمرة الأولى، كانت ميلانيا من القلّة القليلة التي اعتقدت أن بإمكانه الفوز .أما ابنته إيفانكا، فنظرت إلى الأمر على أنه نكتة؛ فحرصت أن تقصي نفسها عن الحملة .وقد قالت لأصدقائها، هي التي تجاهر بنفورها من زوجة أبيها» :كل ما عليكم أن تعرفوه عن ميلانيا هو أنها تعتقد أنه سيفوز بالتأكيد إذا ما ترشّح للرئاسة.«

في الواقع، بدا احتمال أن يصبح زوجها رئيساً للبلاد مرعباً لها، إذ اعتقدت أن من شأن هذا أن يقضي على حياتها التي حرصت أن تحميها من عائلة ترامب الكبيرة، وإن وجدت صعوبة في ذلك، والتي تمحورت بشكل شبه كامل حول ابنها الصغير.

قال لها زوجها بمرح» :لا تستعجلي الأمور«، علماً أنه كان يقضي كل يوم في متابعة الحملة التي شغلت وسائل الإعلام، إلا أن قلقها ورعبها قد استمرا بالتزايد.

كانت الشائعات بشأنها تجري بالخفاء في مانهاتن، شائعات قاسية ومضحكة في تلميحاتها، أطلعها عليها بعض الأصدقاء .كانت مسيرتها المهنية كعارضة أزياء تخضع لفحصٍ دقيق .وفي سلوفانيا حيث نشأت، نشرت مجلة »سوزي«، التي تُعنى بشؤون المشاهير، الشائعات عنها بعد ترشّح ترامب .بعدئذ، عمدت صحيفة» الدايلي مايل «في خطوة مدركةٍ للنتيجة المرعبة التي قد تسبّبها، إلى نشر القصة في العالم كله.

وحصلت صحيفة» نيويورك بوست «على صور حصرية لجلسة تصوير خضعت لها ميلانيا عارية في بداية حياتها المهنية كعارضة أزياء، وهو تسريب عزاه الجميع في ما عدا ميلانيا إلى ترامب نفسه.

وواجهت ميلانيا الحزينة زوجها .هل هذا هو المستقبل؟ وأخبرته أنها لن تتمكن من تحمّل هذا.

وردّ ترامب بطريقته المعتادة .سنرفع عليهم دعوى !وجمعها بمحامين .لكنه بدا نادماً على غير عادته .وطلب منها أن تتحمّل قليلاً، فالمسألة لن تطول، وسوف تنتهي في تشرين الثاني/نوفمبر .وطمأن زوجته بأن ما من سبيل إلى الفوز . بدا واثقاً هذه المرة أنه سيفي بهذا الوعد لزوجته، بالرغم من كونه لا يعتمد عادةً، إلى حدّ ميؤوس منه بحسب تعبيره.

***

وأعادت حملة ترامب، بطريقة لا يمكن القول عنها إنها غير متعمدة، المخطط الذي جاء في فلم ميل بروكس» المنتجان .The Producers «في هذا الفلم الكلاسيكي، عرض بطلا الفلم المحتالان والبليدان، ماكس بيليستوك وليو بلوم، أكثر من مئة بالمئة من أسهم ملكية عرض في برودواي يقومان بإنتاجه للبيع .وبما أن أمرهما سيُفتضح إذا ما حقق العرض نجاحاً، فقد عملا على أن يكون سيئاً .بالتالي، أعدا عرضاً غريباً جداً إلى حدّ أنه نجح، فقوّض مخططات البطلين.

يقضي المرشحون الذين يفوزون عادة بالرئاسة، والذين تحرّكهم الغطرسة أو النرجسية، أو الإحساس الخارق بالقدرية، جزءاً كبيراً من حياتهم المهنية، إن لم تكن حياتهم منذ المراهقة، في الإعداد لهذا الدور .إنهم يصعدون سلّم المناصب التي تقوم على الاقتراع .ويقدّمون إلى الناس صورة مثالية .كما أنهم يعملون بشكل حثيث على بناء شبكة علاقات، لأن النجاح في السياسة يقوم في جزء كبير منه على الحلفاء .وهم يحشدون المؤيدين) .حتى في حالة جورج بوش الابن الذي لم يكن يهتم بالسياسة، فقد اعتمد على علاقات أبيه ومؤيديه ليصل إلى الرئاسة .(ويحرص هؤلاء ألا يخلّفوا ما يدينهم، أو يعمدون على الأقل إلى إخفائه . إنهم يُعِدّون أنفسهم كي يفوزوا ويحكموا.

أما حسابات ترامب الواعية تماماً، فمختلفة .فقد اعتقد المرشح ومساعدوه أنهم يستطيعون الحصول على كل المكاسب والمنافع التي تتأتى عن الاقتراب إلى حد بعيد من الوصول إلى الرئاسة، من دون أن يغيّروا سلوكهم أو

رؤيتهم الأساسية للعالم ولو مثقال ذرة :ليس علينا أن نكون إلا ما نحن عليه فعلاً، لأننا بالطبع لن نفوز.

تباهى العديد من المرشحين للرئاسة بأنهم من خارج واشنطن وغرباء عنها؛ وهذه الإستراتيجية تعطي عملياً أفضلية للحكام على أعضاء مجلس الشيوخ .إلا أنّ كل مرشّح جاد، مهما انتقد واشنطن، يعتمد على المطلعين من الداخل ليحصل على المشورة والدعم .لكن هذا لا ينطبق على ترامب الذي لم يعمل أيّ من المقربين منه في السياسة على المستوى الوطني، كما أن مستشاريه المقربين لم يعملوا يوماً في السياسة .لطالما كان أصدقاء ترامب قلائل طوال حياته .وعندما بدأ حملته الانتخابية لم يكن لديه أيّ صديق في عالم السياسة .أما السياسيان الوحيدان اللذان كان ترامب مقرباً منهما فهما رودي جولياني وكريس كريستي، وهما رجلان غريبان ومنعزلان كل على طريقته .والحديث عن أنه لا يعرف شيئاً أبداً عن الركائز الفكرية الأساسية للعمل هو تعبير هزلي لا يصف الوضع على حقيقته .في بداية الحملة، وفي مشهد يستحق أن يُجسّد في السينما، أُرسل سام نانبرغ ليشرح الدستور للمرشّح» :ولم أكد أصل إلى التعديل الرابع حتى وضع يده على شفته وارتسمت في عينيه التساؤلات.«

كل فرد في فريق ترامب تعرّض للصراعات والخلافات التي لا بد أن تصيب أيّ رئيس أو فريق عمله .مايك فلين، الذي سيصبح لاحقاً مستشار ترامب للأمن القومي، والذي افتتح كل التجمعات والاجتماعات خلال حملة ترامب الانتخابية والذي كان ترامب يحب أن يسمعه يشكو من وكالة الاستخبارات المركزية ومن قلة حيلة الجواسيس الأميركيين، تقاضى من الروس 45000 دولار مقابل

خطاب، فانتقده أصدقاؤه على فعلته التي رأوا أنها لم تكن فكرة جيدة .فأكد لهم وهو مقتنع تماماً أنّ المشكلة لن تقع» :حسناً، سيشكّل هذا مشكلة إذا فزنا.«

أما بول مانافورت، عضو مجموعات الضغط الدولية والناشط السياسي الذي عيّنه ترامب في إدارة حملته الانتخابية بعد طرد ليفاندوفسكي والذي وافق ألا يتقاضى أتعاباً ما أثار تساؤلات عما هو مطلوب في المقابل، فقضى ثلاثين عاماً وهو يمثّل الدكتاتوريين والطغاة الفاسدين، جامعاً ملايين الدولارات من مصادر لطالما لفتت أنظار المحقّقين الأميركيين .وعندما انضم إلى الحملة، كان ملاحقاً قضائياً ومراقباً في كل خطوة مالية يقوم بها من قبل الملياردير الروسي أوليغ ديريباسكا الذي ادّعى أنه سرق منه 17 مليون دولار في صفقة عقارات احتيالية وفاسدة، فأقسم على الانتقام منه.

لم يأتِ أيّ رئيس أميركي قبل ترامب من عالم العقارات، كما أن عدد السياسيين الذين عملوا في هذا القطاع قليل، وذلك لأسباب واضحة وجليّة: فهذا القطاع لا يخضع لقوانين صارمة، ويقوم على ديون كبيرة .كما أنه يتعرّض غالباً لتقلّبات السوق، وهو يعتمد غالباً على عطف الحكومة ويعتبر مجالاً مناسباً لتبديل الأموال النقدية، أي لتبييض الأموال .وكان صهر ترامب جاريد كوشنر ووالده تشارلي وولدا ترامب دون جونيور وأريك، فضلاً عن ابنته إيفانكا وهو نفسه، قد دعموا مؤسساتهم وأعمالهم من خلال العمل بدرجات متفاوتة في عالم الأموال الدولي المشكوك فيه والأموال غير الرسمية .كما أن شارلي ترامب الذي ترتبط مصالحه في عالم العقارات بصهر ترامب ومساعده الأبرز، قضى

عقوبة بالسجن في أحد السجون الفيدرالية بتهمة التهرُّب من الضرائب، والتلاعب بشهود والتبرُّع بشكل غير مشروع لحملات انتخابية.

يقوم رجال السياسة المعاصرون وفرق عملهم ببحوث عن أنفسهم كما لو أنهم من المعارضة .ولو أجرى فريق ترامب بحثاً وتقويماً لمرشحه، لاستنتج أنّ أيّ تدقيق في الخلفية الأخلاقية سيعرّض الحملة للخطر .لكن ترامب تحديداً لم يبذل أيّ جهد في هذا الإطار .شرح روجيه ستون، المستشار السياسي لترامب منذ فترة طويلة، لستيف بانون أن طبيعة ترامب النفسية تجعل من المستحيل عليه أن يلقي على نفسه مثل هذه النظرة المتفحصة .كما أنه لا يحتمل فكرة أن يعرف شخص آخر الكثير عنه، فيصبح بالتالي لديه شيء ضده .في أيّ حال، ما الحاجة إلى مثل هذا التدقيق والتمحيص المثير للقلق؟ أين هي فرص فوزه؟

ولم يهمل ترامب النزاعات المحتملة بشأن صفقاته التجارية وأملاكه وأعماله العقارية، بل رفض بكل جرأة أن يُفصح عن إقراراته الضريبية .لمَ عليه أن يفعل ذلك إذا لم يفز؟

فضلاً عن ذلك، رفض ترامب أن يقضي مزيداً من الوقت في التفكير، وإن نظرياً، بالشؤون الانتقالية، قائلاً إنّ هذا فأل سيء، لكنه في الواقع مضيعة للوقت .كما رفض أن ينظر في أمر ممتلكاته ومشكلاته القانونية ولو من بعيد.

لن يفوز !والخسارة هي فوز.

سوف يصبح ترامب أشهر رجل في العالم، شهيد هيلاري كلينتون الفاسدة والمحتالة.

وسوف تحوّل ابنته إيفانكا وصهره جاريد أنفسهما من ولدين ثريين مغمورين نسبياً إلى شخصين مشهورين على الصعيد الدولي، وسفيرين للماركات العالمية.

وسوف يصبح ستيف بانون حكماً رئيس حزب الشاي.

وتغدو كيليان كوناوي نجمة الشبكات الأخبارية.

ويستعيد راينس بريبوس وكايتي والش حزبهما الجمهوري.

ويمكن لميلانيا ترامب أن تعود إلى تناول الغداء من دون أن تلفت الأنظار.

هذه هي النتيجة الخالية من المتاعب التي انتظروها في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2016. فالخسارة تناسب الجميع.

بُعَيْد الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، عندما بدا الاتجاه غير المتوقّع مؤكداً، أي أن ترامب قد يفوز بالفعل، أخبر دون جونيور أحد أصدقائه أن والده أو دي.جي.تي كما يسمّيه، بدا وكأنه رأى شبحاً. أما ميلانيا التي قطع لها زوجها وعداً فراحت تبكي، لكن ليس فرحاً.

وفي غضون ساعة أو أكثر بقليل، رأى ستيف بانون باستياء ترامب المشوّش يتحوّل إلى ترامب غير مصدّق، ثم إلى ترامب مرعوب تماماً. لكن التغيير الأخير ما لبث أن ظهر: فجأة، أصبح دونالد ترامب رجلاً يعتقد أنه يستحق أن يكون رئيساً للولايات المتحدة، وأنه قادر تماماً على أن يكون كذلك.

الفصل الثاني

برج ترامب

استقبل دونالد ترامب يوم السبت الذي أعقب الانتخابات، مجموعةً صغيرة من المهنئين في شقته المؤلفة من ثلاثة طوابق في برج ترامب .كانت الصدمة والارتباك لا يزالان يخيّمان حتى على أصدقائه المقرّبين، وسادت حال من الذهول بين الحضور .لكن ترامب نفسه ما انفك ينظر إلى الساعة.

قال روبرت مردوخ إنه، وزوجته الجديدة جيري هال، سيزوران الرئيس المنتخب، رغم أنه مقتنع تماماً بأن ترامب دجال وأحمق .لكن مردوخ تأخّر، تأخر كثيراً .وبقي ترامب يؤكد لضيوفه أن روبرت قادم وسيصل قريباً .وعندما أبدى بعض الضيوف رغبة في المغادرة، تملّقهم ترامب كي يبقوا مدة أطول، قائلاً» :لا

بد أن لديكم رغبة لمقابلة روبرت) لديكم رغبة في البقاء لتروا ترامب مع روبرت«، كما فسّر بعض الضيوف كلامه.(

لم يبذل مردوخ، الذي ربطته هو وزوجته حينذاك ويندي علاقة اجتماعية بجاريد وإيفانكا، الكثير من الجهد ليخفي عدم اهتمامه بترامب .وشكّل ولع مردوخ بكوشنر قطعة غريبة في الدينامية التي ربطت ترامب بصهره .وقد استغل كوشنر هذه العلاقة بذكاء لصالحه، فتعمّد على الدوام أن يأتي على ذكر مردوخ في الأحاديث التي يتبادلها مع والد زوجته .وعندما أخبرت إيفانكا ترامب مردوخ عام 2015 أنّ والدها ينوي فعلاً الترشّح للرئاسة، استبعد نجاحه ببساطة.

أما الآن، فها هو الرئيس المنتخب، بعد أكبر موجة ذهول واستياء في تاريخ أميركا، ينتظر مردوخ على أحرّ من الجمر .قال لضيوفه، وقد ازداد اضطرابه فيما هو ينتظر» :إنه أحد العظماء .إنه حقاً واحد من العظماء، آخر العظماء . عليكم أن تبقوا لتقابلوه.«

كانت تلك عبارة عن مجموعة تغيرات غير مسبوقة اتخذت اتجاهاً معاكساً تماماً، وتناسقت بشكل مثير للسخرية .فقد بذل ترامب الذي يحتمل أنه لم يدرك بعد الفرق بين أن يصبح المرء رئيساً وأن يرتفع مركزه الاجتماعي، كل ما في وسعه كي يتودّد إلى ذلك القطب في عالم الإعلام الذي كان يزدريه في السابق .أما مردوخ الذي وصل أخيراً إلى الحفل بعد أن تأخّر لأسباب عدة، فكان مذهولاً ومصدوماً كحال الجميع .وقد كافح كي يغيّر نظرته إلى رجلٍ ظلّ على مدى أكثر من جيلٍ كامل يعتبره مخبولاً في عالم الأغنياء والأثرياء في أفضل الأحوال.

***

لم يكن مردوخ الملياردير الوحيد الذي يزدري ترامب ويرفض أن تربطه به أيّ علاقة .ففي السنوات التي سبقت الانتخاب، عمد كارل إيكان، الذي غالباً ما أتى ترامب على ذكر صداقته معه، وأشار إلى أنه سيعيّنه في منصب رفيع، إلى السخرية علناً من صديقه الملياردير) الذي قال عنه إنه لم يكن مليارديراً حتى من بعيد.(

لم يكن لدى الأشخاص الذين عرفوا ترامب أيّ أوهام بشأنه .ولعل هذا هو سرّ جاذبيته :فهو ما هو عليه .بريق في عينيه، ولصوصية في روحه.

لكنه الآن الرئيس المنتخب .وهذا يغيّر كل شيء على أرض الواقع .يمكنك إذن أن تقول عنه ما تشاء، لكنه نجح .تمكّن من سحب السيف من الصخرة . وهذا يعني شيئاً، لا بل كل شيء.

يتوجب على أصحاب المليارات أن يعيدوا النظر في آرائهم .وهذا ما فعله كل من دار في فلك ترامب .وكان على أفراد فريق عمل الحملة الذين أصبحوا فجأة في وضع يسمح لهم بتبوّؤ وظائف في الجناح الغربي، أيّ الوظائف التي تصنع التاريخ، أن ينظروا إلى هذا الرجل الغريب الأطوار، والصعب والسخيف حتى، وغير المؤهّل، من منظار جديد .لقد انتُخب رئيساً .إذن، فهو بطبيعة الحال رئاسي كما كان يحلو لكيليان كونواي أن تقول.

إلا أنّ أحداً لم يَرَه رئاسياً بعد، أي قادراً على أن يتقيّد علناً بالطقوس والشعائر واللياقات السياسية، أو حتى على أن يمارس الحد الأدنى من التحكّم بالذات.

وجرى اختيار أشخاص آخرين كي ينضموا إلى فريق العمل، وقد وافقوا على ذلك رغم انطباعاتهم الجلية عن الرجل .جيم ماتيس، جنرال متقاعد مكلل بأربع نجوم وواحد من القادة الذين يحظون باحترام كبير في القوات المسلحة الأميركية؛ ريكس تيلرسون، المدير التنفيذي الأعلى لشركة إكسون موبيل؛ سكوت برويت وبيتسي ديفوس المواليان لجيب بوش؛ وقد ركّز هؤلاء كلهم على واقع أنّ هذا الرجل انتُخب رئيساً للبلاد، حتى وإن كانت شخصيته تبدو غريبة، بل سخيفة حتى.

وفجأة، أصبح جميع من يدورون في فلك ترامب يؤكدون أنهم قادرون على القيام بهذه المهمة .أو على الأقل أنهم قد ينجحون.

في الواقع، وإذا ما ألقينا نظرة عن قرب، لوجدنا أن ترامب ليس ذلك الرجل المتحذلق والجاهز للمشاكل الذي أثار الجماهير خلال الحملة الانتخابية .لم يكن غاضباً أو مقاتلاً .لعله أكثر المرشحين الرئاسيين إثارة للتهديد والخوف والرعب في التاريخ الحديث، لكنه شخصياً يكاد يبدو لطيفاً .ورضاه عن ذاته يؤثر فيك .فالحياة جميلة ومضيئة .وترامب رجل متفائل، بشأن نفسه على الأقل .كان ساحراً ويجيد الإطراء والتملق؛ ويركّز اهتمامه عليك .وهو مسلّ، إلى حدّ أنه يتهكم على نفسه .كما أنه شخص حيوي للغاية، ولا يتردد في الشروع في العمل مهما كان هذا العمل .كما أنه ليس رجلاً قاسياً بل إنه» قرد ضخم ذو قلب حنون«، على حدّ تعبير بانون في ما يشبه المديح.

كان أحد الأثرياء الكبار، وهو من أصدقاء ترامب القدامى، قد حذّر بيتر تيل، المؤسس الشريك ل»بايبال«، وعضو مجلس إدارة» فيسبوك«، والصوت

المهم الوحيد في سيليكون فالي الذي دعم ترامب، من أن الرئيس المنتخب سيعرض عليه في حركة تملّق صداقته الأبدية .الكل يقولون إنك عظيم، ستجمعنا أنا وأنت علاقة عمل مذهلة، اتصل بي إن احتجت إلى أي شيء وستحصل عليه !ونُصح تيل بألا يأخذ عرض ترامب على محمل الجدّ .لكن تيل الذي ألقى خطاب دعم لترامب في مؤتمر الحزب الجمهوري في كليفلاند، صرّح أنه، وعلى الرغم من التحذير المسبق الذي تلقّاه، واثق تماماً بصدق ترامب، حين قال إنهما سيبقيان صديقين إلى الأبد، إلا أنه لم يعاود الاتصال به مجدداً كما لم يُجِب على مكالماته .في أيّ حال، تشكّل السلطة عذراً لأيّ تقصير اجتماعي .أما النواحي الأخرى من شخصية ترامب، فهي أكثر إشكالية.

وجد معظم المهنيين الذين وافقوا على الانضمام إلى فريق العمل أنفسهم في مواجهة واقع جهل ترامب التام .لم يكن ببساطة يبرع في أيّ موضوع، باستثناء موضوع تشييد الأبنية .كان كل شيء معه يبدو ارتجاليّاً .وكل ما يعرفه بدا وكأنه قد تعلّمه قبل ساعة فقط، وبالتالي لم ينضج في فكره بعد .إلا أن كل فرد في فريق عمل ترامب الجديد عمل على إقناع نفسه بخلاف ذلك، لأن ما يعرفونه هو أنه انتُخب رئيساً .يبدو جلياً أنّ لديه ما يقدّمه .في الواقع، وعلى الرغم من أن الجميع في دائرة الأثرياء الاجتماعية التي ينتمي إليها يعلمون مدى جهله، ذلك أن ترامب رجل الأعمال لا يجيد قراءة ميزانية شركاته، وترامب الذي قاد حملته معتمداً على مهاراته في إبرام الصفقات، هو مفاوض فظيع بسبب عدم اكتراثه للتفاصيل، إلا أنهم يجدونه» صاحب فطرة .«هذه هي العبارة المناسبة .فهو يجسّد قوة الشخصية، ويمكن له أن يجعلك تصدّق وتؤمن.

سأل سام نانبرغ، مساعد ترامب السياسي لفترة طويلة» :هل ترامب شخص جيّد، شخص ذكي، شخص قادر؟ لا أعلم، لكنّني أعلم أنه نجم.«

وفي محاولة لشرح مزايا ترامب وجاذبيته، قال بيرس مورغان، الصحفي البريطاني ومذيع شبكة السي.أن.أن السيء الحظ الذي ظهر في برنامج «سيلبريتي ابرنتيس «والذي بقي صديقاً وفياً لترامب، إن التفاصيل كلّها موجودة في كتاب ترامب» فن الصفقة .«The Art of the Deal -يحتوي الكتاب على شرحٍ لكلّ ما يميّز ترامب، وكل ما يحدّد دهاءه وطاقته وشخصيته الآسرة .إذا أردت ان تعرف ترامب، فاقرأ الكتاب فحسب .لكن ترامب لم يكتب» فن الصفقة .«وأصرّ توني شوارتز، المؤلّف الشريك، على أنه بالكاد ساهم في كتابته، بل لعله لم يقرأه كله .ربّما كانت هذه هي النقطة المهمة .فترامب ليس كاتباً، بل هو شخصية، شخصية رئيسية وبطل.

عاش ترامب، الذي كان من هواة المصارعة الحرة للمحترفين وأصبح أحد داعمي» دبليو دبليو إي «أيّ» مؤسسة المصارعة العالمية الترفيهية «وإحدى شخصياتها البارزة) وَضع اسمه في قاعة المشاهير التابعة للدبليو .دبليو .إي(، أشبه بشخصية خيالية في عالم الواقع .وغالباً ما كان يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب، الأمر الذي يسلي أصدقاءه ويزعج العديد من أولئك الذين يستعدون للعمل ضمن فريقه في أعلى مستويات الحكومة الفيدرالية .ترامب فعل هذا، وترامب فعل ذاك .كانت شخصيته تلك غالبةً إلى حدّ أنه بدا رافضاً، أو حتى عاجزاً عن التخلي عنه لصالح تولّي الرئاسة، أو التصرف بطريقة رئاسية.

ومهما يكن التعامل مع هذا الرجل صعباً، فإنّ الكثيرين ممن يحيطون به حاولوا تبرير سلوكه، كما حاولوا أن يجدوا تفسيراً لنجاحه، وأن يفهموه كميزة وليس كعيب .إنّ ميزة ترامب السياسية الوحيدة في نظر ستيف بانون هي هيمنته كذكر على المجموعة المحيطة معه، ولعله آخر الذكور .رجل من الخمسينات، فرد من فريق» رات باك«، شخصية من شخصيات أفلام» ماد مان.«

كان فهم ترامب لطبيعته الخاصة أكثر دقة .ففي إحدى المرات، وأثناء عودته على متن طائرته مع ملياردير صديق له ترافقه عارضة أزياء أجنبية، طلب ترامب الذي حاول أن يستميل صديقة صديقه، التوقّف في أتلانتيك سيتي . عرض أن يقوموا بجولة على الكازينو الذي يملكه .أكد صديقه للعارضة أنّ ما من شيء يستحق المشاهدة في هذا المكان الذي يعجّ بحثالة البيض.

وسألت العارضة» :ماذا تعني بحثالة البيض؟.«

فأجاب ترامب» :إنهم أشخاص مثلي لكنهم فقراء.«

بحث عن ذريعة كي لا يسير وفقاً للأعراف، ولئلّا يكون محترماً .إنها وصفة خارجة عن القانون للفوز، والفوز هو الهدف الأسمى مهما تكن الوسيلة.

هذا الرجل لا يشعر بأيّ تأنيب ضمير، كما يرى أصدقاؤه الذين يحذّرون أنفسهم لئلا ينخدعوا به .إنه ثائر، فوضوي، يرفض الخضوع للقواعد، ويضرب بها عرض الحائط .وجد أحد أصدقاء ترامب، وهو صديق مقرب من بيل كلينتون، أنهما متشابهان، مع فارق بسيط هو أن كلينتون حافظ على واجهة محترمة، فيما لم يفعل ترامب ذلك.

ولعل أحد مظاهر هذه الشخصية الخارجة عن القوانين بخصوص كل من ترامب وكلينتون، هو ميلهما إلى ملاحقة النساء والتحرش بهن .وهما يتميزان من المتحرشين على الصعيد العالمي بأنهما لا يترددان قيد أنملة.

وكان يحلو لترامب أن يقول إنّ أحد الأمور التي تجعل الحياة جديرة بأن يحياها المرء هو أن تتمكن من استدراج زوجات أصدقائك إلى سريرك .وعند ملاحقة زوجة أي صديق، يسعى لأن يقنعها بأن زوجها ليس كما تظن .بعدئذ، يطلب من سكرتيرته أن تتصل بالصديق وتدعوه إلى مكتبه .عند وصوله، يبدأ ترامب ما يعتبره مزاحاً جنسيّاً .أما زلت تحب أن تمارس الجنس مع زوجتك؟ كم مرة؟ لا بد أنك مارست الجنس بشكل أفضل مع امرأة أخرى غير زوجتك؟ أخبرني .ستصل بعض الفتيات من لوس أنجلوس عند الساعة الثالثة .يمكننا أن نصعد إلى الأعلى ونستمتع بوقتنا .أعدك ...وفي هذه الأثناء، تكون الزوجة في الجهة الأخرى من الهاتف المفتوح تستمع إلى الحديث.

افتقر الرؤساء السابقون، وليس كلينتون فقط، إلى الوازع .لكن ما حيّر فعلاً العديد من الأشخاص، الذين عرفوا ترامب عن قرب، هو تمكّنه من الفوز في الانتخابات وتحقيق الهدف الأسمى، في حين أنه يفتقر تماماً إلى ما ينبغي منطقياً أن يشكّل الشرط الرئيسي للعمل، أو ما يسمّيه علماء الأعصاب الوظيفة التنفيذية .لقد فاز بطريقة ما بالسباق الرئاسي، إلا أن دماغه بدا غير قادر على تنفيذ ما يُعتبر مهمات أساسية في عمله الجديد .فهو عاجز عن التخطيط والتنظيم والانتباه وتحويل تركيزه؛ كما لم يتمكّن يوماً من أن يكيّف سلوكه

بحسب ما تتطلّبه الأهداف الموضوعة .وهو، على المستوى الأكثر بساطة، لا يستطيع أن يربط بين السبب والنتيجة.

ورأى بعض أصدقائه أن تهمة التواطؤ مع الروس للفوز بالانتخابات التي سخر منها، هي الدليل الأمثل على عجزه عن الربط بين النقاط .وحتى لو لم يتآمر مع الروس للفوز بالانتخابات، فإن الجهود التي بذلها للتودد إلى فلاديمير بوتين من بين الناس كلهم، خلّفت من دون شك ردوداً من الأفعال والأقوال المثيرة للقلق التي من المرجّح أن تكون تكلفتها السياسية عالية.

وبعد الانتخاب بفترة وجيزة، قال له صديقه أيلز بإلحاح» :عليك أن تفعل شيئاً بشأن الموضوع الروسي على الفور .«فعلى الرغم من أن أيلز استُبعد من شبكة فوكس الإخبارية، إلا أنه حافظ على شبكة أسطورية من العلاقات الاستخباراتية .وحذّر ترامب من مواد ستظهر في وقت لاحق، وقد تُلحق به ضرراً كبيراً» :عليك أن تأخذ المسألة على محمل الجد يا دونالد.«

قال ترامب السعيد» :جاريد سيتولى الأمر .جرى حلّ المسألة.«

***

فجأة، بدا برج ترامب المحاذي لمتجر» تيفاني«، والذي تحوّل إلى مقر لثورة شعبوية، كسفينة فضاء تحمل كائنات من عالم آخر، إنها» نجمة الموت «على الجادة الخامسة .وفيما بدأ المحتجّون الطيبون والطموحون، فضلاً عن المحتجين الغاضبين والجماهير الفضولية، بالتوافد إلى الشارع المحاذي لمنزل الرئيس المنتخب، أقيمت الحواجز على عجل، كالمتاهة، بهدف حمايته.

نصّ قانون الانتقال الرئاسي الذي أُقرّ عام 2010 على تخصيص أموال للمرشحين الرئاسيين، كي يبدأوا عملية تقويم أهلية آلاف المرشحين لشغل وظائف في الإدارة الجديدة، وذلك لوضع السياسات التي من شأنها أن تحدد الخطوات الأولى للبيت الأبيض الجديد، ولإعداد لعملية تسلّم المسؤوليات البيروقراطية في 20 كانون الثاني/يناير .وخلال الحملة الانتخابية، اضطر كريس كريستي، حاكم ولاية نيوجرسي والرئيس الاسمي لمكتب الانتقال العائد إلى ترامب، أن يقول للمرشح بحزم) وهو ما لم يتوقّع أن يحتاج إلى فعله (إنه لا يستطيع إعادة توجيه هذه الأموال، وإن القانون ينص على أن ينفق المال في التخطيط لعملية انتقال السلطة .أجابه ترامب المستاء بأنه لا يريد أن يسمع المزيد عن هذا الأمر.

في اليوم الذي تلا الانتخابات، بدأ مستشارو ترامب المقرّبون، الذين أصبحوا فجأة تواقين إلى المشاركة في العملية التي تجاهلها الجميع تقريباً، بإلقاء اللوم من فورهم على كريستي لعدم إعداده لعملية الانتقال .وانتقل فريق الفترة الانتقالية المعني بالتحضيرات الأساسية على عجل من وسط مدينة واشنطن إلى برج ترامب.

ومما لا شك فيه أنّ هذا البرج هو أغلى عقار شغله فريق انتقالي يوماً) أو فريق حملة انتخابية .(وهذا جزء من الخطة، فهو يبعث رسالة بأسلوب ترامب : نحن لسنا دخلاء فحسب، بل أكثر قوة ممن هم داخل النظام، وأكثر ثراء، وأكثر شهرة .ومع عقار أفضل.

ولا شك في أن المسألة قد اتخذت طابعاً شخصياً :فاسم ترامب بارز بشكل لافت على الباب .وفي الأعلى، شقته المؤلفة من ثلاث طبقات، والتي هي أوسع من القسم المخصص لسكن الرئيس وعائلته في البيت الأبيض .وههنا مكتبه الخاص الذي يشغله منذ الثمانينات .وهنا كانت الحملة وهنا الطوابق التي خُصصت الآن لعملية الانتقال .كل هذا في فلكه، وليس في واشنطن و»المستنقع.«

كان رد فعل ترامب التلقائي والغريزي على نجاحه غير المتوقّع، إن لم نقل المنافي للعقل، بعيداً كل البعد عن التواضع، بل على نقيض منه .أراد بشكل ما أن يُفحم الجميع ويثبت لهم خطأهم ويؤكد تفوّقه عليهم .وسيُضطر المتمرسون بالسياسة في واشنطن أو أولئك المتطلعون لممارستها إلى أن يأتوا إليه .وعلى الفور، أصبح برج ترامب أهم من البيت الأبيض .وكل من أتى لرؤية الرئيس المنتخب كان كأنه اعترف بحكومة تشكّلت من الخارج، أو قبِلها .أجبر ترامب الجميع على تحمّل ما أسماه أهل السياسة في واشنطن» باستعراض المقبوض عليهم والمكبّلين بالأصفاد «أمام وسائل الإعلام وحشود الفضوليين .أراده فِعلاً ينمّ عن الطاعة، إن لم نقل أنه هَدَف إلى الإذلال.

ساعد الشعور بأن برج ترامب ينتمي إلى عالم آخر في طمس حقيقة أنّ قلة قليلة من الذين يحتلون مراكز رفيعة ضمن الدائرة المقربة من ترامب، تتمتع بخبرة ذات صلة بالمهمة التي ألقيت على عاتقها بين ليلة وضحاها، وهي تشكيل الحكومة .لم يكن لدى أيّ منهم خلفية سياسية، أو إحاطة بالسياسات الأساسية، أو أيّ خلفية تشريعية.

تقوم السياسة على شبكة من العلاقات، شبكة من المعارف والأصدقاء . لكن، وخلافاً لغيره من الرؤساء المنتخبين الذين عانوا جميعاً، ومن دون استثناء، خللاً في إدارتهم، لم يبنِ ترامب خلال حياته المهنية أيّ علاقات برجال سياسة وبمسؤولين حكوميين ليستعين بهم .بالكاد كان لديه تنظيم سياسي خاص به . فخلال الشهور الثمانية عشر التي قضاها في حملته، تولى ثلاثة أشخاص فقط إدارة العمل كلّه :مدير حملته كوري ليفاندوفسكي) حتى طُرد قبل شهر من عقد المؤتمر الوطني الجمهوري(؛ وهوب هيكس المتحدثة باسمه ومرافقته ومساعدته، والموظفة الأولى في حملته البالغة من العمر ستّاً وعشرين سنة، وترامب نفسه .فقد رأى ترامب الذي يعتمد على حسه الغريزي وحدسه، أنه كلما كثُر عدد الأشخاص الذين تتعامل معهم، أصبح من الصعب أكثر أن تدير الدفّة، وتعود أدراجك إلى البيت لتنام في سريرك ليلاً.

كان الهدف من تشكيل الفريق المهني الذي انضم إلى الحملة في آب/أغسطس، والذي لم يكن يضمّ أي محترفين فعليين، هو محاولة تجنّب الإذلال .لكن في النهاية، لم يكن ترامب قد عمِل مع أيّ من هؤلاء سوى لبضعة أشهر.

لاحظ رين بريبوس، وهو يستعد للانتقال من اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري إلى البيت الأبيض، كيف أن ترامب يعرض على بعض الأشخاص الذين لم يلتقهم من قبل، وعلى الفور، وظائف لا يدرك أهميتها بشكل خاص.

ازداد قلق أيلز المخضرم الذي عرف البيت الأبيض في عهد نيكسون، وريغان وبوش، من افتقار الرئيس المنتخب إلى التركيز المباشر على تركيبة البيت

الأبيض التي من شأنها أن تحميه وتخدمه .وحاول أن يُقنع ترامب بضراوة المعارضة التي ستكون في استقباله هناك.

قال أيلز لترامب بُعَيد الانتخاب» :إنك تحتاج إلى ابن عاهرة لتعيّنه كبير الموظفين لديك .كما تحتاج إلى ابن عاهرة يعرف واشنطن .سترغب في أن تكون أنت نفسك هذا الشخص، لكنك لا تعرف واشنطن .«واقترح عليه أيلز: »المتحدث باسم البيت الأبيض بينر) «تولى جون بينر منصب المتحدث باسم البيت الأبيض حتى العام2011 ، حين أُجبر على التخلي عنه مع انقلاب حزب الشاي.(

وسأله ترامب» :من هو هذا؟.«

حاول أصحاب المليارات الذين يحيطون بترامب، والذين ساورهم القلق من ازدرائه لخبرات الآخرين، أن يؤكدوا له أهمية العديد من الأشخاص الذين سيحتاج إلى وجودهم في البيت الأبيض، أشخاص يعرفون واشنطن ويفهمونها . الناس الذين يحيطون بك ويعملون معك أهم من سياساتك .هؤلاء الأشخاص هم سياستك.

قال ديفيد بوسي، أحد مستشاري ترامب منذ زمن طويل» :كان فرانك سيناترا مخطئاً .إذا استطعت أن تنجح في نيويورك، فهذا لا يعني بالضرورة أن تنجح في واشنطن.«

***

تستأثر طبيعة دور كبير الموظفين في البيت الأبيض بالكثير من الاهتمام . فبقدر الرئيس نفسه، يحدد كبير الموظفين كيفية إدارة البيت الأبيض والفرع التنفيذي فيه والذي يضم 4 ملايين شخص، بما في ذلك 1,3 مليون شخص في القوى المسلحة.

وهذا المنصب يعادل منصب نائب رئيس أو مدير تنفيذي أو حتى رئيس وزراء .ومن الشخصيات البارزة التي شغلت هذا المنصب وتركت أثراً :هاري روبنز هالدمان وإلكسندر هيغ في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون؛ ودونالد رامسفيلد وديك تشيني في عهد جيرالد فورد؛ وهاميلتون جوردان في عهد جيمي كارتر؛ وجيمس بيكر في عهد رونالد ريغان؛ وجيمس بيكر مجدداً في عهد جورج بوش الأب؛ وليون بانيتا وأرسكين باولز وجون بوديستا في عهد بيل كلينتون؛ وأندرو كارد في عهد جورج بوش الابن؛ ورام إيمانويل وبيل دايل في عهد باراك أوباما .وكل من يدرس هذا المنصب يستنتج أن كبير الموظفين القوي أفضل من كبير الموظفين الضعيف، وأن كبير الموظفين صاحب الخبرة بواشنطن والحكومة الفيدرالية أفضل من شخص آتٍ من عالم آخر غير عالم السياسة.

لم يكن دونالد ترامب يعرف سوى القليل هذا إن عرف شيئاً، عن تاريخ أو ماهية هذا الدور .وقد أحلّ محله أسلوبه الخاص وخبرته الخاصة في الإدارة . تعوّد ولعقود أن يعتمد على المساعدين والأزلام والأسرة .وعلى الرغم من أنه يحلو له أن يصف أعماله بالإمبراطورية، إلا أنها شركة قابضة مستقلة وشركة متاجر، تخضع لخصوصيته كمالك لها وكممثل لعلامة تجارية أكثر مما تهتم بأيّ معايير أداء.

وتساءل ولداه، دون جونيور وأريك، المعروفان بين العاملين مع ترامب، ومن دون علمهما، بعُدَيْ وقُصَي، تشبيهاً بولدَيْ صدام حسين، عن إمكانية وجود تركيبتين متوازيتين في البيت الأبيض، إحداهما مخصصة لعرض آراء أبيهما ورؤيته، وظهوره الشخصي والتسويق له، والأخرى تُعنى بمسائل الإدارة اليومية . وفي هذا السياق، وجدا أنفسهما يميلان إلى العمليات اليومية.

خطر لترامب بادئ الأمر أن يعيّن ككبير موظفي البيت الأبيض صديقه توم باراك، وهو فرد من مطبخه في عالم العقارات، الذي يضم أيضاً كلّاً من ستيفن روث وريتشارد ليفراك.

وباراك هو حفيد مهاجرَيْن لبنانيين، ومستثمر في عقارات النجوم ذو فطنة أسطورية، وهو يملك جنة مايكل جاكسون، المحمية السابقة» نيفرلاند رانش .« وقد شكّل ترامب وباراك وجيفري إبستين فرسان الحياة الليلية في الثمانينات والتسعينات .وجيفري إبستين خبير مالي شغل الصحافة الصفراء بعد اتهامه بممارسة الجنس مع فتيات قاصرات، وإقراره بذنبه في قضية تحريض على الدعارة، الأمر الذي أدى إلى الحكم عليه بالسجن مدة 13 شهراً عام2008 ، في بالم بيتش.

أصبح باراك مؤسس شركة الأسهم الخاصة» كولوني كابيتال «ومديرها التنفيذي ملياردير اً بفضل الاستثمار في حالات المديونية الحرجة في قطاع العقارات بمختلف أنحاء العالم، بما في ذلك تقديم الدعم إلى صديقه دونالد ترامب .كما أنقذ مؤخراً صهر صديقه جاريد كوشنر.

راقب بشيء من التسلية حملة ترامب الرئاسية الغريبة، ولعب دوراً في الصفقة التي جعلت بول مانافورت يحل محل كوري ليفاندوفسكي بعد أن فقد ليفاندوفسكي حظوته لدى كوشنر .وفي مرحلة لاحقة، قدّم باراك الذي فاجأته نجاحات الحملة المتواصلة شأنه في ذلك شأن الجميع، الرئيس المستقبلي بتعابير ودودة وشخصية في المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري الذي عُقد في شهر تموز/يوليو) ما تناقض مع نبرته العدائية والقاتمة.(

كان حلم ترامب المثالي أن ينضم صديقه توم، وهو النابغة في التنظيم الذي يدرك تماماً عدم اهتمام صديقه بإدارة الشؤون اليومية، إلى فريق العمل ويرضى بإدارة البيت الأبيض .هذا هو الحل الفوري والمناسب للظرف غير المتوقع الذي نتج عن وصوله فجأة إلى سدّة الرئاسة :أن يعمل مع مرشده في عالم الأعمال، وكاتم أسراره، والمستثمر معه وصديقه، شخص يصفه من يعرف الرجلين بأنه» أفضل من يجيد التعامل مع دونالد .«وأُطلق على هذا الحل في دائرة ترامب تسمية خطة» الصديقين) .«أزيل إبستين الذي بقي مقرباً من باراك، من سيرة ترامب الذاتية.(

ووفقاً لوجهة نظر الرئيس المنتخب المتفائلة، يستطيع باراك، الذي يُعتبر من بين القلائل الذين لا يشكك فيهم ترامب العدائي بالفطرة، أن يجعل الأمور تسير بسلاسة، وأن يدع ترامب يتصرف كترامب .ويُعدّ هذا من ناحية ترامب، إدراكاً غير معهود للذات :لعل دونالد ترامب لا يعرف ما لا يعرفه، لكنه يعلم أن توم باراك يعرف .سيدير باراك العمل، فيما يبيع المنتج، أي استعادة أميركا لعظمتها السابقة # .لنجعل أميركا عظيمة مجدّداً.(MAGA)

كانت نتيجة الانتخابات بالنسبة إلى باراك وإلى المحيطين بترامب كافة، أشبه بفوز لا يُصدّق بجائزة اليانصيب :صديقك الذي كان فوزه مستبعداً سيصبح رئيساً للبلاد .لكن باراك اضطر أخيراً أن يخيّب أمل صديقه الذي اتصل به مراراً وتكراراً ليتملقه ويلاطفه ويقنعه، قائلاً» أنا ثري جداً فحسب .«فهو لن يتمكّن أبداً من حلّ مسألة مقتنياته ومصالحه، التي تشمل استثمارات ضخمة في الشرق الأوسط، بطريقة ترضي المراقبين الحريصين على الأخلاقيات .لم يكن ترامب يهتم بالتعارض بين مصالحه التجارية والمنصب، أو لعله يرفض الإقرار بالأمر .لكن باراك لم يرَ في هذا العمل سوى متاعبه والتكلفة التي ستنجم عنه . كما لم يشأ باراك الذي تزوّج للمرة الرابعة أن تصبح حياته الشخصية النابضة بالحيوية، والتي عاشها لسنوات مع ترامب، محط أنظار الناس وتركيزهم.

كان صهر ترامب اللاعب الاحتياطي بالنسبة إليه .فخلال الحملة، وبعد أشهر من الاضطرابات، أسرته تقدّم كوشنر، وأصبح معاونه الفعلي؛ وراح يحوم حوله، ولا يتحدث إلا إذا جرى توجيه الكلام إليه، ويقدّم دوماً وجهة نظر مهدئة وإيجابية؛ وهذا من الغرابة بمكان) إن لم يكن لترامب نفسه فلمعظم الآخرين، بما في ذلك أسرته .(كان كوري ليفاندوفسكي يُطلق على جاريد لقب رئيس الخدم . واقتنع ترامب بأن صهره شخص وقور وحكيم، ولعل هذه القناعة تعود في جزء منها إلى أنه عرف كيف يتجنّب الوقوف في طريقه.

وفي خرق وتحدّ للقانون والعرف، وأمام أنظار الجميع الذين لا يصدقون ما يجري، بدا أن الرئيس ينوي أن يحيط نفسه في البيت الأبيض بأفراد أسرته . ستنتقل أسرة ترامب كلها، باستثناء زوجته التي فضّلت ولأسباب غامضة أن

تبقى في نيويورك، إلى البيت الأبيض .ويبدو أن الجميع يستعدون لتولّي مسؤوليات ومهمات مشابهة لمواقعهم ومراكزهم في منظمة ترامب، من دون أن ينصح أحدهم الرئيس بعدم المضي بهذه الخطوة.

أخيراً، تجرّأت آن كولتر، جميلة اليمين وداعمة ترامب، على التحدث إلى الرئيس، حيث تنحّت به جانباً وقالت» :يبدو أنّ لا أحد يقول لك هذا .لكن لا يمكنك أن تفعل هذا .لا يمكنك أن توظّف أولادك.«

بقي ترامب مصرّاً على أنّ من حقه أن تساعده أسرته، فيما هو يطالب في الوقت عينه بتفهّمه .قال إنها الأسرة» :والأمر صعب بعض الشيء .«أدرك العاملون معه أوجه التعارض الكامنة والمشكلات القانونية الصعبة التي قد تنتج عن تولي صهر ترامب إدارة البيت الأبيض، إلا أنهم أدركوا أيضاً أن ترامب سيصر أكثر من أيّ وقت مضى على أن الأسرة تأتي أولاً .وبعد كثير من الضغط، وافق أخيراً على ألا يعيّن صهره في منصب كبير موظفي البيت الأبيض، بشكل رسمي على الأقل.

***

إن لم يكن بالإمكان أن يتولّى باراك أو كوشنر الوظيفة، فيجب أن تذهب على الأرجح وبحسب ترامب، إلى حاكم ولاية نيوجيرسي، كريس كريستي الذي يشكّل مع رودي جولياني مجموع أصدقائه المقربين الذين يتمتعون بخبرة سياسية فعلية.

وكان كريستي، على غرار معظم حلفاء ترامب، ينال الحظوة لدى الرئيس المنتخب حيناً ويفقدها أحياناً .وفي الأسابيع الأخيرة للحملة، علّق ترامب باستخفاف على ابتعاد كريستي المتزايد عن مشروعه الذي يخسر، ومن ثم على توقه إلى العودة بعد الفوز.

وتعود علاقة ترامب وكريستي إلى الزمن الذي حاول فيه ترامب أن يصبح واحداً من أقطاب ألعاب القمار في أتلانتيك سيتي، وأخفق، بل» قطب «ألعاب القمار في المدينة) .لطالما تنافس ترامب وبكل رهبة وتقدير مع قطب ألعاب القمار في لاس فيغاس ستيف وين الذي سيعيّنه ترامب رئيساً للشؤون المالية في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري .(دعم ترامب كريستي وهو يشق طريقه في عالم السياسة في نيوجيرسي، وكان معجباً بأسلوبه الصريح والمباشر في الكلام . ولبعض الوقت، وفيما كان كريستي يستعد ليترشّح للرئاسة عام 2012 و2013، وفيما كان ترامب يبحث عن الفصل التالي لنفسه، بعد أن فقد برنامج الواقع الذي يملك امتيازه» ذي ابرنتيس «رونقه، تساءل ترامب عما إذا كان كريستي سيختاره لتولّي منصب نائب الرئيس.

في بداية الحملة الانتخابية، قال ترامب إنه ما كان ليترشّح ضد كريستي لولا فضيحة بريدغايت) التي ظهرت عندما أغلق شركاء كريستي وحلفاؤه السير على جسر جورج واشنطن لإضعاف رئيس بلدية مجاورة معارض لكريستي، وهي خطوة بررها ترامب بالقول» إنها مجرد أسلوب نيوجيرسي في اللعب القاسي .(« عندما تخلى كريستي عن السباق نحو الرئاسة في شباط/فبراير2016 ، ووقّع مع

حملة ترامب، اضطر أن يتحمّل سيلاً من السخرية، لأنه دعم صديقه الذي اعتقد أنه وعده بسبيل واضح نحو منصب نائب الرئيس.

وقد آلم ترامب شخصياً ألا يتمكّن من منحه المنصب .لكن إذا كان الجمهوريون لا يرغبون في وصول ترامب إلى سدّة الرئاسة، فهم لا يرغبون في رؤية كريستي كنائب له بالقدر نفسه .وهكذا، تولّى كريستي مهمة قيادة المرحلة الانتقالية، ونال وعداً بالحصول على وظيفة مهمة ومركزية، إما كمدّعٍ عام، وإما ككبير للموظفين في البيت الأبيض.

لكنه زجّ شارل كوشنر، والد جاريد، في السجن، حين كان يتولى منصب المدعي العام الفيدرالي في ولاية نيوجيرسي عام .2005 وكان شارل كوشنر، الذي يلاحقه مكتب التحقيقات الفيدرالي بتهمة التهرب من الضرائب، قد وضع خطة مع إحدى فتيات الهوى ليبتزّ زوج شقيقته الذي خطّط لأن يشهد ضده.

وثمة روايات كثيرة، جاء معظمها على لسان كريستي نفسه، تجعل من جاريد الرجل الحاقد المنتقم الذي حال دون أن يتولّى كريستي أيّ منصب مهم في إدارة ترامب .إنها أشبه بقصة انتقام جميل :ابن الرجل المظلوم) لكن ثمة اختلافاً بسيطاً في هذه الحالة، فهو الرجل المذنب بالتهم الموجهة إليه (يستخدم سلطته على الرجل الذي ألحق الظلم بأسرته .لكن ثمة روايات أخرى ترسم صورة غامضة بعض الشيء إن لم نقل قاتمة أكثر .كان جاريد كوشنر، كأيّ صهر في العالم، يتعامل بحذر مع والد زوجته ويهتم بشؤونه، ويحرص على ألا يزعجه: الرجل الأكبر سناً الضخم والمهيمن، والشاب المطيع والمرن .عند التدقيق في رواية القضاء على كريس كريستي، يظهر أن جاريد ليس الشخص الذي ردّ

الضربة، بل شارلي كوشنر نفسه الذي طالب بحقه بخشونة، ما يُعتبر نوعاً ما أكثر إرضاءً لحلم الانتقام .فزوجة ابنه هي صاحبة التأثير الحقيقي ضمن دائرة ترامب، وهي من قام بتسديد الضربة .قالت إيفانكا لوالدها إن تعيين كريستي في منصب كبير موظفي البيت الأبيض أو أيّ منصب مهم آخر سيكون صعباً جداً عليها وعلى أسرتها، وإن من الأفضل إقصاء كريستي من فلك ترامب.

***

شكل بانون الثقل في المنظمة .وبدأ ترامب، الذي بدا أنه يشعر بالرهبة أمام حديث بانون الذي اختلطت فيه الشتائم بالمحاضرات التاريخية والنظرة الثاقبة إلى وسائل الإعلام والملاحظات الذكية عن الجناح الأيمن والحوافز البديهية، باقتراح بانون لمنصب كبير موظفي البيت الأبيض أمام دائرته الخاصة من أصحاب المليارات ليُقابل بالسخرية والاستهجان .لكن ترامب أعلن أن العديدين يؤيدون هذا الخيار في أيّ حال.

في الأسابيع التي سبقت الانتخابات، وصف ترامب بانون بالمتملق لثقته بأنه سيفوز في الانتخابات .لكنه عزا إليه الآن ما يشبه القدرات السحرية الغامضة .في الواقع، كان بانون الذي يفتقر إلى أيّ خبرة أو تجربة سياسية سابقة، الشخص الوحيد القادر على تقديم رؤية متسقة لشعبوية ترامب، المعروفة باسم »الترامبوية.«

وسرعان ما جاء رد فعل القوى المعارضة لبانون والتي ضمت تقريباً كافة الجمهوريين من خارج حزب الشاي .قال مردوخ، العدو المتنامي لبانون، لترامب إن بانون سيكون خياراً خطراً .أما جو سكاربورو، النائب السابق ومقدّم برنامج

»مورنينغ جو «على شاشة إم.إس.إن.بي.سي، وهو البرنامج المفضّل لدى ترامب، فقد قال لترامب على انفراد إنّ» واشنطن ستشتعل «إذا ما أصبح بانون كبير موظفي البيت الأبيض، وبدأ بمناهضة هذه التسمية عبر الحط من قدر بانون علناً في برنامجه.

في الواقع، كانت مشكلات بانون أكبر من السياسة التي ينتهجها :فهو غير منظم تماماً، كما يبدو أنه لا يركز في عمله سوى على مسألة واحدة ويغفل سواها .هل سيكون أسوأ مدير على وجه الأرض؟ ربما .بدا غير قادر على معاودة الاتصال بمن يتصل به هاتفياً .وكان يجيب على الرسائل الإلكترونية بكلمة يتيمة .ولعل هذا ناجم في جزء منه عن شعوره بالارتياب حيال الرسائل الإلكترونية والخوف من الغموض .وكان يبقي المساعدين والمرافقين على أهبة الاستعداد دوماً .ولا يمكنك أن تحدد موعداً مع بانون أبداً، بل عليك أن تحضر إليه فحسب .وكانت مساعدته الرئيسية إلكسندرا بريت، المحافظة المعنية بجمع التبرعات وسيدة العلاقات العامة، غير منظمة بقدره .وبعد ثلاث زيجات، عاش بانون حياته كرجل عازب في الكابيتول هيل في منزل قريب يُعرف باسم» بريتبارت أمبسي «أو» مكتب بريتبارت«، حياة فوضوية وصاخبة .ما من رجل عاقل يعيّن ستيف بانون في وظيفة تتضمن تنظيم العمل، وضبط المواعيد وتسيير الأمور بدقة.

***

ننتقل إلى راينس بريبوس.

كان المسؤول الوحيد المقبول بين المتنافسين بالنسبة إلى مجلس الشيوخ، وسرعان ما راح يتعرض لحملات ضغط قوية قام بها المتحدث باسم المجلس بول راين وزعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل .إن كان عليهم أن يتعاملوا مع شخص غريب مثل دونالد ترامب، فمن الأفضل أن يفعلوا هذا بمساعدة شخص من مثل طينتهم.

لم يكن بريبوس البالغ من العمر خمساً وأربعون سنة، رجل سياسة أو خبيراً بالسياسات العامة أو خبيراً استراتيجياً، بل هو عامل في إحدى أقدم المهن في الماكينة السياسية، وهي جمع التبرُّعات.

فتى من الطبقة العاملة يتحدّر من نيوجيرسي، ثم من ويسكنسون .وقد ترشّح في سن الثانية والثلاثين للمرة الأولى والأخيرة لمنصب يُنال بالانتخاب: محاولة فاشلة لنيل مقعد في مجلس الشيوخ عن ولاية ويسكنسون .وأصبح رئيس الحزب في الولاية، ثم المستشار العام للجنة الوطنية للحزب الجمهوري . وفي العام2011 ، تقدّم إلى رئاسة اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري .ويأتي رصيد بريبوس السياسي من استرضائه لحزب الشاي في ويسكنسون، وعلاقته بحاكم ولاية ويسكنسون سكوت والكر، النجم الصاعد في الحزب الجمهوري) ومرشحه الأول والأوفر حظاً لفترة، وجيزة جداً عام.(2016

ومع معارضة قسم كبير من الحزب الجمهوري بشكل كليّ لترامب، ومع وجود قناعة ثابتة ضمن الحزب بأن ترامب سيتعرض لهزيمة نكراء، هزيمة سيجرّ إليها الحزب برمّته، وجد بريبوس نفسه تحت ضغط كبير، بعد أن سجّل ترامب ترشيحه، كي يحوّل الموارد ويحجبها ويتخلّى حتى عن حملة ترامب كلّياً.

وعلى الرغم من اقتناعه بانتفاء أي أمل في فوز ترامب، فإن بريبوس احتاط في رهانه .وتحوّل عدم تخلّيه عن ترامب بشكل كامل إلى هامش للفوز، وجعل منه ما يُشبه البطل) وفي نسخة كيليان كونواي للرواية، كان ليتحوّل إلى هدف أيضاً لو هزموا .(وهكذا، أصبح الخيار التلقائي لمنصب كبير موظفي البيت الأبيض.

في أيّ حال، فإن الدخول إلى دائرة ترامب الخاصة أوقع بيربوس في حيرة وتردُّد .فقد خرج من اجتماعه الأول الطويل مع ترامب بانطباع مفاده أنها تجربة غريبة بشكل يبعث على الجزع .راح ترامب يتحدث من دون توقّف، ويكرّر الكلام نفسه مراراً وتكراراً.

قال له صديق مقرّب من ترامب» :إليك ما سوف يحدث .في اجتماع لمدة ساعة، ستسمع منه قصصاً على مدى أربع وخمسين دقيقة .وسيروي القصص نفسها مرة تلو المرة .لذا، عليك أن تثير مسألة واحدة فقط، وعليك أن تعود إليها كلما أمكنك ذلك.«

وضع تعيين بريبوس ككبير موظفي البيت الأبيض، والذي أُعلن في منتصف شهر تشرين الثاني/نوفمبر، بانون على قدم المساواة معه .عاد ترامب إلى ميوله الطبيعية بعدم منح أيّ شخص سلطة فعلية .سيكون بريبوس، حتى وإن تولى أعلى المهمات، الشخصية الأضعف نوعاً ما في القالب التقليدي لمعظم مساعدي ترامب على مدى سنوات .وكان الخيار جيداً لمعظم الطامحين .فتوم باراك يمكنه بسهولة أن يتجاوز بريبوس ويتحدث مباشرة إلى ترامب .ولن يتزعزع موقع جاريد كوشنر، كصهر وكمساعد أول لاحقاً .وبقي ستيف بانون الذي يقدّم تقاريره

مباشرة إلى ترامب، الصوت الأقوى بلا منازع للترامبوية السياسية في البيت الأبيض.

يمكن القول إن البيت الأبيض سيحظى بكبير لموظفيه بالاسم فقط، وهو شخص غير مهم، فيما يتولى عملياً أشخاص آخرون أكثر أهمية، الاهتمام بالفوضى واستقلالية ترامب التي لا جدال فيها.

ونصح جيمس بايكر، كبير موظفي البيت الأبيض في عهد كل من رونالد ريغن وجورج بوش، والمثال الذي يحتذي به الكل تقريباً في إدارة الجناح الغربي، نصحه بريبوس بألا يقبل الوظيفة المعروضة عليه.

إن تحوُّل ترامب من مرشح مثير للسخرية، إلى هامس للشريحة غير المرغوب فيها، إلى مرشح غير جدي، إلى رئيس منتخب فرض نفسه على نسيج المجتمع والزمن، لم يلهمه أي تحسّن في التفكير الرصين.

بعد أن تلقى صدمة ذلك التحوُّل، بدأ من فوره على ما يبدو بإعادة توليف نفسه كرئيس لا مفر منه.

ومن الأمثلة على تغيير رؤيته، والمكانة الجديدة التي يبدو أنه استوعبها كرئيس، هي القضية الأدنى في الحملة :شريط بيلي بوش.

كان تفسيره لمحادثة غير مسجلة مع مذيع القناة الفضائية الودود، أن» هذا لم يكن أنا حقّاً.«

وأقر المذيع كيف كان من غير المنصف أن يجري تمييزه بحدث واحد.

»لا«، قالها ترامب،» لم يكن أنا .لقد أخبرني الناس الذين يفهمون كيف تجري تلك الأمور بمدى سهولة تغيير هذه الأشياء، ووضعها بأصوات أشخاص مختلفين تماما.«

لقد فاز، وهو يتوقع الآن أن يعامل برهبة، وأن يثير الافتتان والاستحسان . توقّع أن يكون الأمر ثنائياً :وسائل الإعلام العدائية تتحول إلى موالية .وها هو الآن الفائز الذي جرى التعامل معه برعب، ورفضته وسائل الإعلام التي كانت في الماضي، وبطبيعة الحال والبروتوكول، تغدق على الرئيس الجديد كل التكريم بغض النظر عمّن يكون) .استمر ترامب في مواجهة التخلف بثلاثة ملايين صوت في الترتيب، وكان هذا موضوعاً يفضّل تجنُّبه .(لم يكن يفهم كيف أن الناس الذين انتقدوه بعنف، أي وسائل الإعلام، حين قال إنه قد يطعن بنتائج الانتخابات هم أنفسهم من يطلقون عليه الآن صفة الرئيس غير الشرعي.

لم يكن ترامب سياسيّاً يستطيع أن يحلّل فصائل التأييد والمعارضة .كان بائعاً يحتاج إلى إجراء عملية بيع» .أنا الذي فزت .أنا الفائز .أنا لست الخاسر .« كان يكرّر ذلك غير مصدّق، كما تُكرّر تعويذة.

وصف بانون ترامب بالآلة البسيطة .كان مفتاح التشغيل يطلق الإطراء، ومفتاح الإطفاء يطلق الانتقاد اللاذع .كان الإطراء يتقطّر بغزارة، يلقي التفضيلات النهائية، مفصولاً تماماً عن الواقع :هذا أو ذاك هو الأفضل، الرائع بشكل لا يصدق، الأعلى مرتبة، الأبدي .أما الانتقادات اللاذعة فكانت تتضمّن الغضب والمرارة والاستياء والرفض المطلق وإغلاق الباب الحديديّ على أي حوار.

كانت تلك طبيعة ترامب الخاصة التي يتميّز بها البائع .وكان تفكيره الاستراتيجي يقضي بانتفاء أي سبب لعدم الإطراء بشكل مفرط على زبون محتمل .ولكن إذا جرى استبعاده كشارٍ محتمل، فليس هناك سبب لعدم ازدرائه ورفع الدعاوى القضائية عليه .فإذا لم يستجب للمديح، فقد يستجيب للتهديد . شعر بانون، وربما بثقة مبالغ بها، أن ترامب يمكن أن يتحوّل بسهولة من هذا الموقف إلى ذاك.

وعلى خلفية حرب الإرادات القاتلة مع وسائل الإعلام، والديمقراطيين، والمستنقع، التي كان بانون قد شجّعه على شنها، كان يمكن أيضاً التودد إلى ترامب .وهو لم يكن يريد شيئاً بقدر ما أراد أن يكون محطّ تودّد.

قام جيف بيزوس مؤسس موقع الأمازون، ومالك الواشنطن بوست، التي كانت قد أصبحت واحدة من وسائل الإعلام التي تخيف ترامب، بمسعى للتقرّب ليس فقط من الرئيس المنتخب، بل أيضاً من ابنته إيفانكا .خلال الحملة، قال ترامب إن موقع الأمازون» يبدو أنه يفلت من تهرّبه من الضرائب «وأنه إذا فاز، »فسوف يواجه الموقع مشكلات جمّة.«

والآن، يشيد ترامب فجأة ببيزوس ويعتبره» عبقرياً رفيع المستوى .«إلون ماسك، في ترامب تاور، شجَّع الإدارة على الانضمام إليه في سباقه إلى المريخ، الأمر الذي تلقّفه ترامب .ستيفن شوارزمان، رئيس مجموعة بلاكستون وصديق كوشنر، عرض على ترامب تنظيم مجلس أعمال، وقد قبل ترامب الفكرة .آنا وينتور، رئيسة تحرير فوغ وملكة صناعة الأزياء، كانت تأمل في أن تُسمّى سفيرة أميركا في المملكة المتحدة، خلال ولاية أوباما .وعندما لم يحدث ذلك، تقربت

بشكل وثيق من هيلاري كلينتون .والآن وصلت وينتور إلى ترامب تاور) لكنها رفضت بكبرياء أن تتملقه(، وبشيء من الجرأة اللافتة، عرضت على ترامب أن تكون سفيرة له في بلاط سانت جيمس.

كان ترامب يميل إلى تنفيذ تلك الفكرة) .قال بانون» لحسن الحظ أنها لم تعجبه.(«

في 14 كانون الأول/ديسمبر، جاء وفد رفيع المستوى من سيليكون فالي إلى برج ترامب للقاء الرئيس المنتخب، على الرغم من أن ترامب قد انتقد مراراً صناعة التكنولوجيا طوال الحملة .في وقت لاحق، دعا ترامب روبرت مردوخ، الذي سأله كيف كان الاجتماع.

فرد قائلاً» :أوه، عظيم، عظيم جدّاً«، وأضاف» :كان ممتازاً في الواقع . هؤلاء الرجال بحاجة إلى مساعدتي .لم يكن أوباما مؤاتياً جداً لهم .لقد وضع في طريقهم الكثير من الأنظمة .مساعدتهم تشكل فرصة لي.«

قال مردوخ» :دونالد«،» طوال ثماني سنوات وضع هؤلاء أوباما في جيوبهم . كانوا يديرون البلاد بطريقة أو بأخرى .إنهم لا يحتاجون إلى مساعدتك.«

»خذ قضية تأشيرة المهن المتخصصة .H-1B إنهم حقاً بحاجة إلى تأشيرات H-1B».

علّق مردوخ بأن اتباع نهج ليبرالي حيال تأشيرات H-1B قد لا يتماشى مع وعوده المتعلقة بالهجرة .لكن ترامب بدا غير مهتم، وقال مؤكداً لمردوخ،» سنجد حلاً.«

»يا له من أحمق«، قالها مردوخ منفعلاً، وهو يقفل الهاتف.

قبل عشرة أيام من تنصيب دونالد ترامب الرئيس الخامس والأربعين، جلست مجموعة من موظّفي ترامب، أي الرجال الذين يرتدون البدلات وربطات العنق التي فرضتها أنظمة ترامب، والنسوة اللواتي يظهرن بالمظهر الذي يفضّله ترامب أي الأحذية العالية، والتنانير القصيرة، والشعر الطويل الذي يبلغ الكتف؛ جلست تراقب الرئيس باراك أوباما يلقي خطاب الوداع على أجهزة الكمبيوتر المحمولة في مكاتب الانتقال.

علّق أحد الشبان بثقة» :قال السيد ترامب إنه لم يستمع يوماً إلى خطاب أوباما بكامله.«

وقال آخر» :لأن خطاباته مملّة جداً.«

بينما كان أوباما يلقي خطاب الوداع، كانت الاستعدادات تجري في الطابق السفلي لمؤتمر ترامب الصحفي الأول منذ الانتخابات، والذي سيعقد في اليوم التالي .كانت الخطة تركّز على إظهار أن صراعات الرئيس المنتخب التجارية سيجري التعامل معها بشكل رسمي ومنطقي.

حتى الآن، كان ترامب يرى أنه انتخب بفضل تلك الصراعات وبفضل دهائه التجاري، ومعارفه وخبرته، وعلامته التجارية المميزة، وأنه كان من الغريب أن يفكّر أحد أنه يستطيع أن يفصل نفسه عن ذلك حتى لو أراد .في الواقع، عرض كيليان كونواي على ترامب نيابة عنه أمام الصحفيين وأمام أي شخص آخر أراد

أن يستمع، دفاعاً عن النفس فيه الكثير من التباكي، حول عظمة التضحيات التي كان قد قدمها بالفعل.

بعد إزكاء نيته تجاهل القواعد المتعلقة بتضارب المصالح، وباعتماده الآن طريقة مسرحية، قام بخطوة سخية جديدة .وقف في بهو ترامب تاور إلى جانب طاولة تكدست عليها مجلدات ووثائق قانونية، وراح يصف الجهود المضنية التي بذلت للقيام بالمستحيل، وكيف أنه من الآن فصاعداً سيركّز حصراً على أعمال الأمة.

ولكن فجأة تبيّن أن هذا الكلام خارج عن الموضوع .فقد قام الحزب الديمقراطي باستخدام شركة «Fusion GPS» لمصالحه الخاصة وهي شركة بحوث معارضة) أسّسها صحفيون سابقون، تقدّم المعلومات إلى الزبائن الخاصين .(وكانت شركة فيوجن قد استخدمت كريستوفر ستيل، الجاسوس البريطاني السابق، في حزيران/يونيو2016 ، للمساعدة على التحقيق في تبجح ترامب المتكرر بعلاقته مع فلاديمير بوتين، وطبيعة علاقة ترامب مع الكرملين . وقد حصل على تقارير من مصادر روسية، كثير منها على صلة بالاستخبارات الروسية .وجمع ستيل تقريراً مدمّراً يطلق عليه الآن إسم» الملف«، وهو يشير إلى أن دونالد ترامب كان يتعرّض لابتزاز حكومة بوتين .في أيلول/سبتمبر، أطلع ستيل الصحفيين في النيويورك تايمز والواشنطن بوست، وأخبار ياهو!، ونيو يوركر، والسي .إن .إن، على محتوى هذا التقرير .ورفضوا جميعاً استخدام هذه المعلومات غير المؤكدة، ذات المصادر غير الواضحة، بالنظر إلى أنها على وجه الخصوص تستهدف مرشّحاً من غير المرجّح أن يفوز في الانتخابات.

ولكن قبل يوم من المؤتمر الصحفي المقرّر، كشفت شبكة السي .إن .إن تفاصيل ملف ستيل .وبعد ذلك مباشرة تقريباً، نشرت البازفيد التقرير بأكمله، وهو عبارة عن فضائح سلوكية تتخطى الحدود.

عندما أوشك ترامب على الصعود إلى سدة الرئاسة، قامت وسائل الإعلام، بصوتها المؤثر في قضايا ترامب، بحبك مؤامرة ذات أبعاد واسعة .تقول النظرية، التي قُدّمت فجأة على أنها محتملة، إن الروس كانوا قد استدرجوا دونالد ترامب خلال رحلة إلى موسكو بهدف ابتزازه بشكل قاس .وكانت خطتهم تشمل البغايا وممارسات جنسية مصوّرة بالفيديو، تدفع إلى حدود جديدة للانحراف) بما في ذلك» الحمامات الذهبية(«، مع مومسات وأعمال جنسية أخرى جرى تصويرها بالفيديو .ويكون الاستنتاج الضمني هو التالي :لقد تآمر ترامب مع الروس لسرقة الانتخابات، وتثبيته في البيت الأبيض كدمية لبوتين.

إذا كان ذلك صحيحاً، فإن الأمة تقف أمام واحدة من أكثر اللحظات غير الاعتيادية في تاريخ الديمقراطية، والعلاقات الدولية، والصحافة.

إذا لم يكن صحيحاً، فقد كان من الصعب تصوّر موقف حياديّ، إذ سوف يبدو أنه يؤيد وجهة نظر ترامب) وجهة نظر بانون (القائلة بأن وسائل الإعلام، في تطور كبير جداً في تاريخ الديمقراطية، كانت معمية جدّاً بالشذوذ والاشمئزاز، سواء على المستوى الأيديولوجي أو المستوى الشخصي، في ما يتعلّق برئيس منتخب ديمقراطياً، حتى أنها قد تسلك أي طريق للإطاحة به .مارك همنغواي، من صحيفة ويكلي ستاندرد المحافظة، ولكن المعارضة لترامب، جادل في المفارقة بين روايتين لا يمكن الاعتماد عليهما .وهما تحكمان الحياة العامة الأميركية :

الأولى هي خطاب الرئيس المنتخب القليل المعلومات والذي لا أسس واقعية له، في حين اختارت وسائل الإعلام أن تحكم على كل ما يفعله الرجل بأنه في المبدأ غير دستوري أو بمثابة إساءة لاستخدام السلطة.

بعد ظهر يوم 11 كانون الثاني/يناير، تواجه هذان التصوران المتعارضان في بهو برج ترامب :المسيح الدجال السياسي، الشخصية الفضائحية المظلمة ولكن البوفونية، التي يسيطر عليها عدو أميركا العصري، مقابل وسائل الإعلام الثورية الغوغائية المحتملة، التي أثملتها العفّة واليقين، ونظريات المؤامرة .كل منهما يمثل للجانب الآخر، نسخة» مزيفة «من الواقع غير مقنعة البتة.

إذا كانت هذه الملاحظات ذات طابع شبيه بطابع الكتب الهزلية بأسلوبها، فهذا بالضبط هو الطابع الذي تكشّف عنه المؤتمر الصحفي.

أول تعظيم قام به ترامب لنفسه» :سأكون أعظم منتج للوظائف خلقه اللّه.«...

عرض أفكاراً مشتتة عن القضايا المطروحة عليه» :لا يزور المصابون بسرطانٍ مازال في بدايته الطبيبَ حتى يصبحوا في المراحل الأخيرة المستعصية.«...

ليتفوَّه، من ثمّ، بما لا يمكن تصديقه» :كنت زرت روسيا منذ سنوات في مسابقة لملكة جمال الكون؛ وقد نجحنا يومها بشكل كبير .وأقول للجميع كونوا حذرين، لأنكم لا تريدون أن تروا أنفسكم في التلفزيون فثمة كاميرات في كلّ مكان .

هذا لا يحدث في روسيا فحسب بل في كل أنحاء العالم .هل يمكن لأي شخص أن يصدق هذه القصة؟ بالمناسبة، أنا أيضاً مصابٌ بوسواسٍ قهري .صدقوني.«

ثم يأتي الإنكار» :ليس لدي صفقات في روسيا، ليس لدي أي اتفاق يمكن أن يحدث في روسيا، لأننا نأينا بأنفسنا عنها، وليس لدي أي قروض في روسيا .يجب أن أقول شيئاً واحداً ...في عطلة نهاية الأسبوع عُرض عليّ مليارا دولار في صفقة في دبي ورفضتها .لم يكن علي أن أرفض، لأن ذلك كما تعلمون لا يتعارض مع كوني رئيساً .لم أكن أعرف ذلك حتى قبل ثلاثة أشهر، ومن الجميل أن أتمتع بشيء كهذا .لكنني لم أرغب في استغلال الأمر .ثمة نصٌّ يشير إلى أن كوني رئيساً لا يشكّل تضارباً في المصالح .يمكنني فعلاً إدارة نشاطي التجاري، وإدارة شركاتي وإدارة الحكومة في الوقت نفسه .لا أحبّذ ذلك، لكنني قادر على القيام به إذا أردت .أستطيع أن أدير مؤسسة ترامب، وهي شركة عظيمة جداً، وإدارة البلاد، ولكنني لا أريد أن أفعل ذلك.«

ثم يبدأ الهجوم المباشر على السي .إن .إن عدوته» :مؤسستكم رهيبة . مؤسستكم رهيبة ...هدوء ...هدوء ...لا تكونوا وقحين ...لا تكونوا كذلك ...لا، لن أعطيكم سؤالاً ...أنا لن أعطيكم حق طرح الأسئلة ...أنتم تنشرون الأخبار الكاذبة.«...

وخلاصة القول:

»إن هذا التقرير قبل كل شيء ما كان ينبغي أن يطبع، لأنه لا يستحق الورق الذي طبع عليه .وسوف أقول لكم إن ذلك ما كان ينبغي أبداً أن يحدث .لقد جرى اختراق 22 مليون حساب من قبل الصين .ومرد ذلك أنها لا تملك دفاعاً،

لأننا تحت إدارة أشخاص لا يعرفون ما يفعلون .وستبدي روسيا احتراماً أكبر لبلدنا عندما أقوده .وليس فقط روسيا، بل أيضاً الصين، التي استغلتنا .روسيا، والصين، واليابان، والمكسيك، جميع البلدان ستحترمنا أكثر بكثير، أكثر بكثير مما فعلته في زمن الإدارات السابقة.«...

لم يحاول الرئيس المنتخب إخفاء مظلماته العميقة والمريرة، كما أن ثمة أمراً أصبح في غاية الوضوح، وهو أن حقيقة انتخابه رئيساً لن تغيّر من تلقائيته الانفعالية، التي يبدو أنه لا يستطيع السيطرة عليها، إذ يظهر بوضوحٍ جروحه واستياءه وغضبه.

قالت كيليان كونواي بعد المؤتمر الصحفي» :اعتقد أنه قام بعمل رائع . لكن وسائل الإعلام لن تعترف بذلك .لن تعترف بذلك أبداً.«

الفصل الثالث

اليوم الأول

كان جاريد كوشنر الذي يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً يتباهى بقدرته على الانسجام مع الرجال الأكبر سناً .وبحلول وقت تنصيب دونالد ترامب، أصبح كوشنر الوسيط المعيّن بين حميه والمؤسسة الحاكمة، بوضعها الذي كانت عليه، حيث المزيد من الجمهوريين الأكثر اعتدالاً، وأصحاب المصالح في الشركات، وأغنياء نيويورك .وبدا أن الحصول على خط تواصل مع كوشنر يمنح النخبة القلقة بعض السيطرة على الوضع المتقلب.

وثق أشخاص كثر في دائرة المقربين من ترامب بكوشنر أيضاً .وكثيراً ما أسرّوا إليه بمخاوفهم تجاه صديقهم، الرئيس المنتخب.

قال واحد منهم شاكياً إلى صهر ترامب» :لقد أعطيته نصيحة جيدة بخصوص ما يحتاج إلى فعله؛ فالتزم بنصيحتي لمدة ثلاث ساعات في اليوم التالي . لكنه بعد ذلك خرج عن المسار بشكل ميؤوس منه .«فردّ كوشنر، الذي كانت استراتيجيته أن يأخذ دون أن يعطي الكثير، بأنه متفهم تماماً لما يثيره ذلك السلوك من استياء.

حاول هؤلاء الأشخاص الأقوياء أن ينقلوا رؤيتهم التي تمثّل عالم السياسة الحقيقي، وهو عالم زعموا جميعاً أنهم يفهمونه بدرجة أعلى كثيراً من الرئيس القادم .كانوا جميعهم قلقين من أن ترامب لا يدرك ما هو مقبل عليه .ومن أنه ببساطة ليس لديه منهجية منطقية لتصرُّفاته المتهوّرة.

أعطى كل من هؤلاء المحاورين كوشنر ما يشبه الدروس بخصوص حدود السلطة الرئاسية، موضحين أن واشنطن مجهزة لإضعاف السلطة الرئاسية وتقليصها، كما هي مجهزة لاستيعابها والتوافق معها.

قالت شخصية من الحزب الجمهوري لكوشنر» :لا تدعه يُغضِب الصحافة، ولا تدعه يُغضِب الحزب الجمهوري، واحرصوا على عدم تهديد أعضاء الكونغرس، لأنهم سيمزقونكم إرباً إذا فعلتم ذلك .والأهم من ذلك، لا تسمح له بأن يُغضِب أجهزة الاستخبارات .إذا عبثت مع أجهزة الاستخبارات، فإنها ستجد طريقة للرد عليك وستخوض سنتين أو ثلاثة من التحقيق في المسألة الروسية، وكل يوم سيتسرب شيء جديد.«

رسم أولئك المحاورون لكوشنر، الذي يتميز برباطة جأش فولاذية، صورة حيوية وواضحة للجواسيس وقوّتهم .وأخبروه عن كيفية تمرير الأسرار من

أجهزة الاستخبارات إلى أعضائها السابقين، أو إلى الحلفاء الآخرين في الكونغرس أو حتى إلى أشخاصٍ يشغلون مناصب في الإدارة أو الفرعِ التنفيذي، ومنهم إلى الصحافة.

أصبح هنري كيسنجر أحد الحكماء الذين يلجأ إليهم كوشنر كثيراً في هذه الآونة .وقد استعرض كيسنجر، الذي كان شاهداً من الصفوف الأمامية على ثورة البيروقراطية ومعها أجهزة الاستخبارات على نيكسون، مختلف أشكال الأذى التي قد تلحق بالإدارة الجديدة، والتي قد تتطوّر إلى ما هو أبعد من الأذى بعد.

أصبح مصطلح» الدولة العميقة «وهو نظرية الجناح الأيمن والجناح الأيسر عن مؤامرة شبكة الاستخبارات ذات السلطة الدائمة، مصطلحاً تقنياً لفريق ترامب :لقد استفزّ الدولة العميقة.

وضعت بعض الأسماء ضمن القائمة :جون برينون، مدير وكالة الاستخبارات المركزية؛ جيمس كلابر، مدير الاستخبارات القومية؛ سوزان رايس، مستشارة الأمن القومي المعتزلة؛ بن رودس، نائب رايس، وأحد المفضّلين لدى أوباما.

رُسمت سيناريوهات الأفلام :مجموعة من التابعين الأوفياء لوكالة الاستخبارات، مطلعين على جميع أنواع الأدلة المدينة لتعاملات ترامب المريبة والمتهورة، التي بإمكانها، مع جدول استراتيجي للتسريبات المؤذية، والمحرجة، والمشتتة، أن تجعل من المستحيل أن يحكم ترامب البيت الأبيض.

قيل لكوشنر، مراراً وتكراراً، أنّ على الرئيس أن يصلح الأمور معهم .وأن عليه أن يبادر إلى الاتصال بهم .وعليه أن يهدئ الأجواء .قيل له بجدية قصوى إن هذه القوى لا ينبغي العبث معها.

خلال حملته، هاجم ترامب مجتمع الاستخبارات الأميركي، من وكالة الاستخبارات المركزية، إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، إلى مجلس الأمن القومي، وصولاً إلى جميع وكالات الاستخبارات السبع عشرة المنفصلة، واصفاً هذا المجتمع ككلّ بالضعف والكذب .وهاجمه وبشكل أكثر قوة بعد الانتخابات) .قال أحد مساعديه :كان خطابه» معداً للانطلاق بشكل تلقائي دون تفكير .(«كان ذلك الخطاب على وجه الخصوص من أكثر خطابات ترامب إثارةً للاهتمام، من بين جميع خطاباته المتضاربة والغزيرة والمتنوعة ضد التقليدية المحافظة .فقد تضمّنت قضيته ضد الاستخبارات الأميركية معلوماتها الخاطئة عن أسلحة الدمار الشامل، التي سبقت حرب العراق، وسلسلة الأحداث المؤسفة المتعلقة بأفغانستان والعراق، وسوريا وليبيا في فترة أوباما وإخفاقات أخرى لها فيما يتعلق بالحرب، ومؤخراً، ولكن ليس آخراً بأي حال من الأحوال، التسريبات الاستخباراتية بخصوص علاقاته ومكائده الروسية المزعومة.

بدا أن نقد ترامب يضعه في صف اليسار الذي حاول طوال نصف قرن مضى أن يجعل من وكالات الاستخبارات الأميركية بعبعاً .لكن، وفي ما يشبه الردّ العكسي، أصبح الليبراليون والمجتمع المخابراتي متفقَيْن في رعبهما من دونالد ترامب .أصبح الكثيرون من مؤيدي اليسار، الذين رفضوا بانتقاد عنيف ومدوٍّ تقييم المجتمع الاستخباراتي القاطع لإدوارد سنودن كخائن للأسرار القومية بدلاً

من اعتباره مبلغاً حسن النيات عن الخروقات، يؤيدون إدارة المجتمع الاستخباراتي في تلميحها إلى علاقات ترامب الشائنة مع الروس.

كان ترامب في موقف حرج.

بالتالي، رأى كوشنر أن من المنطقي أن يكون التواصل مع وكالة الاستخبارات المركزية من ضمن أولويات عمل الإدارة الجديدة.

***

لم يستمتع ترامب بحفل تنصيبه .كان يتمنى احتفالاً ضخماً .ورغم رفض توم باراك وظيفة رئيس العاملين في البيت الأبيض، هو الذي اشترى ميراماكس بيكتشرز من ديزني مع الممثل روب لوي، بالإضافة إلى مزرعة نيفرلاند الخاصة بمايكل جاكسون؛ لكنه، كجزء من تدخُّله الخفي في البيت الأبيض لصالح صديقه، تطوّع لجمع المال من أجل حفل التنصيب وإقامة أنشطة، بدت مخالفة لشخصية الرئيس الجديد، ولأمنية ستيف بانون في إقامة حفل تنصيب شعبي خالٍ من المبالغات، مع وعد بأن الحفل سيتميّز» بحسّيةٍ رقيقة «و»إيقاعٍ شاعري .«لكن ترامب الذي ناشد أصدقاءه استخدام نفوذهم لإقناع نجوم الصف الأول، الذين كانوا يقاطعون حفل التنصيب، بالحضور، بدأ يشعر بالغضب والإهانة من أن النجوم كانوا مصممين على إحراجه .حاول بانون، الصوت المهدئ والمشاغب السياسي المحترف، أن يناقش الطبيعة المثيرة للجدل لما حقّقوه) من دون استخدام تعبير» المثيرة للجدل .(«وشرح للرئيس الجديد، أن نجاحه كان يفوق كل المقاييس، أو يتخطى كل التوقعات بالتأكيد، مما جعل الإعلام والليبراليين يضطرون إلى تبرير فشلهم.

في الساعات التي سبقت حفل التنصيب، بدا أن واشنطن بأكملها تحبس أنفاسها ترقباً .وفي الأمسية التي سبقت أداء ترامب لليمين الدستورية، افتتح بوب كوركر، السيناتور الجمهوري من ولاية تينيسي ورئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ، خطابه كمتحدث رئيسي في تجمُّع في فندق جيفرسون، بالسؤال الوجودي» :إلى أين ستؤول بنا الحال؟ .«توقف لبرهة، ثم أجاب بشعور عميق من الحيرة» :ليست لدي أي فكرة.«

لاحقاً في تلك الأمسية، وفي غياب كامل للنجوم، انتهت الحفلة الموسيقية التي أُقيمت في نصب لنكولن التذكاري،) ضمن محاولة غريبة دائمة لنقل ثقافة فن البوب إلى واشنطن(، بترامب نفسه وهو يحتل المسرح كنجم مميز، ويؤكّد بإصرار غاضب لمساعديه أنه يستطيع جذب جمهورٍ أكبر من الجمهور الذي يجذبه أي نجم.

استيقظ الرئيس المنتخب في صباح يوم التنصيب نادماً على أنه قرر اتباع نصيحة طاقمه بعدم الإقامة في فندق ترامب العالمي بواشنطن، ومتذمراً من الإقامة في بلير هاوس، منزل إقامة الضيوف الرسمي المقابل للبيت الأبيض، الذي كان في رأيه حارّاً للغاية، وضغط المياه فيه ضعيف، والفراش سيّء.

لم تتحسن حالته المزاجية .حيث كان طوال الصباح، يتشاجر على الملأ مع زوجته، التي بدت على شفا البكاء، وأرادت العودة إلى نيويورك في اليوم التالي . كانت كل كلمة وجهها إليها حادة وآمرة .اهتمت كيليان كونواي بميلانيا ترامب واعتبرتها مهمة شخصية في العلاقات العامة، وروّجت للسيدة الأولى الجديدة كعمود دعم حيوي للرئيس، وصوت مفيد بقدرات خاصة .وكانت تحاول إقناع

ترامب أن من الممكن أن يكون لها دور مهم في البيت الأبيض .لكن علاقة آل ترامب كانت، بوجه عام، واحداً من الأشياء التي لم يجرؤ أحد على طرح الكثير من الأسئلة بخصوصها .وهذا عامل غامض آخر في الحالة المزاجية الرئاسية.

في اللقاء الاحتفالي الذي عقد في البيت الأبيض بين الرئيس القادم والرئيس الموشك على الرحيل، وهو اللقاء الذي جرى قبل ذهابهما لحفل أداء اليمين الدستورية مباشرة، اعتقد ترامب أن آل أوباما قد تصرفوا معه ومع ميلانيا بشكل متكبّر و»متغطرس للغاية .«ولذلك بدلاً من تعبير الوجه الجامد والخالي من التعبيرات، ارتسم على وجه الرئيس المنتخب أثناء التنصيب ما أسماه الأشخاص حوله تعبير وجه الجولف :غاضب ومنزعج، بكتفين محدودبتين، وذراعين مترجحتين، وجبين متجعد، وشفتين مزمومتين .وقد أصبحت هذه الصورة صورة ترامب العامة :ترامب العدواني.

من المفترض أن يكون حفل التنصيب حدث محبة .تستلّ وسائل الإعلام منه قصة جديدة ومتفائلة .ويفهم منه مؤيدو الرئيس الجديد وحزبه أن أوقاتاً سعيدة تنتظرهم، فهو فرصة لممارسة بعض التملّق والسعي لنيل امتيازات جديدة .أما من وجهة نظر البلاد، فهو حفل تتويج .لكن بانون كانت لديه ثلاث رسائل أو موضوعات استمر في محاولة تعزيزها مع رئيسه :أن عهده سيكون مختلفاً عن أي عهود سبقته منذ أيام أندرو جاكسون) كان يزود الرئيس المنتخب الذي لا يعتبر قارئاً جيداً، بمقولات لجاكسون وبكتب تتعلق به(؛ وأنهما باتا الآن يعرفان من هم أعداؤهم، ويجب ألّا يقعوا في فخ محاولة أن يجعلوا منهم أصدقاء، لأن هذا لن يحدث؛ وأن عليهما بالتالي أن يعتبرا أنفسهما في ساحة

معركة منذ اليوم الأول .بالرغم من أن هذا الحديث راق لشخصية ترامب العنيفة والمحبّة للقتال، إلا أنه لم يرق للشخصية التي تسعى لأن تكون محبوبة . وقد رأى بانون نفسه يدير هذين الدافعين، مركزاً على الدافع الأول، وشارحاً لرئيسه كيف أن خلق الأعداء، سيخلق أصدقاء في مكان آخر.

في الواقع، أصبحت حالة ترامب المزاجية، التي تولّدت من إحساسه بأنه مضطهد، ملائمة تماماً لخطاب التنصيب المعبّر عن الاضطهاد، والذي كتبه بانون .كان معظم الخطاب، الذي دام ١٦ دقيقة جزءاً من ثرثرة بانون اليومية بشأن الإثارة التي يولّدها القتال :رؤية أميركا أولاً التي تهدف إلى استعادة الدولة، والتي تفيد بأن لا مانع من أن تحدث مجازر في كلّ مكان من أجل الدولة .لكن الخطاب أصبح في الواقع أكثر سوداوية وعنفاً بعد، حين ألقاه ترامب بوجهه المتجهّم والإحباط الذي غلب عليه .بدأت السلطة الحاكمة عامدة بلهجة من التهديد، في رسالة أراد بانون توجيهها إلى الجانب الآخر وفحواها أن الدولة ستمر بتغيير جذري .كما ساعدت مشاعر ترامب الجريحة، التي ولّدها إحساسه بأنه منبوذ ومكروه في أول يوم من رئاسته، في توصيل تلك الرسالة .حتى أن ترامب بعد نزوله من المنصة إثر خطابه، ظل يكرر» :لن ينسى أحد هذا الخطاب.«

وقد علّق جورج دبليو .بوش، في ما بدا أنه سيصبح على الأرجح حاشية تاريخية لخطاب ترامب، قائلاً» :هذا هراء غريب حقاً.«

كان ترامب، رغم خيبة أمله من عدم ترحيب واشنطن به وعدم احتفالها به على نحو لائق، متفائلاً شأنه شأن البائع المتميز .فالباعة، الذين من سماتهم الرئيسية ومصادر قوتهم الأساسية القدرة على مواصلة البيع، يعيدون باستمرار

تشكيل العالم بصورة إيجابية .فالإحباط للجميع يعادل مجرد الحاجة إلى تحسين الواقع.

في صباح اليوم التالي، أخذ ترامب يستجدي الآخرين بصورة غير مباشرة لتأكيد رأيه بأن حفل التنصيب كان باهر النجاح» .وصلت الحشود حتى نصب واشنطن .لقد تجاوز عددهم المليون شخص على الأقل، أليس كذلك؟ «هذا ما ظل يردده ترامب في سلسلة من المكالمات الهاتفية التي أجراها مع الأصدقاء الذين وافقوه بصورة عامة على ذلك .وقد أكد له كوشنر أيضاً أن أعداد الحشود كانت كبيرة، بينما لم تعارضه كونواي، ووافقه بريبوس في الوقت الذي علّق فيه بانون بمزحة.

كان أول الأمور التي قام بها ترامب بعد تولّيه الرئاسة أن استبدل بسلسلة من الصور الملهمة التي كانت معلّقةً في الجناح الغربي صور الحشود الكبيرة التي حضرت مراسم تنصيبه.

وجاء بانون كي يبرّر التشوّهات في إدراك الواقع التي تصيب ترامب .فغلو ترامب، ومبالغاته، وشطحاته الخيالية، وارتجاله، والحرية التي يتّسم بها في تشويه الحقائق وتمويهها، كانت كلّها نتيجةً لافتقاره إلى المكر، والقدرة على التظاهر، وعلى السيطرة على النفس .وهذا ما جعل الكثيرين يتفاعلون مع تلقائيته وعفويته أثناء الانتخابات، فيما ارتعب كثيرون آخرون.

كان بانون يرى أن أوباما على رأس قائمة المتحفظين» .السياسة لعبة أكثر عفوية من تلك التي كان يلعبها أوباما .«هكذا قال بانون بتأكيدٍ يفضح حقيقة عدم اشتغاله بالسياسة حتى آب/أغسطس السابق .وعلى الجانب الآخر، كان

ترامب في نظر بانون وليام جيننغز بريان جديداً) .لطالما تحدث بانون لفترة طويلة عن الحاجة إلى وليام جيننغز بريان جديد في السياسة اليمينية، وكان أصدقاؤه يظنون أنه يقصد نفسه بهذا الكلام .(استقطب بريان، في مطلع القرن العشرين، الجماهير الريفية من خلال قدرته على التحدث بحماسة وارتجالية لفترات كبيرة من الوقت .وقد عوّض ترامب، من وجهة نظر بعض الأصدقاء بمن فيهم بانون، الصعوبات التي كان يعاني منها في القراءة، والكتابة والتركيز، عبر أسلوبه الارتجالي الذي نتج عنه تأثير، إن لم يشبه تأثير وليام جيننغز بريان بدقة، فإنه بالتأكيد كان على طرف النقيض تماماً من تأثير أوباما.

اتسم خطاب ترامب بعدد من الطوابع المتباينة التي غلبت عليه؛ إذ ظهر جليّاً فيه جانبٌ وعظيٌّ، إضافةً إلى جانبٍ شخصيّ، وآخر متبجّح .كما افتقر إلى الترابط والتماسك بسبب ما به من استطرادات، مع تكرار أسلوب» أنا لا أكترث « الذي جمع بين جوانبه غضب العاجز، والنزعة الإحيائية الدينية التي تجذب القطاع المتدين من الناخبين، وبعضاً من بهلوانية مهرجي بورشت بلت، والنزعة التحفيزية، على طريقة فيديوهات اليوتيوب .كانت الكاريزما في السياسة الأميركية تُعرَّف بالجاذبية، والفطنة، والرقي .ولكن ثمة نوعاً آخر من الكاريزما الأميركية يتلاقى أكثر مع المدرسة الإنجيلية المسيحية، ويتمثل في العروض العاطفية والتجريبية.

وقد ركزت حملة ترامب استراتيجيتها المركزية حول المسيرات الكبيرة التي تجذب بانتظام عشرات الآلاف، وهي ظاهرة سياسية لم يلتفت الديمقراطيون إليها، واعتبروها دليلاً على ضعف جاذبية ترامب .ورأى فريق ترامب أن هذا

الأسلوب المتمثل في الاتصال المباشر، من خلال الخطب، والتغريدات، والمكالمات الهاتفية العفوية للبرامج الإذاعية والتلفزيونية بل إلى أي شخص يمكنه الإنصات، بمثابة سياسة مثيرة للعواطف، وجديدة، وفردية، وملهمة .أما الطرف الآخر فرأى أن هذا الأسلوب يعد بمثابة تهريج يهدف، في أحسن الأحوال، إلى نوع من الديماغوجية الاستبدادية التي فقدت صدقيتها منذ زمن طويل، وعفى عليها الدهر، وفشلت فشلاً ذريعاً عندما ظهرت في السياسة الأميركية.

وقد اتضحت مزايا هذا الأسلوب تماماً أمام فريق ترامب .إلا أن المشكلة تمثلت في أنه أصبح ينتج في كثير من الأحيان، بل بانتظام، ادعاءات ليست صحيحة على الإطلاق.

أدى ذلك بصورة متزايدة إلى ظهور واقعين يرى كل منهما سياسة ترامب بصورة مختلفة .ففي الواقع الأول، الذي يعيش فيه معظم المؤيدين، كانت طبيعة ترامب مفهومة ومدركة إدراكاً كاملاً .فهذا الفريق يرى ترامب شخصاً خبيراً في كثير من المجالات، وليس في السياسة فقط، ويعرف أصول اللعبة جيداً . ويرى أيضاً هذا الفريق ترامب شجاعاً في قراراته التي يلبي فيها نداء الشعب الذي يفهمه بسهولة .كان أيضاً يمثل لهم موسيقى الجاز) أو الراب على حد تعبير بعضهم (بينما يمثل الجميع الموسيقى الشعبية الجادة .وفي الواقع الآخر الذي يعيش فيه معظم خصومه، كانت الفضائل التي يراها المؤيدون بمثابة خطرٍ وعيوبٍ فكرية بل حتى إجرامية .وفي هذا الواقع عاشت وسائل الإعلام، التي كانت ترى أنه رئيس غير شرعي ووغد، واعتقدت أن بمقدروها أن تقلل من شأنه

وتؤذيه) وتدفعه إلى التنحّي (وتسلبه صدقيته من خلال الإشارة دائماً إلى فداحة أخطائه.

ولم تفهم وسائل الإعلام التي ظهرت دائماً» مصدومة «لما لم تؤدّ أخطاؤه الواقعية، التي كانت كفيلة بالقضاء عليه في حد ذاتها، إلى إقصائه .كيف لم تُعِبْهُ تماماً؟ كيف يدافع عنه موظفوه رغم ذلك؟ كانت الوقائع هي الوقائع !ينكرها، أو يتجاهلها، أو يدمرها، أو يجعلك كاذباً .لقد اعتزم التضليل، والإدلاء بأشياء ليست صحيحة) .وقد اندلع جدل صحافي طفيف حول ما إذا كان ينبغي أن تسمى هذه الأباطيل أخطاء أم أكاذيب.(

وفي رأي بانون (1) :ترامب لن يتغير أبداً، (2) محاولة تغييره من شأنها أن تؤثر بالتأكيد في أسلوبه سلباً، وتقيّده، (3) دعم الإعلام شيء غير مهم لأنصار ترامب، (4) وسائل الإعلام لن تحبه في أي حال، (5) من الأفضل اللعب ضد وسائل الإعلام بدلاً من محاولة إرضائها، (6) ادعاء وسائل الإعلام بأنها المدافع عن النزاهة والدقة المدعمة بالحقائق كان في حد ذاته خدعة، (7) كانت ثورة ترامب بمثابة هجوم على الافتراضات والخبرات التقليدية، لذلك من الأفضل تبنّي سلوك ترامب، بدلاً من محاولة الحد منه أو تقويمه.

وقد كانت المشكلة بالنسبة إلى الجميع أنه لا يلتزم أبداً بالنص) وكان من بين المبررات الداخلية لذلك أن» عقله لا يعمل أبداً بهذه الطريقة .(«وكان ترامب يتطلع إلى الحصول على دعم وسائل الإعلام .لكن، كما أكد بانون، لم يكن أبداً يفهم الحقائق بشكلٍ صحيح، كما أنه غير مستعدٍ للاعتراف بفهمه الخاطىء

للأمور، لذلك لم يكن ليحصل على هذا الدعم .وهذا يعني أن السبيل الأفضل يتمثّل في دعمه بقوة في مواجهة رفض وسائل الإعلام له.

والمشكلة هنا هي أنه كلما ازدادت حدة الدفاع، حيث كان من السهولة بمكان إثبات خطأ معظم الادعاءات، زاد هجوم وسائل الإعلام وانتقادها .والأكثر من ذلك أن ترامب كان يتلقى اللوم من أصدقائه أيضاً .ولم تكن المكالمات فقط من الأصدقاء الذين يخافون عليه، فحسب، بل من موظفين كانوا يدعون الناس إلى الاتصال به والطلب إليه أن يهدىء من روعه .وفي مكالمة حادة، قال له جو سكاربورو» :من لديك هناك؟ من الشخص الذي تثق به؟ هل هو جاريد؟ مَن يستطيع أن يتناقش معك بشأن هذه الأشياء، قبل أن تتخذ قراراً بشأنها؟.«

رد عليه الرئيس بهذه الكلمات» :حسناً، لن تعجبك الإجابة، ولكن الإجابة أنا .ذلك الشخص هو أنا .أنا أتحدث مع نفسي.«

وقد اختلق الرئيس، بعد غضون أربع وعشرين ساعة من تنصيبه، حضور مليون شخص أو نحو ذلك للحفل .وأرسل سكرتيره الصحفي الجديد، شون سبايسر، الذي أصبح شعاره الشخصي فيما بعد» لا يمكنك اختلاق أمور كهذا الهراء«، ليدافع عن ذلك في لحظة إعلامية حوّلته، وهو مهني سياسي متحفظ، إلى أضحوكة عامة بدا أنه لم يكن مقدراً له أن يتعافى منها .وبالإضافة إلى ذلك، وجّه الرئيس أصابع اللوم إليه جرّاء قدرته على جعل المليون نسمة الوهمي يبدو حقيقيّاً.

كان أول أمر تعلمه أعضاء حملة ترامب الرئاسية على مدى عدة أشهر، أن ترامب، كما أشار سبايسر في وقت لاحق، لا يكترث بتاتاً .يمكنك أن تخبره بأي

شيء تريد أن تخبره به، لكنه يعرف ما يعرفه، وإذا تناقض ما قلته مع ما يعرفه، لا يصدقك بكل بساطة.

وفي اليوم التالي، أكّدت كيليان كونواي، التي تحوَّل موقفها العدواني خلال الحملة أكثر فأكثر إلى حزن وشفقة على الذات، حق الرئيس الجديد في طرح »حقائق بديلة .«وفي واقع الأمر، كانت كونواي تقصد أن تقول طرح» معلومات بديلة«؛ ما يعني ضمناً وجود معلومات إضافية على الأقل .ولكن عندما قالت ذلك، بدا بالتأكيد وكأن الإدارة الجديدة تدّعي الحق في إعادة صياغة الواقع. وقد كان هذا ما يحدث إلى حد ما، رغم أن كونواي قد رأت أن وسائل الإعلام هي التي تفعل ذلك، إذ تصنع من المبالغة البسيطة الصادقة وإن كانت ذات أبعاد واسعة أخباراً ملفّقة.

وقد تردّد مراراً، داخل أروقة البيت الأبيض وخارجه، سؤال عمّا إذا كان ترامب الآن، حيث أصبح رسمياً في البيت الأبيض ورئيس الولايات المتحدة، سوف يواصل تغريداته غير الخاضعة للإشراف، والتي لا يمكن تفسيرها في كثير من الأحيان .كانت الإجابة :أن ذلك محتمل بالفعل.

وقد تمثلت طريقته في الحكم، والتي ابتكرها بصورة أساسية، في رشقات نارية منتظمة وغير منضبطة من الغضب والحنق.

***

كان من بين الأهداف الصريحة للرئيس أن يكون لطيفاً مع وكالة الاستخبارات المركزية.

وفي يوم السبت الموافق 21 كانون الثاني/يناير، وفي حدث نظّمه كوشنر، قام الرئيس، في أول عمل رئاسي له، بزيارة لانغلي ودعوتها إلى» لعب بعض السياسة«، بحسب تعبير بانون المتفائل .وقد انطوى أول خطاب أدلى به ترامب كرئيس، والذي أُعدّ بعناية على بعض الإطراءات والمداهنات المشهورة بحق وكالة الاستخبارات المركزية وبقية عالم الاستخبارات الأميركي الكبير والمفعم بالتسريبات.

ظهر ترامب بمعطف أسود داكن جعله يبدو رجلاً ضخماً من رجال العصابات، وهو يسير أمام الجدار المرصع بالنجوم الذي يمثل من رحلوا من عملاء وكالة الاستخبارات المركزية عن عالمنا، وأمامه حشد يتألف من ثلاثمئة موظف تقريباً من موظفي الوكالة، بالإضافة إلى مجموعة من موظفي البيت الأبيض .وفجأة، وفي جو من الغرور والسعادة بوجود ذلك الحشد المفتون، بدأ الرئيس الجديد الذي بدا وكأنه لم ينم، متجاهلاً النص، بإطلاق تصريحاتٍ يمكن بكلّ ثقة أن نُطلق عليها وصف أغرب تصريحات يدلي بها رئيس أميركي.

»إنني أعرف الكثير عن ويست بوينت .أنا شخص يؤمن إيماناً راسخاً بالأكاديميين .أردّد دائماً أن لي عمّاً كان أستاذاً رائعاً في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا على مدى 35 عاماً .وقام بدور أكاديمي رائع بطرائق متعدّدة؛ كان عبقرياً أكاديمياً .ثم يسألونني هل دونالد ترامب مثقف؟ ثقوا بي، أنا شخص ذكي.«

كان كل ذلك، بطريقة ما، مديحاً لمدير وكالة الاستخبارات المركزية الجديد، الذي سوف يصادق على تعيينه قريباً، مايك بومبيو الذي درس في ويست بوينت،

والذي أحضره ترامب للوقوف مع ذلك الحشد أمامه، والذي وجد نفسه الآن يقف في ذهول، شأنه شأن الجميع.

»أتعلمون؟ عندما كنت شاباً، بالطبع أشعر أنني شاب، أشعر كما لو أنني أبلغ من العمر 39 ...35 ...30 عاماً ...سألني شخص :هل أنت شاب وأجبته بالقول أعتقد أنني شاب .كنت أقف في الأشهر الأخيرة من الحملة في أربع محطات، خمس محطات، سبع محطات، ألقي الخطبة تلو الخطبة أمام خمسة وعشرين ألفاً، ثلاثين ألفاً ..خمسة عشر، تسعة عشر ألف .أشعر أنني شاب وأعتقد أننا جميعاً شباب .عندما كنت شاباً، كنا على الدوام نفوز في العديد من الأشياء في هذا البلد .كنا نفوز في التجارة، وكنا نفوز في الحروب .وفي سن معينة، أتذكّر أنني سمعت من أحد المدرسين أن الولايات المتحدة لم تخسر حرباً قط . وبعد ذلك، بعد ذلك، لم نفز في أي شيء .بالطبع تعرفون المقولة القديمة التي تقول» الغنائم للمنتصر .«أعتقد أنكم تذكرون قولي دائماً :عليكم بالإبقاء على النفط.«

»من الذي يجب أن يبقي على النفط؟«، هكذا سأل أحد موظفي وكالة الاستخبارات المركزية المذهولين زميله في الجزء الخلفي من الغرفة.

»لم أكن من محبي العراق .ولم أكن أريد الدخول إلى العراق .ولكنني سأخبركم أمراً، عندما دخلنا إلى العراق، خرجنا بطريقة خاطئة .ودائماً كنت أقول، عليكم بالإبقاء على النفط .وقد قلت ذلك لأسباب اقتصادية .ولكن إذا فكرت في ذلك يا مايك«، موجهاً حديثه إلى المدير الذي سوف يتولّى مهماته قريباً، »لو أننا أبقينا على النفط وقتها لما ظهرت داعش، لأنه كان المصدر الأول لأموالها .

لذلك كان علينا أن نبقي على النفط .لكن حسناً .قد تكون لديك فرصة أخرى . ولكن الحقيقة هي الآتية :كان يجب علينا الإبقاء على النفط.«

توقف الرئيس بعد ذلك، وابتسم بارتياح واضح.

»السبب في أنكم محطتي الأولى، كما تعلمون، هو تلك الحرب الدائرة بيني وبين وسائل الإعلام، فهم من أكثر البشر خسة على وجه الأرض .لقد أشاعوا أن هناك خلافاً بيني وبين مجتمع الاستخبارات؛ وأريد أن أعلمكم بأن السبب في كونكم محطّتي الأولى هو نقيض كلامهم .وهم يفهمون ذلك .وقد تحدثت عن الأرقام .لقد ألقيت خطاباً بالأمس .هل أعجبكم الخطاب؟ لا بد من أنه أعجكبم . لقد كان الميدان الكبير يعجّ بالجماهير الغفيرة .رأيتموهم بالتأكيد .كان الميدان مكتظاً .ولكنني أستيقظت هذا الصباح، وقمت بمشاهدة إحدى محطات التلفاز، ورأيت أنها تُظهر الميدان فارغاً؛ فقلت، انتظروا لحظة، لقد ألقيت خطاباً وشاهدت الميدان، كان يبدو وكأن به مليوناً أو مليوناً ونصف المليون شخص .لقد أظهروا الميدان وكأن لا أحداً فيه البتة .وقالوا إن دونالد ترامب لم يجتذب الكثير من الناس فقلت إنها كانت تمطر، ولا بد من أن المطر قد أبعدهم؛ ولكن الرب نظر إلينا وقال لن أدعها تمطر أثناء خطابك .في الواقع عندما بدأت بقراءة السطر الأول من الخطاب، تساقطت على رأسي بضع قطرات، فقلت، هذا الأمر سيّء للغاية، ولكنني سوف أجتازه .والحقيقة أن الأمطار توقفت فوراً.«....

»كلا، لم تتوقف الأمطار«، هكذا قالت إحدى الموظفات المسافرات معه بصورة تلقائية، ثم صمتت فجأة، وألقت نظرة خافتة، وأخذت تحملق حولها لترى ما إذا كان قد سمعها أحد.

...»وبعد ذلك صار الجو مشمساً حقّاً .وحين غادرت المكان، انهمر المطر مباشرة .انهمر المطر ولكن كان ثمة شيء مدهش في الواقع لأن أعداد الحشود بصراحة بدت وكأنها مليون شخص أو مليون ونصف المليون شخص، أياً يكن العدد فقد كان ما كان؛ ولكن الحشود امتدت إلى نصب واشنطن .وبطريق الخطأ، فتحت هذه المحطة التلفزيونية وكانت تُظهر الميدان فارغاً وتقول إننا لم نجتذب سوى مئتين وخمسين ألف شخص .الآن، هذا ليس سيئاً، لكنه أكذوبة ....وقد حدث شيء آخر بالأمس كان مثيراً للاهتمام .يوجد تمثال جميل في المكتب البيضاوي للدكتور مارتن لوثر كينغ .أنا في المناسبة أحب تشرشل: ونستون تشرشل .أعتقد أن معظمنا يحب تشرشل؛ صحيح أنه ليس من بلدنا، لكنه قام بالكثير من أجلها، وساعدنا، وكان حليفاً حقيقيّاً .وكما تعلمون أزيل تمثال تشرشل ....لذلك قال مراسل يعمل في مجلة التايم ...بالمناسبة ظهرت على غلاف مجلة التايم أربع عشرة مرة أو خمس عشرة .وأعتقد أنني صاحب الرقم القياسي في تصدُّر أغلفة المجلة .فإذا كان توم برادي قد ظهر على الغلاف مرة واحدة، لأنه فاز بالسوبر بول أو ما شابه، فإنني قد ظهرت على أغلفتها خمس عشرة مرة حتى هذا العام .لا أعتقد، يا مايك، أن بالإمكان تحطيم هذا الرقم، هل توافقني الرأي ...ماذا ترى؟.«

»لا «هكذا قال بومبيو بصوت متصدّع.

»ولكنني أريد أن أقول إنهم قالوا - وقد كان ذلك مثيراً للغاية - إن دونالد ترامب أزال التمثال النصفي، تمثال الدكتور مارتن لوثر كينغ، في حين أنه كان موجوداً هناك تماماً .ولكن كان واحد من المصورين يقف أمامه .وقد كتب زيك...

زيك ...من مجلة التايم ...تقريراً قال فيه إنني أزلته .لا يمكنني أن أفعل ذلك أبداً، لأنني أحترم الدكتور مارتن لوثر كينغ احتراماً كبيراً .ولكن هذا يظهر كم أن وسائل الإعلام غير نزيهة .والآن، اعتبروها قضيةً كبرى، ولم يقدِموا على تصحيح الخبر سوى تصحيحاً بسيطاً للغاية) أشار بإصبعيه إلى الحجم الصغير (هل كان خطأ واحداً، أم أنهم لم يهتموا حتى بتصحيحه؟ لذلك أود أن أقول إنني أحب الصدق . أحب التقارير الصادقة النزيهة .وأريد أن أقول لكم، للمرة الأخيرة، رغم أنني سوف أقول ذلك عندما تُدخلون الآلاف الآخرين الذين كانوا يحاولون الدخول، ذلك أنني سوف أعود إلى هنا مجدداً، لذلك يتعين توفير قاعة أكبر، يتعيّن أن نوفر لكم قاعة أكبر، قد يشيّدها شخص ضليع بالبناء ولن يضع أعمدةً فيها . أتفهمون ذلك؟ لا بد أن نتخلص من هذه الأعمدة .أتعرفون !أردت فقط أن أقول إنني أحبكم، وأحترمكم، ليس ثمة من أحترمه أكثر منكم .أنتم تقومون بعمل رائع، ونحن في طريقنا إلى الفوز مرة أخرى، وسوف تكونون أنتم في مقدمة ذلك، لذلك أشكركم: شكراً جزيلاً لكم جميعاً.«

وفي إشارة مستمرة إلى تأثير راشومون الذي يحدثه ترامب) إذ تثير خطبه الفرح أو الرعب(، يمكن أن يرى الحضور استقباله في وكالة الاستخبارات المركزية على أنه كان عاطفياً للغاية يشبه موسيقى البيتلز، ويمكن أن يروه في الوقت نفسه رد فعل مربكاً ومرعباً لدرجة أنه، خلال الثواني التي تلت انتهاءه من الحديث، لم يكن بالإمكان سماع حتى دبيب النملة.

الفصل الرابع

بانون

كان ستيف بانون أول موظفي البيت الأبيض الكبار في ولاية ترامب، وذلك بعد أن أدى ترامب اليمين الدستورية .خلال مسيرة تنصيبه، رافق نائب رئيس الموظّفين المعيّن حديثاً وكايتي والش ونائب راي نس بريبوس من اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، وقاموا بتفقُّد الجناح الغربي الشاغر في تلك اللحظات. لاحظوا أن السجادة قد نُظّفت، لكن لم يكن ثمة تغييرات كثيرة .كان الجناح عبارةً عن مجموعة مكاتبٍ صغيرةٍ بحاجة إلى طلاء، ولم يجرِ تنظيفها بشكل جيد وبانتظام .أما الديكور فأشبه بمكتب القبول في جامعة عامة .اتخذ بانون له هذا المكتب البسيط المواجه لجناح رئيس الموظّفين الكبير .وبعد ذلك قام فوراً

بطلب ألواح بيضاء كان ينوي أن يرسم عليها مخطّط أول مئة يوم من ولاية ترامب .على الفور بدأ بنقل الأثاث خارج المكتب، وكان هدفه ألا يترك أي مقعد يمكن أن يجلس عليه أحد .كان ينوي حصر الاجتماعات في مكتبه فقط بتلك التي لا يمكن للمشاركين أن يجلسوا مرتاحين خلالها فيطيلوا البقاء .أراد أن يحدّ من المناقشات والحوارات .كانت تلك حرباً .وهذه غرفة عملياتها.

لاحظ الكثيرون ممن عملوا مع بانون، خلال فترة حملة الانتخاب والانتقال، أنه سيحدث تغييراً معيناً .فبعد أن حقق هدفاً واحداً، بدا من الواضح جداً أنه ينوي تحقيق هدف آخر .إنه رجل انفعالي أصبح فجأة على مستوى أعلى من التركيز والعزم.

»ما به ستيف؟ «بدأ كوشنر يتساءل .وتابع قائلاً،» هل من خطب ما؟ «وفي النهاية، أضاف» :أنا لا أفهم، كنا قريبين جداً.«

خلال الأسبوع الأول، كان يبدو أن بانون قد تخلّى عن علاقاته المقرّبة ضمن برج ترامب، بما في ذلك استعداده للحديث بشكل مطوّل في أي ساعة .أصبح بعيداً إن لم نقل إن الوصول إليه بات صعباً .كان» مركزاً جداً على كل ما يتعلّق بي .«كان ينجز الأمور فحسب .لكن كثيرين كانوا يعتقدون أن إنجاز الأمور هو مجرد إعداد المخططات والمؤامرات ضدهم .ومن المؤكد أن من الصفات الأساسية لستيف بانون، كونه مخطّطاً .اضرب قبل أن تُضْرَب، توقّع تحركات الآخرين، قم بحركة مضادة لهم قبل أن ينفّذوا مخططاتهم .شكّل هذا النهج في نظره محاولة لتوقّع الأمور قبل أن تحدث مع التركيز على مجموعة من الأهداف . وكان الهدف الأول انتخاب دونالد ترامب، والثاني تعيين أعضاء حكومة ترامب .

أما الآن فأصبح الأمر يتعلق بفهم روحية البيت الأبيض في عهد ترامب، وقد فهم بانون ما لم يفهمه الآخرون بعد :ستكون المنافسة مميتة.

***

خلال الأيام الأولى من الانتقال، شجّع بانون فريق ترامب على قراءة كتاب ديفيد هالبرستام» الأفضل والأذكى) The Best and the Brightest. «أحد الاشخاص القلائل الذين أصغوا إليه وقاموا في الواقع بقراءة هذا الكتاب كان جاريد كوشنر» .(إن قراءة هذا الكتاب قد شكّلت تجربة مؤثرة جداً .إنه يجعل العالم واضحاً .فشخصياته مذهلة وكل شيء فيه صحيح«، هكذا صرّح بانون بحماسة.

كانت تلك محاولة لإضفاء طابعٍ شخصي على العهد .وقد حرص بانون أن يعرض الكتاب على كثير من الصحفيين الليبراليين الذين كان يتواصل معهم . لكنه كان يحاول أيضاً توضيح نقطة مهمة بالنظر إلى التسرُّع الذي طغى على طبيعة بروتوكولات التوظيف لدى فريق الانتقال، وهي :كن حذراً حين تختار من توظّف.

كتاب هالبرستام، الذي نُشر عام1972 ، هو جهد، شبيه بما قام به تولستوي، يهدف إلى السبب الذي جعل شخصياتٍ كبرى من العالم الأكاديمي والفكري والعسكري، خلال سنوات كينيدي وجونسون، تخفق إخفاقاً ذريعاً في فهم طبيعة حرب فيتنام، وتسيء متابعة أحداثها .شكّل كتاب» الأفضل والأذكى « رسالة تحذّر من نظام الحكم في الستينات، الذي يُعتبَر مؤسّساً للنظام الذي يتحداه الآن ترامب وبانون بشكل عدائي جداً.

لكن الكتاب أدى أيضاً دورَ دليل مرجعي تبجيلي إلى نظام الحكم، يهمّ خبراء السياسة المستقبليين، والقادة العالميين المحتملين من جيل سبعينات القرن العشرين والصحفيين المتخرّجين من جامعات» رابطة اللبلاب (Ivy League) « الذين كانوا يطمحون إلى تحقيق نجاح باهر في مهنهم، وذلك لأنه يشرح خصائص السلطة الأميركية، وكيفية الوصول إليها) هذا مع الإشارة إلى أن بانون لم يكن جزءاً من حلقة النخبويين هؤلاء، بالرغم من كونه ابن الجيل نفسه .(لم يكتفِ الكتاب بتفنيد المدارس التي على المرء أن يرتادها لكي يصل إلى السلطة، أو الخلفيات الاجتماعية والأكاديمية اللازمة، لكنه توسّع أيضاً ليشمل السلوكيات والمواقف، والأفكار، والمشاعر، واللّغة التي من شأنها أن تساعد المرء في تبوّوء منصبٍ ضمن هيكلية السلطة الأميركية .رأى الكثيرون في الكتاب مجموعةً من الوصفات حول كيفية المضي قدماً، وليس، كما قُصِد منه، ما لا ينبغي على المرء أن يفعله عندما يكون متقدماً .يصف كتاب» الأفضل والأنجح «الناس الذين ينبغي أن يكونوا في السلطة .كان باراك أوباما من الأشخاص الذين أعجبوا بالكتاب عندما كان يرتاد الكلية، وكذلك طالب جامعة رودز بيل كلينتون.

حدّد كتاب هالبرستام سلطة البيت الأبيض في المظهر والباطن .لغته الرنانة تفرض نفسها على القارئ، وغالباً ما تكون تفخيميّة جداً .ظلّت هذه اللهجة مثالاً يُحتذى لفترة نصف قرن من الصحافة الرئاسية الرسمية .فكان كلّ من في البيت الأبيض يُعاملون كشخصياتٍ فريدة من نوعها لأنهم ارتقوا إلى أعلى المناصب بعد إتقانٍ دارويني للعملية السياسية، بما في ذلك أولئك الذين أثاروا فضائح في البيت الأبيض أو كانوا فاشلين .ألُّف بوب وودورد، الذي ساعد على تدمير نيكسون، والذي أصبح هو نفسه شخصية لا يمكن تحدّيها تصنع الخرافات

الرئاسية، سلسلة طويلة من الكتب التي تبدو فيها حتى أكثر التصرفات الرئاسية المضلّلة، جزءاً من مسيرة تاريخية نحو تحمل المسؤولية النهائية وصناعة قرار الحياة والموت، ولا يجرؤ إلا القارئ القاسي القلب على الحلم بأن يكون جزءاً من هذه المنافسة الرهيبة.

كان ستيف بانون من هذا النوع من الحالمين.

***

ولكن إذا حدّد هالبرستام التوصيف الرئاسي، فقد تحدّى ترامب ذلك التوصيف وشوّهه .فهو لا يتمتع بصفة واحدة من شأنها أن تجعله جزءاً من دائرة الشخصيات الرئاسية الأميركية صاحبة السلطة .وهذا الأمر بالتحديد هو ما أعطى فرصة لستيف بانون بطريقة غريبة معاكسة لفرضية الكتاب.

كلما قلّ احتمال أن ينجح المرشح الرئاسي، كلّما قلّ احتمال أن يكون مساعدوه من ذوي الخبرة الناجحين .فإن مساعديه يكونون كذلك أيضاً؛ إذ إن المرشح الذي لا يملك فرصة حقيقية للنجاح لا يجتذب إلا مساعدين غير ناجحين، لأن المساعدين الناجحين سيذهبون للعمل مع المرشحين الأوفر حظاً . عندما يفوز مرشح لم يكن من المرجح أن ينجح يزداد عدد الأشخاص الغريبي الأطوار في البيت الأبيض، لاسيما أن دخلاء كثيرين يكونون قد دخلوا على الخط بشكلٍ مستمر، ما يزيد من احتمال وصول المرشّح .بطبيعة الحال، فإن النقطة الأساسية المشتركة بين كتاب هالبرستام وحملة ترامب هي أن اللاعبين الأكثر بداهة يرتكبون أخطاء خطيرة أيضاً .أما بحسب ترامب، فإن اللاعبين غير المحتملين البعيدين عن النظام هم الذين يملكون العبقرية الحقيقية.

ومع ذلك، كان ستيف بانون أكثر الذين يستبعد أن ينجحوا كلاعبين.

في الثالثة والستين من العمر، تولّى بانون أول وظيفة رسمية له في السياسة، عندما انضم إلى حملة ترامب الانتخابية .أطلق عليه لقب رئيس الاستراتيجيين في الإدارة الجديدة .وكانت تلك أول وظيفة له ليس فقط في الحكومة الاتحادية، بل في القطاع العام») استراتيجي !«سخر روجر ستون، الذي كان، قبل بانون، واحداً من كبار الاستراتيجيين لدى ترامب .(ما عدا ترامب نفسه، كان بانون بالتأكيد) من حيث العمر (شخص عديم الخبرة يعمل في البيت الأبيض.

كانت مهنته المتعدّدة الأوجه هي التي أوصلته إلى هذا المنصب.

ارتاد بانون المدرسة الكاثوليكية في ريتشموند فيرجينيا، ثم كلية محلية تسمّى فرجينيا تك، ثم خدم سبع سنوات في البحرية برتبة ملازم أول على سفينة حربية، ثم في البنتاغون .وبينما كان في الخدمة الفعلية، حصل على درجة الماجستير في الشؤون الخارجية من كلية جورج تاون؛ لكنّه بعد ذلك ترك البحرية .ثم حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من كلية إدارة الأعمال بجامعة هارفرد .عمل بعد ذلك أربع سنوات كمصرفي مستثمر في غولدمان ساكس .أما في السنة الأخيرة فقد ركّز على وسائل الإعلام في لوس أنجلوس، ولكنه لم يحتل في حياته وظيفةً عليا) كان في المستوى المهني المتوسط.(

عام1990 ، وفي سن السابعة والثلاثين، دخل بانون مجال الأعمال المتطورة تحت مظلّة شركة بانون وشركاه، وهي شركة استشارية مالية متخصصة في مجال الترفيه .كانت هذه الشركة نوعاً من غطاء للاحتيال في صناعة الأفلام،

ودائرتها محدودة بالطامحين والفاشلين .لم تنجح شركة بانون وشركاه، فقام بانون بجمع مبالغ صغيرة من المال لمشروعات الأفلام المستقلة، ولم ينجح أي من هذه الأفلام.

يتمتع بانون بشخصية ممثل .شخصيته قلقة، يعاقر الخمرة، زواجاته سيئة، وهو مرتبط بأعمال يقاس فيه النجاح بكمية الأموال، يخطط دائماً ويخيب أمله دائماً.

وبالنسبة إلى رجل يملك رؤية ثاقبة وبعيدة المدى لمصيره، كان يميل إلى أن يكون شخصاً مهمشاً .فجون كورزين، رئيس غولدمان السابق وسيناتور أميركي مستقبلي وحاكم ولاية نيو جيرسي، وصل إلى أعلى صفوف غولدمان، ولم يكن يعلم جيداً من هو بانون .عندما جرى تعيين بانون رئيساً لحملة ترامب، وأصبح بين ليلة وضحاها مادة دسمة للصحافة، أو علامة استفهام لها، انتشرت عنه قصة ملتوية حول كيفية اكتساب بانون وشركاه حصة في عرض البرنامج الناجح »سينفيلد (Seinfeld) «واستمرار البرنامج على الشاشة لفترة 20 عاماً، والأرباح التي درّها .ولكن لم يكن أيّ من مديري برنامج» سينفيلد «أو معدّيه أو منتجيه قد سمعوا ببانون من قبل.

مايك ميرفي، الذي أصبح المستشار الإعلامي للحزب الجمهوري الذي كان يدير حملة الترشيح الرئاسية لجيب بوش، والشخصية الرائدة في محاربة ترامب، يذكر بشكل مبهم كيف كان بانون يسعى لنيل خدمات العلاقات العامة من شركة مورفي لفلم كان بانون يقوم بإنتاجه منذ عقد بل أكثر .وأضاف ميرفي» علمت أنه كان خلال الاجتماع، ولكنني بصراحة لا أستطيع تذكُّره بشكل واضح.«

أما مجلة نيويوركر، فقد حاولت الاستعلام عنه من خلال العالم الهوليوودي، ولم تنجح في العثور على شيء .كانت المجلة تسعى إلى فكّ لغز شخصية بانون، وهو اللّغز الذي عبّرت عنه قائلةً :كيف يمكن لوسائل الإعلام أن تكون غافلة تماماً عن شخص أصبح فجأة من بين أقوى العناصر في الحكومة؟ تابعت صحيفة واشنطن بوست عناوينها العديدة التي تشير إلى عدم وجود استنتاج واضح إلا احتمال أنه قد أدين بجنحة لرشوة الناخبين.

في منتصف التسعينات، أعطى بانون لنفسه دوراً كبيراً في مشروع بيوسفير 2، وهو مشروع يتمتّع بتمويل وافر من إدوارد باس، أحد ورثة عائلة باس النفطية .يبحث المشروع في طرق الحفاظ على الحياة في الفضاء .وكان هذا المشروع، بحسب مجلة تايم، من أسوأ 100 فكرة لهذا القرن؛ يا لها من حماقة رجل غني .أما بانون فكان يبحث عن فرص في الأوقات العصيبة، فتدخل في المشروع بُعَيْد انهياره ولم يؤدّ تدخله سوى إلى المزيد من الانهيار، والدعاوى القانونية، بما في ذلك تهم المضايقة والتخريب.

بعد كارثة بيوسفير2 ، شارك بانون في جمع الأموال لتمويل نظام العملة الافتراضية) لعبة الإنترنت للأدوار الافتراضية والواسعة النطاق MMORPGs أو (MMO، وهي شركة تسمّى» الألعاب الترفيهية على الإنترنت .(IGE) «خلفت هذه الشركة شبكة الترفيه الرقميةDEN ، وهي شركة إنترنت خاسرة، تعرّضت شخصياتها الرئيسية، بمن في ذلك الطفل النجم السابق بروك بيرس في سلسلة أفلام ذي مايتي داكس (The Mighty Ducks) الذي أصبح لاحقاً مؤسس شركة IGE، للمقاضاة، واتُّهِمت بالاستغلال الجنسي للأولاد القاصرين .وطرد بيرس من

IGE، وعُيّن بانون في منصب الرئيس التنفيذي لتغرق الشركة، من ثم، بالدعاوى القضائية التي لا نهاية لها.

إن المحن لعبةٌ تجارية يتقنها الانتهازيون .لكن بعض المحن أفضل من سواها .أما الحالات التي كانت تتوفر لبانون، فغالباً ما كانت مرتبطة بإدارة النزاعات، والأعمال الشريرة، والأوضاع الميؤوس منها نسبياً، ولاسيما إذا كان ذلك يتضمن كسب الربح المادي الصغير من خلال هذه الإدارة .فهذا النوع من الأمور يشكل طريقة حياة على هامش الناس الذين يكسبون مبالغ أكبر كثيراً . استمرّ بانون بمحاولة الحصول على فرصة الصيد الكبير لكنه لم ينجح في إيجاد نقطة الضعف في الهدف.

والمحن هي أيضاً لعبةٌ يتقنها الشخص الذي يمشي بعكس التيار .وقد ازداد بالفعل دافع المشي بعكس التيار لدى بانون، بالتزامن مع إحساسه بعدم الرضا عن الذات والاستياء العام، وغريزة المقامر لديه .كما أن جزءاً من خلفية دوافعه المتضاربة يكمن في تحدره من عائلة كاثوليكية أيرلندية، وكونه ارتاد المدارس الكاثوليكية وأخفق في ثلاث من زيجاته، وعانى طلاقاً صعباً جدّاً) لقد وجد الصحفيون صيداً وفيراً في ادعاءات زوجته الثانية في إطار إجراءات الطلاق.(

قبل مدة ليست ببعيدة، كان بانون شخصية معاصرة معروفة، شخصاً رومنسياً لا يدّعي البطولة، وجندياً سابقاً وشاباً من الطبقة العاملة يكافح في زيجات متعدّدة ومهن مختلفة لينجح؛ لكنه لم يكن يرتاح نهائياً للنظام، كما أنه كان يرغب في الوقت نفسه في أن يكون جزءاً من هذا النظام، وفي أن يدمّره أيضاً. إنه شخصية يمكن أن يجسّدها ريتشار فورد، أو جون آبدايك، أو هاري كروز .

وقصّته قصة رجل أميركي .لكن قصة الرجل الأميركي تطعّمت اليوم بمفهوم سياسي وغدت قصة الحزب اليميني المحافظ .وجد بانون مثله الأعلى في الرجال السياسيين المقاتلين، مثل لي أتواتر، روجر أيلز، كارل روف .فهم أشخاصٌ أميركيون مهمّون ومعروفون يعيشون صراعاً دائماً مع الامتثال والحداثة ويستكشفون طرقاً لانتهاك الحساسيات الليبرالية.

النقطة الأخرى هي أن بانون، وبالرغم من ذكائه والكاريزما التي يتمتّع بها، ومحاولته الدائمة ليُظهِر أنه رجل مستقيم، لم يكن بالضرورة رجلاً لطيفاً. فرواية رجل الأعمال الذي يتمتع بخبرة امتدت على عقود من الزمن من دون أن تكون لديه أيّ قصة نجاح واحدة مُرْضية، لا تخفي حقيقة المحتال وألاعيبه الاحتيالية الكثيرة .قال أحد المنافسين في مجال الإعلام للحزب المحافظ، وبعد إقراره بذكاء بانون وأفكاره الطموحة» :إنه شخص دنيء، غير شريف وغير قادر على الاهتمام بالآخرين، فعيناه دائماً تدوران كما لو أنه يبحث عن سلاح ليضرب الآخر به ويهشّمه.«

استوعبت وسائل الإعلام المحافظة شخصيته الغضبى، بل المتناقضة والكاثوليكية كما أن دخول عالمها لم يكن صعباً جداً .أما وسائل الإعلام الليبرالية، وبالأخص مع التركيب الهرمي للشركات، فكان من الأصعب عليه أن يخترقها .علاوة على ذلك، فإن وسائل الإعلام المحافظة فئة من السوق، مستهدفة بشدّة ومربحة للغاية، تتوفّر فيها الكتب) التي غالباً ما تسيطر على لوائح الكتب الأكثر مبيعاً (وأشرطة الفيديو وغيرها من المنتجات المتاحة من

خلال طرق البيع المباشر التي يمكن من خلالها الالتفاف على قنوات التوزيع الأكثر تكلفة.

في مطلع سنة2000 ، أصبح بانون موزّعاً للكتب المحافظة والمنتجات الرديفة لها، ولمنتجات إعلامية أخرى .وكان شريكه في هذا المشروع ديفيد بوسي، المفتش اليميني المتطرف والمحقق في لجنة الكونغرس في قضية كلينتون» وايت ووتر«، وقد انضم إليه لاحقاً في منصب نائب مدير الحملة الانتخابية لترامب . التقى بانون مؤسس جريدة بريتبارت نيوز السيد أندرو بريتبارت خلال عرض فلم وثائقي لبانون وبوسي» في مواجهة الشر) «الذي جرى وصفه على أنه» حملة رونالد ريغان الصليبية لتدمير النظم السياسية الأكثر استبداداً وتخريباً التي عرفها العالم («والذي أدى بدوره إلى نشوء صلة وصل مع الرجل الذي عرض على بانون الفرصة الفضلى :روبرت ميرسر.

***

في هذا الخصوص، لم يكن بانون رجل أعمال يتمتع بالرويّة المطلوبة أو حتى الانضباط المناسب للقيام بالأعمال، بل كان يبتغي جني المال، أو يحاول الاستيلاء على أموال رجل أحمق .لم يكن بإمكانه أن يجد أفضل من بوب وريبيكا ميرسر اللذين كانا قد احترفا الغباء .استخدم بانون مواهبه في ريادة الأعمال ليتودّد إليهما، ويصبح وسيطاً .وغدا مستشاراً استثمارياً سياسيّاً للوالد والابنة.

كانت لديهما مهمة مستحيلة بشكل جليّ .كانا يخصّصان مبالغ ضخمة - وإن كانت لا تشكّل سوى جزءاً صغيراً من مليارات بوب ميرسر - لمحاولة بناء سوق حرة راديكالية، وإنشاء حكومة مصغّرة، وتشجيع التعليم المنزلي، ومعاداة

الليبراليين، واعتماد المعيار الذهبي، ودعم عقوبة الإعدام، وتأسيس حركة مناهضة للإسلام وداعمة للمسيحيين، ووضع سياسة نقدية وإنشاء حركة سياسية مناهضة للحقوق المدنية في الولايات المتحدة الاميركية.

بوب ميرسر، في نهاية الأمر، ضليع في التحليل الكمّي، ومهندس يصمّم خوارزميات الاستثمار، وقد أصبح الرئيس التنفيذي المشارك لواحد من أنجح صناديق الاحتياط، رينيسانس تكنولوجيز .استطاع ميرسر بمساعدة ابنته ريبيكا تأسيس حركة حزب الشاي الخاصة به، وراح يموّل أيّ احتجاج أو أي مشروع يميني متطرف يستميله .الأب والابنة غريبا الأطوار .فبوب ميرسر لا يتكلم كثيراً ويحدق إلى الشخص بنظرة ميتة، أو لا يتكلّم أبداً، أو يكتفي بالحد الأدنى من الإجابات .كان يملك بيانو» ستاينواي غراند «على متن يخته .وعندما يدعو الأصدقاء والزملاء إلى المركب يقضي بعض الوقت معهم، ثم ينسحب للعزف على البيانو، ويدعهم .ومع ذلك، فإن معتقداته السياسية، حين يمكن فهمها، تشبه بشكل عام معتقدات بوش .ومناقشاته السياسية، إذا استطعت أن تجعله يناقش، تتعلّق بالانتخابات وجمع البيانات .كانت ريبيكا ميرسر تحدّد أسلوب الأسرة، وهي التي استطاعت إيجاد رابط مع بانون، وكانت سياستها قاتمة وصلبة ومتشدّدة» .إنها مجنونة ...مجنونة ....تماماً ...يا لها من امرأة، لا يمكن إجراء محادثة فكرية معها«، كما صرّح أحد كبار موظفي ترامب في البيت الأبيض.

مع وفاة أندرو بريتبارت عام2012 ، قام بانون، الذي كان بالأساس لديه توكيل لاستثمارات أسرة ميرسر، بإدارة أعمال بريتبارت .وقد أفاد من تجربته في الألعاب لاستخدام غايمرغايت، وهي حركة يمينية تجمع بين الكراهية

والمضايقات للنساء العاملات في مجال الألعاب عبر الإنترنت، لتوفير عدد هائل من الاستخدامات للمواقع السياسية الرائجة جداً) .في إحدى الليالي، وبعد أن قضى ساعات في البيت الأبيض، قال بانون إنه يعرف بالضبط كيف يخلق »بريتبارت «يسارية، وأكّد أنه يتمتّع بميزةٍ أساسية لأن» الأشخاص في الحزب اليساري يريدون الفوز بجوائز بوليتزرز، أما أنا شخصياً فأريد أن أكون الجائزة نفسها.(«!

من خلال العمل في البيت الذي استأجره بريتبارت في مبنى كابيتول هيل)حيث أقام أيضاً(، أصبح بانون شخصية من الشخصيات البارزة المتزايدة في حركة حزب الشاي في واشنطن، أصبح المستشار الخاص لأسرة ميرسر .لكن ما يبدو مؤكداً هو أنه كان هامشياً، وأن مشروعه الكبير كان العمل لصالح جيف سيشنز» بورغارد) «الاسم الأوسط لسيشنز، واللّقب المحبّ الذي كان يُطلقه عليه بانون والذي يذكّره بالجنرال الكونفدرالي(، وهو الرجل الأقل حظوةً والأكثر غرابةً في مجلس الشيوخ، والذي حاول بانون ترشيحه للرئاسة عام.2012

كان العمل لصالح دونالد ترامب يشكّل لبانون خطوةً إلى الأمام .وفي أوائل السباق الرئاسي عام2016 ، أصبح ترامب الرمز الخاص ببريتبارت) .الكثير من مواقف ترامب خلال الحملة استُلّت من مقالات بريتبارت التي كان بانون قد طبعها له .(في الواقع، بدأ بانون يوحي للناس أنه كان، كما كان أيلز في شبكة فوكس، القوة الحقيقية وراء مرشّحه المختار.

لم يكن بانون يسأل كثيراً عن حسن نية دونالد ترامب، أو سلوكه أو قدرته على أن يكون مرشحاً مناسباً، لأن ترامب كان في نظره رجلاً غنياً آخر يملك المال

ويستطيع مساعدته .هذا الرجل الغني هو حقيقة ثابتة، ينبغي على الجميع تقبّلها والتعامل معها في عالم ريادة الأعمال، على الأقل في المستوى الأدنى لعالم ريادة الأعمال .وبطبيعة الحال، لو كان ترامب يتمتع بحسن النية والسلوك الأمثل ويمتلك حظاً أوفر بترشيحه، لما توفّرت لبانون فرصةٌ معه.

بالرغم من كون بانون رجلاً هامشيّاً، غير مرئي ومحتالاً صغيراً، وأشبه بشخصية إلمور ليونارد، فإنه قد تحوّل فجأة داخل برج ترامب، حين تسلّم مهماته في 15 آب/أغسطس وحيث مكث لغايات عملية من دون أن يخرج إلا لساعاتٍ قليلة خلال الليل) وليس كل ليلة (عائداً إلى مكان إقامته المؤقت وسط مانهاتن؛ وظل هكذا حتى 17 كانون الثاني/يناير، عندما انتقل فريق ترامب إلى واشنطن .لم تكن هناك منافسة في برج ترامب كونه الرأس المدبر للعملية بأكملها .ومن ضمن الشخصيات التي برزت في المرحلة الانتقالية، لم يكن كوشنر، ولا بريبوس، ولا كونواي، ولا الرئيس المنتخب بالتأكيد، يمتلكون أي تصوّرٍ متماسكٍ لما سيحدث لاحقاً .كان يجب على الجميع النظر إلى الشخص الفصيح والحكيم والشيطاني اللامع والمندفع، الذي كان حاضراً على الدوام والذي كان قد سبق له أن قرأ كتاباً أو اثنين.

وبالفعل أثبت، خلال الحملة الانتخابية لترامب، قدرته على التحكم بعملية انتخابه، بما في ذلك فوضاها الفلسفيّة، وتوجيهها نحو نظرة سياسية موحّدة تقول بأن الطريق إلى النصر تشكّل رسالة اقتصادية وثقافية للطبقة العاملة البيضاء في ولايات فلوريدا، وأوهايو، وميشيغان، وبنسيلفانيا.

***

خلال هذا الوقت أصبح لبانون أعداء .لكن قلة منهم كانت تزكي شراسته وبغضه للعالم الجمهوري النموذجي، مثل روبرت مردوخ، لاسيما وأن ترامب كان يصغي إلى ما يقوله مردوخ .وهذا الأمر كان أحد العناصر الرئيسية لفهم بانون لترامب :فالشخص الأخير الذي يتحدث معه ترامب أصبح يملك النفوذ الأقوى . كان ترامب يتباهى دائماً بأن مردوخ لا يتوقف عن الاتصال به .أما مردوخ من جانبه فكان يتذمر دائماً من أنه لم يكن باستطاعته التخلص من ترامب، حين يبدأ محادثة معه على الهاتف.

»هو لا يعرف شيئاً عن السياسة الأميركية، ولا يتعاطف مع الشعب الأميركي «قالها بانون لترامب الذي كان دائم الحماسة للإشارة إلى أن مردوخ ليس أميركياً .لكن ترامب لم يكن يسأم منه قط، فهو يحب الرابحين .وكان يرى في مردوخ الرابح النهائي .وراح ترامب يتكلم فجأة عن صديقه أيلز واصفاً إياه ب»الخاسر.«

ومع ذلك كانت رسالة مردوخ مفيدة لبانون.

فمردوخ يعرف كل رؤساء الجمهورية منذ هاري ترومان .وهذا ما حاول إظهاره في كل مناسبة .وقال إن معاصرته للعديد من الرؤساء جعلته قادراً أن يفهم بشكل أفضل الرجال الأصغر سنّاً، وحتى ترامب البالغ من العمر سبعين عاماً .وقال أيضاً إن السلطة السياسية كانت عابرة) .كانت هذه الرسالة نفسها التي نقلها لباراك أوباما .(فرئيس الجمهورية يملك ستة أشهر كحد أقصى ليؤثر في الشعب ويضع جدول أعماله .وسيكون محظوظاً إذا حصل على ستة أشهر

كاملة .فبعد هذه المدة يقضي الرئيس وقته في حل المشكلات ومحاربة الفرق المعارضة.

هذه هي الرسالة التي كان بانون يحاول إيصالها بشكل ملحّ إلى ترامب. وبالفعل، في الأسابيع الأولى من حياته في البيت الأبيض، حاول ترامب الغامض تقليص جدول اجتماعاته، والحد من ساعات عمله في المكتب، والحفاظ على عاداته الطبيعية في لعب الغولف.

أما رؤية بانون الاستراتيجية للحكم، فكانت تعتمد على الصدمة وإثارة الرهبة .السيطرة بدلاً من التفاوض .فبعد أن حلم لسنين بالسلطة البيروقراطية، لم يكن يريد أن ينظر إلى نفسه على أنه بيروقراطيّ فهدفه أعلى وأسمى من ذلك وأكثر أخلاقية .كان ثأرياً، كما كان يصف نفسه بأنه مباشر، ويؤمن بالمواءمة بين الفعل والقول .فإذا قلت إنك سوف تفعل شيئاً فيجب أن تفعله.

كانت في ذهن بانون مجموعة من الإجراءات الحتمية الحاسمة والتي لن تحدّد فقط أيام الإدارة الجديدة، بل ستوضّح أن كل شيء قد تغيّر .في سن الثالثة والستين، كان على عجلة من أمره.

***

كان بانون قد تعمّق بطبيعة الأوامر التنفيذية .لا يمكنك التمتّع بسلطة إصدار مراسيم رئاسية في الولايات المتحدة، ما لم تكن قادراً على إصدار تلك المراسيم .والسخرية هنا هي أن إدارة أوباما مع الكونغرس الجمهوري المتردد هما

اللذان عملا جاهدَيْن لتطبيق مرسوم الأوامر التنفيذية .والآن ومن خلال لعبة المجموع الصفري) حيث كلّ المشاركين تتساوى أرباحهم وخسائرهم (سوف تقوم أوامر ترامب التنفيذية بإلغاء أوامر أوباما التنفيذية.

خلال الفترة الانتقالية، قام كل من بانون وستيفن ميلر، المساعد السابق لسيشنز الذي انضم في وقت سابق إلى حملة ترامب، ثم أصبح مساعد بانون وباحثاً فعّالاً معه، بإعداد قائمة بأكثر من مئتي أمر تنفيذي لإصدارها في أول مئة يوم.

لكن الخطوة الأولى في إدارة ترامب الجديدة كانت ملف الهجرة، حسبما رأى بانون .فتزايد الأجانب كان قد شكل هاجساً للترامبوية .وهذه القضية يجري النظر إليها دائماً على أنها وجهة نظر هامشية لرجل واحد .كان جيف سيشنز أشد المناصرين لها؛ فترامب متأكد تماماً من أن العديد من المواطنين قد ضاقوا ذرعاً من توافد الأجانب إلى البلاد .قبل ترامب، كان بانون مرتبطاً بسيشنز في هذه المسألة .وشكّلت حملة ترامب فرصة مفاجئة لمعرفة ما إذا كان العداء للمهاجرين موجوداً فعلاً .وبعد ذلك، عندما فازوا، فهم بانون أنهم لا يمكن أن يتردّدوا في إعلان موقفهم الجوهري المتحيّز إثنياً.

منذ البداية، أثار هذا الموضوع غضب الليبراليين.

بلغت قوانين الهجرة المتساهلة جوهر الفلسفة الليبرالية الجديدة التي جرى كشف نفاقها بحسب بانون .في نظرة الليبراليين إلى العالم، يعتبر التنوُّع شيئاً جيداً بالمطلق، في حين اعتقد بانون أن أي شخص عاقل، غير معميّ تماماً بالآراء الليبرالية المستنيرة؛ يمكن أن يرى أن توافد المهاجرين يسفر عن مشكلات

كثيرة .يكفي النظر إلى ما يحدث في دول أوروبا .وهذه المشكلات لا يتحملها الليبراليون وحدهم، بل كل المواطنين الأكثر عرضة للخطر في الطرف الآخر من الميزان الاقتصادي.

انطلاقاً من مفهوم سياسي غرائزي متردّد بين الغباء والحكمة، قرّر ترامب تبنّي هذا الموضوع .وفي كثير من الأحيان كان يسأل» :ألم يعد هناك أي أميركي حقيقيّ الآن؟ .«أثناء إحدى رحلاته السياسية، وقبل انتخاب أوباما عام2008 ، كان ترامب يتحدث بحيرة واستياء عن القوانين الصارمة التي يجب فرضها على موضوع الهجرة الأوروبية والطوفان من» آسيا وغيرها من الأماكن) .«هذا الطوفان، وكما يؤكد الليبراليون بناء على دراسة للحقائق، ما زال يعدّ، بالرغم من ازدياد الهجرة، توافداً معتدلاً قياساً على حجم البلاد .(وقد كان تركيز ترامب الهوسي على وثيقة ولادة أوباما مرتبطاً في جزء منه بآفة هجرة الأجانب غير الأوروبيين .هذا الموقف أشبه بزرع بذور للعنصرية .من هم هؤلاء الأشخاص؟ لماذا هم موجودون في هذه البلاد؟

كانت الحملة الانتخابية تتضمّن أحياناً رسوماً لافتة .وقدّمت خريطة للبلاد تعكس اتجاهات الهجرة المهيمنة في كل ولاية منذ خمسين عاماً، وقد ظهرت فيها دول كثيرة، ولاسيما الدول الأوروبية .اليوم، أظهرت الخريطة المعادلة أن كل ولاية في الولايات المتحدة أصبحت تحت هيمنة الهجرة المكسيكية .ذلك كان الواقع اليومي للعامل الأميركي، في رأي بانون .إنه وجود متزايد لأيدٍ عاملة بديلة منخفضة التكلفة.

كانت الحياة السياسية الكاملة لبانون منتشرة في كلّ وسائل الإعلام السياسي، وعلى الإنترنت أيضاً، وهو من وسائل الإعلام التي تحكمها الردود الفورية .كانت طريقة عمل بريتبارت أن يصدم الليبراليين إلى درجة إرضاء الآخرين بشكل مضاعف، مولّداً زيارات كثيرةٍ إلى الموقع الإلكتروني للصحيفة بدافع الاشمئزاز أو البهجة بإمكان المرء أن يعرّف نفسه خلال رد فعل عدوّه. كانت الصراعات الجاذب الذي تعتمد عليه وسائل الإعلام، وقد أصبحت الآن عتاد السياسة .فالسياسات الجديدة لم تعد تعتمد على فن التنازل، بل على فن الصراع.

كان الهدف الحقيقي هو كشف نفاق وجهة النظر الليبرالية .فبطريقة أو بأخرى، وعلى الرغم من القوانين والقواعد والعادات، كان الليبراليون العالميون قد دعموا أسطورة الهجرة شبه المفتوحة .وهذا نفاق ليبرالي مزدوج لأن إدارة أوباما، فلنخفض صوتنا هنا، كانت عدوانية جداً في ترحيل الأجانب غير الشرعيين، إلا أنّها لم تكن تخبر الليبراليين بذلك.

صرّح بانون» :الناس يريدون استعادة بلادهم .هذا كل ما في الأمر.«

***

هدف بانون من خلال أوامره التنفيذية إلى تجريد الليبراليين من غرورهم في عملية غير ليبرالية .فبدلاً من السعي إلى تحقيق أهدافه من دون أن يُغضب الآخرين، أي من دون أن يفضح الليبراليين، يمكن القول إنه سعى إلى إغضابهم قدر الإمكان.

لماذا تفعل ذلك؟ كان هذا السؤال المنطقي الذي يطرحه كل من رأى أن أقل ما يمكن للحكومة فعله هو تجنب الصراع.

شمل ذلك معظم الأشخاص المسؤولين في البيت الأبيض .أما المعيّنون الجدد في وكالات وإدارات، من بينها الأمن القومي وأمن الدولة، والذين يعدّ الجنرال جون كيلي مدير الأمن القومي في ذلك الوقت، مثالاً عليهم، والذين يحملون ضغينة تجاه ما سبّبته الأوامر التنفيذية المتعلّقة بالهجرة من فوضى، فهم لم يطلبوا إلا بعض الوقت للنظر في السياسات الجديدة المثيرة للجدل .بيد أن المعينين القدامى الذين عيّنهم أوباما، والذين ما زالوا يشغلون معظم وظائف السلطة التنفيذية، فوجدوا أن من غير الممكن تفسير هذه الظاهرة في الإدارة الجديدة التي تسعى جاهدة لاتخاذ إجراءات كانت مطبّقة أصلاً، وإعادة الإعلان عنها بطريقة ناريّة وطارئة، وبمصطلحات محرّمة تجعل الليبراليين يعارضونها.

كانت مهمة بانون تتمثّل في تمزيق النظرة العالمية الليبرالية الخاطئة، والتي كان أسخف تجسّداتها رفض الليبراليين الاعتراف بالآثار الرهيبة والمكلفة للهجرة غير الخاضعة للرقابة .أراد إجبار الليبراليين على الاعتراف بأن الحكومات الليبرالية، حتى حكومة أوباما، كانت تشارك في سياسة إبطاء الهجرة، لكن عرقلة تلك السياسة المنفّذة إلى حدّ ما كانت تتأتّى عن رفض الليبراليين الاعتراف بأنهم يقومون بجهدٍ لإبطاء الهجرة.

من شأن صياغة الأوامر التنفيذية التعبير عن وجهة نظر الإدارة غير المتساهلة) أو بالأحرى وجهة نظر بانون .(ولكن المشكلة كانت بأن بانون لم يكن يعرف كيفية القيام بذلك، أي كيفية تغيير القواعد والقوانين .وكان بابون يُدرك

بالتأكيد أنه يمكن استخدام هذا الضعف ضدّهم .إن وضع أساليب عملٍ وإجراءات لم يكن يصبّ في مصلحتهم .كان ينبغي القيام بالأمر، وبشكل فوري، بغضّ النظر عن الطريقة، وإلا لما اعتُبر الإجراء فعّالاً.

أصبح تنفيذ الأمور مبدأ عند بانون، فهو العلاج الفعال للبيروقراطية والتباطؤ النظامي ومقاومة التنفيذ .إن فوضى القيام بما يجب القيام به هي التي تؤدي إلى التنفيذ .لكن حتى لو لم نعطِ أهمية لطريقة القيام بالأمور، واعتبرنا أن الأهم هو التنفيذ، كان لا يزال من غير الواضح من الذي سينفّذ المطلوب. الاستنتاج الطبيعي هو عدم وجود شخص في إدارة ترامب يعرف حقاً كيفية القيام بأي شيء .لذلك كان من الصعب تحديد ما يفعله أيّ شخص مسؤول لديه.

شون سبايسر، الذي يقوم عمله على تفسير ما يفعله الناس ولماذا يفعلونه، لم يستطع في كثير من الأحيان أن يقدّم تفسيرات، وذلك، لعدم وجود شخص لديه حقّاً، أي وظيفة فعلية، فضلاً عن أنّ أيّاً من الموجودين غير مؤهل للقيام بأي عمل ما.

أما بريبوس، فبصفته رئيس الموظّفين، كان عليه تنظيم الاجتماعات والجداول الزمنية، وتعيين الموظفين؛ وكان عليه أيضاً أن يشرف على الوظائف الفردية لإدارات المكتب التنفيذي .لكن بانون، وكوشنر، وكونواي، وابنة الرئيس، لم يكن لهم في الواقع أية مسؤوليات محدّدة، لأن بإمكانهم اختراع مهمات .كانوا يفعلون أيّ شيء يريدونه ويحاولون استغلال الوقت للعمل إن أمكن، حتى إذا كانوا يجدون صعوبة في معرفة كيفية تنفيذ ما يريدون فعله.

بانون، على سبيل المثال، وإن كان مندفعاً لإنجاز الأمور، لم يستخدم جهاز كمبيوتر .كيف كان باستطاعته فعل أي شيء؟ تتساءل كايتي والش عن ذلك . ولكن ذلك كان الفرق بين الرؤى الكبيرة والرؤى الصغيرة .لا فائدة من الإجراءات . والخبرة في هذا المجال كانت الملاذ الأخير لليبراليين الذين لم يتمكّنوا قط من فهم الصورة الأكبر .إن التحلّي بإرادة إنجاز الأمور الكبيرة هي الطريقة الوحيدة لإنجاز الأمور الكبيرة» .لا تهتم بالأمور الصغيرة .«ذلك كان جوهر النظرة الشاملة عند دونالد ترامب وستيف بانون لإنجاز الأمور» .الفوضى هي استراتيجية ستيف بانون«، بحسب قول كايتي والش.

طلب بانون إلى ستيفن ميلر كتابة الأوامر التنفيذية لموضوع الهجرة .مولر، البالغ من العمر خمسة وخمسين عاماً، والذي يتمتّع برشاقة شاب في الثلاثين، كان موظفاً سابقاً لدى جيف سيشنز وقد أُدخل إلى الفريق أثناء حملة ترامب بناء على تجاربه في السياسة .باستثناء كونه محافظاً في الحزب اليميني المتطرّف، لم يكن واضحاً أي آراء خاصة سياسية يتبنّى مولر .كان من المفترض أنه خبير في كتابة الخطابات .لكن إذا كان الأمر كذلك، فيبدو أن عمله يقتصر على كتابة رؤوس أقلام وليس جملاً مفيدة .كان من المفترض أن يكون مستشاراً سياسياً ولكنه لا يعرف سوى القليل عن السياسة .كان من المفترض أن يكون المرجع الفكري للبيت الأبيض، ولكنه لم يكن قارئاً مضطلعاً وعالماً .كان من المفترض أن يكون متخصصاً في التواصل مع الآخرين لكنه كان على عداء مع الجميع .وقد طلب إليه بانون خلال الفترة الانتقالية صياغة الأوامر التنفيذية.

حين دخل بانون البيت الأبيض، كان قد حصل على صياغةٍ للأمر التنفيذي الخاص لملفّ الهجرة، وحظر السفر، في ما مثّل الإقصاء الترامبوي الشامل لمعظم المسلمين من الولايات المتحدة .ولم تجرِ تهدئة الوضع إلا بناءً على إصرار بريبوس أن ما حدث سيعدُّ قريباً قراراً خطيراً جدّاً.

في خضمّ الهوس باغتنام الفرص، وبالرغم من انعدام معرفة كيفية القيام بذلك، فقد تبع الأرقام الجنونية للحشد الافتتاحي، وخطاب وكالة الاستخبارات المركزية الذي ألقاه ترامب، إصدار قرارٍ تنفيذي تمّ بموجبه تعديل سياسة الهجرة الأميركية .لم يعرف أي شخصٍ في الحكومة الاتحادية بهذا القرار قبل صدوره .حيث قام الرئيس ترامب، بمساعدة بانون الذي بدا مندفعاً، بتوقيع ما وُضع أمامه متجاوزاً المحامين والمنظمين والوكالات والموظفين المسؤولين عن إنفاذ الأمر التنفيذي،.

في يوم الجمعة 27 كانون الثاني/يناير جرى توقيع حظر السفر، وظهر تأثيره الفوري .كانت النتيجة موجة من الرعب والسخط عمّت وسائل الإعلام الليبرالية، ورعباً استبدّ بالمجتمعات المهاجرة، واحتجاجاتٍ مضطربة في المطارات الرئيسية، وارتباكاً في جميع أنحاء الحكومة، وفي البيت الأبيض، وفيضاً من المحاضرات والتحذيرات، وانتقادات قاسية من الأصدقاء والأسرة وُجّهت إلى ترامب مفادها :ماذا فعلت؟ هل تعرف ما تفعله؟ يجب عليك التراجع عن هذا الأمر !انتهيت قبل أن تبدأ حتّى !مَن هو المسؤول هنا؟.

لكن ستيف بانون كان راضياً .لم يكن بإمكانه أن يرسم شرخاً أكثر وضوحاً بين الأميركيتين، ترامب والليبراليين، وبين البيت الأبيض والبيت الأبيض الذي يقطنه أولئك الذين ليسوا على استعداد بعد لحرق كل ما سبق.

لماذا اتَّخذ هذا القرار يوم الجمعة، بحيث أثّر تأثيراً شديداً في حركة المطارات وأفسح في المجال لجميع المعترضين كي يتحرّكوا؟ سؤالٌ طالب جميع موظّفي البيت الأبيض بإجابةٍ عنه.

...»هذا هو السبب«، قالها بانون،» كي ينزل المجانين إلى المطارات ويثيروا الشغب .«هذه هي الطريقة الوحيدة لسحق الليبراليين :دفعهم إلى الجنون، ثم سحبهم إلى اليسار.

الفصل الخامس

جارفانكا

نهار الأحد وبعد صدور قرار الهجرة، حضر جو سكاربورو وزميلته ميكا بريجنسكي في البرنامج الصباحي مورنينغ جو الذي يعرض على شاشة إم.إس.إن.بي.سي MSNBC لتناول الغداء في البيت الأبيض.

سكاربورو عضو جمهوري سابق في الكونغرس من بينساكولا، فلوريدا، وبريجنسكي ابنة زبغنيو بريجنسكي، الذي كان مساعداً رفيع المستوى في البيت الأبيض خلال حكم جونسون، ومستشار الأمن القومي خلال حكم جيمي كارتر. بدأ بث برنامج مورنينغ جو عام2007 ، وأصبح للبرنامج متابعون سياسيون وإعلاميون من نيويورك .وكان ترامب متابعاً شغوفاً له.

في بداية الحملة الانتخابية عام2016 ، وبعد حصول تغييرات في إدارة محطة إن.بي.سي .نيوز(N.B.C) ، كان واضحاً أنه سيجري إلغاء البرنامج بعد هبوط حاد في التصنيفات .لكن سكاربورو وبريجنسكي قاما بتعزيز علاقتهما بترامب، وأصبحا من وسائل الإعلام القليلة التي لا تملك فقط نظرة إيجابية حياله فحسب، بل وكأنها تعرف بماذا يفكر أيضاً .راح ترامب يظهر بشكل متكرّر في البرنامج، وأصبح البرنامج وسيلة مباشرة للتحدث معه.

ذلك كان نوع العلاقات الذي يحلم به ترامب :إعلاميّون يأخذونه على محمل الجد، ويحاورونه غالباً، ويطلبون رأيه، وينقلون إليه الأخبار، ويعيدون نشر الأخبار التي يطلعهم عليها .كان الهدف من هذا الأمر أن يصبحوا جميعاً مطّلعين مقرّبين .وهذا ما كان يريده ترامب بالضبط .فبالرغم من أنه صنّف نفسه كدخيل على السياسة؛ إلا أن حقيقة وجوده خارج الدائرة أمر جرحه.

يرى ترامب أن الإعلاميين الذين دعمهم) كما في حالة سكاربورو وبريجنسكي اللذين ساعدهما في الاحتفاظ بوظيفتهما (كانوا مدينين له، في حين أن وسائل الإعلام التي أعطته مساحة كبيرة من التغطية المجانية، تعتقد أنه مدين لها .كان سكاربورو وبريجنسكي، مثلاً، يعتبران أنفسهما مستشارين شبه رسميين، وهما من ساعداه للوصول إلى الرئاسة.

خلال شهر آب/أغسطس، حصل خلاف علني، نتج عنه تصريح لترامب على تويتر يقول فيه» :يوماً «ما، عندما تهدأ الأمور، سوف أخبركم القصة الحقيقية لجو من إن.بي.سي(@JoeNBC) ، وصديقته منذ فترة طويلة ميكا (@morningmika)، كلاهما مهرّجان .«!ولكن غالباً ما كانت مشاحنات ترامب

تنتهي بقبول ضمني، وإن كان على حقد، وذلك من أجل المصلحة المتبادلة .وفي وقت قصير، عادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية بينهم.

لدى وصولهما إلى البيت الأبيض، وفي اليوم التاسع من رئاسته، أراهما بفخر مكتبه البيضاوي، ولكن شعوره هذا تبدّد، عندما قالت بريجنسكي إنها أتت إلى المكتب عدة مرات من قبل مع والدها، عندما كانت في التاسعة من عمرها .عرض عليهما ترامب بعض التذكارات وبحماسةٍ شديدة اللوحة الجديدة لأندرو جاكسون، الرئيس الذي جعل منه ستيف بانون شعاراً للإدارة الجديدة.

»كيف كان الأسبوع الأول برأيكما؟«، سألهما ترامب، بشكلٍ مرح سعياً إلى الإطراء.

قال سكاربورو، الذي كان في حيرة من أن ترامب في مزاج مرح مع موجة الاحتجاجات المنتشرة ضدّه في جميع أنحاء البلاد» :حسناً، أحببت ما فعلته مع شركة يو.إس.ستيل(U.S. Steel) ، وكيف أنك أتيت بممثلي النقابة إلى المكتب البيضاوي .«كان ترامب قد تعهّد باستخدام الصلب المصنوع في الولايات المتحدة لخطوط أنابيب الولايات المتحدة الأميركية خلال اجتماع ترامب في البيت الأبيض بممثّلي النقابات؛ ثم دعاهم إلى المكتب البيضاوي، وهو أمر ظل ترامب يصرّ أن أوباما لم يفعله قطّ.

لكن ترامب كان يكرّر سؤاله؛ ففهم سكاربورو أن أحداً لم يخبر» ترامب بأن أسبوعه الأول كان ضعيفاً جدّاً .«لعلّ بانون وبريبوس بدخولهما المكتب وخروجهما منه قد أقنعاه فعلاً بأن الأسبوع كان ناجحاً، كما اعتقد سكاربورو.

ثم غامر سكاربورو وأبدى رأيه قائلاً :إنّ قرار الهجرة كان يمكن التعامل معه بشكل أفضل؛ إن الأسبوع بالإجمال كان أسبوعاً عصيباً.

اندهش ترامب، وبدأ بمونولوج طويل حول مدى نجاح الأمور قائلاً لبانون وبريبوس وهو يضحك بصخب :إن جو لا يظن أن أسبوعنا كان جيداً .ثم توجه إلى سكاربورو قائلاً» :كان من الممكن أن أقوم بدعوة هانيتي.«!

خلال تناول الغداء المؤلَّف من السمك، الذي لا تأكله بريجنسكي، انضم جاريد وإيفانكا إلى الرئيس وسكاربورو وبريجنسكي .أصبح جاريد من المقربين إلى سكاربورو، واستمر في تزويده بوجهة النظر الداخلية للبيت الأبيض، أي إنه كان يسرّب له المعلومات .أما سكاربورو فقد أصبح بدوره المدافع عن موقف كوشنر في البيت الأبيض .ولكن، في هذه المناسبة، أظهر الصهر والابنة الولاء والتواضع، بينما كان سكاربورو وبريجنسكي يتحدّثان مع الرئيس الذي كان يأخذ كالعادة وقتاً أطول من غيره في الكلام على الهواء.

استمر ترامب في طلب رأي الآخرين وأخذ الانطباعات الإيجابية عن أول أسبوع له في الرئاسة .وعاد سكاربورو مرة أخرى ليثني على موقف الرئيس من ممثلي نقابة الصُّلب .عند هذه النقطة، تدخّل جاريد ليقول إن التواصل مع النقابات تصرّف ديمقراطي تقليدي، وأنها كانت فكرة بانون .ذلك كان» أسلوب بانون «المعهود.

»بانون«؟ قال الرئيس، وهو ينهر صهره» .لم تكن فكرة بانون، بل كانت فكرتي .إنه» أسلوب ترامب وليس أسلوب بانون.«

صدم كوشنر من الردّ، وانسحب من النقاش.

قال ترامب لسكاربورو وبريجنسكي مغيّراً الموضوع» :ماذا عنكما؟ ماذا يجري؟«، مشيراً إلى علاقتهما غير السريّة.

أجاب سكاربورو وبريجنسكي أن الأمور معقَّدة، وليست رسمية؛ ولكنّها جيدة بينهما، وهما يحلّان الأمور معاً.«

»يجب عليكما أن تتزوجا«، قالها ترامب.

تدخل كوشنر فجأة، الذي ينتمي إلى اليهودية الأرثوذكسية بقوله» :إنني أستطيع أن أزوجكما !فأنا مفوّض لعقد الزواج عبر الإنترنت..«

»ماذا؟«، قالها الرئيس» .ما الذي تقوله؟ ما دافعهما ليقبلا أن تقوم أنت بتزويجهما، بينما أستطيع أنا القيام بذلك؟ يمكنهما أن يتزوّجا على يد الرئيس في مارآلاغو.«

***

نصح الجميع جاريد بألا يقبل الوظيفة الداخلية .فباعتباره أحد أفراد الأسرة، فسوف يكون لديه نفوذ استثنائي من موقع لا يمكن لأحد أن يتحدّاه فيه .أما كموظف داخل البيت الأبيض، فسوف يتعرّض لتحدّ في عمله وسيكون، كأحد أفراد الأسرة العاملين في البيت الأبيض، عاملاً جاذباً للأعداء والنقاد وذلك حتى إن لم يكن الرئيس قد استُهدف بعد .زد على ذلك أنك داخل الجناح الغربي لترامب، إذا حصلت على لقب، غير لقب صهر الرئيس، فسوف يرغب الجميع في انتزاعه منك.

استمع جاريد وإيفانكا إلى هذه النصيحة .ومن الذين أسدوا إليهما هذه النصيحة جوش شقيق جاريد .لم يكن يريد فقط أن يحمي أخاه، بل كان يشعر بنفور من ترامب أيضاً .لكنهما قرّرا من ثمّ أن يتجاهلا النصيحة، بعد أن احتسبا المخاطر والفرص .شجع ترامب صهره وابنته على تحقيق طموحاتهما الجديدة . وعندما ازدادت حماستهما، حاول إبداء شكوكه، وفي الوقت نفسه كان يخبر الآخرين بأنه عاجز عن وضع حدّ لهما.

أما جاريد وإيفانكا، كما هي حال كل الموجودين في الإدارة الجديدة والرئيس منهم، فقد كانت تلك المرحلة بالنسبة إليهما مرحلة جنون وعشوائية لا تتكرّر، فكيف لا يغتنمون هذه الفرصة؟ كان قراراً مشتركاً من الزوجين، وبعبارة أخرى، عملاً مشتركاً .فقد عقد جاريد وإيفانكا صفقة جادة فيما بينهما :في الوقت المناسب في المستقبل، سوف تترشح إيفانكا لرئاسة الجمهورية) أو تكون الأولى لتحاول ذلك .(فكرت إيفانكا في أن تكون هي أول رئيسة جمهورية، وليست هيلاري كلينتون.

أصيب بانون بالذعر، هو من اخترع عبارة جارفانكا التي تستخدم الآن أكثر من أي وقت مضى، عندما سمع باتفاق الزوجين» لمَ يقولان ذلك؟ كفى .بربك . لِمَ يقولان ذلك حقّاً«؟ من فضلك لا تقل لي ذلك .يا إلهي.«

الحقيقة هي أن إيفانكا، على الأقل في ذلك الوقت، كانت قد اكتسبت خبرة أكثر من أي شخص آخر يعمل الآن في البيت الأبيض .كانت وجاريد، يقومان بمهمة رئيس موظفي البيت الأبيض بشكلٍ فعلي) جاريد هو في الحقيقة من كان يقوم بهذا الدور، لكن ذلك كان يعني بطبيعة الحال تدخّلها هي(، أو لنقل أنهما

كانا يمارسان تلك الوظيفة بالقدر نفسه الذي كان يمارسها به بريبوس أو بانون، وجميعهم كانوا يقدّمون تقاريرهم مباشرة إلى الرئيس .زد على ذلك أن جاريد وإيفانكا كان لهما من الناحية التنظيمية موقع مستقل تماماً في الجناح الغربي . حتى مع محاولة بريبوس وبانون تذكير الزوجين بطريقة دبلوماسية بالإجراءات واللياقات بين الموظفين، كانا هما أيضاً يذكّران قيادة الجناح الغربي بأن صلاحيات الأسرة الأولى تعلو على كل شيء .بالإضافة إلى ذلك، كان الرئيس قد سلّم فوراً ملف الشرق الأوسط لجاريد، ما جعله أحد اللاعبين الدوليين البارزين في الإدارة، بل في العالم .في الأسابيع الأولى، توسّعت هذه المهمات لتشمل كل قضية دولية أخرى، الأمر الذي لم يكن كوشنر مستعداً له أبداً.

كان السبب الأكثر إقناعاً لدخول كوشنر البيت الأبيض هو» النفوذ«، وهو يعني بذلك أن يكون قريباً من الرئيس .فبالإضافة إلى كونه فرداً من الأسرة، كان أي شخص قريب من الرئيس يتمتع بالنفوذ .وكلما زاد الاقتراب توسّع النفوذ . يمكننا أن ننظر أيضاً إلى ترامب نفسه كنوعٍ من وسيط روحاني، يجلس في مكانه، ويلقي التصريحات التي يجب أن تفسّر .كما يمكن تشبيهه بطفل مفرط النشاط، وأيّاً يكن من يرضيه أو يسليه يصبح المفضل لديه، كما يمكن تشبيهه بإله الشمس) وهكذا يرى هو نفسه(، مركز الاهتمام المطلق، الذي يمنح الصلاحيات ويفوّض الآخرين بالسلطة التي يمكن في أي لحظة أن تسحب منهم .أما البعد الإضافي، فكان أن إله الشمس هذا كانت لديه حسابات قليلة .كان ملهماً في هذه الفترة؛ الأمر الذي يضيف سبباً لكي يكون المرء معه في هذه الفترة .بانون، مثلاً، كان ينضم إلى ترامب لتناول العشاء كل ليلة، أو على الأقل يفرّغ جدوله كي يكون حاضراً لترامب .عازب لعازب آخر) .أشار بريبوس إلى أن الجميع في البداية كانوا

يحاولون أن يكونوا جزءاً من جلسات العشاء؛ ولكن في غضون بضعة أشهر أصبح الأمر واجباً عسيراً يجب تجنبه.(

من ضمن حسابات جاريد وإيفانكا حول السلطة والتأثير اللذين يمكن أن تمنحهما إياهما وظيفةٌ رسمية في الجناح الغربي، مقارنةً بتولّيهما دوراً استشارياً خارجياً، جاءت معرفتهما بأن عليهما التدخّل في كلّ شيء كي يضمنا تأثيراً قوياً في ترامب .كان ينتقل من مكالمة هاتفية إلى أخرى، ويقضي معظم يومه العادي في إجراء اتصالات هاتفية قبل الاجتماعات المنظمة وبعدها، ما يعني أنه قد يفقد تركيزه معهما .التفاصيل هنا مهمة جداً، لأنه لا يأخذ بنصيحة أحد، لكنه غالباً ما يكون أكثر تأثّراً بآخر شخص تحدث إليه .في الواقع .لم يكن ما يؤثر به قوّة الحجة، أو الالتماس، بل حضور الشخص وارتباط ما يدور في ذهنه بمن معه أو بآراء من معه .ومع أن لديه الكثير من الهواجس، فإن ما في عقله ليس وجهة نظر ثابتة.

في النهاية، قد لا يكون ترامب مختلفاً في أنانيته الجوهرية عن أي شخص آخر يملك ثروة كبيرة، عاش معظم حياته في بيئة سيطر عليها بالكامل .ولكن واحداً من الفوارق الواضحة هو أنه لم يكتسب أي نوع من الانضباط الاجتماعي، بل لم يستطع حتى محاولة إظهار اللياقة .فهو بالفعل ليس بارعاً بالتحدث على سبيل المثال، وليس المقصود التحدّث بمعنى تبادل المعلومات فحسب، بل أي نوع من المحادثات المتوازنة .فهو لا يستمع إلى ما يقال له، ولا يركّز على ما يجيب به) وهذا واحد من الأسباب التي تجعله يكرّر كلامه .(كذلك لم يعامل أي شخص بالحدّ الأدنى المقبول من اللياقة .فإذا كان يريد شيئاً يكون

تركيزه حادّاً واهتمامه كبيراً؛ ولكن إذا أراد شخص ما شيئاً منه فهو يميل إلى أن يصبح عصبي المزاج، ويفقد الاهتمام بسرعة .يطالبك بأن تنتبه لما يقوله ثم يقرر أنك ضعيف لأنك تتذلّل .طبعه غريزي، مدلّل، وهو ممثل ناجح جدّاً .بالنسبة إليه، إما أن يكون الجميع تابعين له ويقومون بما يريده، أو ممثلين يحاولون لفت انتباهه ودفعه إلى أن يفعل شيئاً لهم، وذلك من دون أن يثيروا غضبه أو عدوانيته.

ما يميزه هو حماسته وسرعته وعفويته .إذا استطاع للحظة أن يتوقف عن التفكير بنفسه، يمكنه أن يجد بسهولة مواطن ضعف خصومه ورغباتهم العميقة .تتعثر السياسة بسبب اعتقاد الذين يعرفون الكثير عن أن التغيير يحدث بشكل تدريجي، وهم مهزومون قبل أن يبدأوا عملهم حتى بسبب التعقيدات والمصالح المتضاربة .لذلك يعتقد مناصرو ترامب أنه، بمعرفته المحدودة، يمكن أن يمنح أملاً جديداً للنظام المضطرب.

غيّر جاريد كوشنر في فترة قصيرة جداً من الزمن، أي خلال أقل من سنة، من مبدأ الديمقراطية الذي ترعرع عليه، وتحوّل إلى مُسانِد للترامبوية، محيّراً العديد من الأصدقاء وبالأخص شقيقه، الذي كانت شركة التأمين الخاصة به »أوسكار «المؤسَّسة بأموال أسرة كوشنر، لتنهار في حال إلغاء قرار أوباما للرعاية الصحية) أوباماكير.(

يبدو أن هذا التحول كان نتيجة التوجيه الملحّ والمؤثّر الذي قدّمه بانون، وهو نوع من المشاركة الحقيقية في أفكارٍ قد تغيّر العالم كانت قد فاتت كوشنر، حتى خلال دراسته في جامعة هارفرد .ساعده في ذلك استياؤه من النخب

الليبرالية التي حاول أن يسترضيها بشرائه النيويورك أوبزرفر، وهو جهد أتى بنتائج عكسية رهيبة .كان عليه، بمجرد أن غامر بالدخول في الحملة الانتخابية، أن يقنع نفسه بأن القرب من الأمور العبثية يعطيها معنًى منطقياً، وأن سياسة ترامب واقعية وبعيدة عن العواطف ومن شأنها أن تصبح واضحة للجميع في النهاية .ولكن الأهم من ذلك كله هو أنهم فازوا .وكان عازماً ألا يولي الموضوع أهمية أكثر من ذلك .لقد أقنع نفسه بأنه يستطيع أن يصلح كل ما كان سيئاً في سياسة ترامب.

***

في الواقع، كوشنر مثل حميه، مع العلم أن ذلك قد يُفاجئه، فقد ظلّ لسنوات طويلة يساير ترامب دون أن يتبنّى فعلاً أفكاره .والد جاريد،» تشارلي«، يشبه» فْرِدْ «والد دونالد ترامب بشكل غريب .لقد استخدم كلا الرجلين أموالهما وقوتهما للسيطرة على أولادهما وإخضاعهم، ونجحا في ذلك تماماً، حيث أصبح أولادهما خاضعين لهما بالكامل رغم مطالباتهم .في كلتا الأسرتين جاءت النتيجة متطرفة جداً :رجال مولعون بالنزاع، لا يتنازلون، لا يرحمون، أنجبوا أولاداً كانوا مدفوعين إلى نيل رضى والدهم) شقيق ترامب الأكبر، فريدي، أخفق في هذا الجهد .ووفقاً للعديد من الأشخاص فإنه كان مثليّاً .أفرط في شرب الكحول إلى أن وافته المنية عام 1981 وهو الثالثة والأربعين من عمره .(خلال اجتماعات العمل، لاحظ المراقبون أن تشارلي وجاريد كوشنر يحييان واحدهما الآخر بقبلة؛ وأن جاريد، الرجل الراشد، ينادي والده بعبارة» دادي.«

لم ينظر دونالد ولا جاريد، بغض النظر عن والديهما المستبدّين، إلى العالم بتواضع .لقد خفّفا من إحساسهما بانعدام الثقة بأنفسهما من خلال الاعتقاد بأنهما يستحقّان الأفضل .كلاهما غريبان يتسابقان ليثبتا أنفسهما، أو يفرضا شرعيّتهما في مانهاتن) كان كوشنر من نيوجيرسي وترامب من كوينز .(معظم من عرفهما وجدهما بغيضين، متعجرفين، ومتغطرسين .حاول كلّ منهما أن يكتسب شخصية محببة لكن غالباً ما كانت تبدو كوميدية أكثر منها لائقة .فلم يستطع أي منهما سواء باختياره أو بوعيه، أن يتجنّب هذا الأمر .وقد قال أحد المسؤولين التنفيذيين في إحدى وسائل الإعلام في نيويورك» :بعض الناس الذين يتمتعون بامتيازاتٍ كبيرة يدركون امتيازاتهم ويتغاضون عنها .سعى كوشنر عبر جميع تصرّفاته إلى تأكيد امتيازه، لكنه كان يبدو وكأنه لا يدرك ذلك .«كلا الرجلان لم يخرجا قط من دائرة امتيازاتهما .كان التحدي الرئيسي الذي وضعاه لأنفسهما هو الدخول إلى الدائرة المتميزة والتسلق الاجتماعي كان عملهما.

كان تركيز جاريد يصبّ، في كثير من الأحيان، على الرجال الأكبر سناً .وقضى روبرت مردوخ وقتاً طويلاً مُستغرَباً مع جاريد، الذي كان يستشير أقطاب وسائل الإعلام حول وسائل الإعلام التجارية التي كان الشاب مصمماً على اقتحامها. فعمد كوشنر إلى مصادقة رونالد بيرلمان، المموّل الملياردير والفنان الذي استضاف في وقت لاحق جاريد وإيفانكا في برنامجه الخاص خلال المناسبات اليهودية المقدسة .وبطبيعة الحال، قام كوشنر بلفت انتباه ترامب، الذي أصبح محباً للشاب، وكان متسامحاً بشكل غير معهود حول تحوّل ابنته إلى اليهودية الأرثوذكسية، عندما أصبح ذلك خطوة ضرورية للزواج .وبالمثل، قام ترامب خلال فترة شبابه بضم مجموعة من المرشدين الأكبر سناً إلى مستشاريه، بما في

ذلك روي كوهن، المحامي اللامع الذي كان اليد اليمنى للحزب اليميني للسيناتور جو مكارثي.

ثم جاءت الحقيقة القاسية وهي أن عالم مانهاتن، وبخاصة صوته الحي: وسائل الإعلام، رَفَضَهُم تماماً .لقد تحوّلت وسائل الإعلام منذ فترة طويلة ضد دونالد ترامب، وصوّرته على أنه متعجرف وخفيف الوزن، ولامته على الخطيئة المميتة التي حاول من خلالها استمالة وسائل الإعلام لصالحه أكثر من اللازم. فشهرته، بالوضع الذي كانت عليه، قد انعكست عليه بشكل سلبي، فهو مشهور لأنه سيئ السمعة .وكان ذلك محط سخرية الجميع.

لكي تفهم وسائل الإعلام ومستوياتها المتعدّدة في السخرية، لا شيء أفضل من متابعة نيويورك أوبزرفر، مجلة مانهاتن الأسبوعية التي اشتراها كوشنر عام 2006بمبلغ 10 ملايين دولار، أي تقريباً بأكثر مما كانت تستحق بعشرة ملايين دولار.

***

عند صدور مجلة نيويورك أوبزرفر عام1987 ، كانت عبارة عن نزوة رجل غني .وأخفقت في مجال الإعلام، كما يحدث في مثل هذه الحالة .كانت تُصدِر تقارير أسبوعية عن الجانب الشرقي الأعلى، أي عن أغنى حي في نيويورك .كانت فكرة المجلة معاملة الحي كبلدة صغيرة .ولكن لم ينتبه أحد لذلك .أما آرثر كارتر، الراعي المحبط، الذي جمع أمواله في الجيل الأول من انطلاق وول ستريت، وتعرّف إلى غرايدون كارتر، الذي أنشأ مجلة سباي، وهي تقليد نيويوركي للمجلة البريطانية الساخرة برايفت آي .كانت مجلة سباي جزءاً من مجموعة منشورات

الثمانينات، مثل مانهاتن إنك، وهي نسخة أخرى من فانيتي فير ونيويورك؛ تلك المنشورات التي كان هاجسها الأغنياء الجدد، في ما بدا أنه لحظة تحوُّل في نيويورك .كان ترامب رمزاً لهذا العصر الجديد من المال الفائض والمشاهير واحتفال وسائل الإعلام بتلك الأمور .وأصبح غرايدون كارتر محرراً لمجلة نيويورك أوبزرفر عام1991 ، ولم يكتفِ بجعل اهتمام الصحيفة منصبّاً بشكلٍ أسبوعي، على ثقافة المال الكبير فحسب، بل جعلها قاعدةً تستلّ منها وسائل الإعلام معلوماتها حول ثقافة المال، وقاعدةً أيضاً، لأصحاب الأموال الطائلة الذين أرادوا أن يظهروا في وسائل الإعلام .يمكن القول أن ليست هناك مجلة تعي ما تفعله وتهدف إلى أن تكون مرجعية، مثل مجلة نيويورك أوبزرفر.

سعى دونالد ترامب، إلى جانب العديد من الأغنياء الآخرين الجدد، لكي تغطّيه وسائل الإعلام .وكانت مجلة نيويورك بوست لمردوخ المسجّل الفعلي لتلك الأرستقراطية الجائعة للدعاية الجديدة .أما مجلة نيويورك أوبزرفر، فكانت تقوم بتغطية الطريقة التي تمّت بها تغطية ترامب إعلامياً .كانت القصة عن ترامب هي كيف أنه حاول أن يجعل من نفسه قصّةً .كان وقحاً، متصنّعاً، مملياً للأوامر :إذا كنت على استعداد أن تخاطر بأن تتعرّض للذل يمكن أن يصبح العالم ملكك .أصبح ترامب المرجع الموضوعي للجوع المتصاعد للشهرة وسوء السمعة .لقد اعتقد أنه يعرف كل الأمور المتعلقة بوسائل الإعلام، أي ما تحتاج إلى معرفته :ما عليك أن تتظاهر به وتدّعيه، وما المعلومات التي يمكن أن تستغلها لمصلحتك، ما الأكاذيب التي يمكن لوسائل الإعلام أن تتوقّعها منك . واعتقدت وسائل الإعلام أنها تعرف كل شيء عن ترامب :الغرور، الأوهام،

الأكاذيب، المستويات التي لم يسبق له مثيل في الانحدار إليها من أجل جذب اهتمام وسائل الإعلام.

سرعان ما استخدم غرايدون كارتر مجلة نيويورك أوبزرفر ليصل إلى مجلة فانيتي فير، حيث اعتقد أنه قد يتمكن من الوصول إلى المشاهير الأعلى مستوىً من دونالد ترامب .وخلف كارتر في الأوبزرفر عام 1994 بيتر كابلان، وهو محرر يتّسم بالسخرية والضجر.

اتخذ ترامب فجأة، بحسب رواية كابلان، شخصية جديدة .ففي حين أنه كان قبل ذلك رمزاً إلى النجاح ومع ذلك كان يتعرّض للسخرية، أصبح الآن مع تحوُّل روح العصر) واضطراره إلى إعادة تمويل كمية كبيرة من الديون(، رمزاً إلى الإخفاق ولا يزال يتعرّض للسخرية .كان هذا انعكاساً معقّداً للأحوال، ليس فقط في ما يتعلّق بترامب، بل في كيفية تعاطي وسائل الإعلام مع الصورة الجديدة عن نفسها .أصبح دونالد ترامب رمزاً إلى كراهية وسائل الإعلام لذاتها .فقد كان الاهتمام والترويج لدونالد ترامب مسألة أخلاقية في وسائل الإعلام .وفي نهاية المطاف أعلن كابلان أن ترامب لا ينبغي أن تُغطّى أخباره بعد الآن، لأن كل قصة عنه، أصبحت كليشيه.

ومن الجوانب المهمة لمجلة كابلان نيويورك أوبزرفر ووعيها بقدرتها على إلحاق الأذى، أن الصحيفة أصبحت المدرسة الأساسية لجيل جديد من المراسلين والإعلاميين الذين يغرقون كل المنشورات الأخرى في نيويورك، في وقتٍ أصبحت فيه أصبحت الصحافة نفسها أكثر وعياً بأهدافها وبمرجعيّتها . وبالنسبة إلى كل من يعمل في وسائل الإعلام في نيويورك، كان دونالد ترامب يمثّل

العار المطلق الذي قد يشكله العمل في وسائل الإعلام في نيويورك :فقد تضطر إلى الكتابة عن دونالد ترامب .إن عدم الكتابة عنه أو عدم الأخذ بكلامه، أصبح موقفاً أخلاقياً.

عام2006 ، وبعد أن قام كابلان بإدارة تحرير الجريدة على مدى خمسة عشر عاماً، باع آرثر كارتر مجلة أوبزرفر، التي لم تعد تحقق أرباحاً، لكوشنر البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، وهو وريث عقارات غير معروف، مهتمّ بالحصول على مكانة وسمعة في المدينة .كان كابلان يعمل آنذاك من أجل شخص يبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، وهو شاب صغير، ولسخرية القدر، لم يكن سوى مثال آخر على الوصوليين الذين يتحتّم عليه أن يغطّي أخبارهم.

بالنسبة إلى كوشنر، سرعان ما أتى امتلاك المجلة بنتيجة، لأن ذلك، ولسخرية الأقدار التي لم يكن يفهمها، قد أمَّن له مكانة في الدائرة الاجتماعية، حيث التقى ابنة دونالد ترامب، إيفانكا، وتزوج بها عام .2009 لكن المجلة لم تدرّ أموالاً على كوشنر، مما جعل منسوب التوتر مع كابلان يرتفع .وبدأ كابلان بدوره يروي حكايات ذكيّة ومدمّرة حول ادّعاءات رئيسه الجديد وقسوته، راحت تنتشر، من رواية إلى أخرى، في أوساط العديد من الصحفيين الذين يرتبطون به؛ وبالتالي في جميع وسائل الإعلام نفسها.

عام2009 ، ترك كابلان المجلة، وارتكب كوشنر خطأ فادحاً، كالعديد من الأثرياء الذين اشتروا وسائل إعلام خاصة بالمشاهير: إذ حاول أن يحقق الربح عن طريق خفض التكاليف .وسرعان ما راح العالم الإعلامي يعتبر كوشنر الرجل الذي لم يأخذ مجلة بيتر كابلان منه فحسب، بل تسبَّب أيضاً في خرابها بقسوته

وعدم كفاءته .الأسوأ من ذلك أن كابلان، توفي عام2013 ، عن عمر يناهز التاسعة والخمسين بمرض السرطان .فانضم هذا الخبر إلى الروايات؛ فاتهم كوشنر بالتسبب في موته أيضاً.

تتناول وسائل الإعلام موضوعات شخصية بل إنها سلسلة من الاختبارات . فهي تقرر في عقلها الجماعي غالباً من الذي سوف يرتفع ومن الذي سوف يسقط، ومن سوف يعيش ومن سيقضى عليه .فإذا بقيتَ لفترة طويلة كافية في عين الإعلام، فمصيرك كمصير دكتاتوريي جمهوريات الموز، غالباً ما يكون قاسياً؛ وهذا قانون لم تستطع هيلاري كلينتون الالتفاف حوله .فوسائل الإعلام لها الكلمة الأخيرة.

قبل فترة طويلة من ترشُّحه لرئاسة الجمهورية، كان ترامب وصهره المرافق كوشنر قد اتّصفا بالعار، بل وأيضاً بالتعذيب البطيء نتيجة السخرية والازدراء والتهكّم .هؤلاء الناس لا أهمية لهم .إنهم مجرّد حطام إعلامي .بربّكم!

قام ترامب، في خطوة ذكية، بتعويم سمعته الإعلامية، إذ نقلها من نيويورك ذات السقف النقدي العالي إلى هوليوود الأكثر تحرُّراً لجهة القيم الأخلاقية، ليصبح نجماً له عرضه الخاص،«The Apprentice» ، ويعتنق نظرية من شأنها أن تخدمه بشكل جيد خلال حملته الرئاسية :في بلاد الشخصيات الهامة ليس هناك ما يضاهي الشهرة قيمة .فأن تكون مشهوراً هو أن تكون محبوباً، أو على الأقل مُحبَّباً لدى الجميع.

أما السخرية الفظيعة التي لا يمكن فهمها والتي استهدفت أسرة ترامب، على الرغم من كراهية وسائل الإعلام المعروفة، وكل ما تعرفه وتفهمه ونشرته عن

الأسرة، فقد ارتفعت إلى مستوى غير مسبوق، بل إلى سقف الخلود، وتحوّلت إلى أكثر من كابوس رهيب، بل إلى مسخرة كونية .في هذا الظرف المزعج، اتّحد ترامب وصهره؛ فهما يدركان أن وسائل الإعلام تتقصّد السخرية منهما، علماً أنهما لم يكونا يفهمان السبب .وها هما قد أصبحا هدفاً لغضب وسائل الإعلام تلك.

حقيقة أن ترامب وصهره كان لديهما الكثير من القواسم المشتركة لا تعني أنهما يعملان في ميدان مشترك .فكوشنر، وبغض النظر عن مدى قربه من ترامب، كان عضواً في حاشية ترامب، وليس لديه حظوةٌ لدى حميه أكثر من أيّ شخص آخر يحاول السيطرة على ترامب.

ومع ذلك، فقد ارتكز كوشنر على صعوبة السيطرة عليه في تبريره الذاتي للسبب الذي جعله يتجاوز دوره الأُسَري ليحتلّ وظيفة بارزة في البيت الأبيض: ممارسة ضبط النفس على حميه، ومساعدته في اكتساب المزيد من الوقار .وقد بدا ذلك خطوة أكبر من ذاك الشاب العديم الخبرة.

فإذا كان بانون سوف يدشّن عمله في البيت الأبيض بتوقيع قانون حظر السفر، فإن كوشنر سيجعل أول مهمة قيادية له لقاء الرئيس المكسيكي الذي هدّده حموه وأهانه في حملته الانتخابية.

اتصل كوشنر بكسينجر البالغ من العمر 93 عاماً للحصول على الاستشارة. فعل ذلك لتملُّق الرجل العجوز، وأيضاً ليكون قادراً على ذكر اسمه .لكنه في الواقع كان يبحث فعلاً عن استشارة .لم يسبّب ترامب سوى المشكلات لرئيس المكسيك .إن إحضار الرئيس المكسيكي إلى البيت الأبيض، على الرغم من سياسة بانون التي تسوّق لعدم التراجع عن محور القسوة الذي طغى على الحملة، كان

محوراً حقيقياً لكوشنر، يمكن أن ينسبه إلى نفسه) علماً أن من غير الممكن إطلاق عبارة محور على هذا المسعى .(هذا ما اعتقد كوشنر أنه ينبغي أن يقوم به: أن يمشي وراء الرئيس بشكل سلس مضيفاً لمسةً خفيفة، وموضحاً النيات الحقيقية للرئيس، إن لم نقل معيداً صياغتها تماماً.

بدأت المفاوضات الرامية إلى إحضار الرئيس المكسيكي إنريكي بينيا نييتو إلى البيت الأبيض أثناء الفترة الانتقالية .وقد رأى كوشنر الفرصة لتحويل مسألة الجدار إلى اتفاق ثنائي يتناول موضوع الهجرة، وهو ما يمثّل مناورة سياسية ناجحة لترامب .وقد وصلت المفاوضات المحيطة بالزيارة الى أوجها يوم الأربعاء بعد حفل التنصيب مع وفد مكسيكي رفيع المستوى، وهي أول زيارة يقوم بها أي زعيم أجنبي لترامب في البيت الابيض، ليلتقي مع كوشنر وريس بريبوس .كانت رسالة كوشنر إلى حميه بعد ظهر ذلك اليوم، هو أن بينيا نييتو وافق على الاجتماع في البيت الأبيض والتخطيط للزيارة سيبدأ.

في اليوم التالي، غرّد ترامب قائلاً» :الولايات المتحدة لديها عجز تجاري بقيمة 60 مليار دولار مع المكسيك .لقد كانت صفقة من جانب واحد منذ بداية اتفاقية نافتا (NAFTA) والأعداد هائلة ...«وتابع في تغريدة أخرى» أعداد الوظائف والشركات التي خسرناها .فإذا كانت المكسيك لا تريد دفع تكلفة الجدار الذي نحن بأمس الحاجة إليه، فمن الأفضل إلغاء الاجتماع الآتي.«...

وهذا ما فعله الرئيس المكسيكي برفض اقتراح ترامب، وتسبّب في تقويض مفاوضات كوشنر وخططه للدولة.

***

نهار الجمعة 3 شباط/فبراير، وخلال وجبة الفطور في فندق فور سيزونز في جورج تاون، وهو المكان الاستراتيجي المعتمد في» المستنقع«، خرجت إيفانكا ترامب مرتبكة من غرفتها ودخلت غرفة الطعام، وهي تتحدث بصوت مرتفع على هاتفها الخلوي :الأمور سيئة جدّاً ولا أعرف كيف يمكن إصلاحها...

كانت التداعيات المستمرة لموضوع الهجرة قد طغت على الأسبوع .فالإدارة في المحكمة، وقد يُصدر بحقّها قراراً قاسياً .كذلك حدث مزيد من التسريبات المحرجة لمكالمتين هاتفيتين واحدة مع الرئيس المكسيكي») الرجل السيئ (« والأخرى مع رئيس الوزراء الأسترالي») أسوأ اتصال قمت به على الإطلاق .(«وأكثر من ذلك، وفي اليوم السابق، أعلنت نوردستروم أنها تتخلّى عن مجموعة ملابس إيفانكا ترامب.

فاضطرت الشابة البالغة من العمر 35 سنة، وهي شخصية بارزة وسيدة أعمال، إلى إجراء تغيير مفاجىء في أعمالها .كما أنها كانت مرهقة بسبب الجهد الذي بذلته لنقل أطفالها الثلاثة إلى منزل جديد في مدينة جديدة، والاضطرار إلى القيام بجزء كبير من ذلك بنفسها .ورداً على سؤال حول كيفية تأقلم أطفاله في مدارسهم الجديدة بعد عدة أسابيع من الانتقال، قال جاريد إنهم كانوا بالفعل في المدرسة، لكنه لم يكن يستطيع تحديد أي مدرسة على الفور.

بالرغم من ذلك، استطاعت إيفانكا تدبُّر أمورها .الفطور في فندق فور سيزونس هو مكان طبيعي بالنسبة إليها .كانت هناك محاطةً بالأشخاص المهمّين . ففي المطعم ذلك الصباح، كانت مع رئيسة الأقليات في مجلس النواب نانسي بيلوسي، ومع الرئيس التنفيذي لشركة بلاكستون ستيفان شوارزمان، وهو

شخصية بارزة في واشنطن، وعضو في مجموعة الضغط المقرّبة من كلينتون فرنن جوردان، ومع المرشح لمنصب أمين سر وزير التجارة ويلبور روس، ومع الرئيس التنفيذي لبلومبرغ ميديا جاستن سميث، ومع المراسل الوطني في واشنطن بوست مارك برمان؛ ناهيك بطاولة أخرى تعج بنسوة أعضاء في مجموعات الضغط، من ضمنهن الممثلة الرسمية لصناعة الموسيقى في واشنطن هيلاري روسن، ومستشارة إيلون ماسك في العاصمة واشنطن جوليانا غلوفر، والرئيسة التنفيذية لسياسة شركة أوبر :نيكي كريستوف، والمسؤولة التنفيذية للشؤون السياسة في مجلة تايمز كارول ملتون.

بمعنى ما، وبغض النظر عن وجود والدها في البيت الأبيض ونوباته ضد طريقة عمل الحكومة، والتي كان من الممكن أن تشمل كل شخص هنا، كان هذا النوع من الأماكن هو ما عملت إيفانكا بجد لتكون فيه .فقد تبعت مسار والدها، وقامت بصياغة اسمها بنفسها ليصبح علامةً تجارية متعدّدة المنتجات والأوجه . كما أنها كانت تتحوّل عن طموح والدها الذي يقتصر على نموذج الغولف الذكوري والأعمال التجارية، لتمثّل أكثر نموذج الأم الطموحة ورائدة الأعمال . كانت قد باعت، قبل أن يكون من الممكن التنبؤ بانتخاب والدها رئيساً، كتاباً بعنوان» النساء اللواتي يعملن :إعادة صياغة قواعد النجاح «بمبلغ مليون دولار.

كانت رحلتها، في العديد من النواحي، رحلةً غير متوقّعة، تتطلب من الانضباط ما يفوق ما تتوقعه من سيدة مجتمع محترمة ومشغولة .عندما كانت في الحادية والعشرين من عمرها، ظهرت في فلم أنتجه صديقها في ذلك الوقت

جيمي جونسون، وريث شركة جونسون وجونسون .كان فلماً غريباً، مزعجاً إلى حد ما، حيث يقنع جونسون مجموعة من أصدقائه الأغنياء بالإفصاح علناً عن عدم رضاهم، وافتقارهم إلى الطموح عامة، واحتقارهم لأُسَرِهم) واحد من أصدقائه دخل في دعاوى قضائية طويلة معه على أثر تصوير الفلم .(لم تكن إيفانكا التي كانت تتحدث بلهجة محليّة، تبدو أكثر طموحاً منهم، ولا حتى أكثر فاعلية؛ لكنها كانت أقلّ غضباً من أهلها.

كانت تتعامل مع والدها بخفة، بل بسخرية .وخلال مقابلة تلفزيونية سخرت من تسريحة شعره .وغالباً ما كانت تتحدث عن الموضوع أمام أصدقائها: عملية زرع بسيطة، بعد جراحة تقليص فروة الرأس، يحاط الرأس بدائرة من الشعر على الجوانب والجبهة، وتجمع الأطراف إلى الوسط ثم يمشط الشعر إلى الوراء ويثبّت برذاذ الشعر .أما اللون، فتقول على سبيل المزاح، كان نتيجة لاستعمال منتج اسمه) Just for Men أي للرجال فقط .(كلما تُرك على الشعر لوقت أطول، صار لونه داكناً أكثر .ونتيجة لعدم صبر ترامب أصبح لون شعره برتقاليّاً أشقر.

يتفق الوالد وابنته بشكل غريب؛ فهي نسخة مصغرة عنه) وهو ما أصبح الكثيرون يسعون إليه اليوم .(قبلت والدها وكانت مساعدته ليس فقط في تعاملاته التجارية، بل في إعادة تنظيم حياته الزوجية .سهّلت دخوله وخروجه . إذا كان والدك رجلاً أحمق، وكل الناس يتكلّمون عن ذلك بشكل علني، عندها تصبح الحياة مرحة ورومنسية كوميدية بشكل ما.

منطقياً، كان من المتوقّع أن تكون أكثر غضباً؛ فقد نشأت وسط أسرة مضطربة؛ تتعرّض لانتقادات الصحافة المسيئة طوال الوقت .لكنها كانت قادرة على استيعاب الواقع، والعيش فقط في الجزء الإيجابي منه، حيث أصبح وجود أبوها محبّباً، بالرغم من تشويه اسمه بشكلٍ مستمر .عاشت في عالم الأثرياء الآخرين الذين ازدهروا بسبب علاقتهم بعضهم ببعض .في البداية بين المدارس الخاصة وأصدقائها من المنطقة الشرقية الراقية في مانهاتن، ثم بين العلاقات الاجتماعية ودار الأزياء والإعلام .بل أكثر من ذلك، كانت تميل إلى البحث عن الأمان والرقي الاجتماعي في أُسَر أصدقائها الشباب، لترتبط بأُسَر ثرية من ضمنها عائلة جيمس جونسون، قبل آل كوشنر، وتفضّلها على أسرتها.

أما المشجّعة لعلاقة إيفانكا وجاريد فكانت ويندا مردوخ، وهي مثال اجتماعي غريب) وخصوصاً لزوجها روبرت .(لقد عمل الجيل الجديد من النسوة الثريات على إعادة صياغة الحياة الاجتماعية، وتحويل نموذج الفتاة الثرية إلى امرأة تتمتع بسلطة .وهذا نوع من الطموح النسائي الاجتماعي اللاحق لحركة المدافعين عن حقوق المرأة .ولبلوغ هذا الأمر، يجب عليك أن تتعرّف إلى الأغنياء، أفضل الأغنياء، وأن تكون جزءاً لا يتجزأ من دائرة الأغنياء، وأن يوحي اسمك عند لفظه بالثراء .فهم لا يرضون بما لديهم، ويريدون المزيد دائماً .وهذا الأمر يتطلب جهداً لا يستهان به، لأن عليك تسويق المنتج الذي هو في هذه الحالة نفسك.

هذا ما فعله دائماً والدها .ذلك كان عمل الأسرة أكثر منه تجارة العقارات.

ارتبطت بعد ذلك بكوشنر، وأصبحا زوجين قويين .أعادا صياغة أنفسهما بوعي، وطموح، وارتياح، وتصالح مع العالم الجديد؛ فضلاً عن كونهما مدافعيْن

عن البيئة ومشجّعين للأعمال الخيرية والفن .بخصوص إيفانكا، تضمّن ذلك صداقتها لويندي مردوخ وداشا زوكوفا، زوجة العملاق الروسي أبراموفيتش، الذي كان آنذاك، لاعبا أساسياً في عالم الفن الدولي .وقبل بضعة أشهر فقط من الانتخابات، حضرت مع كوشنر ندوة ديباك شوبرا حول الوساطة .كانت تبحث عن معنى لحياتها، وعثرت عليه .ظهر هذا التغيير ليس فقط في الملابس، والمجوهرات، وخطوط الأحذية، وبرامج تلفزيون الواقع، بل في حضورها المتنبّه في وسائل التواصل الاجتماعي .أصبحت منسقة بشكل رائع .وبعد انتخاب والدها، عملت على إعادة صياغة نفسها مرة أخرى؛ وهذه المرة ضمن الأُسرة الحاكمة.

ولكن الحقيقة الكبرى هي أن علاقة إيفانكا بوالدها لم تكن علاقة أُسَرية تقليدية .فإن لم تكن وصولية بالكامل، فهي بالتأكيد عقلانية .إنها الأعمال: تطوير الماركة، الحملة الانتخابية، والآن البيت الأبيض .كلّ هذه الأمور كانت مجرّد أعمال فقط.

ولكن، ما كان الرأي الحقيقي لإيفانكا بوالدها وجاريد بحميه؟» كانا يكنّان له حباً جمّاً .يمكنك أن ترى ذلك حقّاً .«هذا ما صرّحت كيليان كونواي به، تفادياً للإجابة عن السؤال.

وقال روبرت مردوخ عندما سئل عن الموضوع» :ليسا غبيّين.«

»إنهما يتفهمانه، أظن ذلك حقّاً«، بحسب جو سكاربورو؛» ويقدّران نشاطه .ولكن هناك أيضاً تباعداً بينهم .«كذلك صرّح سكاربورو» أنهما يتحمّلانه، ولكن لا يتوهّمان شيئاً حياله.«

***

كان فطور إيفانكا نهار الجمعة في فندق فور سيزونز مع دينا باول، المسؤولة التنفيذية في شركة غولدمان ساكس التي انضمت إلى البيت الأبيض.

في الأيام التي تلت الانتخاب، قام جاريد وإيفانكا بمقابلة العديد من المحامين والمسؤولين في العلاقات العامة. وكان معظمهم، كما أدرك الزوجان، حذرين من التدخل، ليس فقط لأن الزوجين لا يبدوان مهتمين بسماع النصيحة، بل لأنهما يبحثان عن نصائح محدّدة يريدان أن يسمعاها .في الواقع، كانت معظم النصائح التي حصلوا عليها هي نفسها :أحيطا أنفسكما بالأشخاص المناسبين، وتعرّفا بالأشخاص المهمين والمعروفين .في الواقع :أنتما مجرد هاويين، وبحاجة الى أشخاص محترفين.

أحد الأسماء التي بقيت تتردّد كان اسم باول .وباول من الحزب الجمهوري وتتمتّع بتأثير كبير وسلطة في غولدمان ساكس، كما أنها كانت تمثّل نقيض الشخصية الجمهورية الترامبوية .هاجرت أسرتها من مصر عندما كانت فتاة صغيرة وهي تجيد اللغة العربية .شقّت طريقها من خلال تعاونها مع مجموعة من الجمهوريين المتّحدين، بمن فيهم سيناتور تكساس كاي بيلي هتشيسون، ورئيس مجلس النواب ديك أرمي .وفي البيت الأبيض عملت مع بوش كرئيسة لمكتب شؤون الموظفين، ومساعدة وزير الخارجية للشؤون التعليمية والثقافية. انتقلت إلى غولدمان عام 2007 وأصبحت شريكة عام2010 ، وهي تدير نشاطها الخيري، مؤسسة غولدمان ساكس، متّجهة نحو مهن وظيفية مماثلة للعديد من النشطاء، فضلاً عن أن لها شبكة معارف سياسية، وتعمل مستشارة في إدارة

الشؤون العامة والعلاقات العامة للشركات .إنها شخص يعرف الأشخاص المناسبين في السلطة ولديها إدراك كامل لكيفية استغلال الآخرين للسلطة واستخدامهم لها.

كانت النسوة العاملات في مجموعات الضغط والمتخصصات في مجال الإعلام والاتصالات في الشركات في فندق فور سيزونز هذا الصباح، مهتماً بباول، بوجودها في الإدارة الجديدة للبيت الأبيض بقدر اهتمامهن بابنة الرئيس .إذا كانت إيفانكا ترامب شخصية جديدة أكثر منها جدّية؛ فالحقيقة أنها هي من ساعدت باول على الوصول إلى البيت الأبيض؛ وأصبحت الآن تتعاون معها مما زاد من أهمية ابنة الرئيس .في بيت أبيض يبدو أنه يسير في طريق ترامب المميتة، كان ذلك تلميحاً إلى ضرورة اتباع طريق أخرى .برأي أولئك النسوة المتخصصات في العلاقات العامة والناشطات الاجتماعيات في فندق فورسينرونز، كان الأمر يبدو وكأنه يتّجه نحو بيت أبيض بديل يبقى في الظلّ، حيث لا تُقدم أسرة ترامب على الاعتداء على هيكل السلطة لكنها تُظهر حماسةً واضحة نحو السلطة.

بعد أن تناولت إيفانكا فطوراً مطولاً، تنقّلت في القاعة .راحت تلقي تعليماتها اللاذعة عبر هاتفها، وتلقي التحيات، وتوزّع بطاقات الأعمال وتقبلها.

الفصل السادس

في المنزل

خلال الأسابيع الأولى من رئاسة ترامب، برزت نظرية بين أصدقائه تقول إنه لم يكن يتصرَّف كرئيس، أو يراعي، حقاً، موقعه الجديد أو يقيّد سلوكه :من تغريداته الصباحية الباكرة، إلى رفضه اتباع الملاحظات المكتوبة، إلى مناشداته المشفقة على الذات لبعض الأصدقاء، التي وصلت تفاصيلها مسبقاً إلى الصحف والتي تتمحور حول عدم تمكّنه من تحقيق القفزة نفسها التي حققها سابقوه . فمعظم الرؤساء وصلوا إلى البيت الأبيض قادمين من حياة سياسية عادية نسبيّاً بدرجات تتفاوت بين رئيس وآخر .ولم يكن بوسعهم إلا أن يشعروا بالرهبة حيال تحوُّل ظروفهم بفعل ارتقائهم المفاجئ إلى منزل شبيه بقصر ملكي مزوّد بخدم وعناصر أمن، وطائرة على أهبة الاستعداد دوماً، وحاشية من المرافقين

والمستشارين في الطابق السفلي .لكن هذا الأمر لم يكن مختلفاً جداً عن حياة ترامب السابقة في» برج ترامب«، الذي كان أكثر ملاءمة لذوقه من البيت الأبيض، بخدم ورجال أمن ومرافقين ومستشارين حاضرين في المبنى بصفة دائمة، وطائرة جاهزة عند الطلب .أن يكون رئيساً لم يكن ذلك الأمر العظيم في نظره.

ولكن، هناك نظرية أخرى معاكسة تماماً، مفادها أن توازنه قد اختُلَّ كلياً هنا، لأن كل شيء في عالمه المنظُّم قُلبَ رأساً على عقب .بحسب هذه النظرية، كان ترامب البالغ من العمر سبعين عاماً كائناً منظُّماً إلى درجة لا يمكن أن يتخيّلها الأشخاص الذين لا يتمتّعون بسيطرة كاملة على ظروفهم .لقد عاش في المنزل الفسيح نفسه في برج ترامب، منذ أن أُنجز المبنى عام .1983 وفي كل صباح منذ ذلك الحين، كان يقوم برحلته نفسها إلى مكتبه الكائن تحته ببضعة طوابق على إحدى زوايا المبنى .وكان المكتب أشبه بكبسولة زمنية من عقد الثمانينات :المرايا ذات الحواف الذهبية نفسها، أغلفة مجلات تايم نفسها وهي تبهت على الجدار . أما التغيُّر الكبير الوحيد فقد تمثَّلَ في إحلال كرة قدم توم بريدي محل كرة جو ناماث .وخارج أبواب مكتبه، وأينما نظر، كان يشاهد الوجوه نفسها، الموظفين أنفسهم، من خدم، وعناصر أمن، ومرافقين،» وهم الأشخاص الذين لا يقولون لا«، الذين رافقوه بصفة شبه دائمة.

قال صديق قديم لترامب باندهاش» :هل يمكنك أن تتخيَّل كم سترتبك إذا كنت تقوم بالأمر نفسه كلّ يوم، ثم وجدت نفسك فجأة في البيت الأبيض؟ .«قال

ذلك وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة جرّاء اللعبة التي لعبها القدر، إن لم نقل القصاص العادل الذي أحلّه القدر.

وجد ترامب البيت الأبيض، وهو مبنى قديم لا يحظى إلا بصيانة متقطعة وأعمال تجديد تدريجية، إضافة إلى مشكلة صراصير وقوارض شهيرة، مزعجاً، بل مخيفاً بعض الشيء .تساءل الأشخاص المعجبون بمهاراته كمالك فنادق لماذا لم يُحسّن المكان، لكنه بدا وكأن العيون المراقِبة المعلَّقة عليه قد طوَّعته.

استغربتْ كيليان كونواي، التي ظلت أسرتها في نيوجيرسي وكانت تتوقع أنها قادرة على الذهاب إلى المنزل لدى عودة الرئيس إلى نيويورك، من أن نيويورك وبرج ترامب حُذفا فجأة من برنامج عمله .ظنَّت كونواي أن الرئيس كان يقوم بجهد واعٍ ليكون» جزءاً من هذا البيت العظيم«، إضافة إلى إدراكه للعداء الموجّه ضده في نيويورك) .لكنها أضافت، معترفةً بالصعوبات الكامنة في تغيُّر ظروفه وتأقلمه مع نمط الحياة الرئاسية» :كم مرة سيذهب إلى كامب ديفيد؟«، وهو المنتجع الرئاسي الشجري البسيط الكائن في حديقة جبل كاتوكتين في ميريلاند» .ما رأيك إذا قلت :ولا مرة.(«

في البيت الأبيض، كان ينسحب إلى غرفة نومه الخاصة، وهي المرة الأولى، منذ عهد الرئيس كينيدي، التي يمتلك فيها ثنائي رئاسي غرف نوم منفصلة) رغم أن ميلانيا كانت تقضي وقتاً ضئيلاً في البيت الأبيض ذلك الحين .(في الأيام الأولى، أمر بجلب شاشتيْ تلفاز إضافة إلى الشاشة الموجودة من قبل، وقفل للباب، ما تسبَّب بمواجهة وجيزة مع عناصر الخدمة السرية الذين أصرّوا على امتلاك إمكانية الدخول إلى الغرفة .وبَّخ ترامب موظفي إدارة شؤون المنزل بسبب رفع

قميصه عن الأرض، قائلاً لهم» :إذا كان قميصي على الأرض، فهذا لأنني أريده على الأرض .«ثم فرض مجموعة من القواعد الجديدة :لا أحد يلمس أي شيء، وخصوصاً فرشاة أسنانه) .لديه خوف قديم من التعرُّض للتسمُّم، وهو أحد أسباب حبّه تناول الطعام في مطعم مكدونالد، إذ لا أحد كان يعلم أنه قادم، والطعام كان مجهزاً مسبقاً بأمان .(إضافة إلى ذلك، سيُعْلم طاقم إدارة المنزل عندما يريد كي قمصانه، وسينزع أغطية سريره بنفسه.

وإذا لم يكن يتناول عشاءه في الساعة السادسة والنصف مع ستيف بانون، فإنه- وهذا يلائمه أكثر -سيكون في سريره مع وجبة تشيزبيرغر يشاهد شاشاته الثلاث ويجري اتصالات هاتفية) كان الهاتف نقطة اتصاله الحقيقية مع العالم (مع مجموعة صغيرة من الأصدقاء، من بينهم توم باراك، الذي كان الرئيس يتصل به دوماً، والذي كان يتابع مستويات توتّر ترامب مع مرور المساء، ويتشارك معه الملاحظات.

***

ولكن، بعد البداية الصعبة، راحت الأمور تبدو بشكل أفضل، وبحسب البعض، أصبحت تبدو رئاسية.

في يوم الثلاثاء 31 كانون الثاني/يناير، أعلن الرئيس ترامب بثقة وتفاؤل، وفي مراسم حسنة التنظيم في وقت الذروة، ترشيح قاضي الاستئناف الفيدرالي، نيل غورستش، للمحكمة العليا .كان غورستش يتمتّع بتوليفة مثالية مؤلّفة من سمعةٍ محافظةٍ لا تشوبها شائبة، واستقامة مثيرة للإعجاب، ومؤهلات قانونية

وقضائية من الدرجة الأولى .لم يكن الترشيح يمثّل إيفاءً بوعد ترامب للقاعدة وللمؤسسة المحافظة فحسب، بل بدا أيضاً بأنه خيار رئاسي محض.

وكان ترشيح غورستش أيضاً يمثّل انتصاراً لطاقم المساعدين الذين رأوا ترامب يتردد مرة تلو المرة، في اختيار الشخص الذي سيسلّمه تلك الوظيفة المرغوبة والمصحوبة بمكافأة عالية .مسروراً بالوقْع الجيد الذي خلَّفه الترشيح، وخصوصاً بقلة العيوب التي تمكَّنت وسائل الإعلام من إيجادها فيه، أصبح ترامب لفترة وجيزة أحد معجبي غورستش .لكنه قبل أن يستقرَّ على غورستش تساءل بشأن سبب عدم إعطاء المنصب لصديق أو موالٍ .من وجهة نظر ترامب، كان منح المنصب لشخص لا يعرفه يمثّل نوعاً من الهدر.

في مراحل متنوعة في سياق هذه العملية، فكَّر ترامب في جميع أصدقائه المحامين تقريباً :كلهم يشكّلون خيارات غير محتملة، إن لم نقل غريبة، وكلهم تقريباً لم يكونوا يملكون فرصة للنجاح سياسياً .والخيار غير المحتمل والغريب والفاقد لفرصة النجاح، الذي ظل يعود إليه هو رودي جولياني.

كان ترامب مديناً لجولياني .ولا يعني هذا أنه كان شديد الاهتمام بديونه، غير أن هذا الديْن لم يُردَّ بالتأكيد .لم يكن جولياني مجرد صديق نيويوركي قديم، ولكن عندما قدَّم القليل من الجمهوريين دعمهم إلى ترامب، ولم يكن أي منهم تقريباً يتمتع بشهرة وطنية، تقدَّم جولياني لمساندته، وبطريقةٍ مجابهةٍ ونارية وعنيدةٍ .وقد ظهر ذلك بشكل خاص خلال الأيام الصعبة، بعد افتضاح محادثته مع بيلي بوش، عندما اعتقد الجميع، بمن فيهم المرشح نفسه وبانون وكونواي

وأولاده، أن الحملة الانتخابية ستُمنى بالفشل .لم يمنح جولياني نفسه استراحة من الدفاع المستمر والحماسي والواثق عن ترامب.

كان جولياني يريد أن يكون وزير الخارجية، وكان ترامب قد عرض عليه المنصب مراتٍ عديدة .وكانت مقاومة المحيطين بترامب لجولياني ناجمةً عن السبب نفسه الذي دفع ترامب لمنحه المنصب؛ كانت كلمته مسموعة عند ترامب ولم يكن ليتخلى عن هذا الامتياز .كما تهامس مساعدو ترامب بشأن صحة جولياني وتوازنه .وحتى دفاعه المستميت عن فضيحة التسريبات الجنسية «pussygate»كان قد بدأ يشكّل إحراجاً وعقبة .عُرض عليه منصب المدعي العام، ووزارة الأمن الوطني، ومدير الاستخبارات الوطنية، لكنه رفضها كلها مواصلاً إصراره على وزارة الخارجية، أو المحكمة العليا، وهو ما اعتبره الموظفون أقصى درجات العجرفة، أو محاولةً للترقّي .بما أن ترامب لم يكن في وسعه وضع شخص مناصر علناً للإجهاض في المحكمة من دون تشظية قاعدته، والمجازفة بهزيمة مرشحه، فإنه كان مضطراً، بالطبع، إلى منح جولياني وزارة الخارجية.

وعندما أخفقت هذه الاستراتيجية، حيث حصل ريكس تيليرسون على وظيفة وزير الخارجية، كان يجب أن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ، بيد أن ترامب ظل يعود إلى فكرة وضع جولياني في المحكمة .وفي الثامن من شباط/فبراير، خلال عملية المصادقة على الترشيح، أعرب غورستش عن استيائه علناً من استخفاف ترامب بالمحاكم؛ فقرر ترامب، في لحظة غضب، سحب ترشيحه . وخلال محادثات مع المتصلين به بعد العشاء، عاد إلى مناقشة وجوب منح الترشيح لرودي، الشخص المخلص الوحيد .لكن بانون وبريبوس كانا هما من

اضطُرَّا إلى تذكيره، مراراً وتكراراً، بأن الحملة الانتخابية، في واحدة من سياساتها البارعة القليلة المتعلّقة بحلّ المشكلات، وفي تودّد مثالي للقاعدة المحافظة، سمحت لمنظمة» المجتمع الفيدرالي «بتقديم لائحةٍ للمرشحين .وكانت الحملة قد وعدت بأن المرشح سيأتي من اللائحة، ولا حاجة إلى القول إن جولياني لم يكن فيها.

أما غورستش فكان موجوداً فيها .وسرعان ما سينسى ترامب أنه كان يريد أي شخص إلا غورستش.

***

في 3 شباط/فبراير، استضاف البيت الأبيض اجتماعاً منظّماً بعناية لأحد مجالس الأعمال المشكَّلة حديثاً، هو منتدى الرئيس السياسي والاستراتيجي، الذي يتضمّن مجموعة من المديرين التنفيذيين الكبار ورجال الأعمال المتنفذين، جُمعتْ بواسطة رئيس بلاكستون ستيفن شوارزمان .وكان الفضل في تنظيم الحدث، الذي تضمَّنَ برنامج عمل دقيقاً، وتنظيماً لأماكن الجلوس وتقديم الشخصيات، وتوزيع هدايا قيّمة، يعود إلى شوارزمان أكثر مما كان يعود إلى البيت الأبيض .لكن ترامب أبلى به بلاء حسناً واستمتع به كثيراً .وسرعان ما ستبدأ كيليان كونواي، بتذمُّرها المتكرر، وبالأخص من ضعف اهتمام وسائل الإعلام بهذا النوع من الأحداث، أي جلوس ترامب مع رجال جدّيين والبحث عن حلول لمشكلات الأمة، رغم أنه يمثّل روح بيت الرئيس ترامب الأبيض.

كانت استضافة اجتماعات استشارية تتعلق بالأعمال واحدة من خطط كوشنر .وكانت مقاربةً مستنيرةً تُلهي ترامب عما كان كوشنر يعتبره أجندة يمينية

جاهلة .أما بانون، الذي كان يزادد ازدراءً لكوشنر، فقد كان يرى أن الغاية الحقيقية منها إتاحة الفرصة لكوشنر نفسه للّقاء بالمديرين التنفيذيين.

أظهر شوارزمان انجذاباً نحو ترامب بدا صدوره عن رجل أعمال من وول ستريت مدهشاً ومفاجئاً .رغم أن قلة من المديرين التنفيذيين للشركات الكبرى قد دعموه علناً، وأن الكثير من الشركات الكبرى، إن لم يكن كلها، كانت تخطط لانتصار هيلاري كلينتون، وكانت تستخدم مسبقاً فِرَقاً مختصة بالسياسة العامة على صلة بكلينتون، فضلاً عن وجود اعتقاد واسع من وسائل الإعلام بأن انتصار ترامب كان سيضمن حدوث حالة ذعر في السوق؛ فإن ثمة حماسة مفاجئة نشأت بين ليلة وضحاها .بيد أن معارضة البيت الأبيض للتنظيم الحكومي، والوعد بإصلاح ضريبي، قد رَجَحا على الفوضى التي قد يثيرها ترامب، عبر تغريداته التخريبية وعبر وسائل أخرى، فضلاً عن أن السوق لم تتوقف عن التحسّن منذ التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر، اليوم التالي للانتخاب .علاوة على ذلك، كان المديرون التنفيذيون في الاجتماعات الثنائية يتحدثون عن شعورهم الطيب حيال إطراء ترامب الفيّاض والبارع، وارتياحهم لعدم الاضطرار إلى التعامل مع فريق كلينتون العنيدة) ماذا يمكنكم أن تفعلوا من أجلنا اليوم؟ وهل يمكننا استخدام خطتكم؟.(

ومن الجانب الآخر، ورغم وجود مشاعر تزداد دفئاً لدى مجموعة المديرين التنفيذيين تجاه ترامب، كان هناك أيضاً قلق متنامٍ لدى الكثير من العلامات التجارية الكبرى من وجهة نظر مستهلكيها .لقد أصبحت علامة ترامب التجارية فجأةً الماركة الكبرى في العالم .آبل الجديدة، لكن على النقيض من آبل، كانت

مُزدراة من الجميع) على الأقل بين الكثير من المستهلكين الذين تسعى معظم الماركات الكبرى لخطب ودّهم.(

لهذا السبب، وفي صباح يوم التنصيب، استيقظ موظفو شركة أوبر (Uber)وهي شركةُ النقل التي كان مديرها التنفيذي آنذاك ترافيس كالانيك قد انضم إلى مجلس شوارزمان، ليجدوا أشخاصاً ملتصقين بالباب الأمامي لمقر إدارة الشركة في سان فرانسيسكو .كانت التهمة هي أن أوبر وكالانيك كانا يتواطآن على أمرٍ ما، يعاكس تماماً صورة الشركة التي تتطلع إلى حضور منتديات جدية مع الرئيس، كوسيلة للتأثير في الحكومة .كان المحتجون يعتقدون أنهم ينظرون إلى علاقة الشركة بترامب من منظار سياسي، لكنهم في حقيقة الأمر كانوا ينظرون إليها من منظار تقليدي يتمحور حول الرسالة التي تحملها علامةٌ تجاريةٌ ما، مركّزين على مدى عدم توافق أوبر مع ترامب .إن قاعدة زبائن أوبر فتية إلى حد بعيد، ومدنيةٌ، وتقدميةٌ؛ وهي، لهذا السبب، متنافرة مع قاعدة ترامب .لقد نظر جيل الألفية المهتم بالعلامات التجارية إلى هذا الأمر على أنه يتجاوز المساومة السياسية، وأنه جزءٌ من صدام ملحمي حول الهوية .لم يكن بيت ترامب الأبيض يمثّل الحكومة والمصالح المتنافسة وتطوير السياسات بقدر ما كان يمثّل، في عالم مدرك للعلامات التجارية، رمزاً ثقافياً ثابتاً ومكروهاً.

استقال كالانيك من المنتدى .وادّعى المدير التنفيذي لشركة ديزني، بوب إيغر، أنه كان منشغلاً عند عقد الاجتماع الأول للمنتدى.

بيد أن معظم أعضاء المجلس، عدا إيلون ماسك، المستثمر والمبتكر والمؤسس لشركة تيسلا) الذي سيستقيل لاحقاً(، لم يكونوا من الشركات

الإعلامية أو التكنولوجية، التي تتحلّى بميولٍ ليبرالية، بل من شركات الجيل القديم المحافظة، والمتحدّرة من زمنٍ كانت فيه أميركا عظيمة .وكان من ضمنهم ماري بارا، المديرة التنفيذية لجنرال موتورز؛ وجيني روميتي من آي بي إم؛ وجاك والش، المدير التنفيذي السابق لشركة جنرال إلكترونيك؛ وجيم ماكنيرني، المدير التنفيذي السابق لشركة بوينغ؛ وإندرا نووي من شركة بيبسي .إذا كان اليمين الجديد هو من انتخب ترامب، فإن المديرين التنفيذيين المئة الأهم بحسب مجلة فورتشن كانوا هم من يُدخلون السرور إلى قلبه.

حضر ترامب الاجتماع مع كامل حاشيته، الدائرة التي بدت أنها كانت تنتقل معه كظله، بمن فيها بانون وبريبوس وكوشنر وستيفن ميلر ورئيس المجلس الاقتصادي الوطني جاري كوهن؛ لكنه أدار بنفسه كامل الاجتماع .تحدَّث كل شخص من الجالسين حول الطاولة خمس دقائق، متناولاً نقطة اهتمام معنية، ومن ثم طرح ترامب أسئلة تفصيلية .بدا أنه لم يكن متحضراً على نحو خاص، إن لم نقل كلياً، لأي من الموضوعات التي بُحثت، لكنه طرح أسئلة مرتبطة بأشياء أراد معرفة المزيد عنها، ما جعل الاجتماع نقاشياً وسلساً .وقد لاحظ أحد المديرين التنفيذيين أن ذلك بدا وكأنه الطريقة التي يفضّلها ترامب للحصول على المعلومات، حيث يتحدث عن الأمور التي تهمُّه، ويجعل الآخرين يتحدثون عن اهتماماته.

استمر الاجتماع ساعتين .من وجهة نظر البيت الأبيض، كان ترامب هنا في أفضل حالاته .كان يشعر بأقصى درجات الارتياح حيال الأشخاص الذين

يحترمهم ويحترمونه بدورهم، على ما يبدو؛ وكانوا أولئك أكثر الناس احتراماً في البلد، في نظر ترامب.

وأصبح ذلك هدف طاقم الموظفين، أي إيجاد ظروف يكون فيها مرتاحاً، وإنشاء شيء من فقاعة، تحميه من عالم خبيث .وحاولوا تكرار هذه الصيغة بعناية، ترامب في البيت البيضاوي، أو في قاعة احتفال أوسع في الجناح الغربي أمام جمهور مطيع وودّي، مع فرصة دعائية لالتقاط الصور .غالباً ما كان ترامب مدير مسرحه الخاص في هذه المناسبات، موجّهاً الناس على سجيّته.

***

تملك وسائل الإعلام مصفاة حذرة، وانتقائية، عندما يتعلق الأمر بتصوير الحياة الحقيقية في البيت الأبيض .لا يتعرَّض الرئيس والأسرة الأولى، عادة للنوع نفسه من ملاحقة الباباراتزي التي تُنتج في وسائل إعلام المشاهير صوراً سيئة، أو محرجة أو ساخرة، أو تخمينات لا تنتهي حول حياتهم الخاصة .حتى في أسوأ الفضائح، لا يزال الرئيس يُمنَح المظهر الرسمي لرجل أعمال ببدلة وربطة عنق . بيد أن المشاهد الهزلية الرئاسية التي تُعرَض في برنامج» ستارداي نايت لايف« (Saturday Night Live)تبدو مضحكة جزئياً، لأنها تلعب على اعتقادنا بأن الرؤساء في الواقع أشخاص منضبطون ومحافظون، وتمشي أُسَرهم على مسافة غير بعيدة خلفهم، بانضباط وبرود .تقول الطرفة عن نيكسون إنه كان متوتراً على نحو مثير للشفقة وحتى في ذروة فضيحة ووترغيت، ورغم إفراطه في الشرب، ظل مرتدياً معطفه وربطة عنقه، راكعاً يصلي .وبدا جيرالد فورد الذي تعثَّر لدى خروجه من الطائرة الرئاسيةAir Force One ، في صورة مضحكة

بعيدة عن الوضعية الرئاسية الرسمية .أما رونالد ريغان، فقد ظلّ يمثّل الصورة الحذرة التي تعكس الهدوء والثقة، حتى في خضمّ بداية معاناته مع مرض الزهايمر وصُوّر بيل كلينتون، بالرغم من التصدُّع الأعظم الذي لحق باللياقة الرئاسية في عصره، دائماً كرجل ممسك بزمام الأمور .وسمحت وسائل الإعلام لجورج بوش الابن، رغم افتقاده للالتزام، بأن يُقدَّم كرجل مسؤول إلى حد بعيد . أما باراك أوباما فقد صُوّر على نحو دائم، ولعل ذلك لم يكن في صالحه، كشخص متفكّر وجدّي وعاقد العزم .يعود ذلك جزئياً إلى التحكم المفرط بالصورة، لكنه ناتج أيضاً عن الاعتقاد بأن الرئيس هو الرجل التنفيذي الأول، أو لأن الأسطورة الوطنية تتطلَّب منه أن يكون كذلك.

في الواقع، كان هذا هو نوع الصورة التي عمل دونالد ترامب على إظهارها خلال معظم حياته المهنية .وصورته تمثّل رجل أعمال مثاليّاً من الخمسينات . إنه يطمح إلى أن يبدو كوالده أو، في أي حال، ألا يؤثر على صورة والده .من الصعب تخيُّله من دون بدلة وربطة عنق، باستثناء الأوقات التي يكون فيها مرتدياً زي الغولف، لأنه في معظم الأوقات لا يظهر من دونهما .إن اللياقة الشخصية، أي القامة المنتصبة والمظهر اللائق، هي إحدى نقاط هوسه .لا يشعر ترامب بالارتياح عندما يكون الرجال حوله من دون بدلات وربطات عنق . الرسميةُ والتقاليدُ تمثّلان جزءاً أساسيّاً من شخصيته .فقبل أن يصبح رئيساً كان الجميع تقريباً ممن لا يتمتعون بشهرة كبيرة أو يمتلكون مليار دولار، ينادونه »السيد ترامب .«العفوية عدو التكلُّف .ومظهره المتكلّف كان يعني أن اسم ترامب يرمز إلى السلطة والثروة والبروز.

في الخامس من شباط/فبراير، نشرت النيويورك تايمز قصة من داخل البيت الأبيض تقول إن الرئيس، بعد أسبوعين من بدء ولايته، كان يمشي بغضب في ساعة متأخرة من الليل مرتدياً رداء الحمام، غير قادر على تشغيل مفاتيح الأنوار؛ لقد انهار ترامب .اعتبر الرئيس ذلك، وكان مصيباً في اعتقاده، طريقةً لتصويره كشخص يفقد أعصابه، مثل نورما ديزموند في فِلم» جادة غروب الشمسSunset Boulevard «، حيث تكون نجمة آفلة بل خَرِفة تعيش في عالم خيالي) .كان هذا هو تفسير بانون لصورة التايمز عن ترامب .وسرعان ما تبنّى الجميع في البيت الأبيض تفسيره هذا .(لا شك في أن ذلك كان مسألة إعلامية . لقد كان يُعامَل بطريقة لم يلْقَها أي رئيس من قبل.

وهذا لم يكن مجافياً للحقيقة .كانت النيويورك تايمز، في سياق جهودها لتغطية رئاسةٍ كانت تجدها بصراحة شاذة، قد أضافت إلى متابعتها للبيت الأبيض شكلاً جديداً إلى حد ما من التغطية .فإلى جانب تسليط الضوء على تصريحات البيت الأبيض، فاصلةً الغثَّ عن السمين، أبرزت الصحيفة أيضاً)غالباً في الصفحة الأولى (مدى عبثيّة وتفاهة الوضع، وكونه يعبّر عن مجرّد طبيعة بشرية صرفة .حوَّلتْ هذه القصص ترامب إلى أضحوكة .وسيصبح المراسلان الصحفيان المرتبطان بهذا النوع من التغطية ارتباطاً شبه دائم ماغي هابيرمان وجلين ثراش، جزءاً من لازمة ترامب المتكررة حول محاولة وسائل الإعلام النيل منه .بل سيصبح ثراش شخصية ثابتة في مشاهد برنامج» ستارداي نايت لايف «التي تسخر من الرئيس وأولاده ومسؤوله الصحفي شون سبايسر، ومستشاريْه بانون وكونواي.

رغم أن الرئيس خيالي في وصفه للعالم، كان واقعياً جداً في نظرته إلى نفسه . ولهذا السبب دحض تلك الصورة عنه كشخص نصف خَرف أو متجوّل مشوَّش وغاضب في البيت الأبيض منتصف الليل، من خلال الإصرار على أنه لم يكن يمتلك رداء حمام.

»هل أبدو كواحد من الرجال الذين يلبسون رداء حمام، حقاً؟ .«هذا ما قاله لمعظم من تحدَّث معهم خلال الساعات الثماني والأربعين التالية» .جدّياً، هل يمكنك أن تتخيَّلني في رداء حمام؟.«

من سرَّب هذه القصة؟ يرى ترامب أن تفاصيل حياته الشخصية قد أصبحت فجأةً مسألة تستحق اهتماماً أكبر كثيراً من جميع أنواع التسريبات الأخرى.

وسرَّب مكتب النيويورك تايمز في واشنطن، الواقعي بدوره والقلق بشأن احتمال عدم وجود رداء حمام، أن بانون كان هو مصدر القصة.

وكان بانون، الذي ولّد انطباعاً عن نفسه بأنه صمتٌ للغاية، قد أصبح أيضاً صوتاً عميقاً للغاية :حنجرة الجميع العميقة .كان ذكياً وحاداً ومعبّراً، يتيح له حذره النظري إطلاق تعليقاتٍ مستمرّة وشبه علنيّة تفضح ادّعاءات معظم الأشخاص الآخرين في البيت الأبيض وغباءهم وفقدانهم للجديّة .وبحلول الأسبوع الثاني من رئاسة ترامب، بدا جميع مَنْ في البيت الأبيض أنهم يملكون لائحتهم الخاصة من المسرّبين المحتملين، ويبذلون أقصى جهودهم للمبادرة إلى التسريب قبل أن ينال التسريب منهم.

ولكن لعل ترامب نفسه كان مصدراً محتملاً آخر للتسريب حول حالته القلقة في البيت الأبيض .ففي اتصالاته خلال النهار، ومن سريره في الليل، غالباً ما تحدَّث مع أشخاص لم يكن لديهم أي سبب للحفاظ على أسراره .كان نهراً من الشكوى والامتعاض، بما في ذلك شكواه من مدى قذارة البيت الأبيض عند معاينته عن قُرب .وقد نشر مستقبلو اتصالاته أمثلة على شكاويه فوراً في عالم الشائعات العديم الرحمة والمتنبّه على الدوام.

***

في 6 شباط/فبراير، أجرى ترامب واحداً من اتصالاته الهاتفية الغاضبة والراثية للذات، من دون الانتباه إلى مدى موثوقية شخص يعرفه معرفة عابرة من وسيلة إعلامية في نيويورك .ولم يكن للاتصال غاية مفهومة أخرى سوى التعبير عن مشاعره الحانقة حيال الازدراء المتواصل لوسائل الإعلام، وعدم إخلاص موظفيه.

كان المستهدَف الأولي لغضبه هو صحيفة النيويورك تايمز ومراسلتها الصحفية ماغي هابيرمان، التي وصفها ب» المعتوهة .«كما نعتَ جايل كولينز، التي كتبت عموداً قارنت فيه بطريقة غير إيجابية ترامب مع نائب الرئيس بينس، ب»الغبيّة .«لكنه تحوَّل بعد ذلك، مواصلاً الحديث عن وسائل الإعلام التي يكره، إلى السي .إن .إن، وعدم إخلاص رئيسها، جيف زاكر، الذي» صنعه ترامب«)هكذا تحدَّث ترامب عن نفسه، بصيغة الغائب(، والذي صادق على برنامج »المتدرّب (The Apprentice) «بصفته رئيساً لمحطة إن .بي .سي .كان ترامب »شخصياً «هو من منح زاكر وظيفته في السي .إن .إن،» أجل أنا فعلت ذلك.«

ثم كرّر قصة أخبرها بهوس لمعظم من تحدَّث معهم .تقول القصة إنه ذهب إلى عشاء لم يكن يتذكَّر أين، وأنه جلس إلى جانب» سيد لطيف يُدعى كينت«. لا شك أنه فيل كينت، الرئيس التنفيذي السابق لشركة تيرنر برودكاستينغ، فرع »تايم وورنر «الذي كان يشرف على محطة السي .إن .إن،» وكان يملك لائحة من أربعة أسماء .«ثلاثة منهم لم يسبق أن سمع بهم ترامب، لكنه كان يعرف جيف زاكر من خلال برنامج المتدرّب» .كان زاكر الرقم أربعة على اللائحة، لذا أقنعتُه بأن يصبح الرقم واحداً .ربّما لم يكن يجدر بي فعل ذلك، لأن زاكر ليس ذلك الذكي، لكنني أحب أن أُظهر أن بوسعي فعل مثل هذا النوع من الأشياء .«لكن زاكر،» وهو رجل سيئ جداً قام بعمل فظيعٍ جداً«، انقلب بعد أن منحه ترامب الوظيفة، وقال إنه، في الواقع،» أمر مقزز على نحو غير معقول«، قاصداً بذلك »الملف «الروسي وقصة» الدُش الذهبي«، وهي الممارسةُ التي اتّهمته السي .إن .إن بالمشاركة فيها في جناح فندق بموسكو مع مومسات متنوّعات.

وبعد الانتهاء من زاكر، انتقل الرئيس إلى التخمين بشأن» الدش الذهبي « وكيف كان كل ذلك مجرد جزء من حملة إعلامية لن تنجح أبداً في إخراجه من البيت الأبيض .فلأنهم كانوا فاشلين حاقدين ويكرهونه بسبب انتصاره، عمدوا إلى نشر أكاذيب صرفة، أشياء مُختلَقة مئة في المئة، غير صحيحة كلياً، مثل غلاف مجلة تايم في ذلك الأسبوع.) وقد ذكَّرَ ترامب مستمعيه بأنه ظَهرَ على غلاف تايم أكثر من أي شخص آخر في التاريخ(، الذي أظهر ستيف بانون، وهو شخص طيب، يقول إنه هو الرئيس الحقيقي .فسأل ترامب مستمعيه» :ما هو حجم التأثير الذي يملكه، باعتقادكم، ستيف بانون عليّ؟ .«وبعد تكرار السؤال

مجدداً، كرَّر الإجابة» :صفر !صفر «!وكان هذا ينطبق على صهره أيضاً، الذي كان بحاجة إلى تعلُّم الكثير.

وقال ترامب، الذي لم يكن يبحث عن تأكيد أو حتى عن رد، إن وسائل الإعلام لم تكن تؤذيه فحسب، بل كانت تؤذي قدراته التفاوضية أيضاً، الأمر الذي كان يُلحق الضرر بالأمة .والأمر نفسه ينطبق على برنامج» ستارداي نايت لايف«، الذي قد يظن أنه كان مضحكاً جداً، لكنه في واقع الأمر كان يؤذي كل من في البلد .ورغم تفهُّمه حقيقة أن البرنامج المذكور وُجد ليكون لئيماً معه، إلا درجة لؤم العاملين في البرنامج حياله كانت غير معقولة .كان ذلك» مسرحية هزلية مزيّفة .«وكان ترامب قد راجع المعاملة التي تلقاها جميع الرؤساء الآخرين في وسائل الإعلام، لكنه لم يجد شيئاً شبيهاً بهذه المعاملة، حتى مع نيكسون الذي عومل بشكل بعيد جداً عن الإنصاف» .لقد وثّقتْ كيليان، وهي نزيهة جداً، كل هذا .بوسعكم الاطلاع عليه.«

ومضى ترامب في كلامه قائلاً إنه في ذلك اليوم بالذات وفَّر 700 مليون دولار على شكل وظائف، كانت ستذهب إلى المكسيك .لكن وسائل الإعلام كانت تتحدث عنه في رداء الحمام، الذي» لا أملكه لأنني لم أرتدِ يوماً رداء حمام .ولن أرتدي واحداً منه أبداً، لأنني لست ذلك النوع من الأشخاص .«وما كانت وسائل الإعلام تفعله هو تقويض هذا البيت المبجَّل، و»الكرامة فائقة الأهمية .«لكن مردوخ، »الذي لم يتصل به، ولا مرة واحدة«، أصبح يتصل به طوال الوقت .وهذا يجب أن يَشيَ للناس بشيء ما.

استمرَّ الاتصال ستّاً وعشرين دقيقة.

163

الفصل السابع

روسيا

حتى قبل وجود سبب وجيه للاشتباه بسالي ييتس، كانت الشكوك تدور حولها .فقد ورد في تقرير الانتقال بأن ترامب لن يُحبّذ قرار تسلُّق هذه السيدة)ذات السنوات الخمس والستين، والتي ولدت في أتلانتا، وتخرجت محامية في جامعة جورجيا، وعملت في وزارة العدل (السلَّمَ، لتتدرّج إلى منصب مدّعية عامّة بالوكالة .هناك سمات معيَّنة تميّز الأشخاص الذين يعملون مع أوباما، سمات تظهر من خلال طريقة سيرهم وتصرُّفهم، نوع من الفوقية يتمتعون بها . إنها من النسوة اللواتي يثرن أعصاب ترامب، ويملكن معلومات سرية، وهنّ

مختلفات عن النسوة اللواتي يتوافقن مع هيلاري .علماً أنه في مرحلة لاحقة، سيصار إلى تعميم هذا الرفض ليشمل كلّ النسوة العاملات في وزارة العدل.

كانت هناك فجوة أساسية ما بين ترامب والموظفين الحكوميين .فقد كان ترامب قادراً على فهم السياسيين، لكنّه كان يواجه صعوبة في التعامل مع الموظفين البيروقراطيين، وطباعهم ودوافعهم .لم يستطع أن يفهم ما الذي يريدونه .لِم قد يرغبون شأنهم شأن أي امرىء أن يكونوا موظفين حكوميين دائمين» .ما المبلغ الأقصى الذي يمكنهم أن يتقاضوه؟ ألفا دولار؟ «سأل بنوعٍ من الاستغراب.

كان بالإمكان التغاضي عن منح ييتس منصب المدعية العامة بالوكالة، ومنحه للمرشح لهذا المنصب، جيف سيشنز، حتى ولو استلزم ذلك الانتظار للحصول على موافقة مجلس الشيوخ .ولم يمضِ وقت طويل حتى استشاط ترامب غيظاً، لأنه لم يجرِ تجاهلها .ولكنها كانت المدعية العامة الفعلية؛ وقد وافق عليها مجلس الشيوخ، ولا بدّ وأن يحظى الشخص الذي يشغل هذا المنصب بموافقة مجلس الشيوخ .وبالرغم من أن ييتس قد شعرت وكأنها مسجونة ضمن أرض عدوّة، قبلت هذه الوظيفة.

وفي هذا الإطار، وجرّاء المعلومات اللافتة التي قدّمتها إلى مستشار البيت الأبيض دون ماكغان خلال الأسبوع الأول من عملها في هذه الإدارة، وقبل أن ترفض خلال الأسبوع الثاني من عملها تطبيق قرار الهجرة، الذي أدّى إلى طردها فوراً، بدت وكأنها مشبوهة وغير مرغوبة.

وقد أنكر مستشار الأمن القومي المعتمد حديثاً، مايكل فلين، التقارير التي وردت في صحيفة واشنطن بوست عن حوار دار بينه وبين السفير الروسي سيرجي كيسلياك .وقال، لقد تبادلنا التحية فحسب .وأكد للفريق الانتقالي، ولنائب الرئيس المنتخب» بينس «وسواهم، عدم التطرق إلى موضوع العقوبات التي فرضتها حكومة أوباما على الروس، وهو تأكيد لطالما ردّده بينس علناً.

أطلعت ييتس البيت الأبيض على أن الحوار الذي دار بين فلين وكيسلياك كان جزءاً من مجموعة غير مقصودة من التسجيلات المسموحة، أي إن محكمة مراقبة الاستخبارات الأجنبية السرية قد سمحت بالتنصت على السفير الروسي؛ وقد سجلت عن غير قصد، الاتصال الذي دار بينه وبين فلين.

وقد ساءت سمعة محكمة مراقبة الاستخبارات الأجنبية بعد التصريحات التي أدلى بها إدوارد سنودن، والتي جعلت المحكمة تبدو، ولفترة مقتضبة، أشبه بوحش مفترس مسلّط على الليبراليين الذين استاءوا من انتهاكات الخصوصية . أما الآن، فقد كانت هذه المحكمة تشهد لحظة حسم أخرى، ولكنها باتت صديقة للّيبراليين، الذين أملوا في أن يستخدموا التسجيلات الصوتية» غير المقصودة « تلك كطريقة لربط معسكر ترامب بمؤامرة شاملة مع روسيا.

باختصار، فإن كلاّ من ماكاغن وبريبوس وبانون، الذين كانت لهم شكوكهم حول صدقية فلين وأمانته - وإخفاقه، بحسب ما قال بانون - قد تحدّث عن الرسالة التي نقلتها ييتس .سُئل فلين مجدداً عن هذه المكالمة الهاتفية مع كيسلياك، وقيل له إنه قد يكون هناك تسجيل لهذه المكالمة .ومجدداً، سخر من

هذا الكلام، وأكد أن الحديث الذي دار كان محادثة لها دلالات حول أي موضوع مطروح.

ففي إحدى وجهات النظر التي عمّت البيت الأبيض، بدت تصريحات ييتس وكأنها» اكتشفت أن زوج صديقتها يخونها، فقرّرت أن تشي عملاً بمبدأ رفض الخيانة.«

وما أخاف البيت الأبيض أكثر هو الكيفية التي تمكَّنت ييتس من خلالها من التقاط اتصال فلين، بكلّ مهارةٍ وبشكلٍ انتقائي ملائم، هذا مع العلم أن أسماء المواطنين الأميركيين يُفترض أن تبقى» مخفيّة «في مجموعات التنصُّت غير المقصودة، وبالرغم من أن عمليات الكشف عن الأسماء تمرّ بسلسلة من الإجراءات المعقدة .ومن هنا، يؤكد تقريرها أن التسريبات التي وصلت إلى صحيفة البوست حول هذه التسجيلات، صادرة أيضاً عن مكتب التحقيقات الفيدرالي(FBI) ، أو عن وزارة العدل، أو عن مصادر أوباما داخل البيت الأبيض، وهي جزء من نهر التسريبات المنساب، والذي يبدو أنه يحبّ التوجه نحو كل من صحيفتي التايمز والبوست.

وفي تقييم للرسالة التي قدّمتها ييتس، رأى البيت الأبيض أن هذه المشكلة تصب في إطار المشكلات مع فلين، والتي غالباً ما يصعب حلّها، أكثر من كونها مشكلة مع ييتس، أو تهديد من قبلها .فوزارة العدل، وطاقمها الكبير، والمدعون العامون الذين يميلون نحو أوباما، يتنصّتون على فريق ترامب.

***

»هذا غير عادل«، قالتها كيليان كونواي، وهي تجلس في مكتبها غير المؤثث في الطابق الثاني، متحدّثة عن مشاعر الرئيس المجروحة» :هذا غير عادل .هذا غير عادل البتة .لقد خسروا .لم يربحوا .هذا غير عادل .لذا، لا يريد رئيس الولايات المتحدة الأميركية التحدث عن الموضوع.«

لم يكن في البيت الأبيض من يودّ التحدث عن الموضوع، ولم يفوّض أي شخص للحديث عن روسيا .فالموضوع الذي كان من شأنه، وحتى قبل الدخول إلى البيت الأبيض، أن يستحوذ على العام الأول من إدارة ترامب، كان مرفوضاً . لم يكن أحد مستعداً للتعامل معه.

»ما من داعٍ للتحدث عن هذا الموضوع«، قالها شون سبايسر، وهو يجلس على الأريكة في مكتبه، وقد شبك يديه بحزم .قال مجدداً، وبعناد» :ما من داعٍ للتحدث عن هذا الموضوع.«

من جهته، لم يشبّه الرئيس ما يجري بكتابات» كافكا«، بالرغم من أنه قد يفعل .فقد اعتبر أن قصة روسيا فارغة، وغير قابلة للتفسير، ولا تستند إلى أي أساس فعليّ؛ وهي مجرد محاولة لاستدراجهم إلى نزاع.

سبق لهم أن نجوا من فضيحة بيلي بوش أثناء حملة الترشح للرئاسة، علماً أن أحد المقربين من ترامب قد ظنّ آنذاك بأنهم سيتخطون تلك الفضيحة، وها هم اليوم يواجهون فضيحة روسيا .وبعد الإهانة التي وجهها ترامب إلى النساء في معرض حديثه مع بيلي بوش، بدا أن فضيحة روسيا هي السلاح الوحيد المتبقي لهم .لكن ما هو غير عادل هو أن المسألة مازالت مستمرة، وقد أخذها الناس على محمل الجدّ، لسبب مبهم، في حين أنها في الواقع ...ليست بالشيء المهم.

إنه تأثير وسائل الإعلام.

ألف البيت الأبيض بسرعة الفضائح التي يروّجها الإعلام، كما أَلِفَ انتهاءها سريعاً .إلا أن هذه الفضيحة، استمرّت، على نحو مثير للخيبة.

إذا كان هناك أي دليل، لا على تحيّز وسائل الإعلام فحسب، بل على نيتها تدمير الرئيس، بحسب رأي المقرّبين من ترامب، فإن مسألة روسيا هذه، هي خير دليل على ذلك، ناهيك بعنوان صحيفة واشنطن بوست» :اعتداء روسيا على نظامنا السياسي») .«هذا ليس بعدل، هذا ليس بعدل، لكن لم ينجم عن هذا الكلام أي تغيير في التصويت«، بناء على كلام كونواي .(هذا تصرف ماكر .كان وقع هذه الحادثة عليهم، وبالرغم من أنهم لم يذكروا ذلك، أشبه بالمؤامرات السوداء الخاصة بكلينتون، والتي كان الجمهوريون يتهمون الليبراليين بالوقوف وراءها، وهي :وايت ووتر، بنغازي، وفضيحة الإيميلات .كانت مقالة استحواذية تؤدي إلى تحقيقات، تفضي بدورها إلى مزيد من التحقيقات، وإلى المزيد من التغطيات الإعلامية الاستحواذية التي لا مفرّ منها .هذه هي السياسة الحديثة : مؤامرات دموية توشك على تدمير الأشخاص والوظائف.

حين جرت مقارنة فضيحة كونواي بفضيحة وايت ووتر، لم تتطرّق كونواي إلى موضوع المقالات الاستحواذية والهوس الواضح فيها، بل بدأت فوراً بالتحدث عن التفاصيل المتعلقة بويبستر هابل، وهو شخصية منسية كانت مرتبطة بقضية وايت ووتر، وعن تورُّط شركة روز للمحاماة من أركنساس، التي كانت هيلاري كلينتون شريكة فيها .كان الجميع يصدّقون المؤامرات التي يحيكها الطرف

الذي يدعمونه، فيما كانوا يرفضون بشكل كلي وعن وجه حق، المؤامرات الموجّهة ضدهم .فإطلاق صفة المؤامرة على موضوع ما، معناه غضّ الطرف عنها.

أما بانون، الذي عمد بدوره إلى الترويج لعدد من المؤامرات، فقد أزال شائعة روسيا من التداول بقوله» :إنها مجرد نظرية مؤامرة«، وأضاف أن فريق ترامب غير قادر على إحاكة المؤامرات حول أي موضوع كان.

***

جاءت قصة روسيا، التي جرى تداولها بعد أسبوعين من وصول الرئيس إلى سدّة الرئاسة، لترسم خطاً فاصلاً مع كلّ طرف يرى أنّ الطرف الآخر يروّج لأخبار مزيفة.

أجمعت الغالبية الساحقة في البيت الأبيض على أن هذه القصة قد ابتُكرت على أسس ضعيفة، وغير معقولة، ومحيّرة :لقد اتفقنا مع الروس على الانتخابات، آه يا إلهي !فالعالم المناهض لترامب، ولاسيما الإعلام المناهض له، قد رأى أن هذه القصة من شأنها أن تُحدث تأثيراً كبيراً وتُعتمد.

نظرت وسائل الإعلام إلى هذا الموضوع على أنه الرصاصة التي من شأنها أن تؤدّي إلى إبادة ترامب، ونظر إليه أتباعه في البيت الأبيض بشيء من الحسرة، على أنه محاولة يائسة لاختلاق فضيحة، لكن هذه القصص كانت تعني أيضاً أن هناك مقداراً لا بأس به من الأموال التي تُدفع بدهاء.

فالديمقراطيون في مجلس النواب لهم كلّ المصلحة في الإصرار، كما حدث في فضيحة بنغازي، على مقولة» :لا دخان من دون نار،) حتى ولو كانوا يسعون

جاهدين لصب الزيت على النار(، وعلى استخدام التحقيقات كمنتدى يهدف إلى الترويج لرأي الأقلية) وكمنصة للأعضاء كي يروّجوا لأنفسهم.(

أما الجمهوريون في مجلس النواب، فقد كانت هذه التحقيقات ورقة يلعبونها لمواجهة حقد ترامب وتصرفاته التي لا يمكن توقّعها .فالدفاع عنه) أو حتى ملاحقته (قد منح الجمهوريين مصدرَ قوةٍ جديداً في تعاملهم معه.

وبدورهم، نظر القيمون على الاستخبارات، بمختلف قطاعاتها المنفصلة، بارتياب إلى ترامب، تماماً كما هي عليه حال أي رئيس قادم، وخشوا من خطر التسريبات، فسعوا إلى حماية مصالحهم.

ومن هنا، قامت كل من المباحث الفيدرالية ووزارة العدل بتقييم الأدلة، والفرصة المتوفرة، من خلال نظرتها الخاصة إلى الاستقامة المهنية والحرفية في العمل) .قال أحد مساعدي ترامب» :تضجّ وزارة العدل بالمدعيات العامات اللواتي يكرهنه، تماماً كما تكرهه ييتس«، وكانت له نظرة متحيّزة جندرياً بشكلٍ لافت إلى التحدي القائم.(

إذا كانت السياسة تتمحور حول اختبار قوة خصومك، وتبصّرهم وقدرتهم على الاحتمال، فإن هذه المسألة، وبغض النظر عن وقائعها التجريبية، تُعدّ اختباراً ذكياً، يتضمّن عدداً من الأفخاخ التي قد يقع فيها الكثيرون .فقد أثبت الواقع، وبأشكال مختلفة، أن الموضوع لم يكن متمحوراً حول روسيا، بل حول القوة، والتبصّر والثبات، وهي الصفات التي بدا أن ترامب يفتقر إليها .فالضرب على الوتر نفسه حول جريمة محتملة، وحتى ولو لم يكن هناك جريمة فعلية أو خرق واضح للقانون،) لم يكن أحد يشير إلى عمل إجرامي معيّن أو مؤامرة

إجرامية(، من شأنه تشكيل ذريعةٍ ما، قد تتحوّل فيما بعد إلى جريمة، أو إلى إثارة عاصفة من الغباء والجشع.

»يبحثون عن كل ما سبق لي أن قلته، ويضخّمونه .«عبارةٌ قالها الرئيس خلال الأسبوع الأول من وصوله إلى سدّة الرئاسة، خلال اتصال في وقت متأخر من الليل .وأضاف قائلاً» :يبالغون في كل شيء، حتى إنهم يبالغون في مبالغاتي.«

****

تحدث فرانكلين فوير، المحرّر السابق في صحيفة» نيو ريبابليك «والمقيم في واشنطن، عن مؤامرة بين ترامب وبوتين في الرابع من تموز/يوليو2016 ، نشرها في مجلة سلايت .(Slate) في مقالته، تطرّق فوير إلى الارتياب الذي استحوذ فجأة على وسائل الإعلام والاستخبارات السياسية :فترامب، هذا المرشح غير الجدّي، أصبح، بشكل غير مفهوم، مرشحاً جدياً .وبالنظر إلى عدم جديته السابقة، وتصرفاته العفوية، استطاع رجل الأعمال المتبجّح هذا، بإفلاساته، وكازينوهاته، ومسابقات الجمال التي يرعاها، أن يتفادى الخضوع لتحقيق جدّي .يرى مؤيّدو ترامب، الذين رافقوه خلال الأعوام الثلاثين التي سعى خلالها إلى لفت الانتباه، والذين تبوّؤا مناصب في الصحافة، أن صفقات العقارات في نيويورك تتَّصف بالقذارة، وتنسحب الصفة نفسها على استثمارات مدينة أتلانتيك، وخطوط ترامب الجوية، ومشروع» مارآلاغو«، ومسارات الغولف، والفنادق .لم يكن أي مرشح منطقي قادر على تخطّي واحدة من هذه الصفقات، فكيف بالحري كلها؟ لكن، وبشكل أو بآخر، جرى استثمار مقدار لا بأس به من الفساد في ترشيح

ترامب، وأضحى هذا الفساد فيما بعد المنصة التي يعتمد عليها .سأنجز لكم ما ينجزه أي رجل أعمال قوي لنفسه.

للاطلاع بشكل فعلي على فساده، لا بدّ من النظر إلى الموضوع من منظار أكبر، وقد أجاد فوير التطرق إلى ذلك.

قام فوير بتجميع خارطة طريق مفصَّلة لفضيحة لم تكن بعد قائمة، من دون أن يمتلك أي دليل فعلي، وجمع في تموز/يوليو كل الخيوط الظرفية والمحورية وعدداً من العناصر التي سيجري التطرق إليها على امتداد الأشهر الثماني عشرة المقبلة) .يجهل الناس ومعظم العاملين في وسائل الإعلام والسياسيين أن شركة فيوجن جي.بي.إسFusion GPS ، كانت قد عيّنت الجاسوس البريطاني السابق كريستوفر ستيل للتحقيق في وجود روابط بين ترامب والحكومة الروسية.(

كان بوتين يسعى إلى استنهاض النفوذ الروسي، وصدّ الخروقات التي يرتكبها الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو .فرفض ترامب معاملة بوتين على أنه أشبه بخارج عن العدالة، ناهيك بما بدا وكأنه إعجاب به .عنى هذا، بطبيعة الحال، أن ترامب يتوق إلى عودة النفوذ الروسي، بل إنه يروّج له.

ما الدافع إلى ذلك؟ ما الذي قد يكسبه سياسي أميركي حين يتملق فلاديمير بوتين علناً، ويشجّع ما ينظر إليه الغرب على أنه مغامرة روسية؟

النظرية الأولى :كان ترامب منجذباً إلى الرجال الأقوياء الاستبداديين .فقد تحدث فوير عن إعجاب ترامب بروسيا، بما في ذلك انخداعه بشخصٍ يُشبه

غورباتشوف كان يزور برج ترامب في ثمانينات القرن العشرين، وقصائده الكثيرة التي تحتوي على مغالاة غير ضرورية في مدح بوتين .وفي هذا الإطار، يبدو وكأن ترامب يعتمد المثل الشعبي القائل» :من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم .« فمصادقة رجال السياسة الذين يتمتعون بنفوذ جراء سماحهم بالفساد، يقربك أكثر من الفساد .وبالمثل، كان بوتين مشدوداً إلى الرجال الأشداء ذوي الشعبية الذين يشبهونه :ومن هنا، طرح فوير السؤال الآتي» :لِم لا يمنح الروس ترامب المساعدة السرية عينها التي أغدقوا بها على لوبين، وبرلسكوني وسواهما؟«

النظرية الثانية :كان ترامب جزءاً من مجموعة تضمّ شركاتٍ مشكوكٍ بأمرها، غذّت أنهراً من الثروات المشبوهة أُطلق لها العنان عبر الجهود الجمّة التي بُذلت لنقل الأموال، من روسيا والصين على وجه الخصوص، بعيداً عن أماكن الخطر السياسي .فهذه الأموال، أو أقلّه الشائعات المتعلقة بها، قد أضحت تفسيراً، حتى ولو كان مجرد تفسير ظرفي، لمحاولة تقييم مختلف الصفقات التجارية التي كان يقوم بها ترامب، والتي بقيت بعيدة عن الأنظار) .وفي هذا الإطار، هناك نظريتان متناقضتان :لقد أخفى هذه الصفقات لأنه لم يكن يرغب في الاعتراف بِنُدْرَتها، أو أنه أخفاها لستر خزيها .(ولما كان ترامب يفتقر إلى الصدقية، كان فوير ضمن كثيرين استنتجوا أن ترامب كان بحاجة إلى الاعتماد على مصادر أخرى، كالأموال المشبوهة، أو الأموال المرتبطة بأعمالٍ أو شروطٍ مشبوهة) .يمكن للعمل أن يجري على النحو الآتي :يُنشِىء عضو في حكومة القلّة استثماراً في صندوق استثمارات شبه شرعي تابع لطرف ثالث، وهذا الطرف يستثمر في أعمال ترامب .(وفيما يستطيع ترامب أن ينكر بشكل قطعي حصوله

على قروض، أو امتلاكه استثمارات في روسيا، نشير إلى عدم وجود أي شخص يدوّن تفاصيل الأموال المشبوهة في دفتر سجلاته.

وتأكيداً لهذه النظرية، ومع الإشارة إلى أن ترامب لم يكن يوماً دقيقاً جداً في عملية اختيار الأشخاص الذين يعملون معه؛ فقد أحاط نفسه بمجموعة من المزاحمين الذي يتمّون صفقاتهم الخاصة، ويساعدون أيضاً في إتمام صفقات ترامب .وقد حدّد فوير النقاط الآتية واعتبرها جزءاً من مؤامرة روسية محتملة:

•تيفافيك آريف، موظف روسي رسمي سابق، يدير مجموعة بايروك، وهو وسيط في أعمال ترامب المالية، ويشغل مكتباً في برج ترامب.

•فيليكس ساتر، مهاجر ولد في روسيا وسافر إلى منطقة برايتون بيتش في بروكلين، سبق أن قضى فترة في السجن بسبب قضية احتيال في عملية سمسرة بإدارة المافيا .وقد ذهب للعمل في شركة بايروك، وامتلك بطاقة تعرف عنه على أنه من كبار مستشاري دونالد ترامب) .حين ظهر اسم ساتر في العلن غير مرة، أكد ترامب لبانون أنه لم يكن حتى يعرفه.(

•كارتر بايج، مصرفي له سيرة ذاتية غير مطمئنة، قضى وقتاً في روسيا، وأعلن أنه مستشار شركة النفط التي تديرها الدولة، غازبروم .وقد ظهر اسمه ضمن اللائحة التي أعدّت على عجلة لمستشاري ترامب للسياسة الخارجية، واتضح فيما بعد أن وكالة الاستخبارات الأميركية تراقبه عن كثب، جراء الجهد الذي بذلته المخابرات الروسية لتسليمه) .في مرحلة لاحقة، أنكر ترامب أنه التقى بايج .وقد أشارت وكالة الاستخبارات الأميركية إلى أنها تظنّ أن الاستخبارات الروسية قد استهدفت بايج في محاولة لتسليمه.(

•مايكل فلين، الرئيس السابق لوكالة استخبارات الدفاع، الذي طرده أوباما لأسباب غير واضحة، ظهر كمستشار رئيسي لترامب للشؤون الخارجية؛ وعيّن فيما بعد مستشاراً للأمن القومي، ورافق ترامب في عدد كبير من الرحلات التي قام بها أثناء حملته، وقد تلقى في مرحلة سابقة من العام مبلغ $45000 لإلقائه خطاب في موسكو، وتم التقاط صورة له وهو يتناول العشاء مع بوتين.

•بول مانافورت، الذي بالإضافة إلى كونه مدير حملة ترامب، كان، وبحسب فوير، رجلاً نافذاً في السياسة، ومستشاراً جنى مبالغ طائلة من خلال تقديم النصح إلى فيكتور يانوكوفيتش، المدعوم من الكرملين، والذي ترشح لرئاسة أوكرانيا عام2010 ، ثم عُزِل عام2014 ، ليعود، فيعمل مع الأوليغاركي الروسي، ومع صديق بوتين أوليغ ديريباسكا.

وبعد مرور أكثر من عام، بات كلّ من هؤلاء الرجال جزءاً من الحلقة الإخبارية شبه اليومية المتعلقة بترامب وروسيا.

النظرية الثالثة :تمثّل الاقتراح الأمثل في أن يجتمع ترامب والروس، أو حتى بوتين لوحده، لإطاحة اللجنة الوطنية الديمقراطية.

النظرية الرابعة :تتعلّق بأولئك الذين يعرفونه أشد المعرفة، وهي نظرية يوافق عليها معظم داعمي ترامب .إنه رجل يحبّ التباهي .لقد نقل مسابقة الجمال إلى روسيا، لظنّه أن بوتين سيكون صديقه .إلا أن بوتين لم يكترث له .وفي النهاية، وجد ترامب نفسه في حفل العشاء المنتظر يجلس في الوسط قرب رجل يبدو وكأنه لم يستعمل الشوكة في حياته، وشخص آخر ضخم وغريب الشكل يرتدي قميص غولف .بعبارة أخرى، وبغض النظر عن الغباء الذي أبداه ترامب

وعن مدى تملّقه، وبالرغم من الريبة المحيطة بما يقوم به، فإن كلّ ما أراده هو بعض الاحترام.

النظرية الخامسة :كان الروس، الذين يملكون معلومات خطيرة عن ترامب، يبتزونه .فقد كان مرشحاً سهلاً في يد الروس يمكن غسل دماغه.

***

في 6 كانون الثاني2017 ، وبعد مرور ستة أشهر تقريباً على تاريخ كتابة فوير لمقالته، أعلن كل من وكالة الاستخبارات الأميركية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الأمن القومي الأميركية، الخلاصة المشتركة التي جرى التوصّل إليها» :في العام2016 ، أمر فلاديمير بوتين بإطلاق حملة تستهدف الانتخابات الرئاسية الأميركية .«فبالاستناد إلى ملفّ ستيل، أو ملف ترامب - روسيا، مروراً بالتسريبات الثابتة التي حصلت عليها وكالات الاستخبارات الأميركية، وشهادات قادة وكالات الاستخبارات الأميركية والمستندات التي قدموها، جرى التوصل إلى إجماع راسخ، مفاده أن هناك رابطاً شريراً، لا يزال قائماً على الأرجح، بين ترامب وحملته الانتخابية والحكومة الروسية.

وبالرغم من ذلك، اعتُبر هذا التفكير متفائلاً بعض الشيء في نظر خصوم ترامب» .فالفرضية الأساسية تعتمد على كون الجواسيس يقولون الحقيقة«، قالها الصحفي المخضرم في مجال المجتمع الاستخباراتي إدوارد جي إيبشتاين . »من تراه يعرف الحقيقة؟ .«وقد ساور القلق القيّمين في البيت الأبيض لا حيال المؤامرة، التي بدت غير قابلة للتصديق إن لم نقل هزلية، بل حيال الصفقات الفوضوية التي سيُبرمها ترامب) وكوشنر (في حال تكشّفت الأمور .ولدى التطرق

إلى هذا الموضوع، كان كل من كبار الموظفين يتنهّد بعجز، ويغطّي عينيه، وأذنيه وفمه.

أما المفارقة الغريبة، فهي أن جميع المعنيين قد أجمعوا لا على أن ترامب مذنب بكل ما اتهم به، بل على أنه مذنب في ما يتعلّق بالكثير من الأمور الأخرى أيضاً .فقد كان من الممكن جداً أن تؤدي الأمور المنطقية إلى وقائع قابلة للتصديق.

***

في 13 شباط/فبراير، وبعد مرور أربعة وعشرين يوماً على الإدارة الجديدة، أصبح مستشار الأمن القومي مايكل فلين الرابط الفعلي الأول بين روسيا والبيت الأبيض.

كان لفلين داعم واحد فقط في إدارة ترامب، هو الرئيس نفسه .فقد كانا أعزّ صديقين خلال الحملة، أشبه بالرفيقين الحقيقيين اللذين نشاهدهما في الأفلام .أما بعد حفل التعيين، فقد تحولت هذه العلاقة إلى صداقة لا تقف عند حدود .فمن جانب فلين، أسفرت هذه العلاقة عن مجموعة من حالات إساءة الفهم، وقد كانت هذه الحالات شائعة ضمن حلقة إدارة ترامب :فمدى حصولك على دعم الرئيس شخصياً، يحدد مكانتك في البيت الأبيض، كما أن مستوى الثناء الذي يغدقه عليك ترامب، هو مؤشر مقنع على العلاقة الوثيقة التي تربطك بالرئيس، وعلى أنك بنظره، وبنظر البيت الأبيض، قدير وصاحب نفوذ . وبسبب حبّه للجنرالات، أراد لفترة من الفترات تعيين مايكل فلين نائباً له.

تأثر فلين بالثناء الذي أغدقه ترامب عليه خلال الحملة، فقد كان ضابطاً متوسط الرتبة هش النفوذ؛ فأضحى أشبه بقرد ترامب الضاحك .فحين يقيم قدامى الجنرالات تحالفات مع المرشحين السياسيين، يصنّفون أنفسهم مزوّدو خدمات ووجوه تتمتّع بنوع خاص من النضج .إلا أن فلين أضحى داعماً مهووساً، وشكّل جزءاً من فريق مرافقة ترامب، وواحداً من المتشدقين والتواقين إلى الحشد لترامب .وقد ساعدته هذه الحماسة والولاء على اكتساب مكانة لدى ترامب، الذي كان يصغي إليه، فانهال عليه بنظرياته المعادية لوكالات الاستخبارات.

خلال الفترة الأولى من انتقال الحكم، حين بدا بانون وكوشنر لا يفترقان، اتفقا على بذل كل الجهود لإزالة فلين من الصورة، والحدّ من تأثير الرسائل المثيرة للجدل التي يوجهها .وفي نص فرعي في تقرير البيت الأبيض حول فلين، وهو نص أوحى به بانون، ورد أن وزير الدفاع ماتيس هو جنرال بأربع نجوم، في حين أن فلين جنرال بثلاث نجوم فقط.

وفي هذا الإطار، قال بانون» :أحبّ فلين، فهو يذكرني بعمومي .لكن هذا محور المشكلة، فهو يذكرني بعمومي.«

استخدم بانون هذه الذريعة التي تركت أثرها لدى الجميع باستثناء الرئيس، وذلك ليضمن حصوله على مقعد في مجلس الأمن القومي .كانت اللحظة، لكثير من القيّمين في مجلس الأمن القومي، لحظة مصيرية في إطار الجهود التي يبذلها قوميو الجناح الأيمن بهدف السيطرة على الحكم .إلا أن وجود بانون في الحكم كان مدفوعاً بالحاجة إلى مراقبة فلين المتهوّر، الذي ينتقد

الجميع في هيئة الأمن الوطني) .كان فلين» كولونيل في زيّ جنرال«، بحسب ما أفاد شخص رفيع المستوى في الاستخبارات.(

أما فلين، وتماماً كما كانت عليه العادة مع كل من هو حول ترامب، فقد كان مفتوناً بالفرصة التي ترافقت مع وجوده في البيت الأبيض، بغض النظر عن كلّ الاحتمالات .وبطبيعة الحال، كان يفاخر بذلك ويتصرف بتعالٍ.

في العام2014 ، جرى إخراج فلين من الحكومة، وقد ألقى اللوم في ذلك على أعدائه في وكالة الاستخبارات الأميركية .إلا أنه كان قد رتّب أموره في مجال الأعمال، وانضم إلى صفوف رجال حكومة سابقين، وأفاد من سياسة الحكومة الشاملة المنفتحة على الشركات والأموال، ومن المعارف التي اكتسبها في مجال الأعمال .وبعد أن حاول التقرب إلى عدد من الجمهوريين المرشحين لرئاسة الجمهورية، وثّق علاقته بترامب .كان كلّ من فلين وترامب مناهضين لمبدأ العولمة، أو على الأقل، كانا يظنان أن الولايات المتحدة تتعرض للخسارة بفعل العمليات الدولية .وبالرغم من ذلك، فتأثير المال واحد، وكان فلين يتقاضى بضع مئات من الآلاف سنوياً، إضافة إلى راتبه التقاعدي من منصبه كجنرال، وهو لم يكن يرفض أيّاً من هذه الأموال .وقد قام عدد كبير من الأصدقاء والمستشارين - بمن فيهم مايكل ليدين، وهو صديق قديم لفلين، ومعاد لإيران ولوكالة الاستخبارات الأميركية، والمؤلف المشارك في كتاب فلين، والذي باتت ابنته تعمل لصالحه اليوم - بنصح فلين بضرورة رفض الحصول على أموال من روسيا، أو من المهمات الاستشارية الأخرى المتعلقة بتركيا.

في الواقع، كان فلين يتّصف بالإهمال عينه الذي يتّصف به كلّ من هو في عالم ترامب، بما في ذلك الرئيس وعائلته .فقد كانوا يعيشون حياة مزدوجة . فبالرغم من أنهم كانوا ماضين قدماً في الحملة الانتخابية الرئيسية، إلا أنهم كانوا، يعيشون في عالم أكثر واقعيةً، لن يكون فيه ترامب أبداً رئيساً، بل سيمارس الأعمال كما كانت عليه الحال دوماً.

في بداية شباط/فبراير، أبدى أحد المحامين في إدارة أوباما والمقربين من سالي ييتس، ملاحظة في غاية الدقة؛ فقال» :إنه فعلاً لظرف غريب أن تعيش حياتك كلها من دون أن تفكر في أن تصبح رئيساً، ثم تصبح رئيساً؛ ويا لها من فرصة تتاح لأعدائك أيضاً.«

في هذا السياق، لم تكن الغيمة الروسية وحدها تحوم فوق الإدارة، بل ساد شعور بأن مجتمع الاستخبارات، الذي لا يثق بفلين ويلوم علاقته بترامب، يستهدف فلين .وفي البيت الأبيض، ساد شعور بأن هناك صفقة ما توضع على الطاولة :فلين مقابل التآلف مع المجتمع الاستخباراتي.

في الوقت عينه، وفي ما اعتبره البعض نتيجة لغضب الرئيس من التلميحات الروسية، ولاسيما تلك المتعلقة بملف ترامب - روسيا، بدا وكأن علاقة الرئيس مع فلين تتوطد أكثر، وقد أكد لمستشاره للأمن القومي، مراراً وتكراراً أنه يدعمه بشدة، وشدّد على أن الاتهامات التي توجّهها روسيا إليه وإلى فلين، هي مجرد نفايات .بعد طرد فلين، نُشر مقال في الصحف يصف الشكوك المتزايدة التي كانت تساور ترامب حيال مستشاره، إلا أن العكس هو الصحيح :فكلما ازدادت الشكوك حول فلين، أضحى الرئيس أكثر اقتناعاً بأن فلين هو حليفه الأهمّ.

***

من المرجّح أن يكون التسريب الأخير والأكثر قساوة الذي حدث أثناء ولاية مايكل فلين القصيرة، آتياً من المناهضين لمستشار الأمن القومي داخل البيت الأبيض أو من وزارة العدل.

فيوم الأربعاء 8 شباط/فبراير، قامت صحفية من صحيفة واشنطن بوست تدعى كارين دي يونغ، بزيارة لفلين صنّفت سرية .لم يلتقيا في مكتبه بل في الغرفة الأكثر زخرفة في مبنى مكتب أيزنهاور التنفيذي، وهي الغرفة عينها التي انتظر فيها الدبلوماسيون اليابانيون للقاء رئيس الوزراء كورديل هال، حين علم بالاعتداء على» بيرل هاربور.«

ظاهرياً، كانت هذه المقابلة عابرة، ولم يحدث فيها ما يستدعي الذكر، ولم تكن دي يونغ، تثير أي نوع من الشبهات، حتى عندما طرحت السؤال الآتي» :طلب إليَّ زملائي أن أطرحِ عليك هذا السؤال :هل تحدثت مع الروس بشأن العقوبات؟.«

أعلن فلين أنه لم يجرِ أي حديث من هذا القبيل، وأكد ذلك غير مرة . وسرعان ما انتهت المقابلة التي حضرها مسؤول في مجلس الأمن القومي والناطق الرسمي مايكل أنطون.

لكن، في وقت لاحق من ذلك اليوم، اتصلت دي يونغ بأنطون وسألته إن كانت تستطيع أن تستشهد بتصريح فلين .رأى أنطون أنه ما من سوء في ذلك .

ففي النهاية، يرغب البيت الأبيض أن يكون نكران فلين واضحاً؛ وأعلم فلين بما يجري.

وبعد ساعات، عاود فلين الاتصال بأنطون وقد ساورته بعض الشكوك حيال التصريح .اعتمد أنطون اختباراً واضحاً» :إن عرفت أن هناك شريطاً مسجّلاً بهذا الحديث، قد يخرج للعلن، فهل كنت لتظل متأكداً مئة في المئة من كلامك؟.«

راوغ فلين، وشعر أنطون فجأة بالقلق، فقال له إن لم يكن متأكداً مئة في المئة،» يمكنه أن يسحب كلامه.«

أما المقالة التي نشرت في اليوم التالي في صحيفة البوست، تحت عناوين ثانوية أخرى، فقد أشارت إلى أن مقابلة دي يونغ بالكاد كانت محور القصة، وتضمنت تفاصيل مسرّبة جديدة من اتصال كيسلياك الهاتفي، الذي أكدت صحيفة البوست أنه تضمّن حديثاً عن العقوبات .تضمنت المقالة أيضاً رفض فلين، الذي أنكر مرتين، وتراجُعه عن كلامه» :يوم الخميس، وعبر تصريح للناطق الرسمي باسمه، تراجع فلين عن النكران .فقد قال الناطق الرسمي باسمه إن »فلين وبالرغم من أنه لا يذكر إن كان ثمة حديث قد تناول موضوع العقوبات، فقد أشار إلى أنه عاجز عن الجزم بأن الموضوع لم يُطرح بتاتاً.«

عقب المقالة التي نشرت في صحيفة البوست، قام كل من بريبوس وبانون باستجواب فلين مجدداً .فزعم بأنه لا يتذكر ما قاله، وأن موضوع العقوبات، إذا كان قد جرى التطرّق إليه، فقد جرى ذلك بشكل مموّه .وأكثر ما يثير الفضول، هو أنه لا يبدو أن أحداً قد سمع بالحوار مع كيسلياك، أو قرأ تفريغاً له.

في هذا الوقت، امتعض أتباع نائب الرئيس، الذين فاجأهم التناقض في حديث فلين، مما يجري .وأكثر ما أزعجهم هو إبقاؤهم بعيدين عن الصورة .أما الرئيس، فلم ينزعج مما حدث، بل بدا في مرحلة ما» دفاعياً بشكل عنيف .«وفيما كان القيمون على البيت الأبيض في حالة استنكار، اختار ترامب أن يصطحب فلين معه إلى مارآلاغو، لعطلة نهاية الأسبوع المحددة مع شينزو آبي، رئيس الوزراء الياباني.

في ليلة السبت تلك، وفي مشهد غريب من نوعه، تحوّلت باحة مارآلاغو إلى غرفة نقاش عامة، حين تطرق الرئيس ترامب ورئيس مجلس الوزراء آبي علناً إلى طريقة للرد على إطلاق كوريا الشمالية لصاروخ مداه ثلاثمئة ميل في بحر اليابان .خلال الحديث، كان مايكل فلين يقف بالقرب من الرئيس .كان كلّ من بانون وبريبوس وكوشنر يرون أن مصير فلين مازال معلقاً، فيما بدا الرئيس وكأنه لا يملك أي شك حياله.

أما كبار المسؤولين في البيت الأبيض، فلم يكن همّهم الأساسي التخلص من فلين، بقدر ما تمحور خوفهم حول علاقة الرئيس بفلين .بِمِ استطاع فلين، هذا الجاسوس الذي يرتدي زيّاً عسكرياً، أن يورّط الرئيس؟ ما الذي يخطّطان له معاً؟

في صباح يوم الاثنين، ظهرت كيليان كونواي على شاشة» أم .إس .إن .بي . سي «ودافعت بقوة عن مستشار الأمن القومي .قالت» :نعم، صحيح أن الجنرال فلين يحظى بثقة الرئيس كاملة .«وبالرغم من أن هذا الحديث أوحى للكثيرين بأن كونواي خارج الصورة تماماً، إلا أنه عنى فعلياً أنها تتحدث مباشرة مع الرئيس.

في صبيحة ذلك اليوم، عُقِد اجتماع في البيت الأبيض لم يُثمر عن إقناع بضرورة طرد فلين .فقد كان يخشى من الصورة التي سيظهر فيها إن خسر مستشاره للأمن القومي بعد أربعة وعشرين يوماً فقط على تسلمه مهماته .كذلك كان معانداً حول عدم رغبته في لوم فلين لحديثه مع الروس، حتى وإن تطرق الحديث إلى موضوع العقوبات .فترامب يرى أن إدانة مستشاره قد تشير إلى ارتباطه بمؤامرة، وليس هناك من مؤامرة .فغضبه لم يوجّه إلى فلين، بل إلى شريط التنصت» غير المقصود «الذي أدى إلى التنصت عليه .ولإظهار ثقته بمستشاره، أصرّ ترامب على أن يحضر فلين يوم الاثنين حفل الغداء مع رئيس مجلس الوزراء الكندي جاستن ترودو.

تبع حفل الغداء اجتماع حول هذا الموضوع .خلال الاجتماع، جرى التطرق إلى مزيد من التفاصيل حول الاتصال الهاتفي، وترتيب الأموال التي تقاضاها فلين من عدد من الكيانات الروسية؛ وجرى التطرق أيضاً إلى نظرية التسريبات من داخل المجتمع الاستخباراتي، أي كيف تم توجيه موضوع روسيا برمّته نحو فلين .وأخيراً، جرى التوصل إلى حلّ جديد يقضي بضرورة طرد فلين لا بسبب اتصالاته مع الروس، بل لأنه لم يفصح عنها لنائب الرئيس .كانت هذه ذريعة ملائمة مرتبطة بسلسلة القيادة :ففي الواقع، لم يبلغ فلين نائب الرئيس بينس بما يجري، إذ كان يزعم أن نفوذه أكبر من نفوذ بينس.

راقت الذريعة الجديدة لترامب، فقبل أخيراً ضرورة طرد فلين.

وبالرغم من ذلك، لم يتنازل الرئيس عن إيمانه بفلين، بل على العكس، كان أعداء فلين هم أعداؤه .وباتت روسيا كمسدس موجّه إلى رأسه .صحيح أنه سيضطر مرغماً إلى طرد فلين، إلا أن فلين لا يزال صديقه.

وهكذا، بات طرد فلين من البيت الأبيض الرابط الراسخ الأول والمباشر ما بين ترامب وروسيا .وبحسب ما سيقول ولمن سيقوله، يُحتمل أن يصبح الشخص الأقوى في واشنطن.

الفصل الثامن

الهيكل التنظيمي

أدرك ضابط البحرية السابق ستيف بانون، وبعد مرور بضعة أسابيع، أن البيت الأبيض هو في الحقيقة قاعدة عسكرية، ومكتبٌ حكومي، بواجهة منزل وعدد من الغرف الرسمية القائمة ضمن منشأة آمنة تحت قيادة عسكرية .كان التراصف مذهلاً :التدرج الهرمي والتراتبية العسكرية في الخلفية، وفوضى المدنيين المؤقتين في المقدمة.

من الصعب جداً أن تجد كياناً على خلاف مع الانضباط العسكري أكثر مما هي منظمة ترامب .لم يكن هناك من بنية واضحة وتراتبية، بل مجرد شخص في الأعلى، يسعى الجميع إلى نيل انتباهه .لم تكن الأمور تسير على أساس المهمات، بل على أساس لفت الانتباه .فكلّ ما يلفت انتباه الرئيس يجذب انتباه الآخرين

أيضاً .هكذا كانت الأمور في برجِ ترامب، تماماً كما هي عليه الآن في بيت ترامب الأبيض.

فالمكتب البيضاوي تحديداً، قد استُخدم في السابق من قبل الرؤساء السابقين، على أنه رمز القوة العظمى، وقمة احتفالية .ولكن، ما إن وصل ترامب إلى سدة الرئاسة، حتى تحول المكتب إلى مجموعة من رايات الحروب تحيط به حين يجلس إلى مكتبه، وتحوّل المكتب البيضاوي إلى ساحة تشهد يومياً على إخفاقات ترامب .ومن المرجح أن يكون عدد الأشخاص الذين دخلوا هذا المكتب في عهد ترامب يفوق عدد الأشخاص الذين دخلوه في عهد أي رئيس آخر .فمعظم الاجتماعات التي حصلت في المكتب البيضاوي مع الرئيس كانت محاطة ومقطوعة من قبل عدد من الخدم .في حين كان الجميع يتوقون أن يكونوا في كلّ اجتماع .يتجول مسترقون للنظر والسمع في أرجاء المكتب من دون أن يكون هناك مبرّر لتجوالهم .ولطالما وجد بانون حجة ليجلس ويطالع أوراقاً في الزاوية، وليقول الكلمة الفصل من ثم؛ من جهته، كان بريبوس يسلّط نظره على بانون؛ فيما كان كوشنر يراقب المحيط .فقد كان ترامب يحبّ أن يكون حوله كلّ من هيكس، وكونواي، وحتى تلميذه القديم وصديقه أوماروسا مانيجولت، فكيف بالحري الآن، وقد أصبح رئيساً للجمهورية؟ كما هي الحال دوماً، كان ترامب يحبّ أن يكون حوله حضور متلهّف إلى رؤيته؛ فكان يشجع أكبر قدر من الناس، أن يقدِموا على عدد من المحاولات ليكونوا أقرب ما يكون إليه .مع الوقت، كان يتخذ قرارات متهكّمة بحقّ الذين يبدون متلهفين لتملُّقه.

الإدارة الحسنة تحدّ من الكبرياء، لكن، في بيت ترامب الأبيض، غالباً ما تبدو الأمور وكأنها لم تحدث ويبدو الواقع وكأنه لا وجود له، إذا كان لا يتضمّن ترامب بكل بساطة .كانت هذه المنهجية تقلب الأمور رأساً على عقب :فإذا حدث أمر ما ولم يكن حاضراً لمشاهدته، لم يكن يكترث له ولا يكاد يلحظه، بل يكتفي بتوجيه نظرة فارغة .كان يعمل أيضاً وفقاً لنظرية جعلت عملية التوظيف في الجناح الغربي وعلى امتداد الجناح التنفيذي بطيئة جداً، فملء مراكز الإدارة كان آخر ما يفكّر فيه، ولذا لم يكن يكترث له .وبدورهم، كان زوار الجناح الغربي يشعرون بالارتباك لدى زيارتهم، جراء النقص في عدد الموظفين؛ فبعد أن يجري الترحيب بهم بتحية عسكرية ذكية من قبل العسكريين باللباس الرسمي الكامل عند مدخل الجناح الغربي، يكتشفون أن هذا الجناح غالباً ما يفتقر إلى موظفة استقبال سياسية، ما يجعل الزوار يبحثون بأنفسهم عن المكان الذي يقصدونه في أروقة المكان الذي كان فيما مضى ذروة القوة في العالم الغربي.

فترامب، تلميذ الضابط السابق، وإن لم يكن متحمساً لهذا المنصب، رغب بأن يعود إلى عهد القيم العسكرية والخبرة .ففي الواقع، أراد الحفاظ على حقه الشخصي بأن يتحدّى منظمته الخاصة أو يتجاهلها .كان هذا التصرف منطقياً أيضاً، إذ إن عدم امتلاك منظمة هو الطريقة الأكثر فاعلية لتجنّب الناس الذي يعملون في منظمتك والسيطرة عليهم .والمثير للسخرية هو أنّ أعضاء هذه القافلة من الوجوه العسكرية التي يجري التحبّب إليها، أمثال جيمس ماتيس، هربرت رايموند ماكماستر، وجون كيلي، وجدوا أنفسهم يعملون ضمن إدارة معادية، بأدقّ تفاصيلها، لمبادىء القيادة الأساسية.

***

منذ البداية، جرت إدارة الجناح الغربي بشكل مخالف للتوجيهات شبه اليومية التي كان يعطيها الشخص المسؤول عن إدارته، رئيس الموظّفين، راينس بريبوس، والذي أوشك أن يخسر وظيفته .والشيء الوحيد الذي كان يحول دون خسارته وظيفته، هو أنه لم يمضِ بعد وقتاً طويلاً في منصبه ليُطرد منه .لكن لم يكن أحد في الدوائر المقربة من ترامب يشك للحظة بأنه سيخسر وظيفته قريباً، حين لن يعود طرده يسبب الكثير من الإحراج للرئيس .فبريبوس، الذي شكّ، خلال المرحلة الانتقالية، بأنه سيتمكن من الصمود حتى التدشين، ومن ثم تساءل إن كان سيتمكن من تحمّل هذا العذاب لعامٍ كامل على الأقلّ) وهو ما كان يعتبره الفترة الأقصر التي ينبغي أن يتحمّل خلالها(، عاد فخفّض هذه المدة إلى ستة أشهر.

فالرئيس بحدّ ذاته، غافلٌ عن أية صرامة تنظيمية، وقد تصرف دوماً كرئيس الموظّفين، أو بمعنى آخر، رفع من مرتبة المسؤول الإعلامي إلى موظف أولي، ثم عمل كسكرتير إعلام لنفسه، فأضحى يراجع البيانات الصحفية، ويقدّم الأقوال المأثورة، ويتصل بالصحفيين عبر الهاتف، ما جعل مسؤول الإعلام الفعلي يبدو تابعاً وكبش فداء .وبالإضافة إلى ما سبق، تصرّف أقرباء ترامب كما لو أنهم مديرون عامون على مختلف النواحي التي اختاروا أن يكونوا مديرين عليها .وهناك بانون أيضاً، الذي يقود عملية أشبه بالعملية الدولية البديلة، فيطلق التزامات بعيدة الأمد لا يعرف بها أحد سواه .أما بريبوس، وبصفته مدير العمليات التي لا مركز لها، فوجد أن ما من داعٍ كي يبقى في منصبه.

في الوقت عينه، بدا الرئيس وكأنه بدأ يحب بريبوس أكثر فأكثر لأنه قابلٌ للاستنفاد .فقد بادل الإساءة اللفظية التي وجهها ترامب إليه بسبب طوله بعذوبة، أو بالأحرى بصبر .كان أشبه بكيس ملاكمة مستعد لتلقي الضربات حين تسوء الأمور، كما أنه لم يردّ لترامب إساءته، ما أثار بهجة الرئيس واشمئزازه.

قال الرئيس بقليل من الثناء» :أنا أحبّ راينس، فمن سواه يستطيع القيام بهذه الوظيفة؟.«

كان التحقير المشترك الذي يتعرّض له الرجال الثلاثة الذين يتبوَّأون مناصب متساوية في الجناح الغربي، بريبوس، وبانون وكوشنر، العامل الوحيد الذي يمنعهم من التمايز فيما بينهم.

ففي الأيام الأولى لتولّي ترامب الرئاسة، بدت الأمور واضحةً للجميع :كان هناك ثلاثة رجال يتنافسون على إدارة البيت الأبيض، ليكون واحد منهم رئيس الموظّفين وصاحب السلطة في عرش ترامب .وطبعاً، كان هناك ترامب بحدّ نفسه، الذي لا يرغب في التنازل عن السلطة لأي كان.

وفي هذه المعمعة، برزت كايتي والش، ابنة الاثنتين والثلاثين عاماً.

***

كانت والش، نائبة رئيس الموظفين، تمثل، أقلّه بالنسبة إليها، مثالاً جمهورياً معيناً :نزيهة، رشيقة، نظامية وفعّالة .إنها موظفة حكومية مستقيمة، جميلة لكنها تحافظ على تعابير حازمة .كانت والش خير مثال للكثير من السياسيين المحترفين الذين تتفوق كفاءتهم ومهاراتهم التنظيمية على عقيدتهم) .بعبارة

أخرى» :أفضّل أن أكون جزءاً من منظمة لها تراتبية واضحة في إصدار الأوامر، لا أتفق معها، على أن أكون ضمن منظمة فوضوية تعكس آرائي بشكل أفضل .(« كانت والش شخصاً مطلعاً على كل المسائل المهمة للسياسيين .تمحور مجال عملها حول ترتيب أهداف السياسيين بحسب الأولويات، وتنسيق عمل الموظفين، وتنظيم الموارد .كانت ترى نفسها شخصاً يجيد حلّ المسائل بصمت، وبعيداً عن الهراء.

قالت» :في كلّ مرة يدخل فيها شخص ما للقاء الرئيس، لا بدّ من إنجاز نحو خمسة وستين أمراً .لا بدّ من تحديد الوزير الواجب إعلامه بحضور الشخص المعين، من هم الأشخاص الواجب استشارتهم .يحتاج الرئيس إلى توصيات يرفعها للضيف، فمن سينجز هذه التوصيات ويقدمها إلى الموظفين المعنيين؟ ولا بد أيضاً من التدقيق في بيانات الشخص ...بعدها، يفترض بك أن تحيل خبر اللقاء إلى المكتب الإعلامي ليقرّروا إن كان يشكّل خبراً محليّاً أو خبراً إقليمياً، وبعدها ننشر مقالة حوله أو نتحدث عنه في التلفزيون المحلّي ...كل هذا قبل التطرق إلى المسائل السياسية أو العامة ...وبالنسبة إلى أي شخص يلتقي الرئيس، لا بدّ من التوضيح له، لماذا هناك آخرون لن يلتقوه، وإلا فسيخرج ويسيء إلى الشخص الذي قابله.«...

كانت والش رمزاً إلى ما يفترض بالسياسة أن تكون، أو كانت عليه :عملاً تدعمه الطبقة السياسية المحترفة، وتقدّره وتجلّه .السياسة، الشبيهة بفستانٍ رتيب وصارم من واشنطن، شيء مناقض للموضة بكل تأكيد .السياسة ترتبط بالإجراءات والمزاج .الصرعات تمرّ .هي لا تبقى أبداً في اللعبة.

جاءت والش من مدرسة كاثوليكية للبنات في سانت لويس) مازالت ترتدي صليباً من الماس حول رقبتها(، وتطوعت للعمل في حملات سياسية محلية. بعدها، ارتادت جامعة جورج واشنطن .فجامعات العاصمة واشنطن من أفضل الجامعات في تخريج أشخاص موثوقين في مجال العمل السياسي) فالسياسية ليست كمن يدخل في رابطة Ivy الرياضية .(ذلك أن معظم المنظمات الحكومية والسياسية لا يديرها أشخاص يحملون شهادة ماجستير، بل شبان وشابات يتميزون بجديتهم، وبنظرتهم المثالية إلى القطاع العام وطموحهم) .من شوائب السياسة الجمهورية أن يجد الشبان المتحمسون للعمل في القطاع العام، أنفسهم يعملون للحد من القطاع العام .(فالمرء يتطوّر في مهنته بحسب مدى إتقانه لها، ومستوى اتفاقه مع بقية المجموعة وطريقة ممارسته للعبة.

في العام2008 ، أضحت والش المديرة المالية لإقليم الغرب الأوسط في حملة ماكين .فبالنظر إلى تخصّصها في مجال التسويق والمال في جامعة واشنطن، أوكلت إليها مسؤولية الإمساك بالدفاتر .بعدها، أصبحت نائبة المدير المالي في اللجنة الوطنية لأعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين، ونائب المدير المالي ثم المديرة المالية للّجنة الوطنية للحزب الجمهوري، إلى أن أصبحت أخيراً، وقبل دخولها إلى البيت الأبيض، مديرة موظفي اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، ورئيسها راينس بريبوس.

وفي عودة إلى أحداث الماضي، نذكر أن الخطوة الأساسية التي كان لها أشدّ الأثر في إنقاذ حملة ترامب، لم تكن فقط الخطوة التي قام بها ميرسر، وفرض بانون وكونواي في منتصف شهر آب/أغسطس، قبول أنّ المنظمة التي تعتمد على

شخص واحد، ستضطر إلى الاعتماد على حجم اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري .فهذه اللجنة تسيطر على أرض الملعب، وتملك البنية التحتية للبيانات .قد لا تثق الحملات الأخرى باللجنة المحلية، بوجود عدد كبير من أفاعيها بين الأعشاب، إلا أن حملة ترامب اختارت ألا تستثمر في الأمر وأن تعتمد على اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري .ففي نهاية شهر آب/أغسطس، قام كل من بانون وكونواي، وبموافقة كوشنر، بعقد صفقة مع» المستنقع «العميق للجنة الوطنية للحزب الجمهوري، بالرغم من إصرار ترامب المستمر على أنهم وصلوا إلى هذه المرحلة من دون دعم اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، فلِم الزحف باتجاهها الآن؟

وبشكل شبه فوري، باتت والش لاعباً أساسياً في الحملة، تعمل على إنجاز مختلف المهمات في الوقت المحدد، شخصية يصعب على المنظمات أن تُدار من دونها .كانت والش تتنقل ما بين مقر اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري في واشنطن وبرج ترامب، وكانت المسؤولة عن توفير الموارد السياسية والوطنية للحملة.

إذا حدث خلل إداري في حملة ترامب خلال الأشهر الأخيرة من السباق وخلال المرحلة الانتقالية، فالسبب في ذلك هو أن خياره الوحيد كان أن يندمج بشكل سلس مع اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، التي كانت تعتبر منظمة أكثر تجاوباً ووحدة من حملة هيلاري كلينتون، على سبيل المثال، بمواردها الأكبر نسبياً .فبعد أن واجهت الكارثة والإذلال الظاهر، تماسكت حملة ترامب وقام كل

من بريبوس، وبانون وكوشنر بأداء أدوارهم بنجاح .إلا أن هذه الصداقة بالكاد صمدت لبضعة أيام في الجناح الغربي.

***

بالنسبة إلى كايتي والش، بات واضحاً تماماً أن الهدف المشترك للحملة وضرورة إجراء عملية الانتقال قد تلاشيا لدى دخول فريق ترامب إلى البيت الأبيض .فقد انتقلوا من مرحلة كانوا فيها يديرون ترامب إلى مرحلة بات هو يديرهم فيها، أو أقلّه من خلالها، ولغايات في نفسه فقط .وبالرغم من ذلك، وفيما اقترح الرئيس الانسحاب الأكثر جذرية من المعايير الحاكمة والسياسية على امتداد أجيال، فلم يكن يملك أفكاراً محدّدة حول كيفية تحويل أفكاره ونقده اللاذع إلى سياسة، ولا فريقاً متّحداً يمكنه الاعتماد عليه.

في معظم قصور الرئاسة، تنساب السياسة والأعمال من أعلى الهرم إلى أسفله، فيما يحاول طاقم الموظفين تنفيذ رغبات الرئيس، أو على الأقل رغبات الرئيس بحسب ما ينقلها إليهم رئيس الموظّفين .لكن، وفي بيت ترامب الأبيض، بدأت عملية وضع السياسات من الأسفل إلى أعلى، وذلك من اللحظة الأولى التي بادر فيها بانون إلى إطلاق الأمر التنفيذي الخاص بالهجرة .كانت عملية اقتراح، وفق الأسلوب الذي يقضي بإنهاء الشيء ثم التحدّث إلى الرئيس بشأنه، على أمل أن يعتقد فيما بعد أنه قد توصل إلى هذه الفكرة بنفسه) نتيجة ترافقت مع اقتراح بأنه قد سبق له أن فكّر بذلك.(

وفي هذا الإطار، أضافت والش، أن ترامب كانت لديه مجموعة من المعتقدات والمحرّكات الراسخة في ذهنه منذ سنوات، بعضها متناقض بوضوح،

وبعضها الآخر يتناسب والأطر التشريعية أو السياسية .ومن هنا، كانت هي وآخرون يترجمون مجموعة من الرغبات والحوافز إلى برنامج، وهذه عملية استلزمت الكثير من التكهّن .أضافت والش» :كان الأمر أشبه بمحاولة لمعرفة ماذا يريد الطفل.«

لكن عملية التقدّم باقتراحات كانت غايةً في التعقيد .وهنا كانت تكمن المسألة الأساسية في رئاسة ترامب، أي في مشاركة كل ناحية من نواحي سياسة ترامب وطريقة قيادته؛ فهو لم يكن يعالج المعلومات بأي شكل تقليدي؛ بمعنى آخر، لم يكن يعالجها بأي شكل من الأشكال.

لم يكن ترامب يقرأ .لم يكن حتى يتصفح .وإذا كانت المعلومات مطبوعة، فقد يعتبرها غير موجودة .وقد ظنّ البعض أنه، فيما يخص بعض الاقتراحات العملية، كان شبه أميّ) .كان البعض يقول إنه يستطيع قراءة العناوين والمقالات التي تتحدث عنه، أو على الأقل عناوين المقالات التي تتحدث عنه، وصفحة الشائعات التي تنشر في الصفحة السادسة من النيويورك بوست .(ظنّ البعض أنه يعاني من عسر القراءة، ذلك أن فهمه للأمور محدود بعض الشيء .فيما استنتج آخرون بأنه لا يقرأ لأنه، وبكل بساطة، غير مضطر إلى ذلك .وقد كانت هذه إحدى سماته الأساسية كشخص شعبي .فقد كان شخصاً لم يعد يهتمّ بالمطالعة - بل يصب اهتمامه بالكامل على التلفاز.

ولم تقف المسألة عند هذه الحدود .فترامب الذي لم يكن يقرأ لم يكن يصغي أيضاً .كان يفضل أن يكون المتكلم دوماً .وقد كان يثق دوماً بخبرته الخاصة أكثر من خبرة أي شخص آخر، بغض النظر عن ضآلتها وعدم ارتباطها بالموضوع.

وبالإضافة إلى ما سبق، كانت قدرته على التركيز محدودة جداً، حتى حين كان يظنّ أن الشخص الواقف أمامه جدير باهتمامه.

ومن هنا، كانت المؤسسة بحاجة إلى نوع من العقلانية الداخلية، التي من شأنها أن تفسح المجال أمام منح الثقة لرجل، يعرف القليل، لكنه واثق تماماً بأن حدسه وآراءه هما الصحيحان .غير أن أفكاره تتغير بشكل مستمر.

ومن المبادىء التي كانت سائدة في بيت ترامب الأبيض، المبدأ القائل بأن الخبرة، هذه السمة التي يتمتع بها الليبراليون، لا أهمية فعلية لها .ففي النهاية، وفي كثير من الحالات، يخطىء الأشخاص حتى ولو كانوا قد بذلوا الكثير من الجهد ليكوّنوا معرفتهم، ويتخذون قرارات خاطئة .قد يكون الحدس هو الطريقة المثلى للوصول إلى لبّ المسألة، وهي طريقة أفضل من الاعتماد على البيانات غير الثابتة وبالنتيجة عدم القدرة على رؤية المشكلة بصورة كلية، وهي المشكلة التي لطالما أرّقت عملية صنع السياسة الأميركية .فلنأمل بأن يكون ذلك صحيحاً.

بطبيعة الحال، لم يكن أحد، باستثناء الرئيس بحدّ ذاته، يؤمن بذلك.

وبالرغم من كل ذلك، فإن الإيمان الراسخ الذي يتعدى طيشه، وغرابة أطواره، وقاعدة معارفه المحدودة، كانت فحواه أن أي شخص لا يمكنه أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة ما لم يكن يتمتع بذكاء فريد من نوعه ومكر، أليس ذلك صحيحاً؟ ففي بدايات البيت الأبيض، كانت هذه الفرضية الأساسية التي كان يُجمع عليها كبار الموظفين، والتي تُوافِق عليها والش، والجميع :لا بدّ من أنّ ترامب يعرف ما الذي يقوم به، لا بدّ من أن حدسه عميق.

لكن كان هناك الوجه الآخر لهذا التبصر والفهم المتميز، وكان من الصعب جداً عدم ملاحظته :في غالبية الأحيان كان يُظهر ثقة بالنفس، لكنّه كان يبدو في أحيان أخرى كشخص مشلول، وفاقدٍ للإدراك، مثله مثل أخرق يتآكله شعوره بعدم الأمان، فيتصرف كما لو أنه يعمل وفق ما يقوله له حدسه القوي والواضح، بغضّ النظر عن مدى ارتباك هذا الحدس في الحقيقة.

خلال الحملة الانتخابية، أضحى شخصية متبجّحة كثيرة الحركة .وكان فريق عمله يُدهش من رغبته في الاستمرار بالحركة، وركوب الطائرة، والنزول منها، ومن ثم الصعود إليها مجدداً والانطلاق، وتنظيم التجمعات الانتخابية الواحد تلو الآخر، والتباهي في أنه ينظم احتفالات أكثر من أي شخص آخر، وهو ضعف ما كانت تقوم به هيلاري !حتى أنه كان يسخر من نمط خصومه البطيء . كان يؤدي دوره» .هذا الرجل لا يتعب أبداً من التصرف على أنه دونالد ترامب«، قالها بانون، بنوعٍ من الثناء المعقد، بعد بضعة أسابيع من انضمامه إلى الحملة، والعمل فيها بدوام كامل.

خلال جلسات الاستماع الأولى مع الاستخبارات، عقب تسميته لمنصب المرشح للرئاسة، بدأت أجراس الإنذار تقرع ما بين موظفي حملته الجدد .بدا وكأنه يفتقر إلى القدرة على أخذ المعلومات من طرف ثالث، أو لعله لم يكن يهتم بهذا الموضوع .في كلتا الحالتين، كان يبدو وكأنه يعاني من خوف شديد حيال توجيه مطالب رسمية إليه .فقد كان يتسمّر أمام كل ورقة مكتوبة تقدم إليه ويتقاعس عند كل تفكير .وهو، في هذا الإطار» :رجل كان يكره المدرسة كثيراً، ولن يبدأ بحبها الآن«، بحسب بانون.

وبالرغم من كون الطريقة التي ينتهجها ترامب لتسيير الأمور مثيرة للقلق، فقد شكّلت طريقته هذه فرصة للأشخاص الذين يعملون على مقربة منه :فمن خلال فهمه، ومراقبة عاداته وردود فعله، التي تعلّم خصومه في العمل الاستفادة منها لصالحهم، قد يستطيعون التلاعب به، أو تسييره .وبالرغم من ذلك، وفيما قد يكون من الممكن تحريكه اليوم، فلا أحد يستطيع الاستخفاف بمدى صعوبة تسييره في الاتجاه نفسه في اليوم التالي.

***

ومن الطرق المعتمدة لإدراك ما كان ترامب يريده، وتبيُّن موقفه أو نياته الكامنة وراء سياسة معينة) أو على الأقل النيات التي قد يُقنِعه أحدهم بها(، إجراء تحليل حرفي لخطاباته المرتجلة، أو لملاحظاته العشوائية وتغريداته المضادّة، أثناء الحملة.

فقد أصرّ بانون على تحليل ترامب وتقديمه أعماله على أنها أعمال تبصّرٍ وسياسات حظرٍ .ومن بين المهمات التي شكلت جزءاً من عمل بانون في البيت الأبيض الجديد، التصرف كحافظ للوعود التي يطلقها ترامب، وتدوينها بدقة على اللوح الأبيض في المكتب .كان ترامب يذكر بحماسة قطعه بعض الوعود، فيما كان يتذكر سواها من الوعود بشكل مبهم، لكنه كان يسرّ بأنه قال ما قاله . كان بانون يتصرف كما لو أنه تلميذ يروّج لترامب أمام معلّم روحاني، أو إله مبهم.

وقد تطور هذا الأمر إلى مزيد من التبريرات أو الحقائق المتعلقة بترامب : »كان الرئيس واضحاً جداً حيال ما يريد تقديمه إلى الشعب الأميركي«، قالت والش .فقد كان» بارعاً في إيصال هذه الفكرة .«وفي الوقت عينه، اعترفت بأن ما

يريده لم يكن واضحاً بأي شكل من الأشكال .لذا، جرى التوصل إلى خلاصة أخرى» :ترامب شخص إلهامي لا تنفيذي.«

وفيما أدرك كوشنر أن اللوح الأبيض كان يمثّل مفكرة بانون، أكثر مما كان يمثل مفكرة الرئيس، راح يتساءل إلى أي مدى كان بانون يعدّل في النص الأساسي .أجرى الكثير من المحاولات ليفهم كلمات عمّه بمفرده، إلا أنه سرعان ما غض النظر عن هذه المهمة وتخلّى عنها.

بدوره، لم يتمكّن ميك مولفاني من الاستناد إلى سجلّ ترامب الشفهي، وهو عضو مجلس الشيوخ السابق عن ولاية كارولينا الجنوبية، والذي بات رئيس قسم الإدارة والميزانية والمسؤول المباشر عن وضع ميزانية ترامب، التي ستعكس برنامج البيت الأبيض .ففي كتاب بوب وودورد الصادر في العام1994 ، بعنوان المفكرة(The Agenda) ، والذي اعتبر محاسبة تفصيلية للشهور الثمانية عشرة الأولى من وجود كلينتون في البيت الأبيض، ركز في معظمه على وضع موازنة كلينتون، فيما كان الرئيس يخصص الجزء الأكبر من وقته للتفكير العميق ودراسة الحجج لتأمين الموارد .أما في حالة ترامب، فهذا النوع من الارتباط الوثيق والمستمر كان متعذراً، فقد كان وضع الموازنة مسألة تضجره جدّاً.

وفي هذا الإطار، قال مولفاني» :حين كنت أتردد في البداية على البيت الأبيض، غالباً ما كان أحدهم يضطر إلى التعريف عني قائلاً :هذا ميك مولفاني، مدير الموازنة .«فبحسب رأي مولفاني، كان ترامب متردداً للغاية، بحيث لا يستطيع أبداً تقديم أية مساعدة تذكر، وهو يميل إلى مقاطعة عملية التخطيط عبر طرح أسئلة عشوائية، تبدو وكأنها مستقاة من ضغوطٍ أو محاولات للتدخّل

قام بها أحدهم مؤخراً، أو من مجرّد ربطٍ عشوائي مع موضوعٍ آخر جال في ذهنه . وإذا اهتم ترامب يوماً بأمر ما، فلأنه كان يمتلك رؤية ثابتة حوله بالاستناد إلى معلومات محدودة .لكن إذا لم يكن يكترث للموضوع، فذلك مرده أنه لم يكن له رأي فيه، أو لا يملك أي معلومات عنه .ومن هنا، اضطر فريق ترامب الذي كان يعمل على وضع الموازنة إلى الرجوع إلى خطاباته أثناء البحث عن محاور السياسة العامة التي يستطيعون ربطها ببرنامج الموازنة.

***

كانت والش تجلس على مقربة من المكتب البيضاوي، وكانت تمرّ بها مختلف المعلومات التي يجري تداولها بين الرئيس وطاقم موظفيه .وبصفتها المسؤولة الأولى عن تحضير جدول ترامب الأساسي، فقد كانت مهمتها تقتضي تنظيم وقت الرئيس وتنظيم دفق المعلومات التي تقدم إليه، بحسب الأولويات التي وضعها البيت الأبيض .وفي هذا الإطار، أصبحت والش الوسيط الفعال بين الرجال الثلاثة الذين يعملون جاهدين لإدارة الرئيس، وهم :بانون، وكوشنر، وبريبوس.

كلّ من هؤلاء الرجال الثلاثة، كان ينظر إلى الرئيس على أنه أشبه بالصفحة البيضاء أو تلك التي دُوّنت عليها معلوماتٌ كثيرةٌ متشابكة .وكان كل منهم، وبحسب رأي والش التي كانت تنظر إليهم بريبة متزايدة، يملك فكرة مغايرة تماماً عن سبل ملء هذه الصفحة، أو إعادة صياغتها .كان بانون المناضل الذي يبسط الأمور، فيما كان كوشنر الديمقراطي من نيويورك، وبريبوس الجمهوري» .كان ستيف يريد طرد مليون شخص من البلد، ويعيد النظر في قانون الصحة الوطني ويضيف مجموعة من الرسوم التي من شأنها أن تغير ملامح تجارتنا، فيما أراد

جاريد حلّ مسألة الإتجار بالبشر وحماية برنامج الأبوة المخطّط لها .«أما بريبوس، فأراد أن يكون دونالد ترامب نوعاً آخر من الجمهوريين.

فبحسب وجهة نظر والش، كان بانون يدير بيت ستيف بانون الأبيض، وجاريد كوشنر يدير بيت مايكل بلومبرغ الأبيض، فيما كان راينس بريبوس يدير بيت بول راين الأبيض .كان الأمر أشبه بلعبة فيديو من سبعينات القرن العشرين، حيث كانت الكرة البيضاء تضرب ذهاباً وإياباً داخل المثلث الأسود.

أما بريبوس، الذي كان يفترض به أن يكون الحلقة الأضعف، فيفسح المجال أمام بانون وكوشنر ليكونا رئيسَيْ موظّفين فعّالين؛ فقد أضحى صوتاً صداحاً، حتى ولو لم يكن صوته قوياً .ففي عالم بانون وعالم كوشنر، كانت منهجية ترامب تمثل السياسة التي لا ترتبط نهائياً بالمنهج الديمقراطي، فيما كان بانون يذمّ هذا المنهج وكوشنر يتصرف كديمقراطي .أما بريبوس، فكان الحلقة الأضعف في المنهج السائد المعتمد.

ومن هنا، شعر بانون وكوشنر بالسخط حين علما بأن بريبوس، الذي لم يكن يشكل تهديداً لهما، يملك مفكرة خاصة به :احترام ما قاله رئيس مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل» :سيوقع هذا الرئيس على كل ما يجري وضعه أمامه«، مع استغلال نقص الخبرة السياسية والتشريعية في البيت الأبيض، وتصدير أكبر عدد ممكن من القرارات إلى الكابيتول هيل.

ففي الأسابيع الأولى في الرئاسة، سعى بريبوس لأن يُحضِر إلى البيت الأبيض المتحدث باسم مجلس الشيوخ بول راين، والذي كان مناهضاً لترامب في معظم الحملة، مع لجنة من رؤساء مجلس الإدارة المهمين .خلال الاجتماع، أعلن الرئيس بابتهاج أنه لم يكن صبوراً يوماً مع اللجان، وبأنه مسرور لأن هناك من يهتم بها .ومنذ ذلك الحين، أصبح راين شخصية إضافية تضاف إلى قائمة الأشخاص الذين يستطيعون الوصول إلى الرئيس من دون قيود، والشخص الذي منحه الرئيس حرية التصرف التامة في مجال الاستراتيجية التشريعية، أو الإجراءات التشريعية، وهو موضوع لا يهمّ الرئيس بأي شكل من الأشكال.

لم يكن أحد يمثل نقيض بانون أكثر من بول راين .فمحور نظرية بانون)وميرسر (كانت العزلة التامة، والسلوك الحمائي المتقلب، والنظرية الكينزية . وقد نسب بانون هذه المبادىء إلى ترامب، علماً أنها تتناقض تماماً مع النظرية الجمهورية .والأكثر من ذلك هو أن بانون اعتبر أن راين، الذي من المفترض به أن يكون نابغة البيت الأبيض، بطيء الفهم وغير مؤهل، وهدف دائم للاستهزاء . لكن، إذا كان الرئيس قد حضن لأسباب مجهولة، بريبوس-راين، فهو لم يكن يستطيع الاستغناء عن بانون.

فقد تمحورت قدرة بانون الفريدة من نوعها، والتي نمّاها عبر تعلّم المصطلحات التي يستخدمها الرئيس والتمكن منها، أكثر من الرئيس نفسه، وحنكته في محو ذاته) بما يكبح رغبته في أن يترقى (حول حثّ الرئيس على أن يقتنع بأن آراء بانون مستقاة بالكامل من آرائه الشخصية .لم يروّج بانون لأي صراع داخلي، أو يقدم أسساً للسياسة، أو يقدم عروض باوربوينت، بل كان

أشبه بالراديو الشخصي الذي يتحدث إلى ترامب .كان باستطاعة ترامب تشغيله في أية لحظة، وكان يسرّ دوماً لأن تصاريح بانون وآراءه كانت دوماً كاملة ومتوفرة، وراسخة وموحدة .كان ترامب يستطيع إسكات بانون في أية لحظة، فيلزم بانون الصمت بهدوء، ليعود ويتكلم حين يطلب منه ترامب ذلك.

من جهته، لم يكن كوشنر يتمتع بالخيال السياسي الذي يتمتع به بانون ولا بالروابط المؤسساتية التي يتمتع بها بريبوس .إلا أنه، بالطبع، كان يملك الرابط الأُسري الذي يمنحه سلطة كافية .كما وأنه كان يتمتّع بنفوذ المال كونه مليونيراً . كان أيضاً على علاقة بالكثير من أصحاب الملايين في نيويورك وفي مختلف أنحاء العالم أيضاً، بعضهم معارف ترامب وأزلامه، وبعضهم الآخر أشخاص تمنى ترامب لو أنهم يحبونه أكثر .ومن هنا، بات كوشنر ممثل الوضع الراهن الليبرالي في البيت الأبيض .كان أشبه بما يمكن أن يطلق عليه تسمية روكفلر الجمهوري، والآن بات من الأفضل أن يطلق عليه تسمية غولدمان ساكس الديمقراطي . فهو، وإيفانكا أيضاً، كانا على اختلاف قطري مع بريبوس، هذا الشخص اليميني المتطرف، الخنوع، والإنجيلي الجمهوري المستقل؛ وكانا على خلاف مع بانون، هذا الشخص الذي ينتمي إلى اليمين البديل، الشعبي والذي يعرقل كل من هو ضد حزبه.

سعى كل من الرجال الثلاثة لتحقيق استراتيجيته الخاصة، من زاويته المختلفة .بذل بانون كل ما في وسعه لتخطي بريبوس وكوشنر في محاولة منه لدعم الترامبوية/البانونية بأسرع وقت ممكن .وفيما كان بريبوس يتذمر من »وجود مبتدئين سياسيين وأقارب الرئيس«، قام بتوكيل مخطّطه لراين وموقع ذا

هيل .The Hill أما كوشنر، وخلال واحد من أكثر منحنيات التعلّم انحداراً في تاريخ السياسة) هذا لا يعني أن جميع من كانوا في البيت الأبيض لم يكونوا يعانون من هذا المنعطف، إلا أن كوشنر كان أكثرهم انحداراً(، وفيما كان يظهر سذاجة مؤلمة وهو يطمح ليكون واحداً من أكثر اللاعبين جدارة، كان يدافع عن المبدأ القائل بعدم التسرُّع في إجراء أي أمر، بل اعتماد الحلّ الوسط في كل عمل .كان كل منهم له زمرته التي تواجه زمرة الآخر :فأتباع بانون يسعون إلى تحقيق هدفهم القاضي بتحطيم كل شيء بسرعة، فيما ركّز أتباع بريبوس على الفرص المتاحة لتنفيذ أجندة الجمهوريين، أما كوشنر وزوجته فبذلا كلّ ما بوسعهما حتى يبدو قريبهما الذي لا يمكن التنبؤ بتصرفاته معتدلاً وعقلانياً.

أما ترامب، فكان في الوسط.

***

»كان الرجال الثلاثة يديرون الأمور«، كما وصفتهم والش، أي كان كل واحد منهم يخدم ترامب بطريقة مختلفة .أدركت والش أن بانون كان يقدم إلى الرئيس الإلهام والهدف، في حين أن العلاقة التي كانت تربط ما بين بريبوس وراين كانت تعد ترامب بإنجاز الأعمال المتخصصة، كأعمال الحكومة .وبدوره، كان كوشنر ينسق بأفضل طريقة ممكنة، العمل مع الرجال الأثرياء الذين كانوا يتحدثون إلى ترامب في المساء، وكان كوشنر يحثهم دائماً على تحذيره من بانون وبريبوس.

كان الناصحون الثلاثة في صراع مفتوح نهاية الأسبوع الثاني، عقب القرار التنفيذي الخاص بالهجرة وكارثة منع السفر .وكانت هذه المنافسة الداخلية نتيجة الاختلافات في الأسلوب، والفلسفة والطبع، والأهم من ذلك هو أنها كانت

النتيجة المباشرة لعدم وجود هيكليةٍ واضحة أو سلسلة قيادة .بالنسبة إلى والش، كان الأمر عبارة عن عمل يومي لإدارة مهمة مستحيلة :فكلما تلقت توصية من أحدهم، كان يلغيها سواه.

وفي هذا الصدد، دافعت والش عن نفسها قائلة» :حين كنت أجري محادثة ما، كنت أمضي قدماً فيها .أدوّن ما اتُّفق عليه في جدول الأعمال، وأتواصل مع قسم الإعلام والاتصالات لوضع مخطّطٍ صحفي له، ثم أتواصل مع قسم الشؤون العامة ومكتب الاتصال والعلاقات العامة، وبعدها، كان يقول لي جاريد» :لِم قمت بهذا؟ «فأجيب» :لأننا عقدنا اجتماعاً معك ومع راينس وستيف منذ ثلاثة أيام، وقد اتفقنا على القيام بذلك .«فيقول لي» :ولكن هذا لا يعني بأنني أريد إدراجه على جدول الأعمال .لم يكن هذا الهدف من إجراء هذا الحديث .«بدا وكأن ما يقوله أي شخص لا يتسم بأية قيمة :جاريد سيوافقني الرأي، وعندها تسوء الأمور، فيذهب جاريد إلى الرئيس، ويقول له، أترى هذه كانت فكرة راينس أو ستيف.«

كان بانون يركز على إصدار سلسلة من القرارات التنفيذية التي من شأنها أن تدفع الإدارة الجديدة قدماً من دون الحاجة إلى المرور بالكونغرس .وقد عارض بريبوس هذا الأمر، إذ كان يدعم العلاقة الطيبة ما بين ترامب وراين والمفكرة الجمهورية، التي كان كوشنر يعارضها، ويسعى إلى تكريس ألفة رئاسية عبر تنظيم اجتماعاتٍ مع المديرين التنفيذيين للشركات، لا لأنه كان يعرف أن الرئيس يحب مثل هذه الاجتماعات، بل لأن كوشنر، وبحسب ما قال بانون، كان يحبها .وعوضاً عن مواجهة النزاعات المتأصلة في كل استراتيجية، أدرك الرجال

الثلاثة أن النزاعات غير قابلة للحل، وبالتالي تجنبوا مواجهة هذا الواقع عبر تفادي مواجهة أحدهم الآخر.

كلّ من هؤلاء الرجال الثلاثة، استطاع، بفضل ذكائه وحنكته، أن يتوصل إلى طريقة لإرضاء الرئيس والتواصل معه .أظهر بانون عرض قوة مبالغاً فيه، فيما راح بريبوس يمتدحه لقيادته الكونغرس، أما كوشنر فقد قدَّم إليه تأييد كبار رجال الأعمال .كانت هذه المقاربات الثلاث قوية للغاية، بحيث فضل ترامب عدم التمييز بينها .كان هؤلاء الرجال الثلاثة يمثلون ما يطمح إليه من خلال الرئاسة، ولم يكن يفهم لماذا لن يستطيع الاحتفاظ بهم معاً .أراد أن يكون مختلفاً، أن يحصل على مجلس شيوخ جمهوري يوجه إليه القرارات ليوقع عليها، وأن يكتسب رجالات نيويورك ووجهائها واحترامهم .وقد رأى بعض الأشخاص من داخل البيت الأبيض أن القرارات التنفيذية التي كان بانون يصدرها كانت بمثابة التفافٍ على تقرّب بريبوس من الحزب، وأن المديرين التنفيذيين الذين كانوا يدعمون كوشنر، كانوا يخشون من قرارات بانون التنفيذية ويقاومون معظم ما كان يرد ضمن المفكرة الجمهورية .ولكن، إذا كان الرئيس قد فهم ذلك الأمر، فإنه لم يسبّب له أي إزعاج.

***

بعد أن نشر الرجال الثلاثة نوعاً من الشلل التنفيذي خلال الشهر الأول من الولاية الجديدة، بنى كلّ من بانون وبريبوس وكوشنر آلياتٍ خاصة للتأثير بالرئيس وتقويض علاقته بالطرفين الآخرين، علماً أنهم كانوا جميعاً متساوين من

حيث قوة المقاربة التي يعتمدها كل منهم مع الرئيس، كتساويهم من حيث مستوى الإزعاج الذي يتسببون به للرئيس.

لم تكن التحليلات أو الحجج أو تقديم عروض الباوربوينت تجدي نفعاً . ولكن من تراه قادراً أن يحدد ما الذي يجدي مع ترامب؟ ومتى؟ وما الذي لا يجدي؟ فإذا بادرت ريبيكا ميرسر، بتحريض من بانون، إلى الاتصال به، كان هذا الاتصال يترك أثراً إيجابياً .وبدوره، كان بريبوس يعتمد على نفوذ بول راين لديه . وإذا قام كوشنر بدفع مردوخ للاتصال بالرئيس، فقد كانت هذه الخطوة تُحتسب هي الأخرى .وفي الوقت عينه، كان كل اتصال ناجح يلغي الاتصالات الأخرى.

دفع هذا الشلل بالمستشارين الثلاثة إلى الاعتماد على الطريقة الفعالة الأخرى في حث ترامب على التصرف، ألا وهي اللجوء إلى وسائل الإعلام .ومن هنا، بات كل من هؤلاء الرجال الثلاثة مسرّب معلومات متمكّناً ومصقولاً .كان بانون وكوشنر يتجنبان الظهور في الإعلام؛ فقد كان اثنان من أقوى الرجال في الحكومة، صامتين في معظم الأحيان، يتجنبان كل المقابلات تقريباً، وحتى الحوارات السياسية التقليدية التي كانت تنظم يوم الأحد صباحاً على شاشات التلفزة .وبشكل مثير للفضول، أصبح هذان الرجلان الصوتين الخلفيين الكامنين وراء كل التغطيات الإعلامية لأحداث البيت الأبيض .في وقت سابق، وقبل أن يبدأ كل من بانون وكوشنر بمهاجمة أحدهما الآخر، كانا متحدين في بغضهما المنفصل لبريبوس .كانت الجهة الإعلامية المفضلة لدى كوشنر هي جو سكاربورغ والبرنامج الصباحي الذي تقدمه ميكا برزيزينسكي بعنوان مورنينغ

جو(Morning Joe) ، وهو واحد من البرامج الصباحية التي يتابعها الرئيس .أما المنبر الإعلامي الذي يتواصل معه بانون، فهو إعلام اليمين البديل)بريتبارت التابع لبانون، بحسب رأي والش .(وفي نهاية الشهر الأول من وجودهما في البيت الأبيض، كان بانون وكوشنر قد بنيا، كل على حدة، شبكة من المنابر الأولية، والثانوية للابتعاد عن بديهية الشبكات الأولى، منتجين بيتاً أبيض على عداوة قصوى تجاه الصحافة، وفي الوقت نفسه لديه رغبة قوية في تسريب المعلومات إلى مختلف وسائل الإعلام .ففي هذه المسألة، على الأقل، كانت إدارة ترامب تحقق شفافية بارزة.

غالباً ما كان صغار الموظفين، أو الموظفون التنفيذيون الدائمون يلامون على تسريب المعلومات، التي بلغت حدها في نهاية شهر شباط/فبراير خلال اجتماع شامل للموظفين، دعا إليه شون سبايسر .خلال هذا الاجتماع، سلّم الجميع هواتفهم الخلوية عند الباب قبل الدخول .وفي الاجتماع، أصدر المسؤول الإعلامي تهديدات بإجراء تدقيق عشوائي بالاتصالات، وتوجيه إنذارات إلى كل من يستخدم تطبيقات التواصل عبر النصوص المشفّرة .كان الجميع موضع شك في أن يكونوا مسربي معلومات؛ وكان كل منهم يتهم زميله بأنه مسرّب المعلومات.

كان الجميع مسرّبي معلومات.

وفي يوم من الأيام، حين اتَّهم كوشنر والش بتسريب معلومات عنه، تحدّته قائلة» :هيا، أنا مستعدة للكشف عن سجلات اتصالاتي إذا كشفت أنت عن سجلات اتصالاتك، وعن بريدي الإلكتروني إذا كشفت أنت عن بريدك الإلكتروني.«

إلا أن معظم التسريبات، ولاسيما الدسمة منها، كانت تجري عن طريق مصادر عليا، إن لم يكن من الشخص الذي يتبوأ أعلى الهرم.

لم يكن الرئيس يستطيع التوقف عن الكلام .كان يشكو باستمرار ويشفق على نفسه .وقد كان جلياً للجميع أنه يسعى إلى اكتساب الشعبية .كان يتساءل دوماً لماذا لا يحبه الجميع .قد يشعر بالسعادة خلال اليوم أثناء اجتماعه باتحاد عمال الألمينيوم أو بقدوم المديرين التنفيذيين لزيارته في البيت الأبيض، فيبدأ بالثناء على زوّاره، فيبادله الزوار الثناء، إلا أن هذه السعادة لا تلبث أن تتلاشى في المساء، بعد أن يشاهد التلفاز لبضع ساعات .وعندها، يمسك بالهاتف، ويبدأ بالحديث مع رفاقه وسواهم من دون التزام الحيطة والحذر، فيدخل في حوارات قد تدوم ثلاثين دقيقة أو أربعين، بل أكثر، يعبّر خلالها عما يزعجه، ولاسيما من وسائل الإعلام والموظفين الذين حوله .فقد اعتبر بعض الخبراء الذين عيّنوا أنفسهم وبدأوا يظهرون على مقربة من ترامب، وهم جميعاً خبراء في التعامل معه، أنه كان مصمماً على» تسخيف الجميع«، ما ولّد حلقة من الشك، والسخط، وبدأ الناس بتوجيه الملامة بعضهم إلى بعض.

حين كان الرئيس يتحدث إلى الهاتف بعد العشاء، غالباً ما يكون الحديث مشتتاً .فبنوع من الذعر أو السادية، كان يتحدث بانسياب عن عيوب طاقم عمله ونقاط ضعفهم .فبانون غير مخلص) ناهيك بأنه يبدو دوماً بمظهر مريع .(أما بريبوس فضعيف) ناهيك بكونه قزماً(، في حين أن كوشنر شخص يحبّ التملّق، وسبايسر إنسان غبي) ومظهره مريع أيضاً .(كونواي طفلة بكّاءة، وجاريد وإيفانكا غير مؤهلين للمجيء إلى واشنطن.

وبالنظر إلى أن الأشخاص الذين يتصل بهم ترامب، كانوا يعتبرون اتصاله غريباً، ومخيفاً أو منافياً للمنطق أو العقل، فغالباً ما كانوا ينقضون مبدأ السرية بخصوص ما يسمعون، فيقومون بنقل الكلام الذي يسمعونه من ترامب إلى أشخاص آخرين .وهكذا، أصبحت الأخبار المتعلقة بالأعمال الداخلية لموظفي البيت الأبيض في رسم التداول الحرّ .إلا أن الموضوعات المتداولة، لم تكن مرتبطة بالأعمال الداخلية في البيت الأبيض، بالرغم من أنها كانت تصنف تحت هذه الخانة، بل كانت افتراضات يفكر بها الرئيس، علماً أنه يغير رأيه بسرعة كبيرة وبالسرعة نفسها التي يعتمدها للتعبير عن نفسه .لكن في حديث ترامب، كان هناك دوماً مجازات ثابتة :فبانون كان على وشك أن يطرد، وكذلك بريبوس، وكوشنر بحاجة إلى حماية من المتنمّريْن الآخرين.

وهكذا، فإن كان كلّاً من بانون، وبريبوس وكوشنر يخوضون حرباً يومية بعضهم ضد بعض، تغذّيها حملة قوية ضدهم لنشرهم معلومات مضللة، حملة يقودها الرئيس شخصياً .وبما أنه شخص يعيش في حالة نكران دائم، فقد كان ينظر إلى كل عضو من فريقه الداخلي على أنه طفل يعاني مشكلة وهو يمسك مصيره بيده .فقد كان أحدهم يقول» :نحن خطأة وهو الإله«؛ وقال آخر» :نحن نخدمه ونرضى بتأفّفه.«

***

في الجناح الغربي لكل إدارة، أقلّه منذ ولاية كلينتون وغور، كان نائب الرئيس يتمتع بسلطة مستقلة ضمن المؤسسة .إلا أن نائب الرئيس مايك بينس،

الرجل المساند في إدارة يبقى عمرها رهن المزايدات. فقد كان مجرد رمز، شخص يقف مبتسماً مقاوماً سلطته أو عاجزاً عن الإمساك بها.

»أشارك في الجنازات وحفلات الافتتاح«، قالها لجمهوري زميل في صحيفة ذاهيل .وفي تصريحه هذا، كان يدّعي بأنه قديم الطراز ونائب رئيس تقليدي أو أنه لم يرد أن يزعج رئيسه، أو يمكن حتى القول إنه كان يعترف وبكل صدق بشخصيته الفعلية.

في خضم هذه العاصفة، كانت كايتي والش تعتبر مكتب نائب الرئيس ركناً هادئاً .فقد اشتهر موظفو بينس، في نظر مَنْ هُمْ خارج البيت الأبيض، ليس فقط بسرعة ردهم على الاتصالات وبسهولة إنجاز مهمات الجناح الغربي، بل أيضاً بأنهم متحابّون ويتفانون لتحقيق هدف مشترك هو إزالة أكبر قدر من التشويش عن نائب الرئيس.

كان بينس يبدأ كل خطاب يدليه بالعبارة الآتية» :أنقل إليكم تحيات رئيس الولايات المتحدة الرابع والخمسين، دونالد ج .ترامب «....وهي تحية موجهة إلى الرئيس أكثر منها إلى الجمهور.

كان بينس يرى نفسه غير مثير للاهتمام، في ظل دونالد ترامب .وبالكاد تسربت بعض الأقاويل عنه من داخل البيت الأبيض .فالأشخاص الذين كانوا يعملون لدى بينس، يشبهونه، ويتميزون بقلة كلامهم.

بمعنى آخر، تمكن بينس من حلّ الأحجية، وعرف كيف يكون الشريك الصغير لرئيس لن يسمح بأي وجه مقارنة بينهما، ويريد منه أن يختفي كليّاً.

وفي هذا الصدد، قالت والش» :بينس ليس بغبي.«

في الواقع، كان الآخرون في الجناح الغربي يصنفونه بأنه يفتقر إلى الذكاء، ولأنه لم يكن ذكياً، فهو لم يستطع الحصول على أي منصب قيادي.

أما إيفانكا وجاريد، فقد أصبح بينس في نظرهما مصدر تسلية وترفيه .فقد كان سعيداً للغاية بكونه نائب رئيس دونالد ترامب، ومسروراً جداً لأداء دور نائب الرئيس الذي لن ينغّص على ترامب فرحته بالرئاسة .وكان مناصرو إيفانكا وجاريد يقدرون زوجة بينس، كارين، لكونها الداعمة له واليد التي توجّهه نحو هذا التصرف الهادىء .ففي الواقع، كان يتقن دوره كثيراً، إلى درجة أن إذعانه المفرط أثار ريبة بعض المشككين.

أما جماعة بريبوس، والتي كانت والش جزءاً أساسياً فيها، فقد كانت تنظر إلى بينس على أنه واحد من كبار الموظّفين القلائل في الجناح الغربي الذين يعاملون بريبوس على أنه فعلاً رئيس الموظّفين .فغالباً ما كان بينس يبدو مجرد موظف في هيئة ما، والشخص المستعد دوماً لتدوين الملاحظات في عدد كبير من الاجتماعات.

أما بانون، فقد كان ممنوناً جداً من أداء بينس .وقد قال أحد مناصري بانون يوماً» :يبدو بينس كالزوج في مسلسل أوزي وهارييت (Ozzie and Harriet)، أي شخصية غير ظاهرة.«

بالرغم من أن بعض الأشخاص قد اعتبروا نائب الرئيس مؤهلاً لتسلُّم دفّة الرئاسة في يوم من الأيام، رآه آخرون نائب الرئيس الأضعف منذ عقود، وبعبارة

أخرى، اعتبروه شخصاً لا يملأ مركزه، ولا يبذل أي جهد للإسهام في ردع الرئيس وتثبيت الوضع في الجناح الغربي.

***

خلال الشهر الأول من الرئاسة، دفع خوف والش مما يحدث وعدم تصديقها لمجريات الأمور، إلى التفكير بالاستقالة .ومنذ ذلك اليوم، بدأ العدّ العكسي وصولاً إلى اللحظة التي ستدرك فيها أنها عاجزة عن تحمل المزيد، وهو ما سيحدث في نهاية شهر آذار/مارس.

فوالش كانت عاجزة عن فهم هذا التفاخر السياسي ومن يؤيده، كما أنها عجزت عن تقبّل الفوضى، والتنافس، وقلة الاهتمام التي يظهرها الرئيس.

وفي بداية شهر آذار/مارس، واجهت والش كوشنر بما يأتي» :هلا أخبرتني بالأمور الثلاثة التي يرغب الرئيس في التركيز عليها؛ وبالأولويات الثلاث في هذا البيت الأبيض؟.«

أجاب كوشنر، وهو غافل عن الإجابة» :نعم، يفترض بنا على الأرجح أن نجري هذا الحديث.«

الفصل التاسع

مؤتمر العمل السياسي المحافظ

في 23 شباط/فبراير، بلغت درجة الحرارة 24 درجة مئوية في واشنطن. استيقظ الرئيس يشكو من الحرارة الشديدة في البيت الأبيض .ولكن ولإحدى المرات النادرة، لم تكن شكاوى الرئيس هي الشاغل الرئيسي .كان التركيز المتَّقد في الجناح الغربي على تنظيم رحلات مشتركة في السيارات للوصول إلى مؤتمر العمل السياسي المحافظCPAC ، وهو التجمع السنوي لحركة الناشطين المحافظين، والذي فاض عدد الذين حضروه عن أماكن الإقامة المتوفرة في فنادق واشنطن؛ فانتقلوا إلى منتجع غايلورد على الواجهة البحرية لميناء هارلاند الوطني .لم تكن تربط بين مؤتمر العمل السياسي المحافظ وترامب علاقة متينة، ولاسيما أن ميول المؤتمر كانت ما بين الوسط واليمين، وأن بقاءه في هذا المركز كان مترجّحاً،

بسبب توجهات المحافظين التي راحت تتباعد بشكل متزايد عن ذلك المركز. وكانوا ينظرون إلى ترامب على أنه غير محافظ، بل كشخص متصنّع ومزيف .كما رأوا أن بانون وبريتبارت يمارسان دور المحافظَيْن بشكل مريب .فعلى مدى سنوات، قامت بريتبارت بتنظيم مؤتمر تنافسي في منطقة قريبة يطلق عليه اسم »غير المدعوّين.«

لكن بيت ترامب الأبيض سيتحكم بالمؤتمر هذا العام، وأراد الجميع أن يحضروا هذه اللحظة الجميلة .تقرّر أن يتكلم الرئيس في اليوم الثاني للمؤتمر، وكما فعل مرة رونالد ريغان، سيقود الرئيس المؤتمر في السنة الأولى من منصبه. في حين أن كلّاً من الرئيسَيْن السابقَيْن بوش، اللذين كانا حذرَيْن من مؤتمر العمل السياسي المحافظ، قد تجاهل التجمع بشكل كامل.

رافقت كيليان كونواي، التي افتتحت المؤتمر، كلٌّ من مساعدتها وابنتاها وجليسةُ أطفال .وكان هذا أول ظهور رسمي لبانون في رئاسة ترامب، وكان بصحبة ريبيكا ميرسر، واحدة من أعظم المتبرعين لترامب، ومموّلة بريتبارت، وابنتها، وآلي هانلي، وهي أرستقراطية من بالم بيتش، ومتبرعة للمحافظين، وصديقة لميرسر) .كانت هانلي المتغطرسة، التي لم تلتقِ بانون من قبل، قد وصفته بأنه يبدو« قذراً .(»كان من المقرر أن يجري بانون مقابلة في جلسة بعد الظهر مع رئيس مؤتمر العمل السياسي المحافظ مات شلاب، وهو شخص دمث الأخلاق، كان يحاول تقبُّل استيلاء ترامب على مؤتمره .قبل بضعة أيام، قرّر بانون إضافة بريبوس إلى المقابلة، كلفتة خاصة من حسن النية وبهدف إظهار الوحدة، وهذه علامة على نموّ تحالف بينهما ضد كوشنر.

ومن الاسكندرية، في فيرجينيا القريبة، كان ريتشارد سبنسر، رئيس معهد السياسة الوطنية، الذي يوصف أحياناً بأنه يمثّل» مجموعة بحثية تؤمن بسيادتها وتتألف من البيض«، والذي اعتبر فوز ترامب بالرئاسة انتصاراً شخصياً له، ينظّم رحلته إلى مؤتمر العمل السياسي المحافظ، والتي ستكون مسيرة النصر بالنسبة إليه، كما كانت لفريق ترامب .عندما أعلن سبنسر عام 2016، قائلاً» :دعونا نحتفل كما لو كنا في العام«1933 ، وهو يقصد العام الذي وصل فيه هتلر إلى السلطة، أثار إعلانه احتجاجاً كبيراً، وتحديداً مع نشره لعبارة »هييل ترامب) «أو حيّوا ترامب، والتي تعد عبارة مبالغاً فيها (بعد الانتخابات . وقد تلقّى لكمة من أحد المتظاهرين في يوم التنصيب، شاهدها الجميع على موقع يوتيوب.

قام مؤتمر العمل السياسي المحافظ، الذي أسّسته بقايا الحركة المحافظة بعد هزيمة باري غولدووتر المروعة عام1964 ، بتحويل نفسه، بحماسة وقناعة عقائدية، إلى أساس بقاء المحافظين وانتصارهم .فتطهّر من جون بيرشرز والعنصرية اليمينية، واعتنق المبادئ الفلسفية المحافظة لراسل كيرك ووليام باكلي .ومع الوقت، أيّد قيام حكومة ريغان بإصلاح الحكومة والإصلاح المضاد للضوابط التنظيمية المفرطة، ثم أضاف مكوّنات الحروب الثقافية، مثل مكافحة الإجهاض، ومكافحة زواج المثليين، والميل نحو الإنجيليين .وقد ربط هذا المؤتمر نفسه بوسائل الإعلام المحافظة، منها الراديو اليميني الأول؛ وفي وقت لاحق بفوكس نيوز .Fox News ونتج من هذا التكتل توافق حول الخلاصة الشاملة التي تفيد بالنقاء المحافظ، ووزنه الفكري وقدرته على التزامن .إن جزءاً من متعة مؤتمر العمل السياسي المحافظ، الذي جذب مجموعة واسعة من

الشباب المحافظين) والذين سخرت منهم الصحافة الليبرالية بتسميتهم تجمع أليكس كيتون(، يتمثّل في تعلّم العقيدة المحافظة.

ولكن بعد الصعود الكبير في عهد كلينتون في التسعينات، بدأ مؤتمر العمل السياسي المحافظ بالتشقّق خلال سنوات جورج بوش .وأصبحت الفوكس نيوز المركز العاطفي للمحافظين الأميركيين .وقد رفض الليبرتاريّون) معتنقو فلسفة الحرية (وغيرهم من الفصائل التي انفصلت بشكلٍ مفاجيء) ومن بينهم المحافظون القدامى (محافظي بوش الجدد وحربهم على العراق، كما تزايد تحدّي المحافظين الأصغر سنّاً للقيم الأُسرية .وفي سنوات ولاية أوباما، كانت الحركة المحافظة مرتبكة على نحو متزايد بسبب رفض حزب الشاي، وبسبب الرسائل المتمرّدة للإعلام اليميني الجديد، التي تجسّدها بريتبارت الإخبارية .والتي جرى استبعادها بشكل واضح من مؤتمر العمل السياسي المحافظ.

في العام2011 ، اعتمد ترامب على ولاء المحافظين، وضغط عليهم لمنحه فرصة للحديث، فمنحوه خمسة عشر دقيقة في المؤتمر، مقابل دفعة مالية كبيرة بحسب بعض التقارير .إذا كان من المفترض أن يكون مؤتمر العمل السياسي المحافظ عن صقل الخط السياسي للحزب المحافظ، فقد كان أيضاً متنبهاً لمجموعة واسعة من مشاهير المحافظين على مر السنين، بمن في ذلك راش ليمبو، آن كولتر، ومختلف نجوم الفوكس نيوز .في العام السابق لإعادة انتخاب أوباما، كان ترامب من فئة المشاهير تلك .ولكن أصبح ينظر إليه بشكل مختلف تماماً بعد أربع سنوات .في شتاء العام2016 ، وخلال السباق الجمهوري الأولي الذي كان لا يزال تنافسيّاً، أصبح ينظر إلى ترامب كشخص يعمل ما بوسعه

لإسعاد الجمهوريين؛ فقرر التخلي عن مؤتمر العمل السياسي المحافظ، وعن كل ما يخشى عدم قبوله والترحيب به.

وفي هذا العام، وكجزء من تحالف جديد مع البيت الأبيض وترامب وبانون، كان من المقرر أن تكون الشخصية الأساسية في مؤتمر العمل السياسي المحافظ هي اليميني المتطرف ميلو يانوبولوس، وهو بريطاني مثلي الجنس ومحرض يميني مرتبط ببريتبارت نيوز .كان يانوبولوس، يُعتبر شخصية محافظة مربكة للغاية، وقد كان دوماً أشبه بمحرّضٍ يساري في فلم سيركا(Circa 1968) 1968 ، وقد أثار هستيريا يسارية ضدّه بسبب استهزائه بالصواب السياسي والأعراف الاجتماعية . في الواقع، كان هناك إيحاء خفي بأن مؤتمر العمل السياسي المحافظ قد اختار يانوبولوس تحديداً، لرفع مكانة بانون والبيت الأبيض الذي كان على علاقةٍ به، فقد كان يانوبولوس نوعاً من المحميين من قبل بانون .قبل يومين من افتتاح المؤتمر، عندما اكتشف مدون من المحافظين شريط فيديو عن يانوبولوس في احتفالية غريبة يبدو أنها تبرّر الولع الجنسي بالأطفال، أعلن البيت الأبيض أن على يانوبولس أن يغادر.

ومع ذلك، بدا أن وجود البيت الأبيض في مؤتمر العمل السياسي المحافظ، الذي شمل، بالإضافة إلى الرئيس، بانون، وكونواي، ووزير التعليم بيتسي ديفوس، ومستشار السياسة الخارجية في البيت الأبيض والكاتب السابق في بريتبارت سيباستيان غوركا، قد أبعد قصة فوضى يانوبولوس عن الساحة .وإذا كان مؤتمر العمل السياسي المحافظ يتطلّع دائماً إلى تحويل السياسيين المملين

إلى نجوم لامعين، ففي هذه المرة كان ترامب، وأي شخص يتصل به، هم أكبر النجوم.

جلست أسرة كونواي في الصفوف الأولى، وأُجريت مقابلة مع كونواي على أسلوب أوبرا، أجرتها مرسيدس شلاب زوجة مات شلاب) كان مؤتمر العمل السياسي المحافظ مشروعاً أسرياً(، وهو كاتب عمود للمحافظين في الواشنطن تايمز، والذي سيصبح لاحقاً من إعلاميي البيت الأبيض .كانت كونواي تمثل صورة حميمة وملهمة لامرأة في جعبتها الكثير من الإنجازات .وكان هذا النوع من المقابلات التي اعتقدت كونواي أنها كانت لتُعرض على شبكات التلفزيون والمحطات الفضائية لو لم تكن هي جمهورية من أنصار ترامب، في إشارة منها إلى ذلك النوع من المعاملة، الذي أعطي لأسلافها الديمقراطيين مثل فاليري جاريت.

وفي الوقت الذي كانت فيه كونواي تشرح نسويّتها المضادة للحركة النسوية، وصل ريتشارد سبنسر إلى مركز المؤتمرات، على أمل حضور الجلسة الافتتاحية »اليمين المتطرف ليس محقّا أبداً«، وهو جهد متواضع لإعادة تأكيد القيم التقليدية لمؤتمر العمل السياسي المحافظ .كان سبنسر، الذي كان منذ انتصار ترامب قد كرس نفسه ليكون ناشطاً بدوام كامل يبحث عن الفرص الإعلامية، يخطط ليطرح السؤال الأول .ولكن بمجرد وصوله ودفعه لرسوم التسجيل البالغة قيمتها150$ ، جذب انتباه مراسلٍ واحدٍ في البداية، ثم دائرة متنامية من المراسلين، ورد عليهم بتقديم مؤتمر صحفي مخصص .وقد أسهم سبنسر في توضيح مفارقات الحركة المحافظة الحديثة كما وضحها يانوبولوس، وكما وضّحها بطرائق متعدّدة ترامب وبانون .لقد كان عنصريّاً، لكنه كان بالكاد

محافظاً؛ فهو يدعم بشكل صارم الرعاية الصحية لجميع الأميركيين، على سبيل المثال، وكان الاهتمام الذي حظي به، إلى حد ما، عبارةً عن محاولة بذلتها وسائل الإعلام الليبرالية لتشويه النزعة المحافظة، وليس اهتماماً يستهدف المحافظين . وبالتالي، ومع ازدياد حلقة المراسلين حوله لتبلغ ثلاثين شخصاً، تدخّلت شرطة مؤتمر العمل السياسي المحافظ، وأخبره أحد حراس الأمن» :أنت غير مرحب بك هنا» .«يريدونك خارج المبنى، إنهم يريدون منك أن تتوقَف، يريدونك خارج المبنى.«

»واو«، قال سبنسر،» هل يستطيعون؟.«

»يكفي نقاشاً .هذه ملكية خاصة، ومؤتمر العمل السياسي المحافظ يريدك خارج أرضه .«هكذا أخبره حارس الأمن.

تم اصطحاب سبنسر خارج قاعة مؤتمر العمل السياسي المحافظ .لم يشعر سبنسر أن كرامته قد انتهكت، وجلس في صالة الفندق على أريكة مريحة، وبدأ بإرسال الرسائل من خلال وسائل الإعلام الاجتماعية والرسائل النصية والبريد الإلكتروني إلى الصحفيين الموجودين على قائمة جهات الاتصال الخاصة به.

كانت النقطة التي أراد سبنسر تأكيدها هي أن وجوده هنا لم يكن مُشكَلاً أو ساخراً كوجود بانون، أو، في هذا الشأن، كوجود ترامب .ربّما جرى إخراجه، ولكن بمعنى تاريخي أكبر، كان المحافظون هم الذين أُخرجوا من حركتهم الخاصة، أخرجهم الكادر الجديد الذي شمل ترامب وبانون، وهو ما أسماه سبنسر أي» المتمردين«، ومؤيدي» المصالح والقيم، والعادات، والثقافة

الخاصة بالبيض .«وكان سبنسر ترامبويّاً حقيقيّاً، أو أنه اعتقد ذلك .كما اعتقد أن مؤتمر العمل السياسي المحافظ يتكوّن من ناشرين.

***

في الغرفة الخضراء، وبعد وصول بانون، وبريبوس، وحاشيتهما، وقف بانون مرتدياً قميصاً داكناً وسترة داكنة وبنطلوناً أبيض جانباً، وراح يتحدث إلى مساعدته، إلكسندرا بريت .جلس بريبوس على كرسي الماكياج، لتلقّي طبقة من مرهم الأساس على وجهه، ومسحوق، وملمع شفاه» .ستيف«، قالها بريبوس، مشيراً إلى الكرسي الذي نهض منه» .لا مشكلة«، قال بانون، مشيراً بيديه إلى وجهه، بلفتة أخرى من تلك اللفتات الصغيرة التي يحاول من خلالها التموضع على أنه مغاير لجميع الفارغين المزيّفين المنحدرين في مستنقعات السياسة، ومختلف عن راينس بريبوس، الذي يضع على وجهه مرهم أساس واضحاً.

كان من الصعب الاستخفاف أو الاستهانة بأهمية الظهور العام الأول لبانون بعد أيام من اضطراب الجناح الغربي المعروف، وقصة غلاف مجلة تايمز عنه، والتكهنات التي لا تنتهي حول سلطته ونياته الحقيقية، وحصوله،على الأقل في عقل وسائل الإعلام، على السر الأساسي لبيت ترامب الأبيض .أما بانون نفسه فقد كانت هذه، في اعتقاده، لحظة مصممة بعناية .كانت مسيرة النصر له .كان يعتقد أنه سيطر على الجناح الغربي، وكان يتوقع تفوقه على كل من بريبوس وذلك الأحمق، صهر ترامب، أيضاً .وسيهيمن الآن على مؤتمر العمل السياسي المحافظ .حاول ألا يحبطه شيء، وأن يظهر بمظهر غير الواعي بنفسه، رغم إحساسه بأنه بلا شك رجل الساعة .لم يكن تردُّده في قبول الماكياج مجرد وسيلة

للتقليل من شأن بريبوس فقط، بل كان أيضاً وسيلة للقول إن القائد يذهب إلى المعركة بوجهه الحقيقي والطبيعي.

»يمكنك أن تعرف ما يفكر فيه، حتى إذا كنت تجهله«، أوضحت إلكسندرا بريت» .إنه يشبه الصبي الطيب الذي يعرف الجميع أنه مشاكس.«

عندما ظهر الرجلان على خشبة المسرح، وظهرت صورهما على الشاشة الكبيرة، كان التباين بينهما كبيراً .جعلت مساحيق التجميل بريبوس يبدو كمجسم لعرض الأزياء، وكانت بدلته الرسمية مع الدبوس على صدر السترة صبيانية بعض الشيء، بينما كان بانون، الرجل الذي يفترض أنه خجول من الإعلام، يلتهم الكاميرات .كان نجماً موسيقيّاً، كان جوني كاش.

أمسك بيد بريبوس في مصافحة سلطوية، ثم استرخى على كرسيه، بينما توجّه بريبوس بحماسة إلى كرسيه.

قدّم بريبوس بدايةً الافتتاحية التقليدية .وعندما جاء دور بانون، دخل فوراً في صلب الموضوع» :أريد أن أشكركم على دعوتي أخيراً إلى مؤتمر العمل السياسي المحافظ.«

قال مات شلاب، مستسلماً» :قررنا أن نقول إن الجميع جزء من أسرتنا المحافظة«، ثم رحب بشاغلي» الجزء الخلفي من الغرفة«، حيث جلس مئات الصحفيين الذين يغطون الحدث.

»هل هذا هو الحزب المعارض؟ «سأل بانون، وهو يغطي عينيه.

انتقل شلاب إلى سؤال الإعداد» :نقرأ الكثير عنكما أنتما الاثنان .أحم.«...

»كل شيء جيد«، أجاب بريبوس بضيق.

»أراهن أنْ ليس كل ما نقرأه دقيقاً«، قال شلاب» .أعتقد أن هناك كثيراً من الأشياء التي تُكتب بشكلٍ مغلوط .واسمحوا لي أن أسأل كلّاً منكما :ما الذي يُشكّل برأيكما أكبر سوء فهم حول ما يجري في بيت دونالد ترامب الأبيض؟.«

كانت استجابة بانون عبارة عن بسمة متكلفة، ولم يقل شيئاً.

بينما قدّم بريبوس شهادة على قرب علاقته مع بانون.

حمل بانون الميكروفون كأنه بوق، وعيناه تتراقصان مرحاً، ثم روى نكتة حول أثاث مكتب بريبوس الذي يضمّ أريكتين ومدفأة، ومكتبه هو البسيط وغير المزخرف.

وقد كان بريبوس حذراً من أقواله» .إنه، آه ...إنه في الواقع ...شيء ساعدتم جميعاً على بنائه، وهو أن هذه الانتخابات قد أظهرت، وكذلك الرئيس ترامب ... ينبغي ألا نخدع أنفسنا، أستطيع أن أتحدث عن البيانات واللعبة الأرضية، ويمكن أن يتحدث ستيف عن الأفكار الكبيرة ...لكن حقيقة الأمر وأساسه هما أن دونالد ترامب، الرئيس ترامب، هو الذي جمع الحزب والحركة المحافظة معاً . وأقول لكم إذا تمكّن الحزب والحركة المحافظة من العمل معاً«...؛ وهنا جمع بريبوس أصابعه في قبضة، وتابع قائلاً» :على غرارنا أنا وستيف، فإن أحداً لا يستطيع إيقاف ذلك .والرئيس ترامب هو الرجل المطلوب، إنه الشخص الوحيد، ويمكنني أن أقول هذا بعد أن رأيت ستة عشر شخصاً يقتل بعضهم بعضاً ... دونالد ترامب هو الذي كان قادراً على ضم هذا البلد، وهذا الحزب، وهذه

الحركة معاً .أنا وستيف نعلم هذا، ونعيش هذا الواقع كل يوم، ونعتبر مهمتنا هي وضع جدول أعمال الرئيس ترامب على الورق، وتحقيقه على أرض الواقع.«

عندما توقّف بريبوس ليلتقط أنفاسه، تسلّم بانون دفة الحديث قائلاً: »أعتقد أنكم، إذا نظرتم إلى حزب المعارضة«... ولوّح بيده إلى نهاية الغرفة، وتابع» :وكيف صوروا الحملة، وكيف صوروا الانتقال، والآن كيف يصوّرون الإدارة، ترون أنهم دوماً مخطئون .أعني منذ اليوم الأول الذي بدأت فيه أنا وكيليان، توجّهنا إلى رين، شون سبايسر، كايتي ...إلى الفريق نفسه، كما تعلمون، الذي كان في كل يوم يعمل بجد في الحملة، الفريق نفسه الذي حقق الانتقال . وإذا كنتم تذكرون، كانت الحملة الأكثر فوضوية في وصف وسائل الإعلام :الأكثر فوضوية، الأكثر اضطراباً، والتي لم يكن لدى أفرادها فكرة عما كانوا يفعلونه، ومن ثم رأيتموهم جميعاً يبكون في تلك الليلة في 8 تشرين الثاني/نوفمبر.«

هناك في البيت الأبيض، كان جاريد كوشنر، يتابع المشاهد بشكل عرضي، ثم بشكل أكثر انتباهاً .وشعر فجأة بغضب متزايد .شعر بأن خطاب بانون كان رسالة رقيقة وعدوانية موجهة إليه بشكل مباشر .فقد نسب بانون الفضل في فوز ترامب إلى الجميع ماعداه .كان كوشنر متأكداً أن بانون يهزأ به.

عندما طلب شلاب من الرجلين تعداد إنجازات الأيام الثلاثين الماضية، تلعثم بريبوس قليلاً، ثم ذكر قضية القاضي غورسوتش والأوامر التنفيذية لإزالة الضوابط، وجميع الأشياء» التي«... وهنا توقف بريوس محاولاً إيجاد الكلمات المناسبة، وتابع» :يوافق ثمانون في المئة من الأميركيين عليها.«

بعد برهة صمت، كما لو كان ينتظر انقشاع الضباب، رفع بانون الميكروفون قائلاً» :أنا قسمت الأمر نوعاً ما إلى ثلاثة قطاعات، أو ثلاثة خطوط . الخط الأول الأمن القومي والسيادة، وهذا يتضمّن الاستخبارات، ووزارة الدفاع، والأمن الداخلي؛ والخط الثاني من العمل هو ما أشير إليه على أنه القومية الاقتصادية، وهذا يضم ويلبر روس في التجارة، وستيفن منوشين في الخزينة، و]روبرت [لايتهيزر في التجارة، وبيتر نافارو، وستيفن ميلر، الذين يعيدون التفكير في الطريقة التي سنعمد بها إلى إعادة بناء ترتيباتنا التجارية في جميع أنحاء العالم .في حين أن الخط الثالث هو نطاق واسع من العمل لتفكيك الحالة الإدارية .«توقف بانون للحظة، لأن العبارة التي لم يسبق لها مثيل في السياسة الأميركية جذبت تصفيقاً حارّاً، ثم تابع» :إن الطريقة التي يعمل بها المنتمون إلى اليسار التقدمي، هي أنهم إذا لم يتمكنوا من تشريع شيء، سيقومون بوضعه كنوع من التنظيم في قسمٍ إداري ما .لكن سيجري تفكيك كل هذا.«

قدّم شلاب سؤالاً آخر من أسئلة الإعداد، وكان هذا عن وسائل الإعلام.

تحدث بريبوس، وناقش، ورغى قليلاً على نحو متفكّك، وأنهى الحديث، بطريقة أو بأخرى، بملاحظة إيجابية» :سنكون معاً.«

رفع بانون الميكروفون، بطريقة مسرحية مرة أخرى، وبتلويح مستخف من يده، ووضّح قائلاً» :لن تصبح الأمور أفضل معهم، بل سوف تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .«كانت هذه أغنيته التنبؤية الأساسية؛» وسأعلّل لكم ذلك .وبالمناسبة، يمكن فهم المنطق الداخلي؛ فرجال الأعمال، ووسائل الإعلام العالمية المعارضة، يعارضان، وبشدة، من يملك أجندة قومية اقتصادية مثل دونالد ترامب .وإليكم

السبب في أن الأمور سوف تزداد سوءاً :لأن ترامب سوف يستمر في الضغط لتحقيق هذه الأجندة .ومع استمرار تحسن الظروف الاقتصادية، وكلما تحسّنت فرص العمل، سيواصلون القتال .إذا كنتم تعتقدون أنهم سوف يعيدون إليكم بلدكم من دون قتال، فأنتم مخطئون للأسف .كل يوم سيكون هناك معركة .هذا هو السبب في أنني فخور جدّاً بدونالد ترامب .لقد تهيأت له الكثير من الفرص ليتخلص من هذا .جاء إليه الكثيرون وقالوا له عليك أن تكون معتدلاً؛ وهذه طعنة أخرى لكوشنر.» لكنه كل يوم في المكتب البيضاوي يقول لي ولراينس :أنا التزمت هذا من أجل الشعب الأميركي، وعدتهم بهذا عندما ترشّحت، وسأفي بوعودي لهم.«

ثم كان السؤال النهائي المتفق عليه مسبقاً» :هل يمكن الجمع بين حركة ترامب هذه وبين ما حدث مع مؤتمر العمل السياسي المحافظ والحركات المحافظة الأخرى على مدى خمسين عاماً؟ هل يمكن جمعها معاً ...وهل سينقذ هذا التجمُّع البلد؟.«

»حسناً، علينا أن نلتزم معاً كفريق واحد«، أجاب بريبوس» .يجب أن نعمل معاً جميعاً لتحقيق ذلك .«عندما بدأ بانون بإجابته، تحدث ببطء، ونظر إلى جمهوره المبهور» :لقد قلت إن هناك نظاماً سياسيّاً جديداً يجري تشكيله، وهو لا يزال قيد التشكيل .إذا نظرتم إلى الطيف الواسع من الآراء في هذه الغرفة، سواء كنت شعبويّاً، أو من المحافظين، أو تحرُّريّاً، أو قوميّاً اقتصاديّاً، فمن الواضح أن ثمة مجموعة واسعة، ومتباينة أحياناً من الآراء، ولكنني أعتقد أن جوهر اعتقادنا ومركزيته، أننا دولة لديها اقتصاد، ولسنا مجرد اقتصاد في سوقٍ

عالمية مع حدود مفتوحة .نحن أمة تتمتّع بثقافة، ولدينا سبب لنكون ونستمر ونحافظ على وجودنا .وأعتقد أن هذا ما يوحّدنا .وهذا ما سيوحّد هذه الحركة للمضي قدماً.«

خفض بانون الميكروفون، وبعد ثوان من عدم اليقين، على ما يبدو، دوّى تصفيق حار فجأة.

أما كوشنر الذي كان لا يزال متابعاً من البيت الأبيض، فكان يعتقد أن بانون يُضمر دوماً أمراً خبيثاً عندما يستخدم عبارة» الحدود «و»العالمية «و »الثقافة «و»التوحد«، ولكن ما كان كوشنر أكثر اقتناعاً به هو أن هذه العبارات موجّهة شخصيّاً ضده، هو الذي أصبح الآن في حالة عنيفة من الغضب.

***

كانت كيليان كونواي تشعر بقلق متزايد، بشأن أرق الرئيس المسن ومنظره المرهَق .فقد كانت تعتقد أن مثابرته من دون كلل ولا تعب هي التي دفعت الفريق للاستمرار .كان دائماً يضيف محطات وخطباً أثناء الحملة؛ وقد ضاعف وقت حملته .عملت هيلاري نصف الوقت الذي كان يعمل فيه ترامب .أي إنه كان يعمل وقتاً مضاعفاً، وكان يستمد الطاقة من الحشود .والآن، بعد أن أصبح يعيش بمفرده في البيت الأبيض، يبدو وكأنه يتعثّر.

ولكن ترامب عاد اليوم .كان قد استخدم جهاز الأشعة فوق البنفسجية، وظهر لون شعره أكثر اشقراراً .وعندما استيقظ الرئيس الذي لا يؤمن بالتغيّر المناخي، في صباح أحد أيام منتصف الشتاء، ليجد أن الحرارة تبلغ 25 درجةً

مئوية وأن اليوم أشبه بيومٍ ربيعي، وهو اليوم الثاني من مؤتمر العمل السياسي المحافظ، بدا ترامب عمليّاً شخصاً مختلفاً، أو أصغر سنّاً بشكل ملحوظ .وفي الساعة المعيَّنة، في القاعة المغلقة بمنتجع غايلورد، التي كانت مكتظة بمختلف أنواع أنصار المحافظين، وفي مقدمهم ريبيكا ميرسر وابنتها، ومئات الإعلاميين الذين لم يجدوا مكاناً سوى للوقوف، ظهر الرئيس على المسرح، ببط وخيلاء يليقان بشعار» :أنا فخور بأن أكون أميركيّاً .«لم يدخل المسرح باندفاع مسرحي، بل دخله كرجل سياسي قوي، كرجل يعيش اللحظة ويستمتع بالتصفيق .ثم اقترب ببطء من المنصة كالفنانين وقال،» شكراً لكم«، ولمس ربطة عنقه القرمزية المتدلّية فوق حزامه.

سيكون هذا هو خطاب ترامب الخامس في مؤتمر العمل السياسي المحافظ .وبقدر ما كان ستيف بانون يحب أن يرى نفسه كصانع دونالد ترامب، فقد رأى ترامب يلقي بالرسالة نفسها في كلّ مرّة يشارك فيها في هذا المؤتمر منذ العام2011 ، ما يشكّل دليلاً إضافياً على شرعيّته .كان ترامب رسولاً ولم يكن رجلاً فارغاً .كانت البلاد في حالة» فوضى«، وهي الكلمة التي أوقفت إحساس ترامب بالزمن،» وكان قادتها ضعفاء«،» وفقدت عظمتها .«كان الأمر الوحيد المختلف هو أنه عام 2011 كان لا يزال يرتجل خطبه أحياناً؛ لكنه أصبح الآن يرتجل كل شيء.

استهل الرئيس كلمته بالقول» :كان أول خطاب رئيسي لي في مؤتمر العمل السياسي المحافظ، ربما قبل خمس سنوات أو ست .أول خطاب سياسي كبير لي . كنتم هناك، وأحببت حضوركم، أنا أحب الناس، وأحب الضجيج .لقد أطلقوا

الهتافات التي أسعدتني إلى أقصى حد، ولم أكن قد رشّحت نفسي حينها، أليس كذلك؟ لكن هذا قدم إليّ فكرة !كنت قلقاً قليلاً حول ما يحدث في البلاد؛ لذلك قلت دعونا نذهب إلى المؤتمر .كنت متحمّساً جداً .وعندما صعدت إلى المسرح في مؤتمر العمل السياسي المحافظ، لم يكن لدي سوى القليل من الملاحظات وكنت أقلّ استعداداً) واقع الأمر أنه قرأ خطابه عام 2011 من ورقة .(لذلك عندما لا يكون لديك عمليّاً أي ملاحظات معدّة، ثم تنتهي من كلامك ويكون الجميع سعداء، تجد أنك تقول لنفسك، أعتقد أنني أحب هذا العمل.«

مهّدت هذه المقدمة الأولى لما سيأتي بعدها.

»أريد منكم جميعاً أن تعرفوا أننا نحارب الأخبار المزيفة .إنها مزيفة وملفّقة. قبل أيام أَسْمَيْتُ الأخبار المزيفة عدو الشعب، لأن الذين يزوّرونها يفتقرون إلى المصادر؛ وبالتالي يقومون بتلفيق الأخبار، عندما لا يكون هناك أخبار .من قصصهم مؤخراً أن تسعة أشخاص قد أكدوا خبراً أوردوه، وليس هناك تسعة أشخاص أساساً .أنا لا أعتقد أنه كان هناك حتى شخص واحد أو شخصين، تسعة أشخاص .!قلت :إرحمونا أعرف تماماً الأشخاص الذين تحدّثوا عنهم، وأعرف مع من يتحدثون .لم يكن هناك تسعة أشخاص، لكنهم يقولون تسعة أشخاص.«...

وبعد دقائق قليلة من الخطاب الذي دام ثمانيَ وأربعين دقيقة، وكان بالفعل خارجاً عن الموضوع، واصل التكرار.

»ربما كانوا فقط سيئين في استفتاء الناس .أو ربما كانوا غير شرعيين .أمر من الاثنين .إنهم أذكياء جدّاً، وماكرون جدّاً، وغير شرفاء على الإطلاق ...وأخلص

إلى القول«...، على الرغم من أنه سيستمر لمدة سبعاً وثلاثين دقيقة تالية،» إنه موضوع حساس جدّاً وهم يشعرون بالضيق عندما نكشف كذب قصصهم . يقولون إننا لا نستطيع انتقاد التغطية غير الشريفة بسبب التعديل الأول .أنتم تعرفون أنهم دائما يردّدون) «...استخدم صوت فالسيتو ذا الطبقة العالية (»التعديل الأول .أنا في الواقع أحب التعديل الأول، لا أحد يحبه أكثر مني، لا أحد .«كان جميع أفراد حاشية ترامب الآن يحافظون وبحذر على وجوه بلا تعابير، وعندما تخلّوا عن تلك الوجوه بإذن من هتاف الحشد أو ضحكهم، لم يكونوا يعرفون ما إذا كان الرئيس سيفلت من عواقب هذيانه الغريب أم لا.

»بالمناسبة، أنتم أيها الحضور، هذا المكان مكتظ، وهناك أشخاص يقفون بالدور على امتداد ستّة مبان) .«لم يكن هناك دور خارج اللوبي المزدحم» .(أنا أقول لكم ذلك لأنكم لن تقرأوا عنه .لكن هناك أشخاصاً يقفون بالدور على امتداد ستة مبان ...هناك ولاء واحد يوحّدنا جميعاً، إنه أميركا، أميركا ...ونحن جميعاً نحيّي بفخر العلم الأميركي نفسه ...ونحن جميعاً متساوون ومتساوون في عيون اللّه ...نحن متساوون ...وأريد أن أشكر، بالمناسبة، المجتمع الإنجيلي، والمجتمع المسيحي، والمجتمعات المؤمنة والحاخامات والكهنة والقساوسة، والوزراء، لأن دعمهم لي، كما تعلمون، كان قياسياً، ليس فقط لناحية العدد بل أيضاً لناحية النسب المئوية التي صوّتت لصالح ترامب ...مذهلة ومتدفقة، ولن أشعر بخيبة أمل ...ومادام يؤمن بعضنا ببعض، ولدينا ثقة باللّه، فلن يكون هناك هدف بعيد عن متناولنا.

ليس هناك حلم كبير جدّاً ...أو مهمة كبيرة جدّاً ...قياساً علينا نحن الأميركيين، والمستقبل ينتمي إلينا ...أميركا متيقظة، وستكون أكبر وأفضل وأقوى من أي وقت مضى.«...

كان بعضهم داخل الجناح الغربي، يتكهّن بالمدة التي سيستمر فيها ترامب، لو كان له قدرة التحكّم في الوقت والقدرة على اتقان اللغة .ويبدو أن الآراء قد توافقت على أنه كان سيستمر إلى الأبد .كانت نبرة صوته، وانعدام الضوابط لديه، وحقيقة أنه لم يكن يهتمّ بأن يبدو تفكيره منطقياً أو أن يعرض أفكاره بشكلٍ سلس، إضافةً إلى مقاربته العشوائية للأمور، وقدرته على ربط الأمور غير المترابطة، كلّها عوامل أوضحت أن الشيء الوحيد الذي يكبحه عن الاسترسال هو جدول أعمال الحضور وانشغالاتهم، إضافة إلى ضعف قدرته على التركيز.

كانت لحظات ترامب الارتجالية وجودية دائماً، ولكنها كانت كذلك بالنسبة لمساعديه أكثر منها بالنسبة إليه .فقد تحدث بشكل غامض وسعيد، واعتقد نفسه راوياً بارعاً ومؤدّياً عظيماً، في حين حبس الجميع أنفاسهم .فإذا حلّت لحظةٌ جنونية غريبةٌ في إحدى مناسباته، التي كانت تتكرّر، بسبب توجيهه ملاحظاته غير الواضحة، كان على الموظفين الامتثال والعمل بشكل مكثّف على الاستجابة .إن عدم الإقرار بما كان واضحاً للجميع، تطلّب انضباطاً إلى أقصى الدرجات.

***

مع إنهاء الرئيس لخطابه، كان ريتشارد سبنسر، الذي كان خلال الأشهر الأربعة تقريباً التي سبقت انتخاب ترامب في طريقه ليصبح الأكثر شهرة بين

النازيين الجدد في الولايات المتحدة منذ جورج لنكولن روكويل، قد عاد إلى مقعده في قاعة منتجع غايلورد، ليتحدث عن محبته وتقاربه المتبادلين مع دونالد ترامب.

كان سبنسر واحداً من قلّة من الناس الذين حاولوا إسناد عقيدة فكرية إلى الترامبوية .ومن بين أولئك الذين أخذوا كلام ترامب بحرفية وليس بجدّية، وأولئك الذين أخذوه بجدّية وليس بحرفية، كان هناك ريتشارد سبنسر .وفي الواقع العملي، كان يقوم بالأمرين معاً، وحجته الآتية :إذا كان ترامب وبانون الورقة الرابحة لحركةٍ محافظة جديدة، فإن سبنسر تحديداً) وهو مالك موقع آلت رايت (Alright.com كان ورقتهم الرابحة الفعلية، سواء أكانوا يعرفون ذلك أم لا.

وكأقرب ما يمكن أن يكون إلى النازيين الحقيقيين الذين رآهم أي صحفي في حياته، كان سبنسر جاذباً للصحافة الليبرالية الحاضرة في مؤتمر العمل السياسي المحافظ .ويمكن القول إنه كان يقدم شرحاً جيداً لشذوذ سياسة ترامب .اشتهر سبنسر من خلال كتاباته في منشورات المحافظين، لكنه لم يكن ذائع الصيت لا في أوساط المحافظين ولا في أوساط الجمهوريين الرسمية .وكان من المحرّضين على الحزب اليميني، ولكن ليس بطريقة تشبه طرق آن كولتر أو ميلو يانوبولوس القذرة والخبيثة .فهذان كانا نوعاً متصنعاً من الرجعية .بينما كان هو عنصريّاً متأصلاً، يتمتّع بتعليم جيد، ارتاد جامعات فيرجينيا، وشيكاغو، وديوك.

وكان بانون هو الذي تسبَّب في مغادرة سبنسر، حين أعلن أن بريتبارت أصبحت منصة» لليمين البديل«، وهي حركة ادعى سبنسر أنّه أسسها، أو على الأقل يمتلك اسم موقعها.

»لا أعتقد أن بانون أو ترامب من البيض العنصريين أو اليمين البديل.« هذا ما أوضحه سبنسر أثناء تخييمه بالقرب من مؤتمر العمل السياسي المحافظ في غايلورد» .إنهما ليسا مثل سبنسر، من العنصريين الفلسفيين)الذين يختلفون عن العنصريين العبثيين(، لكنّهما منفتحان على هذه الأفكار، ومنفتحان على الأشخاص المنفتحين على هذه الأفكار .نحن من يزيد النكهة على هذا الخليط.«

كان سبنسر على حق .فقد اقترب ترامب وبانون بالإضافة إلى سيشنز في هذا الخليط، ليكونا منفتحَيْن، أكثر من أي سياسي وطني كبير منذ حركة الحقوق المدنية، على وجهة نظر سياسية ملوّنة العرق.

»قال ترامب أشياء يفكّر فيها المحافظون أساساً ...انتقاده لحرب العراق، هجومه على أسرة بوش .لا أستطيع أن أصدق أنه فعل ذلك ...لكنه فعل... اللعنة عليهم ...إذا وجدنا في نهاية اليوم أن أسرة أنجلو ساكسونية قد أنجبت طفلاً وسمّته جيب، فسوف تكون هذه علامة واضحة على التنكُّر للأصول... والآن يتزوجون من مكسيكيين ...زوجة جيب ...تزوّج من مدبّرة منزله أو ما يشبه ذلك.«

دعا ترامب في خطاب العام 2011 توجه به إلى مؤتمر العمل السياسي المحافظ على وجه التحديد إلى تخفيف القيود المفروضة على هجرة الأوروبيين...

وإلى أن علينا إعادة إنشاء أميركا التي كانت أكثر استقراراً وأكثر جمالاً ...لن يقول أي سياسي محافظ آخر ذلك ...ولكن من ناحية أخرى كان الجميع تقريباً يفكرون فيها ...لذلك أعتقد أن قول ذلك يمدّ بالقوة ...من الواضح أن هناك عملية تطبيع تجري.«

»نحن خط الدفاع الأمامي لترامب .سيقول اليسار إن ترامب قومي، وعنصري ضمنيّاً، أو شبه عنصري .ولأن المحافظين بغيضون سيقولون أوه، لا، بالطبع لا، إنه دستوري، أو أيّاً يكن .ونحن كيمين بديل فسوف نقول إنه قومي وعنصري أيضاً .حركته هي حركة بيضاء عنصرية .ماذا؟ ألم تكونوا تعرفون؟ « وبدا سبنسر راضياً جدّاً عن نفسه .توقّف قليلاً ثم قال» :نحن نعطيه نوعاً من الإذن.«

***

في مكان قريب، في قاعة غايلورد، جلست ريبيكا ميرسر تتناول وجبة خفيفة مع ابنتها التي تدرس في المنزل، وصديقتها وزميلتها المحافظة ألي هانلي .واتفقت كلتا المرأتين على أن خطاب الرئيس في مؤتمر العمل السياسي المحافظ قد أظهره أكثر سحراً ولطفاً.

الفصل العاشر

غولدمان

راح الشعور لدى جبهة» جارفانكا «في البيت الأبيض يتزايد بأن الشائعات التي سرّبها بانون وحلفاؤه كانت تؤدي إلى إضعاف مكانتهم .تعرّض جاريد وإيفانكا اللذان كانا يسعيان إلى تعزيز وضعهما أكثر من أي وقت مضى كراشدَيْن موزونَيْن، لجرحِ مشاعرهما، بسبب هذه الهجمات الخلفية .في الواقع، بدأ كوشنر يعتقد بأن بانون سيفعل أي شيء للنيل منهما .كان الأمر شخصياً .بعد أشهر من الدفاع عن بانون ضد تلمحيات الصحافة الليبرالية، استنتج كوشنر أن بانون كان معادياً للسامية .هذا هو بيت القصيد .إنها مسألة معقدة ومحبطة، وليس من السهل إبلاغ حميه عنها، لأن أحد اتهامات بانون لكوشنر، الشخص الذي

عيّنته الإدارة لتولّي شؤون الشرق الأوسط، تمثّل في أنه لم يكن شرساً بما فيه الكافية في دفاعه عن إسرائيل.

بعد الانتخابات، أشار مذيع فوكس نيوز تاكر كارلسون بطريقة ماكرة ومبتذلة، حين انفرد بالرئيس، إلى أنه بإسناد ملف إسرائيل تلقائياً إلى صهره، الذي، على حدّ قول ترامب سوف يحقق السلام في الشرق الأوسط، لم يجامل كوشنر فعلياً بشيء.

»أعلم«، أجاب ترامب، مستمتعاً بالمزحة.

لا يخلو موضوع تعاطي ترامب مع اليهود وإسرائيل من الغرابة في خفاياه . كان والد ترامب المتسلّط لا يخفي عداءه للسامية .وفي عملية تقاسم الأملاك في نيويورك ما بين اليهود والأغيار، تعرّض آل ترامب للغبن بشكل واضح.

كان اليهود من الطبقة المرموقة، أما ترامب فكان يعتبر سوقياً حتى أكثر من والده، فهو يضع اسمه على أبنيته، وهذا عمل غير لبقٍ أبداً) .لسخرية القدر، ثبت أن هذا الأمر شكل تقدماً مهمّاً في التسويق العقاري، ويعتقد أن أهم إنجازات ترامب كمطور عقاري، هو العلامة التجارية التي يمنحها لأبنيته .(لكن ترامب كان قد ترعرع وأسس أعماله في نيويورك، أكبر مدينة لليهود في العالم . لقد بنى سمعته في الأوساط الإعلامية، والتي كانت أغلبية صناعتها يهودية، بتفهم سليم لديناميات الإعلام القَبَلية .كان مستشاره، روي كون، شخصاً مشبوهاً، من مستوى متدنّ، ورجلاً يهودياً قوياً .لقد تقرّب من شخصيات اعتبرهم» رجالاً يهوداً أقوياء) «أحد الألقاب التي كان يطلقها(، وهم كارل إيكان، الممول الميلياردير؛ إيكي برلموتر المستثمر الملياردير الذي اشترى مارفل كوكس وباعها؛

رونالد بيليرمان، الملياردير رئيس مجلس إدارة ريفلون : ستيفن روس، الملياردير النيويوركي ملك تجارة العقارات؛ شلدن إديلسن الملياردير، عملاق الكازينوهات . لقد اعتمد ترامب حديث رجل يهودي من الخمسينات) من مجموعة الأقوياء(، مستعملاً مجموعة من العبارات الييدية .2قال مثلاً في معرض الحديث عن هيلاري كلينتون أنها فشلت فشلاً ذريعاً في انتخابات العام2008 ، مستخدماً عبارة«Shlonged» ، ومحاولاً أن يمنح نفسه قدرة غير متوقعة على التعبير، هو الذي لا يجيد الكلام.

حاليّاً، أصبحت ابنته، التي هي بحكم الواقع السيدة الأولى، من خلال ارتدادها، اليهودية الأولى في البيت الأبيض.

كانت حملة ترامب والبيت الأبيض ترسل باستمرار رسائل غير منسجمة عن اليهود، من وجهة نظرهم المريبة في ما يتعلق بديفيد دوك، وصولاً إلى رغبتهم الواضحة في العبث بتاريخ المحرقة، أو على الأقل ميلهم إلى التغاضي عنها .في مرحلة مبكرة من الحملة، تعرّض صهر ترامب لتحدّي فريق عمله الخاص في »نيويورك أوبسرفر«، وشعر بالضغط إزاء إظهار حسن نيّاته، وهو يسعى للوقوف إلى جانب حميه .وكتب دفاعاً محموماً عن ترامب في محاولة منه ليبرهن أنه ليس معادياً للسامية .مقابل جهوده، تعرّض جاريد للتوبيخ من مختلف أفراد أسرته، الذين من الواضح أنهم شعروا بالقلق إزاء اتجاه الترامبوية، وانتهازية جاريد.

برزت أيضاً مسألة التقرب من النزعة الشعبوية الأوروبية .فقد كان ترامب كل ما أمكنه ذلك، يتضامن معها ويثني على تزايد الحقوق في أوروبا، وعلى وجود

الجمعيات المناهضة للسامية، مما زاد في تراكم المشاعر والموجات المعادية له . لتجيء بعد ذلك مسألة بانون، الذي سمح لنفسه بأن يصبح، من خلال تنسيق موضوعات وسائل الإعلام اليمينية وتأجيج الغضب الليبرالي، مؤشراً لافتاً صريحاً على مناهضة السامية .بالطبع كان إزعاج اليهود الليبراليين عملاً جيداً بنظر الجناح اليميني.

من جانبه، كان كوشنر المتسلّقَ الاجتماعيَّ المتأهب الذي رفض كل المناشدات في الماضي لدعم المنظمات اليهودية التقليدية .عند استدعائه، رفض سليل الملياردير المساهمة .لم يتعجَّب أحد من ترقية جاريد كوشنر المفاجئة إلى منصبه الجديد كمدافع أكبر عن إسرائيل، أكثر مما تعجّبت المنظمات اليهودية - الأميركية .حاليّاً، اليهودي العظيم والجيد، العريق والمجرَّب، اليوسفيون والمرميديّون، عليهم جميعاً أن يتودّدوا إلى جاريد كوشنر ...الذي كان منذ وقت وجيز نكرة.

في نظر ترامب، لم يكن تسليم ملف إسرائيل لكوشنر مجرد اختبار، بل كان اختباراً يهودياً :لقد اختاره خصيصاً لأنه يهودي، مكافئاً إياه لأنه يهوديّ، أثقل كاهله بهذه العقبة المستحيلة كونه يهودياً، ومتخلفاً أكثر ممّا ينبغي عن المعتقد النمطي حول قدرات اليهود على التفاوض .ردّد ترامب غير مرة» :على حد قول هنري كيسنجر، إن جاريد سوف يصبح هنري كيسنجر الجديد«، هذا الكلام كان بمثابة مزيج من الإطراء والإهانة.

في الوقت نفسه لم يتردد بانون بتحذير كوشنر من إسرائيل .هذا الاختبار اليميني الغريب الحاسم الذي سوف يضعه على المحك .كان بإمكان بانون أن

يستميل اليهود، اليهود الليبراليين والعالميين، أمثال كوشنر، لأنك كلّما كنت أكثر ميلاً إلى اليمين، كنت في المسار الأصح فيما يخصّ إسرائيل .كان نتانياهو صديقاً قديماً لأسرة كوشنر .ولكن حين أتى رئيس الوزراء الإسرائيلي في الخريف إلى نيويورك للقاء ترامب وكوشنر، أوضح سعيه إلى ستيف بانون.

في إسرائيل، دخل بانون في شراكة مع شيلدون أديلسون، عملاق لاس فيغاس، المتبرع بمبالغ طائلة لليبراليين، والرجل الذي يعتبره الرئيس من أشد أقوياء اليهود) هذا يعني الأكثر ثراء .(تعوّد أديلسون الاستخفاف بدوافع كوشنر وإمكانياته .واستمر الرئيس في الطلب من صهره، حين كان يخطّط استراتيجياً للعلاقة مع إسرائيل، أن يستشير شيلدون، وبالتالي بانون، ما أرضى بانون بشكل كبير.

كانت جهود بانون لنيل لقب الأقوى في ملفّ إسرائيل، محيرة جدّاً لكوشنر، الذي جرت تنشئته كيهودي أرثوذكسي .كما أن زميليه المقرّبين إليه في البيت الأبيض، أفي بركوفيتس وجوش رافيل، هما من اليهود الأرثوذكس .وبعد ظهر يوم الجمعة، تتوقف أعمال كوشنر كلها في البيت الأبيض، قبل مغيب الشمس إلتزاماً منه عطلة يوم السبت.

وقد رأى كوشنر، أن دفاع بانون اليميني عن إسرائيل، والذي تبنّاه ترامب، قد تحوّل بطريقة ما إلى جزء من مصارعة يابانية مناهضة للسامية، موجّهة مباشرة ضدّه .كان بانون مصمماً على إظهار كوشنر ضعيفاً وغير مستحق، أي مخنّثاً على حد قول اليمين البديل.

لذلك رد كوشنر الضربة مستقدماً إلى البيت الأبيض رجله اليهودي القوي الخاص :غولدمان.

***

دفع كوشنر برئيس المؤسسة المصرفية غولدمان ساكس آنذاك، غاري كوهن، ليدير المجلس الاقتصادي الوطني، ويصبح المستشار الاقتصادي الرئيسي للرئيس .ووقع خيار بانون على مذيع الإس.إن.بي.سي CNBC المحافظ والمعلق لاري كادلو .وقد رأى ترامب أن ميزة غولدمان قد تخطت الشخصيات.

إنها لحظة مهمة .فقد كان كوشنر متدرباً صيفيّاً لدى غولدمان في الوقت الذي كان فيه كوهن رئيس تجارة السلع الأساسية .وبعد ذلك ترأس كوهن غولدمان عام 2006. وحين انضم كوهن إلى فريق عمل ترامب، كان كوشنر غالباً ما يجد الفرصة للإشارة إلى أن رئيس غولدمان ساكس كان يعمل لحسابه .وكان بانون إما يشير إلى كوشنر كمتدرب لدى كوهن، أو يذكر أن كوهن يعمل الآن عند متدربه، وذلك بحسب من ينوي تجريحه .من جانبه، كان الرئيس يستدعي كوهن باستمرار إلى الاجتماعات، خصوصاً مع القادة الأجانب، فقط لكي يعرف عنه بصفة الرئيس السابق لغولدمان ساكس.

أعلن بانون عن نفسه بأنه العقل المدبر لترامب؛ بيد أن ذلك التباهي قد استفز الرئيس .ولكن كوشنر وجد في كوهن عقلاً مدبراً أفضل للبيت الأبيض : وأن يكون كوهن العقل المدبّر لكوشنر لم يكن فحسب أصح من أن يكون عقل ترامب المدبّر، بل إن تنصيب كوهن كان أفضل حركة مضادة تجاه فلسفة الإدارة الفوضوية الخاصة ببانون .كوهن هو الوحيد في الجناح الغربي الذي سبق له أن

تسلّم إدارة منظمة كبيرة) تضمّ غولدمان خمسة وثلاثين ألف موظف .(ومن دون تسليط الضوء على الموضوع، وبالرغم من أن ذلك كان يُسعد كوشنر، خرج بانون من غولدمان وبالكاد كان قد وصل إلى درجة الإدارة المتوسطة، في حين أن كوهن الذي كان معاصراً له، استمر في أعلى المناصب في الشركة، يجني خلال ذلك مئات الملايين من الدولارات .أضحى كوهن الديمقراطي العالمي الدولي من مانهاتن، الذي صوت لهيلاري كلينتون، والذي يتكلم باستمرار مع رئيس إدارة غولدمان الديمقراطي السابق في نيوجرسي والحاكم جون كورزيني، أضحى مباشرة نقيض بانون.

لكن في نظر بانون، الإيديولوجي، كان كوهن العكس تماماً .فهو تاجر سلع أساسية يقوم بما يقوم به التاجر، يفهم ما يجري، ويتوقّع من أين تأتي الرياح . »أن تجعل غاري يتخذ موقفاً من أمر ما، أشبه بتثبيت الفراشات على الحائط«، علّقت كايتي والش.

ابتدأ كوهن بوصف البيت الأبيض المستقبلي الذي سيركز على الأنشطة التجارية ويلتزم تعزيز الوسطية من خلال مواقف معتدلة .في هذه التشكيلة الجديدة، سيجري تهميش بانون .وسيكون كوهن، الذي كان رافضاً لبريبوس، رئيس الموظّفين المنتظر .بدا ذلك درباً سهلاً لكوهن .بالطبع ستسير الأمور على النحو الآتي :بريبوس شخص دون المستوى وبانون ساذج لا يحسن إدارة أي عمل.

بعد أسابيع من وصول كوهن إلى الفريق الانتقالي، صد بانون مشروعه الهادف إلى توسيع المجلس الوطني الاقتصادي ليضمّ ثلاثين شخصاً إضافياً) .لا

يمكن إنكار أن كوشنر رفض مخطط بانون القاضي بتسليم ديفيد بوسي تشكيل فريق عمله وترؤسه .(عمم بانون وجهة النظر المحتملة) أو، في كل الأحوال، الاعتقاد الشائع لدى غولدمان ساكس (والقائلة بأن كوهن، عندما تقرّر أن يصبح المدير التنفيذي لغولدمان، قد أُرغم على التنحّي على طريقة سعي هيغ للسلطة.) فألكسندر هيغ، الذي كان في العام 1981 وزير الخارجية، أصرّ على تسلّمه للسلطة بعد إطلاق الرصاص على رونالد ريغان(، في الوقت الذي خضع فيه المدير التنفيذي لغولدمان لويد بلانكفاين لعلاج السرطان .رأى بانون، أن كوشنر قد قام بشراء بضاعة فاسدة .من الواضح أن البيت الأبيض، كان بالنسبة إلى حياة كوهن المهنية بمثابة حبل نجاة، فلأي سبب آخر كان سيأتي إلى مكتب ترامب؟) الكثير من ذلك سرَّبه إلى المراسلين سام نانبرغ، تابع ترامب السابق الذي يخدم حالياً لدى بانون .كان نانبرغ صريحاً بخصوص استراتيجيته : »لن أتورّع كلما تسنّت لي الفرصة عن تلقين غاري درساً لن ينساه.(«

إن تزايد عدد ديمقراطيي كوشنر - كوهن، في قلب واشنطن التي يتحكم بها الجمهوريون، ويمينيو الجناح الغربي الضاري إن لم نقل المعادي للسامية) على الأقل تجاه اليهود الليبراليين(، هو مسألة سلطة روابط الدم) أو المصاهرة(، وعلى الأغلب سلطة غولدمان ساكس .يعود جزئياً الفضل بذلك إلى كوشنر، الذي أظهر صلابة غير متوقعة .تمثّلت في كونه ينفر من النزاعات سواء في مواجهة بانون أو في مواجهة حميه؛ ففي أسرة كوشنر، انفرد والده بمواجهة كل النزاعات، مما جعل الآخرين يتعاملون برخاوة .بدأ كوشنر يرى نفسه بطريقة رزينة :كان آخر الرجال المعتدلين، الوجه الحقيقي للتضحية بالذات، وثقل التوازن الضروري في قاع السفينة .وكل ذلك سيظهر من خلال إنجاز مذهل.

سيتمم المهمة التي فرضها عليه حموه، والتي كان يراها أكثر فأكثر على أنها قدره . سوف يتمكن من إحلال السلام في الشرق الأوسط.

»سوف يصنع السلام في الشرق الأوسط«، لطالما كررها بانون، بصوت متقطع وتعابير مؤثّرة، جاعلاً كل البانونيين يضحكون.

إذاً في عبارة أخرى كان كوشنر نموذجاً للحماقة الشديدة ومدعاة للسخرية . ومن جهة أخرى، كان رجلاً مدعوماً من زوجته ومن كوهن، وجد نفسه على الساحة العالمية ينفّذ مهمة فريدة من نوعها.

تبدو تلك المهمة حتى الآن معركة أخرى للربح أو للخسارة .اعتبر بانون أن كوشنر وكوهن) بالإضافة إلى إيفانكا(، يشغلون واقعاً بديلاً لا يحمل الكثير من سمات ثورة ترامب الحقيقية .ولم ير كوشنر وكوهن بانون مجرد مخرّب، بل مدمر ذاتي؛ وكانوا متأكدين من أنه سوف يدمر نفسه قبل القضاء عليهم.

لاحظ هنري كيسنجر» أنها حرب بين اليهود والأغيار في بيت ترامب الأبيض.«

***

أما دينا باول، موظفة غولدمان الأخرى في الجناح الغربي، فكان الاعتبار الرئيسي في نظرها حين طرحت إيفانكا عليها الالتحاق بالعمل في البيت الأبيض، هو التقييم السلبي لارتباطها برئاسة ترامب .أدارت باول الذراع الخيرية لغولدمان ساكس، المتمثّلة في مبادرةٍ تختصّ بالعلاقات العامة، والتقرّب من مصادر الأموال والتبرّعات التي كانت سلطتها متزايدة .بتمثيلها غولدمان، أصبحت كالأسطورة في دافوس، والأقوى في الاتصال والعلاقات، ومن المهمّين في

هذا المجال على مستوى العالم .وقفت على تقاطع ما بين المظهر والثروة، في عالم تزايد ترجّحه بين الثروة الخاصة والدفعات الشخصية.

وبفعل طموحها من جهة ومواهب إيفانكا ترامب التسويقية خلال الاجتماعات السريعة في نيويورك وواشنطن من جهة ثانية، انضمت باول إلى الفريق متخطّية شكوكها .بالإضافة إلى ذلك الرهان السياسي المحفوف بالمخاطر والعالي المردود في آن، بدا أنها ستسيطر على البيت الأبيض، إلى جانب جاريد وإيفانكا، وبالتعاون الوثيق مع كوهن، صديقها من غولدمان وحليفها .كان ذلك المخطّط الضمني :وليس أقل من ذلك .تحديداً، تمثلت الفكرة في أن يتمكن كوهن أو باول، وعلى الأغلب الاثنان معاً خلال الأعوام الأربعة أو الثمانية القادمة، من تولّي منصب رئيس الموظّفين، بالنظر إلى أن بانون وبريبوس قد تعثّرا .إن تذمر الرئيس من بانون وبريبوس، الذي لاحظته إيفانكا، شجع هذا السيناريو.

لم تكن هذه نقطة بسيطة .ذلك أن قوة التحفيز لدعم خطوة باول كانت بمثابة اعتقاد معيّن من جهة جاريد وإيفانكا) اعتقاد مقنع لكوهن وباول (بأن البيت الأبيض تحت سيطرتهم .وقد رأى كوهن وباول، أن عرض الانضمام إلى إدارة ترامب قد تحوّل إلى ما أبعد من فرصة وأصبح بمثابة واجب .سيكون ضمن وظيفتهما، في العمل مع جاريد وإيفانكا، المساعدة في إدارة وتشكيل بيت أبيض قد يصبح في خلاف ذلك الصورة المعاكسة للعقل والاعتدال اللذين يمكنهما إضافتهما .يمكن أن يكون لهما دور أساسي في إنقاذ المكان، وبالاضافة إلى ذلك، تحقيق قفزة نوعية ذاتية إلى الأمام.

والأمر الأكثر إلحاحاً لإيفانكا، التي كانت تركّز على انشغالات متعلقة بالمرأة في بيت ترامب الأبيض، أن باول كانت تشكّل صورة تصحيحية لكيليان كونواي، والتي احتقرها كل من جاريد وإيفانكا، بعيداً عن حربهما مع بانون .كونواي، التي استمرت في التمسك بخدمة الرئيس، وفي أن تكون المدافعة المفضلة لديه على برامج الأخبار المتلفزة، قد أعلنت نفسها كوجه للإدارة، كان جاريد وإيفانكا، يريانه مرعباً .يبدو أن أسوأ نزعات الرئيس كانت تمر عبر كونواي من دون الخضوع للغربلة .فقد كان غضب ترامب واندفاعه وأخطاؤه تتفاقم .حيث كان يفترض بمستشار رئاسي أن يخفّف من وقع إعلاناته الجريئة ويعلّلها؛ بيد أن كونواي كانت تعطيها معنىً، وتضاعف الجرعة وتضخم الأمور بشأنها .أخذت طلب ترامب الولاء بحرفيته .ومن وجهة نظر إيفانكا وجاريد، كانت كونواي عنيدة، عدوانية، وتهوى الدراما .وكانا يأملان أن تكون باول متأنية، حذرة وضيفة ناضجة في برامج الأحد الصباحية.

في أواخر شباط/فبراير، وبعد أول شهر من الهرج والمرج في الجناح الغربي، يبدو أن الحملة، التي قام بها جاريد وإيفانكا لإضعاف مكانة بانون، قد بدأت تؤتي ثمارها .فقد أوجد الثنائي حلقة معلومات، تضمّنت سكاربورو ومردوخ، راحت تعزّز انزعاج الرئيس العميق وإحباطه إزاء أهمية بانون المزعومة في البيت الأبيض .وخلال أسابيع مرّت على تغطية صحيفة التايم موضوعاً بخصوص بانون، لم ترد محادثة واحدة لم يشر فيها ترامب إلى الموضوع بمرارة) .قال روجر أيلز» :إنه يعتبر تغطية التايم بلا قيمة؛ وحتى لو تخطى أي شخص آخر الموضوع، فهو لم يفعل .(«لقد واظب سكاربورو بانتظام على الثرثرة بقسوة، مستهدفاً» الرئيس بانون) «أي رغبة بانون في أن يكون هو الرئيس .(ونصح مردوخ

الرئيس بشدة بخصوص غرابة البانونية وتطرُّفها، رابطاً بانون بأيلز، قائلاً له: »كلاهما مجنون.«

كوشنر بدوره، بتخوّفه أكثر من أي وقت مضى من أي نقطة ضعف متعلقة بالعمر، ضغط على الرئيس بوجهة نظره القائلة بأن بانون البالغ من العمر ثلاثة وستين عاماً لن يستطيع تحمُّل إجهاد العمل في البيت الأبيض .بالفعل، كان بانون يعمل بين ست عشرة ساعة وثماني عشرة في اليوم، على مدار أيام الأسبوع، بالإضافة إلى أنه، خوفاً من التغيُّب عن استدعاء رئاسي أو مخافة من أن ينتزعه أحد آخر الفرصة، كان يعتبر نفسه مداوماً تقريباً طوال الليل .مع مرور الأسابيع، بدا على بانون تدهور صحّته أمام عيون الجميع :بدا وجهه أكثر انتفاخاً، ساقاه أكثر تورماً، عيناه أكثر إرهاقاً، وبدت ثيابه وكأنه ينام فيها، وانتباهه أكثر تشتّتاً.

***

حين بدأ ترامب شهره الثاني في الإدارة، ركّزت جبهة جاريد-إيفانكا-غاري-دينا، على خطاب 28 شباط/فبراير الرئاسي لجلسة الكونغرس المشتركة.

»عودوا إلى نقطة الصفر«، أعلن كوشنر» .لا بد من إعادة ضبط كلية.«

أتاحت المناسبة الفرصة المثالية .كان ينبغي لترامب أن يدلي بخطابه أمام كوشنر .كان الخطاب سيوزع على نطاق واسع قبل إدلائه، ولن يُكتفى بأن يُعرض أمامه على الملقّن .ما هو أكثر، لن يستفزه الجمهور المؤدب .فالمعدّون لديه

سيطروا على الوضع .ولهذه المناسبة على الأقل، كان جاريد-إيفانكا-غاري-دينا هم المعدون.

قالت إيفانكا لوالدها» :سوف يحاول ستيف القول بأن الفضل في هذا الخطاب يعود له كي يستقطب الثناء، حتى إن لم يكن قد كتب فيه سوى كلمة واحدة .«كانت تعلم جيداً أن الثناء، أكثر من المحتوى، كان يمثل لترامب الزر الساخن المحرّك .وضمن تعليقها أن ترامب سيبقيه بعيداً عن متناول بانون.

»خطاب غولدمان «هكذا أسماه أطلق بانون.

الخطاب الافتتاحي، الذي كتبه أساساً بانون وستيفن ميلر، صدم جاريد وإيفانكا .لكن كان لبيت ترامب الأبيض خصوصية معيّنة ضاعفت صعوبة توجيه الرسائل، تمثلت في عدم وجود فريق لكتابة الخطب .كان هناك بانون المثقف والمتمكّن جداً شفويّاً، الذي لم يحرر فعليّاً أي شيء بنفسه؛ وكان هناك ستيفن ميلر، الذي لم يفعل أكثر من وضع قائمة بالمواضيع التي ينبغي التطرّق إليها .كانت تلك، إلى حد بعيد، محاولة بالتي هي أحسن .كان هناك نقص في الرسائل المتماسكة، لعدم توافر شخص مناسب كي يكتب رسالة متماسكة . وهذا مجرد مثال واحد إضافي على التغاضي عن الاحتراف السياسي.

لقد أحكمت إيفانكا سيطرتها على صياغة خطاب الجلسة المشتركة . وسريعاً بدأت تُقحم في الخطاب مساهمات من معسكر جارفانكا .وفي هذه الحالة، أحسن الرئيس التصرُّف تماماً كما تأملوا .هنا كان ترامب المتفائل، ترامب البائع، ترامب الذي لا يخشى شيئاً، ترامب المحارب-السعيد .اعتبر جاريد وإيفانكا وكل حلفائهم هذه الليلة رائعة، متفقين على أن السيد المتحدث، أي

رئيس الولايات المتحدة، بدا رئاسيّاً بالفعل .ولمرة واحدة، حتى الإعلام أجمع على ذلك.

كانت الساعات، التي تلت خطاب الرئيس، أفضل أوقات ترامب في البيت الأبيض .كانت رئاسة مختلفة، على الأقل لدورة أخبار واحدة .لوهلة، كان هناك شيء من تأنيب الضمير في بعض وسائل الإعلام :هل أُسيء فهم هذا الرئيس إساءة شديدة؟ هل الإعلام، الإعلام المنحاز، فاتته النيّات الحسنة حيال دونالد ترامب؟ هل كان أخيراً يظهر طبيعته الجيدة؟ الرئيس بنفسه قضى يومين كاملين تقريباً لا يفعل شيئاً سوى مراجعة أخباره الجيدة في الصحافة .لقد وصل، أخيراً، إلى الشاطىء الهادىء) وحاز تقدير المواطنين .(أضف إلى ذلك أن نجاح الخطاب دعم استراتيجية جاريد وإيفانكا :وهي البحث عن أرضية مشتركة .كما أنه أظهر صحة فهم إيفانكا لوالدها :أراد فقط أن يكون محبوباً .وفي الوقت نفسه، تأكّد الخطاب أسوأ مخاوف بانون :بقلبه الصادق، كان ترامب صبيانيّاً.

إذا أخذت في الحسبان أن ليلة الجلسة المشتركة لم تكن تعبيراً عن ترامب جديد، بل إشعاراً عن عقل مدبّر جديد للجناح الغربي) الذي كانت إيفانكا تخطّط للانضمام إليه رسميّاً بعد أسابيع .(كان جاريد وإيفانكا، بمساعدة مستشاريهما من غولدمان ساكس، يغيّران الخطاب والأسلوب والموضوعات المطروحة للبيت الأبيض» .التواصل«، أصبح المحور الجديد.

بالكاد استطاع بانون أن يدعم قضيته .وراح يوحي للجميع أنه يعرف ما سيحدث لأي شخص يقبل بالإصغاء إليه .أصرّ على أن محاولة تهدئة ألد أعدائك لن تجلب إلا الكوارث .عليك أن تستمر في توجيه الضربات إليهم؛ فإنك

تخدع نفسك إذا ظننت أن التسوية ممكنة .لقد رأى ستيف بانون أن قوة دونالد ترامب هي في أن طبقة النخبة المخملية لم تكن لتقبله قط .فمهما حاولوا تلميع صورته، فهو، في النهاية، دونالد ترامب.

الفصل الحادي عشر

التنصّت

ثلاث شاشات تلفزيون كانت تشغل غرفة الرئيس داخل البيت الأبيض، ما يعني أنه كان هو نفسه قيّماً على المحتوى المرئي الذي يشاهده .ولكن في ما يخصّ الصحافة المطبوعة، كان يعتمد على هوب هيكس .وقد ظنّ الكثيرون أنّ هيكس، وهي مساعدته المبتدئة التي واكبته في معظم مراحل حملته الانتخابية والناطقة باسمه) وإن كان يؤكّد بأن ما من ناطق باسمه سواه(، قد دُفِعَت إلى الهامش في الجناح الغربي دفعها البانونيون وجناح غولدمن وبريبوس، وهم أعضاء محترفون في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري .رآها كبار الموظفين صغيرة جدّاً في السن، وتفتقر إلى الكثير من الخبرة: فقد اشتُهرت في صفوف مراسلي الحملة

الانتخابية بأن حركتها تصبح صعبة حين ترتدي التنانير القصيرة؛ ولكنها توافق على ما يقوله ترامب بسرعة، وهي دائمة القلق من ارتكاب أي خطأ، حتى أنها تشكّك بنفسها بتخوّف، ولا تكفّ عن السعي إلى استرضاء ترامب .وظلّ الرئيس ينقذها، من محاولات البعض إبعادَها بسؤاله» :أين هوب؟ «وبقيت هيكس، الأمر الذي حيّر الجميع إلى حدّ ما، الشخص المقرّب والمعاون الأمين الذي يفضّله الرئيس، لأنها كانت تقوم بأهمّ وظيفة في البيت الأبيض، وهي وظيفة تفسير أقوال الصحف بأكبر قدر ممكن من الإيجابية، وإبعاده عن الصحف التي لا تكتب عنه بطريقة إيجابية.

شكل اليوم التالي لخطاب» إعادة الانطلاق «أمام الجلسة المشتركة للكونغرس معضلة لهيكس .هنا كان المكان الذي حازت فيه الإدارة أولى الملاحظات الجيدة .لكن، يومذاك، حملت صحف ذا بوست، وتايمز، ونيويوركر، الكثير من الأخبار السيئة .ولحسن الحظ لم تغرق أخبار الصحف الثلاث المختلفة المحطات التلفزيونيّة؛ لذلك كان لا يزال هنالك وقت وجيز قبل أن تفعل .في ذاك اليوم، الأول من آذار/مارس، لم تكن هيكس نفسها قد أدركت بعد مدى سوء تلك الأخبار.

تمحور الخبر الذي نشرته الواشنطن بوست حول خبر تسرّب من مصدر تابع لوزارة العدل) بوصفه» أحد كبار المسؤولين الأميركيين القدامى - «وبالتالي، يرجح أن يكون من رجال البيت الأبيض في عهد أوباما .(تقول الصحيفة إنّ النائب العام الجديد جيف سيشنز قد التقى السفير الروسي سيرجي كيسلياك في مناسبتين مختلفتين.

حين أُطلع الرئيس على الخبر لم يفهم معناه فسأل» :وما معنى هذا؟.«

في الواقع، قيل للرئيس فيما بعد إنّ سيشنز قال إنه لم يفعل ذلك.

وفي مواجهة سيشنز خلال جلسة الاستمتاع في العاشر من كانون الثاني/يناير، بدا آل فرنكن، الممثل الكوميدي السابق وعضو الحزب الديمقراطي في مجلس الشيوخ عن ولاية مينيسوتا، بدا وكأنه يراوغ كالأعمى سعياً منه إلى إيجاد سؤال يطرحه .وفي النهاية، راح فرانكن يتوقف عن الكلام ثم يستأنف، وظلّ يعاني ليركّب جملة مفيدة، حين أُعطِيَ سؤالاً ليطرحه حول ملفّ ستيل الذي كان قد كُشِفَ لتوّه:

هذه الوثائق تزعم أيضاً، وأقتبس الآتي» :خلال الحملة الانتخابية، جرى تبادل مستمر للمعلومات بين بدلاء ترامب ووسطاء تابعين للحكومة الروسيّة.«

أكرّر أنني أقتبس الخبر كما ورد .ولكن إذا كان هذا صحيحاً، فلا شكّ في أنّ الأمر خطير للغاية .وإذا كان ثمّة دليل على تواصل أحد المعنيين بحملة ترامب مع الحكومة الروسية في معرض هذه الحملة، فماذا ستفعلون عندها؟

وبدل الإجابة عن سؤال فرانكن غير المباشر» :ماذا ستفعلون عندها؟«، بكل بساطة أجاب سيشنز المرتبك عن سؤال لم يُطرَح عليه بعبارة» بالطبع سنتحرّى عن الموضوع، وسنلاحق أي عمل غير شرعي.«

حضرة السيناتور فرانكن، لستُ على علمٍ بأيٍّ من هذه النشاطات .لقد تمّت الاستعانة بي في هذه الحملة مرّة أو مرّتين، ولكن لم أجرِ أي اتصال بالروس، ولا يمكنني التعليق على هذا الموضوع.

كان همّ الرئيس الأول هو السؤال الآتي :لماذا يعتقد الجميع أنّ التواصل مع الروس أمر سيّء .وقد أصرّ ترامب على أنّ ما من خطب في هذا الأمر .وكما في الماضي، كان من الصعب زحزحته عن هذه النقطة، وجعله يركّز في القضية المطروحة :وهي احتمال أن يكون الكونغرس قد تعرّض لكذبة .يبدو أن قصّة الواشنطن بوست لم تلفت انتباهه، ولم تقلقه البتة .ومع دعم هيكس لرأيه، كان يرى أنها محاولة غير مجدية لتلفيق أي شيء ضد سيشنز .وفي أيّ حال، أكّد سيشنز أنه لم يقابل الروس بوصفه شريكاً في الحملة .إذاً؟ هو لم يفعل ذلك . انتهت القضية.

قال الرئيس مستخدماً جوابه الذي بات يستخدمه في كل مناسبة» :إنها أخبار ملفّقة.«

أما القصّة السيئة التي نشرتها صحيفة التايمز، فقد روتها هيكس للرئيس، وبدت له أخباراً جيدة .تلك القصّة، التي نُقلت عن مصادر مجهولة من إدارة أوباما) المزيد من مصادر أوباما المجهولة(، قد كشفت بُعداً جديداً للتلميح المتزايد إلى علاقةٍ ما بين حملة ترامب والجهود الروسية للتأثير على الانتخابات في الولايات المتحدة:

قدّم حلفاء أميركا، وبمن فيهم البريطانيون والهولنديون، معلومات تصف الاجتماعات التي تُعقد في المدن الأوروبية بين مسؤولين روس وآخرين مقرّبين من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، من جهة، ومساعدي المرشّح الانتخابي ترامب، من جهة ثانية، وفقاً لما أفاد به ثلاثة مسؤولين أميركيين سابقين طلبوا عدم الإفصاح عن هوياتهم، أثناء مناقشتهم معلومات استخباراتيّة سريّة.

إضافة إلى ذلك:

وبصفة منفصلة، اعترضت وكالات الاستخبارات الأميركية اتصالات مسؤولين روس، بعضهم من داخل الكرملين، وهم يناقشون اتصالاتهم بمساعدي ترامب.

واستمرّت القصّة:

نفى السيد ترامب أي علاقة تربط حملته بالمسؤولين الروس، إلى درجة أنه اقترح بكل صراحة أن تكون وكالات التجسس الأميركية قد ابتدعت هذه المعلومات السرية التي تزعم بأن الحكومة الروسية قد حاولت التدخّل في الانتخابات الرئاسية .واتهم السيد ترامب إدارة أوباما بالترويج لقصّة روسيا هذه كوسيلة لتشويه صدقية إدارته الجديدة.

وانطوى صلب الموضوع على الآتي:

في البيت الأبيض في عهد أوباما، كانت تصريحات ترامب تثير مخاوف البعض من أنه يجري إخفاء معلومات استخباراتية سرّية أو، إتلافها، أو الكشف عن مصادرها، فور انتقال السلطة إلى يدٍ أخرى .وما تلا ذلك كان دفعاً باتجاه حماية المعلومات السرية التي كانت تُبرِز القلق العميق الذي انتاب البيت الأبيض ووكالات الاستخبارات الأميركية، جرّاء التهديد الذي مصدره موسكو.

وكان هذا تأكيد آخر لنظرية ترامب المركزية، القائلة بأن الإدارة السابقة، التي هُزِمَ مرشّحها، لا تكتفي بتجاهل العادة الديمقراطية المتمثّلة في تمهيد الطريق أمام الفائز في الانتخابات؛ بل، بحسب وجهة نظر البيت الأبيض في عهد

ترامب، تآمر رجال أوباما مع أجهزة الاستخبارات لزرع الألغام في طريق الإدارة الجديدة .وزعمت القصّة أنّ المعلومات السرّيّة قد نُشِرَت على نطاق واسع في أوساط وكالات الاستخبارات، كما لو كان ذلك بهدف تسهيل تسريبها، وفي الوقت عينه حماية المسرّبين .وأشيع أن هذه المعلومات كانت عبارة عن جداول بيانات محفوظة لدى سوزان رايس التي أدرجت لائحة بأسماء الروس الذين تواصلوا مع فريق ترامب؛ وبواسطة إحدى تقنيات ويكيليكس، جرى حفظ هذه الوثائق على عشرات الخوادم في أماكن مختلفة .قبل هذا التوزيع الواسع النطاق، حين كانت المعلومات محفوظة على نطاق ضيّق، كان من السهل تحديد مجموعة المسرّبين الصغيرة .إلّا أنّ إدارة أوباما وسّعت تلك المجموعة بشكل كبير.

سأل الرئيس :إذاً هذه الأخبار سارّة، أليس كذلك؟ ألا يثبت ذلك أنّ أوباما ورجاله أرادوا الإيقاع بي؟ كانت قصّة التايمز تسريباً للخطّة القائمة على تسريب اللائحة، وقدّمت دليلاً واضحاً على وجود مجموعة سرية تتحكم بأحوال البلاد.

كالعادة، دعمت هوب هيكس وجهة نظر ترامب .الجريمة جريمة تسريب، والمذنب هو إدارة أوباما .وستقوم وزارة العدل، التي يثق بها ترامب، بالتحقيق مع الرئيس السابق ورجاله .أخيراً.

***

أحضرت هوب هيكس إلى الرئيس مقالة دسمة من صحيفة ذي نيويوركر . كانت الصحيفة قد نشرت لتوها مقالة شارك في وضعها ثلاثة صحفيين، هم : إيفان أوسنُس وديفيد ريمنك وجوشوا يافا، يعتبرون فيها عدوانية روسيا حرباً

باردة جديدة .منذ انتخاب ترامب رئيساً، قدّم ريمنك، محرّر صحيفة نيويوركر، وجهة نظر مطلقة بأن انتخاب ترامب عرّض قواعد الديمقراطية للخطر.

هذه القصّة المؤلفة من 13500 كلمة، ربطت بسهولة ما بين النقاط الآتية : التراجع الجيوسياسي الروسي، وطموح بوتين، ومهارات الدولة الإلكترونية على الإنترنت، ونزعة الحكم الاستبدادي الناشئة لدى ترامب، وشكوك أجهزة الاستخبارات الأميركية ببوتين وروسيا؛ الأمر الذي ساعد على كتابة حكاية متّسقة ومروّعة كحكاية الحرب الباردة القديمة .لكن الفرق هنا هو أن النتيجة النهائية لهذه القصّة تتلخّص في أن دونالد ترامب هو القنبلة النووية .كان بن رودس أحد المصادر الرئيسة لهذه المقالة، وهو مساعد أوباما الذي طالما اعتقد معسكر ترامب أنه مسرّب أساسي، إن لم يكن أحد المخططين في إدارة أوباما للجهود المستمرّة الساعية إلى ربط ترامب وفريقه ببوتين وروسيا .ويظنّ كثيرون في البيت الأبيض أنّ رودس هو شخصية الظلّ التي تتحكم بزمام الأمور .كما أنهم يظنون أنّ في كلّ مرّة يُنسَب تسّرب معلومات إلى» مسؤولين سابقين أو حاليين«، يكون رودس هو المسؤول السابق ذا العلاقة الوطيدة مع المسؤولين الحاليين.

مع أن هذه المقالة كانت مجرّد خلاصة أليمة للمخاوف المتعلقة ببوتين وترامب، فإن خاتمتها، وعبر تعليق بين هلالين، صادقت على الشائعة: رابطةً جاريد كوشنر بالسفير الروسي كيسلياك في اجتماع في برج ترامب، ضم أيضاً مايكل فلين، في شهر كانون الأول/ديسمبر.

فاتت هيكس هذه النقطة؛ وفي وقت لاحق كان على بانون أن يلفت انتباه الرئيس إليها.

جرى ربط ثلاثة أشخاص مباشرة بالدبلوماسي الروسي، وهم مستشار الأمن القومي السابق، والنائب العام الحالي، وصهر الرئيس وكبير مستشاريه.

لم يكن ذلك بريء قط في نظر كوشنر وزوجته .فمع الشعور باشتداد التهديد، راحا يشتبهان بأن بانون هو الذي سرّب المعلومات عن اجتماع كوشنر بكيسلياك.

***

في إدارة ترامب، باتت قليلة الوظائف المستحَقّة والمناسبة لشاغليها، لكن تعيين جيف سيشنز كأعلى مسؤول مكلّف بتنفيذ القانون في البلد جاء مناسباً تماماً .كان سيشنز يرى أن مهمته كنائب عام تقتضي كبح القانون الفيدرالي وحصره وإبطال تفسيره، لاسيّما أن هذا القانون ظلّ طوال ثلاثة أجيال يقوّض الثقافة الأميركية، ويهين مكانته فيها .وقال ستيف بانون» :إنه أهمّ عمل يقوم به في حياته.«

لا شكّ في أنّ سيشنز لم يكن ليخاطر بوظيفته من أجل قضية روسيا السخيفة، ولا من أجل مجموعة الشخصيات الهزلية التهريجية المقرّبة من ترامب .وحده اللّه يعلم بما تخطّط له هذه الشخصيات، علماً أن الجميع يفترضون أن ما تنويه ليس شيئاً جيداً البتة .والأفضل ألا يكون له علاقة به.

قرّر سيشنز أن يبتعد قدر الإمكان عن الخطر، من دون استشارة الرئيس، أو أي شخصية من البيت الأبيض .في الثاني من شهر آذار/مارس، أي في اليوم

التالي لنشر قصّة الواشنطن بوست، نأى بنفسه عن أي شيء له علاقة بالتحقيقات حول روسيا.

وانفجرت أخبار تنحّي النائب العام في البيت الأبيض كقنبلة .فقد كان سيشنز الدرع التي تحمي ترامب من التحقيقات العدوانية في القضية الروسية . لم يستطع الرئيس أن يفهم السبب المنطقي وراء التنحّي .فراح يشكو لأصدقائه : ترى لماذا لا يريد سيشنز أن يحميَه؟ ما هي مكاسبه؟ هل يظنّ أن هذا الخبر حقيقي؟ من واجب سيشنز تأدية وظيفته!

في الواقع، كان لترامب سبب وجيه للقلق بشأن وزارة العدل .فقد كان للرئيس مصدر خاص، وهو أحد المتّصلين الدائمين به، يبقيه مطّلعاً باستمرار على ما يحدث في وزارة العدل .وأشار الرئيس إلى أنّ هذا الشخص يؤدّي عمله بشكل أفضل كثيراً من سيشنز نفسه.

وقعت إدارة ترامب في مأزق بيروقراطيّ بالغ الخطورة، نتيجةً لقصّة التدخل الروسي، حيث كان على الرئيس أن يبحث خارج الحكومة ليكتشف ما الذي يحدث في حكومته .وقام المصدر الذي طالما كان مقرّباً من مصادر وزارة العدل، بتزويد الرئيس بصورة قاتمة أعلمه بموجبها بسعي وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالية الملحّ للنيل منه .وكان للكثير من أصدقاء الرئيس الأغنياء وذوي النفوذ، أسبابهم للسعي إلى البقاء مطّلعين على ما يجري في وزارة العدل . وقيل للرئيس إن» الخيانة «كانت كلمة يجري تداولها.

قال المصدر للرئيس» :إن وزارة العدل تعجّ بنسوة يكرهنه .«إنهنّ جيش من المحاميات والمحققات اللواتي يتلقّين التعليمات من الإدارة السابقة .وقيل

للرئيس» :إنهنّ يرِدنَ جعل فضيحة ووترغيت بسيطة جداً أمام فضيحته .«أربك هذا التشبيه ترامب؛ فقد ظنّ أنّ صديقه يشير إلى ملف ستيل ورواية قيامه بأفعال جنسية غريبة في روسيا) الحمّامات الصفراء.(

بعد تنحّي النائب العام، فكّر الرئيس بأنّ عليه أن يتخلّص من سيشنز؛ فهو معروف برد فعله الغريزي حيال أي مشكلة، والمتمثّل بطرد شخصٍ ما .وفي الوقت عينه، كان يعلم مصدر قضيّة روسيا هذه .وإذا كان رجال أوباما يظنون أنهم سينجون بفعلتهم، فهم على خطأ .سيكشف أمرهم جميعاً!

***

طوني بلير، رئيس وزراء بريطانيا السابق، كان أحد الرعاة الجدد الذين يملون تعليماتهم على جاريد كوشنر تعرّف كوشنر إلى بلير على ضفاف نهر الأردن عام2010 ، يوم حضرا معمودية غريس وكلوي مردوخ، ابنتي روبرت مردوخ من زوجته في ذلك الحين» وندي .«كان جاريد وإيفنكا يقيمان في مبنى ترامب في جادة بارك أفنيو، حيث كان آل مردوخ يعيشون أيضاً) في ما يخص آل مردوخ، كانوا يسكنون لفترة مؤقتة في شقة مستأجرة، ريثما يجري تجديد قصرهم الثلاثي الطوابق في الجادة الخامسة، إلّا أن هذا التجديد امتدّ أربع سنوات .(وخلال تلك الفترة أصبحت إيفانكا صديقة مقرّبة لوندي مردوخ .وفي وقت لاحق، اتَّهم مردوخ بلير، عرّاب غرايس، بإقامة علاقة مع زوجته، وبأنه سبب انفصالهما .وفي الطلاق، حصلت وندي على دعم آل ترامب.

ولكن، ما إن دخل الرئيس البيت الأبيض، حتى أصبحت ابنته وصهره، هدفاً حيويّاً يسعى إليه، ويا لسخرية القدر، كل من بلير ومردوخ .فبما أنّ كوشنر

كان يفتقر إلى دائرة النفوذ في مختلف مجالات الحكومة التي أُدخِل إليها، كان في حاجة إلى تلقّي الإرشاد، وفي أمسّ الحاجة إلى نصائح ذينك الراعيين .أما بلير، الذي كانت له في الشرق الأوسط مصالح خيريّة ودبلوماسية خاصة ومتنوّعة، فقد كان عازماً على المساعدة في رعاية بعض مبادرات جاريد في الشرق الأوسط.

في شباط/فبراير، زار بلير كوشنر في البيت الأبيض.

خلال هذه الرحلة، قام بلير، الذي بات دبلوماسياً مستقلاً، بنقل مجموعة من المعلومات المثيرة، في إطار مسعاه إلى إثبات أهميته لهذا البيت الأبيض الجديد، فقد أشار إلى احتمال أن يكون البريطانيون قد راقبوا طاقم حملة ترامب، ورصدوا اتصالاته الهاتفية واتصالات أخرى، وربما قد راقبوا ترامب نفسه .بحسب ما قد يفهمه كوشنر، كانت تلك فرضية العمل غير الشرعي الذي تقوم به الاستخبارات، الشبيه بالأعمال التي يقوم بها أشخاص نيابةً عن اليهود يوم السبت .فيوم السبت، لا يستطيع اليهود المتديّنون مثلاً إضاءة الأنوار ولا يمكنهم أن يطلبوا من أي أحد إضاءة الأنوار .ولكن إذا قالوا إنّ الرؤية في النور أفضل كثيراً، وإذا أضاء لهم النور شخص غير يهودي، فلا بأس في ذلك .إذاً مع أنّ إدارة أوباما ما كانت لتطلب من البريطانيين التجسس على حملة ترامب، إلا أنها قادت البريطانيين إلى فهم أهمية المساعدة التي يمكن أن يقدّموها إليها في حال قيامهم بالتجسّس على الحملة.

لم يكن واضحاً إن كانت معلومات بلير مجرد شائعات، أم تخمينات مبنية على معلومات، أم تكهّنات شخصية، أم معلومات مؤكّدة .ولكن بعد أن تأجّجت الشكوك في ذهن الرئيس، توجّه كوشنر وبانون إلى المقر الرئيسي لوكالة

الاستخبارات المركزية في لانغلي، للاجتماع بمايك بومبيو ونائبة المدير جينا هاسبل، كي يتحققا من الأمر .بعد أيام، أفادت وكالة الاستخبارات المركزية بغموض أنّ تلك المعلومات كانت خاطئة: لقد حدث» سوء فهم.«

***

بدت السياسة وكأنها أصبحت مسألة مميتة، حتى قبل عهد ترامب .إنها معادلة متساوية الحدّين :حين يربح طرفٌ ما، يخسر طرف آخر .وانتصار الأول يعني موت الثاني .لقد ولّى زمن المفهوم الذي كان يعتبر السياسة لعبةً تجارية، وإدراكاً بأن الغير يملك ما تريده أنت - صوتٌ انتخابي، نية حسنة، رعايةٌ قديمة الطراز - وأن المشكلة الوحيدة التي قد يواجهها المرء، في نهاية المطاف، هي التكلفة .لقد أصبحت المعركة الآن ما بين الخير والشر.

الغريب أنّ ترامب قاد حركةً مبنية على الغضب والانتقام، رغم كونه سياسياً من الطراز القديم إلى حدّ بعيد، يسعى دوماً إلى إيجاد حلول) أم أنه حَسِب نفسه كذلك :(قَدِّم إليّ خدمة أُقدِّمُ إليك خدمة .كان ترامب يعتبر أنه يتقن التكتيك، ويعرف تماماً ما يريده الآخر.

ضغط عليه بانون للاستناد إلى أفكار أندرو جاكسون كنموذج شعبوي، واشترى له كتباً لجاكسون) لم يقرأها حتى الآن .(إلّا أن مثله الأعلى كان ليندون جونسون .كان ليندون بينز جونسون رجلاً عظيماً، قادراً على المناطحة وعقد صفقات وإخضاع الضعفاء لإرادته .كان يساوم كما لو في صفقة تجارية؛ وفي النهاية يحصل كل طرف على شيء ما .علماً أن المفاوض الأفضل ينال أكثر قليلاً من سواه) .ولكن ترامب لم تعجبه السخرية التي وصل إليها ليندون جونسون،

أحد أوائل رجال السياسة المعاصرين الذين وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف في الطرف الخاطئ من السياسة المميتة والأخلاقية السياسية.(

أما الآن، بعد سبعة أسابيع ونيّف على تولّي ترامب منصبه، ها هو يرى مأزقه فريداً وساحقاً .وها هم أعداؤه يسعون إلى النيل منه، كما لم يحصل مع أي رئيس قبله) مع تركه بعض الاعتبارات لبيل كلينتون .(والأسوأ من ذلك هو أن النظام مصمّم ضدّه .السيطرة البيروقراطية ووكالات الاستخبارات والمحاكم غير المنصفة والصحافة الكاذبة، كلّها مصطفّة ضدّه .أما كبار موظّفيه، فصار أحد مواضيعهم احتمال سقوط دونالد ترامب.

في سياق اتصالات الرئيس الليلية، كان يتحدّث تكراراً عن مدى الظلم اللاحق به، وعمّا قاله طوني بلير وغيره أيضاً !أصبح كلّ شيء واضحاً .لقد تآمروا عليه.

كان من المؤكّد أنّ موظّفي ترامب المقربين يحبّذون مزاجه المتقلّب، لكنّه كشخص كان يقلقهم .ففي الأيام التي تكون فيها التطورات السياسية معاكسة، كان يُظهر في بعض الأوقات لاعقلانيةً يعترف بها الجميع .وحين كان يحدث ذلك، كان يجلس وحيداً مع غضبه، ولا يستطيع أي شخص الاقتراب منه .وقد تعوّد موظفوه القدامى التعامل مع هذا الوضع من خلال الموافقة على أي شيء يقوله خلال تلك الأوقات العصيبة .وإن حاول البعض معارضته أحياناً، فهوب هيكس لا تفعل ذلك البتة .هي توافق بشكل مطلق على كل ما يفعله أو يقوله.

مساء الثالث من آذار/مارس، في مارآلاغو. شاهد الرئيس مقابلة بريت باير مع بول راين على قناة فوكس .سأل باير ضيفه عن تقرير نُشِر على موقع سيركا الإخباري، الذي تملكه المجموعة الإعلامية المحافِظة سينكلير، والذي ضمّ ادّعاءات بأنّ برج ترامب كان مراقَباً خلال الحملة.

في الرابع من آذار/مارس، بدأت تغريدات ترامب في الصباح الباكر على النحو الآتي:

كم هذا مريع !اكتشفت للتوّ أنّ أوباما كان يراقب خطوطي في برج ترامب قُبَيل الانتصار .ولكنه لم يجد شيئاً .هذه مكارثيّة 4:35) !صباحاً(

هل يحق لرئيس حاليّ أن يسترق السمع على سباق لمنصب الرئيس قبيل الانتخابات؟ المحكمة رفضت ذلك سابقاً .عمل دنيء جديد 4:49) !صباحاً(

إلى أي مدى من الانحطاط وصل الرئيس أوباما ليتنصّت على اتصالاتي خلال العملية الانتخابية المقدّسة .إنها فضيحة شبيهة بووترغيت نيكسون .رجل سيئ) أو مريض 5:02) !(صباحاً(

عند الساعة 6:40 صباحاً، اتصل ببريبوس فأيقظه من نومه، وسأله» :هل قرأت تغريداتي؟ لقد أمسكناه بالجرم المشهود«!. ثم حمل الرئيس هاتفه ليسمع بريبوس تسجيل حلقة باير.

لم يهتم ترامب بالتزام الدقة، ولا حتى امتلك القدرة على ذلك .كانت ردة فعل علنية، نافذة على الألم والإحباط .ارتكب أخطاءً إملائية واستخدم مصطلح »استراق السمع «الذي يعود إلى السبعينات، ويجلب إلى ذهن المرء صورة

لعناصر مكتب التحقيقات الفيدرالية مختبئين في شاحنة في الجادة الخامسة . بدا الأمر سخيفاً ومضحكاً .وتمثّلت وجهات نظر الصحافة وأجهزة الاستخبارات والديمقراطيين الشديدي الرضا، في الآتي :من بين مختلف التغريدات التي كان ترامب يحاول استخدامها كرافعة، رفعته تغريدات التنصّت إلى أعلى نقطة، وتركته متدلياً يترجّح بين الجهل والإحراج.

بحسب السي إن إن» :أنكر مسؤولان أميركيان كبيران سابقان اتهامات ترامب على الفور .وقال أحدهما إن الاتهامات عبارة عن هراء .«أما داخل البيت الأبيض، فقد ظُنَّ أنّ كلمة» هراء «مقتبسة من بن رودس، وأتت بأسلوب متناقض ينطوي على الرضا والشعور بالذنب ومحاولة طمس الحقيقة.

من جهته، قال راين لبريبوس إنه لا يملك أدنى فكرة عمّا يتكلّم عنه باير، وإنه كان فقط يكذب أثناء المقابلة.

ولكن، إن لم تكن مسألة التنصّت على اتصالات ترامب صحيحة، فقد جُنّدت الجهود بشكلٍ مفاجئ لإيجاد أي مادة صحيحة .ونشر البيت الأبيض المذعور مقالة لبريتبارت تمّ ربطها، ولو بدرجة ضئيلة، بمقالة للويز مانش، وهي سياسية بريطانية سابقة تعيش الآن في الولايات المتحدة وأصبحت بمثابة جيم غاريسون آخر في قضية الاتصال ما بين ترامب وروسيا.

وبُذِل مجهود آخر لاتهام البيت الأبيض في عهد أوباما بمجموعة من الأحداث .لكن في نهاية المطاف، كان هذا مثالاً آخر، وبالنسبة إلى البعض المثال المطلق، على الصعوبة التي كان الرئيس يواجهها في العمل في عالم سياسي حَرْفِي، وتعريفي وقانوني، وسببي.

كانت تلك نقطة تحوّل .إلى الآن، لا يزال عمل المقرّبين من ترامب يتمثّل في الدفاع عنه .ولكن بعد تغريدات التنصّت، بات الجميع، باستثناء هوب هيكس ربما، في حالة من الخجل المزعج، كي لا نقول من عدم التصديق الدائم.

مثلاً، لا يكف شون سبايسر من تكرار شعاره الخاص به يومياً، وربما على مدار الساعة» :لا يمكنك التفوّه بهذا الهراء.«

الفصل الثاني عشر

إلغاء واستبدال

بعد أيام قليلة من الانتخابات، قال ستيف بانون للرئيس المُنتَخَب، إن ثمة أصواتاً كافية لاستبدال المتحدّث باسم البيت الأبيض بول راين ليحل محله مارك ميدوز، رئيس مجموعة الحريّة» فريدوم كوكوس«، المستوحاة من حزب الشاي وأحد مؤيّدي ترامب الأوائل) .كان لزوجة ميدوز مكانة خاصة في معسكر ترامب وذلك بسبب مساعدتها الحملة على امتداد الحزام الإنجيلي طوال نهاية أسبوع بيلي بوش .(كانت طريقة بانون تمثّل ما قد تصفه كايتي والش باستنكارٍ وحاجبٍ مرفوعٍ بأنه يحاكي ألاعيب بريتبارت.

كان التخلّص من راين، بل إذلاله، الهدف الأسمى الذي يسعى إليه بانون أكثر من الفوز بالرئاسة حتى، وهو نتيجة اندماج العقلين البانوني والترامبوي.

فمنذ البداية كانت حملة بريتبارت ضد بول راين جزءاً أساسياً من حملة بريتبارت الداعمة لدونالد ترامب .ويعود سبب تبنّيها لترامب، وتطوّع بانون شخصياً في الحملة بعد مرور أربعة عشر شهراً على بدئها، إلى رغبة ترامب، الذي رمى الحس السياسي في مهب الريح، في قيادة حملة ضدّ راين وضدّ عرّابي الحزب الجمهوري أجمعين .ومع ذلك، فإنّ نظرة بريتبارت إلى راين تختلف عن نظرة ترامب إليه.

بالنسبة إلى بريتبارت، انتهى الانقلاب والتحوّل اللذان حدثا في البيت الأبيض؛ وأدّيا إلى إقالة جون بينر المتحدّث السابق باسم البيت الأبيض من منصبه، واللذان كان من المقرر، ظاهرياً على الأقل، أن يعيدا البيت الأبيض إلى قلب نظام جمهوري متطرّف جديد كان قد توقّف بانتخاب راين متحدّثاً باسم البيت الأبيض .بات راين الأمل الأفضل الأخير للحزب الجمهوري، بعد أن كان نائب ميت رومني في حملته .وراين شخصية ذات هوس مالي محافظ، تحمل فكرة قديمة الطراز للاستقامة الجمهورية المسالمة .وكان قد تبوّأ منصب رئيس لجنة الطرق والوسائل ورئيس لجنة صياغة الموازنة في مجلس النواب الأميركي) حوّل بانون هذه الخدعة إلى حديث ترامبوي رسمي» :خُلِقَ راين في طبق بتري) وعاء يستعمله علماء الأحياء لزراعة الخلايا (في مؤسسة هريتاج .(«وإذا كان الحزب الجمهوري قد أُبعد جانباً بسبب انقلاب حزب الشاي، فلا بُدّ من أن راين جزء لا يتجزّأ من الصابورة التي ستمنع الحزب من الابتعاد أكثر، أو على الأقل ستبطئ ابتعاده .وفي هذا الصدد، لعب دور الأخ الأكبر الراشد والثابت على عكس عدم نضوج حزب الشاي المفرط، وأبدى مقاومة رزينة وشبه استشهادية لحركة ترامب.

فيما كان الجمهوريون يروّجون لصورة راين الناضج والحكيم كان الثلاثي حزب الشاي-بانون-بريتبارت يشنّ حملة هجومية تشوّه صورة راين بوصفه غير ملتزم بالقضية، واستراتيجيّاً غير كفؤ وقائداً عديم الأهلية .كان راين أضحوكة الثلاثي، ويمثل التفاهة المطلقة وقمّة الإحراج.

أما نفور ترامب من راين، فمن الواضح أنه كان أقل هيكلية .إذ لم يكن لديه أي وجهة نظر عن قدرات راين السياسية، ولم يكن يركّز على مواقفه الحالية . كانت وجهة نظره شخصية؛ فلطالما شتمه راين مراراً وتكراراً، ولطالما كان يراهن ضدّه .وبات راين رمزاً فعّالاً إلى رعب الحزب الجمهوري وإنكاره لترامب .وما زاد الطين بلّة بلوغ راين مرتبةً أخلاقية أعلى عبر احتقاره ترامب) كالعادة، اعتبر مكاسب أي شخص على حسابه إهانة مزدوجة .(وبحلول ربيع العام2016 ، كان راين لا يزال، بل بات، مذّاك، المرشّح الوحيد البديل عن ترامب .وكان الجمهوريون ينتظرون كلمة واحدة من راين ليقع اتفاق الترشيح عليه .ولكن ارتأت حسابات راين الأذكى على ما يبدو، أن يترك ترامب يربح منافسة الترشيح، ثم يظهر على أنه الشخصيّة البديهية لقيادة الحزب بعد إخفاق ترامب التاريخي وتطهير الثلاثي حزب الشاي-ترامب-بريتبارت الذي لا مفر منه.

ولكن عوضاً عن ذلك، دمّرت الانتخابات بول راين، على الأقل برأي ستيف بانون .ولم ينقذ ترامب الحزب الجمهوري فحسب بل أعطاه أغلبية ساحقة .وبه تحقّق حلم بانون بالكامل، ووصلت حركة حزب الشاي إلى السلطة، السلطة الكاملة نوعاً ما، مع ترامب ممثّلها صوتاً وصورة .لقد امتلك الحزب الجمهوري . كان تحطيم بول راين في العلن خطوة بديهية وضرورية.

ولكن قد تقع مشكلة كبيرة بين احتقار بانون الهيكلي لراين وحقد ترامب الشخصي عليه .وإذا كان بانون يعتبر أنّ راين غير راغب وغير قادر على تنفيذ جدول أعمال بانون-ترامب الجديد، فإنّ ترامب اعتبر راين مؤدّباً وخاضعاً بشكل مفاجئ ومرضياً، وخانعاً ومفيداً؛ وهذا ما لم يكن متوقّعاً .أراد بانون التخلّص من المؤسسة الجمهورية كاملة، أمّا ترامب فراضٍ تماماً لرؤيتها تنحني أمامه.

قال ترامب لرئيس مجلس النوّاب في حديث له عقب الانتخابات» :إنه رجل ذكي وجاد جداً، ويحترمه الجميع .«واستطاع راين أن يؤجّل عملية إعدامه، وبحسب أحد كبار مساعدي ترامب :فإنه قد» ارتفع إلى مستوًى سينمائي من الإطراء والتملقّ باتت مشاهدته مؤلمة .«وبعد أن دفع بانون قضيّته إلى ميدوز - الأقلّ خضوعاً بكثير من راين، تردّد ترامب .وأخيراً قرّر ألّا يرجع عن قراره بإطاحة راين فحسب، بل أن يجعله رجله وشريكه .وكمثال على تأثر ترامب بالعوامل الشخصية ذي الآثار الغريبة والمفاجئة، وفي إشارةٍ إلى مدى السهولة التي يمكن معها» بيع البائع«، أصبح ترامب متلهّفاً إلى دعم جدول أعمال راين وليس العكس.

عبّرت كايتي والش عن رأيها قائلة» :لا أظنّ أننا حسبنا أنّ الرئيس قد يعطيه مطلق الحريّة .فقد انتقل الرئيس وبول من علاقة متوتّرة جداً خلال الحملة إلى علاقة رومنسية عقبها، إلى درجة أنّ الرئيس بات يوافق على كل ما يريده راين بكلّ سرور.«

لم يفاجَأ بانون البتّة من تبدّل ترامب؛ وفهم كم من السهل خداع مخادع، واعترف بأن تقارب راين يتلاقى مع امتنان ترامب للمكان الذي وجد نفسه فيه .

الأمر لا يتعلّق فقط باستعداد راين للخضوع لترامب، بل باستعداد ترامب للخضوع لمخاوفه بشأن عدم معرفته الكثير عن منصب الرئيس .وفكّر الرّئيس، إذا كان يمكن الاعتماد على راين في تولّي رئاسة الكونغرس، إذاً بكل سرور سيفي ذلك بالغرض.

***

لم يكن ترامب يهتم كثيراً، بل لم يكن يهتمّ مطلقاً، بتحقيق الهدف الأساسي للحزب الجمهوري، أي إلغاء قانون الرعاية الصحيّة أوباماكير .فكونه رجلاً سبعينيّاً بديناً يعاني عدداً من الرهابات) مثلاً، سبق أن كذب بشأن طوله كي لا يوسمه مؤشر كتلة جسمه بالبدانة(، وكان يعتبر أن كل أنواع الرعاية الصحية والعلاجات الطبية موضوعاً بغيضاً .وبالنسبة إليه، كانت كل التفاصيل المتعلقة بالتشريعات المطروحة مملّة؛ فما إن تبدأ أولى كلمات المناقشة السياسية حتى يتشتت انتباهه .يستطيع مثلاً أن يعدّد بعض خصائص أوباماكير) إلى جانب تعبيره عن بهجته بوعد أوباما السخيف بأن كلّ شخص سيحتفظ بطبيبه .(ولكنه بالتأكيد لا يعرف الفرق، سواء أكان إيجابيّاً أم سلبيّاً، بين نظام الرعاية الصحية ما قبل أوباماكير وما بعدها.

قبل أن يتبوّأ منصب الرئاسة، لم يكد يجري أي مناقشة مجدية حول التأمين الصحي .ويقول روجرز أيلز في هذا الصدد» :ما من شخص في هذا البلد أو على هذا الكوكب يعرف أقل من دونالد ترامب عن التأمين الصحي .«وحين أحرجته إحدى مقابلات الحملة بسؤالٍ حول أهمية إلغاء أوباماكير وإصلاحها فإن أقلّ ما يمكن قوله هو أن ترامب لم يكن واثقاً بمكان هذا الموضوع في جدول

الأعمال فأجاب» :إنه لموضوع مهم، ولكن ثمة الكثير من الموضوعات الأهم .ربما هو من أهم عشرة موضوعات، على الأرجح، ولكن ثمة مواضيع كثيرة تنافسه أهميةً .لذا لا يمكن التأكدّ من الأمر .ربما اثنا عشر موضوعاً، أو خمسة عشر . لكنّه بالتأكيد من الموضوعات العشرين الأولى.«

وكان ذلك تعبيراً عن قدراته غير المتوقّعة على التواصل مع الناخبين :إذ بدا أوباما وهيلاري كلينتون راغبَين في التكلّم عن خطط الرعاية الصحية، في حين أن ترامب، مثله مثل معظم الناس، لم يرِد التكلّم عن هذا الموضوع على الإطلاق.

في مجمل القول، يُرجَّح أنه كان يفضّل فكرة حصول عدد أكبر من الناس على تأمين صحّي على فكرة حصول عدد أقل من الناس عليه .وكان إذا ما تعرّض لضغوطاتٍ، يعبّر أنه يفضّل دعم أوباماكير على إلغائه .حتى أنه قطع مجموعة من الوعود الشبيهة بوعود أوباما، ووصلت درجة مبالغته إلى حدّ القول إنه في ظلّ خطّة ترامبكير المقبلة) كان عليه ألّا يتشجّع ويغيّر الاسم بهذه الطريقة .فقد سبق أن قال له عدد من السياسيين الحكماء إنها إحدى الحالات التي لا يمكنه إقحام اسمه فيها (لن يخسر أي شخص تأمينه الصحي، وإنّ هذا النظام سيستمر بتغطية الحالات السابقة أيضاً .إن من المرجّح في الواقع، أنه يحبّذ الرعاية الصحية المموّلة من الحكومة أكثر من أي شخص آخر في الحزب الجمهوري .وحدث مرة أن تساءل جهاراً خلال أحد أحاديثه مع مساعديه قائلاً : »لماذا لا تستطيع ميدكير تغطية الجميع؟ .«وحاول الجميع عدم إظهار أي ردّ فعل إزاء تلك الهرطقة.

كان بانون هو من أصرّ بحزم وصرامة على أنّ موضوع أوباماكير هو موضوع جمهوري حاسم .وبما أنّ الحزب الجمهوري يملك الأكثريّة في الكونغرس، فينبغي عليهم أن يهتمّوا بالموضوع الذي تحوّل إلى مبدأ جمهوري متعلّق بإلغاء أوباماكير .وبرأي بانون، فإن الإلغاء هو العهد، وسيكون النتيجة الأكثر إرضاءً بل الأكثر راحة .وقد تكون النتيجة الأسهل المنال لأن كلّ جمهوري هو فعليّاً ملتزم علانية التصويت لصالح الإلغاء .لكن بانون كان يرى في الوقت نفسه أن الرعاية الصحية رابط ضعيف بين الدعوى البانونية - الترامبوية والعمّال، لذلك اتّخذ لنفسه مكانة ثانوية في النقاش .وفي ما بعد، بالكاد بذل جهداً ليفسّر كيف أبرأ نفسه من هذه الفوضى، واكتفى بالقول» :لم أعلّق على موضوع الرعاية الصحية، لأنه لا يعنيني .«وكان راين هو من عتّم على المسألة، وانتصر على ترامب من خلال» الإلغاء والاستبدال .«فالإلغاء سيرضي الخط الجوهري للجمهوريين في حين أن الاستبدال سيرضي تعهّدات ترامب المفاجئة .)تجدر الإشارة إلى احتمال أن يختلف مفهوم الإلغاء والاستبدال بين الرئيس وراين .(وكان» الإلغاء والاستبدال «شعاراً مفيداً أيضاً، لأنه بدا ذا معنى مهماً من دون أن يكون له أي معنى محدّد.

بعد أسبوع من الانتخابات، وبعد أن أحضر راين توم برايس، جرّاح العظام وعضو مجلس الشيوخ عن ولاية جورجيا، وقد أصبح خبير شؤون الرعاية الصحية الخاص براين، سافر راين إلى نادي الغولف» بدمينستر «الخاص بترامب في ولاية نيو جيرسي، وهو مكان مناسب لإحاطة الإعلام بشعار الإلغاء والاستبدال .ولخّص الرجلان لترامب، الذي لم يكفّ عن الخروج عن الموضوع منتقلاً إلى الحديث عن الغولف، سبع سنوات من التفكير التشريعي الجمهوري

حول أوباماكير والبدائل الجمهورية .وهذا خير مثال على منظور ترامب الأساسي: كان يلجأ إلى كل شخص يبدو أنه يلمّ أكثر منه بموضوع لا يوليه أهمية، أو بكل بساطة، كان يتقرّب من كل شخص لا يستطيع أن يركّز بنفسه على التفاصيل التي يقدمها إليه .ويقول عظيم !معقباً على كل معلومة يتلقاها بتعجّب من هذا النوع .وغالباً ما كان يبذل جهداً بالقفز عن كرسيّه .وعلى الفور، وافق ترامب بحماسة على السماح لراين بتفعيل مشروع قانون الرعاية الصحية، وتعيين برايس وزير الصحّة والخدمات الإنسانية.

أمّا كوشنر، الذي لطالما بقي صامتاً أثناء الجدال حول الرعاية الصحية، فقد بدا في العلن موافقاً على ضرورة معالجة الإدارة الجمهورية لموضوع أوباماكير؛ لكنه بينه وبين نفسه لم يكن يؤيّد لا الإلغاء لوحده ولا الإلغاء والاستبدال معاً .واتّخذ هو وزوجته موقفاً ديمقراطياً تقليدياً إزاء أوباماكير)فهذا النظام أفضل من بدائله؛ ويمكن حل مشكلاته في المستقبل(: وهما يعتقدان بشكل استراتيجي أن من الأفضل أن تحقق بعض الانتصارات السهلة قبل خوض غمار معركة صعبة المنال، بل مستحيلة) .والأكثر من ذلك، فقد كان جوش، أخو كوشنر، يدير شركة تأمين صحّي تعتمد على أوباماكير.(

ولم تكن المرّة الأخيرة التي ينقسم فيها البيت الأبيض بين الأطياف السياسية. فقد اتخذ بانون موقفاً أساسياً مطلقاً، وانضمّ بريبوس إلى صفّ راين المؤيّد للقيادة الجمهورية .وظل كوشنر محافظاً على رأي ديمقراطي معتدل باعتباره لا يشكّل أي تناقض .أمّا ترامب، فهو رجل يحاول بكل بساطة أن يتنصّل من أمرٍ لا يوليه أي أهميّة.

ووفّرت مهارات يتميّز بها راين وبريبوس وعداً بإخراج الرئيس من مشكلات أخرى أيضاً .وبحسب خطة راين، يُعتَبَر إصلاح نظام الرعاية الصحية أشبه بالحلّ السحري .وسيقوم الإصلاح الذي سيعرضه رئيس مجلس النواب على الكونغرس بتمويل التخفيضات الضريبية التي كفلها ترامب، والتي بدورها ستجعل مختلف استثمارات البنى التحتية التي وعد بها ترامب ممكنة.

وعلى هذا الأساس، أساس نظريّة الدومينو هذه التي كان من المفترض أن تمضي قدماً بإدارة ترامب منتصرة حتى عطلة شهر آب/أغسطس، وأن تمنحها صفة إحدى أكثر الرئاسات التحويلية في الحقبة المعاصرة، احتفظ راين بوظيفته كرئيس مجلس النواب، مرتقياً من الرمز المنبوذ في الحملة إلى الرجل المفضّل لدى الإدارة .وواقع الأمر أن الرئيس القلق بشأن عدم خبرته وعدم خبرة طاقمه في صياغة التشريعات) في الحقيقة لا يتمتّع أيّ من كبار موظفيه بأي خبرة على الإطلاق(، قرّر الاستعانة بمصادر خارجية لوضع جدول أعماله؛ وقد استعان بمن كان حتى تلك اللحظة عدوّه.

وحين رأى بانون أنّ راين يسلب المبادرة التشريعية أثناء مرحلة الانتقال، واجه لحظة من الواقعية السياسية المبكرة .فإذا كان الرئيس ينوي التنازل عن مبادراته الأساسية، فإن على بانون أن ينظّم عمليات مضادة، وأن يستعدّ مستعيناً بالمزيد من خدع بريتبارت .أما كوشنر فمن جهته فكّر ملياً بالأمر، وارتأى أن عليه بكل بساطة مجاراة أهواء الرئيس .وكان من الواضح أنّ الاختيار بين النُهُج السياسية المتناقضة لا يتناسب مع أسلوب القيادة الذي يتّبعه الرئيس، فقد كان ترامب يأمل أن تحلّ القرارات الصعبة نفسها.

***

لم يكن بانون مستخفّاً بأيديولوجية راين فحسب، بل لم يكن يحترم براعته قط .ويرى بانون أن ما تحتاج إليه الأغلبية الجمهورية الجديدة هو رجلٌ مثل جون ماكورميك، رئيس مجلس النواب الديمقراطي السابق الذي خدم في فترة مراهقة بانون، ورعى تشريع مجتمع جونسون العظيم .كان ماكورميك وغيره من ديمقراطيّي ستينات القرن العشرين الأبطال السياسيين الأحبّ على قلب بانون، والذين لم يسعَوا حتى لأدوار بطولية .ويُضاف إلى هذا الخليط من العظماء تيب أونيل أيضاً، وهو رجل كاثوليكي إيرلندي ينتمي إلى الطبقة العاملة وهو منفصلٌ فلسفياً عن الأرستقراطيين والنبلاء .يجلّ بانون السياسيين القديمي الطراز، وكان كأنه واحد منهم :البقع الجلدية نفسها، واللغد، والاستسقاء .ويكره السياسيين المعاصرين، الذين، إضافةً إلى افتقارهم إلى الموهبة السياسية، يحتاجون إلى الكثير من الصدقية والروح .وكان راين فتًى يخدم في الكنيسة وبقي كذلك، إذ لم يكبر ليصبح مجرماً أو شرطياً أو كاهناً، أو حتى رجلاً سياسيّاً حقيقيّاً.

بالطبع، لم يكن راين من يحصون الأصوات الانتخابية، لكنه شخصية مضلّلة لا تتمتّع بالقدرة على رؤية الأمور من مختلف الزوايا .قلبيّاً، هو يريد الإصلاح الضريبي .لكنه يرى في الرعاية الصحية السبيل الوحيد للإصلاح الضريبي .بيد أنه لم يكن يهتمّ كثيراً بهذه المسألة .وكما أنّ البيت الأبيض قد استعان به بشأن الرعاية الصحية، فقد استعان بشركات التأمين وجماعات ضغط شارع» كاي ستريت «بشأن صياغة مشروع القانون.

في الواقع، حاول راين أن يتصرّف، مثل ماكورميك أو أونيل، من خلال تقديم ضمانات مطلقة بسيطرته على التشريعات .وقد قال للرئيس أثناء اتصالاتهما اليومية المتعدّدة» :إنها صفقة تامة .«كانت ثقة ترامب براين تنمو أكثر فأكثر، وبدا برأيه أنّه حقّق نوعاً من السيطرة التامة على موقع ذا هيل .وإذا كان الرئيس قلقاً من قبل، فإنه لم يعد قلقاً بعد الآن .فالصفقة محسومة . وتفاخر كوشنر قائلاً» كان البيت الأبيض، الذي لم يكن قد بذل مجهوداً كبيراً حتى، على مشارف انتصار كبير«، متوقّعاً الفوز وسعيداً به أكثر من كرهه لمشروع القانون.

ولكن المشكلة المفاجئة هي أنّ النتائج قد تصدر في بداية شهر آذار/مارس . وبدأت كايتي والش التي يصفها كوشنر الآن» بالمتطلّبة والمشاكسة «تدقّ ناقوس الخطر .إلّا أن كوشنر صدّ جهودها لإشراك الرئيس شخصياً في جمع الأصوات من خلال مجموعة من المواجهات المتصاعدة التوتّر .ها قد بدأت الأمور بالتكشّف.

***

واستمرّ ترامب في تسمية المسألة الروسية باستهزاء» الشيء الروسي، مجموعة من الأمور التافهة .«ولكن في العشرين من شهر آذار/مارس، مثُل جيمس كومي، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية، أمام لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الأميركي وروى القصّة بوضوح:

كلّفتني وزارة العدل، بإثبات أنّ مكتب التحقيقات الفيدرالية، الذي تندرج مكافحة التجسّس ضمن مهماته، يحقّق في مسألة مساعي الحكومة الروسية

للتدخّل في الانتخابات الرئاسية للعام2016 ، وأنه يحقق في طبيعة أي صلة تربط الأشخاص المعنيين بحملة ترامب والمساعي الروسية .ومثلها مثل أي مهمة لمكافحة التجسس، ستتضمّن هذه المهمة تقييم ما إذا جرى ارتكاب أي جرائم . وبما أنّها تحقيقات مفتوحة ومستمرّة، وبما أنها سرّية، فإنني لا أستطيع أن أفيد بالمزيد عمّا نقوم به ومن الذي نفحص سلوكه.

ولكنه قال ما يكفي .فقد حوّل كومي الشائعات والتسريبات والنظريات والتلميحات والموجات الحارة، التي لا تمثّل إلى الآن سوى أمل بإثارة فضيحة في أفضل الأحوال، إلى ملاحقة رسمية للبيت الأبيض .وأخفقت شتى محاولات السخرية من هذه القصّة، مثل :تسمية الأخبار بالمزيّفة ودفاع الرئيس القائم على هوسه بالنظافة في ما يتعلّق باتهامات الحمام الذهبي، وفصل الشركاء الثانويين والمتطفّلين الذين لا أمل منهم، والإصرار الحزين، إن صحّ القول، على عدم وجود أي جرائم مزعومة حتى، وتأكيد الرئيس أنه ضحية تنصّت أوباما . لكن كومي نفسه نفى مزاعم التنصّت هذه .ومساء اليوم الذي مثل فيه كومي، كان الجميع متأكّدين من أنّ الحبكات الروسية، التي من المُستَبعَد أن تتوقف، تنتظرها نهاية مؤلمة.

وكان كوشنر، الذي يدرك تماماً تصادم أبيه مع وزارة العدل، مرتبكاً بشكل خاص من تركيز كومي المتزايد على البيت الأبيض .وبات فعل أي شيء حيال كومي الموضوع الذي يشغل كوشنر .ولم يكفّ عن التساؤل :ترى ماذا يمكن أن نفعل بشأنه؟ وراح يطرح هذا السؤال على الرئيس مِراراً وتكراراً.

وهذه مسألة هيكليّة، كما حاول بانون تفسيرها؛ ولكنه لم يفلح كثيراً .إنها حركة معارضة .يمكن للمرء أن يتفاجأ بمدى شراسة هذه الحركات وإبداعها وشيطانيتها؛ ولكن لا يمكنه أن يتفاجأ بأن أعداءه يحاولون إيذاءه .إنها لعبة شطرنج ولكنها بعيدة من أن تطرد الملك وليس عليك إلّا أن تتابع اللعب، مع العلم بأنها قد تستمرّ طويلاً .وقال بانون، إن الاستراتيجية المنظّمة هي الطريقة الوحيدة للفوز في هذه اللعبة.

ولكنَّ الرئيس، مُحَفَّزاً من أسرته، رجلاً مهووساً وليس استراتيجيّاً .وبرأيه، هذه المسألة لا تتمحور حول مشكلة يجب مواجهتها، بل حول رجل يجب التركيز عليه وهو كومي .فتجنّب ترامب التجريد، وركّز بهجومه اللفظي على خصمه علانيةً .لقد كان كومي لغزاً عسيراً على ترامب :فقد نفى أنّ مكتب التحقيقات الفيدرالية يتابع الاتهامات الموجهة ضدّ كلينتون بسبب خدعة البريد الإلكتروني . وفي شهر تشرين الأول/أكتوبر، عزّز كومي بمفرده حظوظ ترامب من خلال إعادة فتح التحقيقات المتعلّقة بقضية بريد كلينتون الإلكتروني.

وفي خلال تعاملاتهما الشخصية، اكتشف ترامب أنّ كومي متصلّب، فهو لا يمزح ولا يلعب .ولكنّ ترامب، الذي يفكّر باستمرار أنّ الناس يجدونه لا يُقاوَم، ظنّ أنّ كومي مُعجَب بمزاحه ولعبته .وحين ضغط عليه بانون وغيره لكي يكون طرد كومي أحد أعماله الأولى، وهي فكرة عارضها كوشنر، لتمثّل نقطة جديدة على لائحة بانون لنصائح كوشنر السيئة، أجابه الرئيس» :لا تقلق، سأتولى أمره بنفسي .«لقد كان على ثقة بأنه من خلال التودّد لمدير مكتب التحقيقات

الفيدرالية ومدحه، ستتحوّل مشاعر هذا الأخير إيجابية تجاهه، إن لم تتحوّل إلى خضوع تام.

بعض الساعين إلى الإغواء يمتلكون على الدوام حساسية إزاء الإشارات التي يرسلها الأشخاص الذين يريدون إغواؤهم؛ وبعض أولئك يسعون إلى الإغواء عشوائيّاً، وبموجب قانون المعدِّلات، غالباً ما ينجحون) يُعتَبَر الآن الرجال الذين ينتمون إلى هذه الفئة متحرّشين .(وهذا هو النهج الذي يتّبعه ترامب مع النساء . يفرح حين ينجح ولا يبالي حين يخفق) وغالباً ما كان يظنّ أنه نجح على الرغم من الأدلّة .(وكان الأمر مشابهاً مع السيّد كومي.

فخلال اجتماعاتهما المتعددة منذ تولّيه منصبه، حظي كومي بعناق رئاسي في 22 كانون الثاني/يناير؛ وخلال عشاء لهما في 27 كانون الثاني/يناير طُلِب من كومي أن يبقى مديراً لمكتب التحقيقات الفيدرالية؛ وخلال تجاذبهما أطراف الحديث يوم عيد العشاق جرى إخلاء المكتب من كل الموجودين الآخرين حتى من سيشنز مدير كومي بالاسم .كان ترامب على ثقة بأنه وزّع التحرّكات .وكان متأكّداً من أنّ كومي سيسانده بالمقابل، إذ كان على علم بأن ترامب يسانده) ساعده، مثلاً، في الحفاظ على وظيفته.(

ولكن الآن أتت هذه الشهادة .ولم تعد الأمور واضحة .فما له معنى فعلاً بالنسبة إلى ترامب هو أنّ كومي أرادها أن تكون متعلقة به .إنه يحب وسائل إعلام .هكذا فهم ترامب الأمر .حسناً، وهو أيضاً يستطيع أن يلعب على هذا النحو.

إن مسألة الرعاية الصحية، غير المسلّية، والتي أصبحت فجأة أقل تسلية، ولاسيما بعد أن ازداد احتمال ألا يتمكّن راين من حلها، قد ضعفت بالفعل أمام توضيح كومي، وأمام الغضب والعداء والمرارة التي أصبح ترامب وأقاربه يكنّونها له.

كان كومي مشكلة تفوق الوصف .إطاحة كومي هي الحل البديهي. وأصبحت المهمّة الوصول إلى كومي.

وعلى طريقة أفلام شرطة كيستون الكوميدية، كلّف البيت الأبيض رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الأميركي ديفن نونز في مهمّة هزليّة تقضي بالتشكيك في صدقية كومي ودعم فرضيّة التنصّت .ولكن سرعان ما انهار هذا المخطّط وبات سخرية العالم.

أما بانون، الذي أعلن بكل احترام عدم تدخّله لا بموضوع الرعاية الصحية ولا بموضوع كومي، فراح يبلغ المراسلين بأنّ الموضوع الأساسي ليس الرعاية الصحية بل روسيا .وكان ذلك إبلاغاً غامضاً :فلم يكن واضحاً ما إذا كان يحاول تشتيت الانتباه عن كارثة الرعاية الصحية القادمة، أو دمجها مع هذه المتغيّرات الخطيرة الجديدة، وبالتالي تضخيم الفوضى التي لطالما أفاد منها.

لكن بانون كان صريحاً في موضوع واحد .أبلغ المراسلين بالآتي :متى كشفت قصّة روسيا، ركّزوا على كوشنر.

***

بحلول منتصف شهر آذار/مارس، كُلّفَ غاري كوهن بإنقاذ مشروع قانون الرعاية الصحية المتعثّرة .وقد يبدو هذا الأمر نوعاً من مضايقة لكوهن الذي كان استيعابه للمسائل التشريعية أكثر محدودية من استيعاب أغلبية الآخرين في البيت الأبيض لها.

كان صباح يوم الجمعة، 24 آذار/مارس، صباح التصويت النظري في مجلس النواب الأميركي على مشروع القانون الجمهوري للرعاية الصحية .وقد وصفت صحيفة» بوليتكو «في نشرتها اليومية» بلايبوك «احتمالات التصويت »بالقرعة .«خلال هذا الاجتماع الصباحي لكبار الموظفين، طُلِبَ من كوهن إجراء تقييم للمرحلة التي وصلت إليها الأمور، فقال على الفور» :أظنّ أنه سحب قرعة.«

فسألت كايتي والش» :حقاً؟ أهذا ما تظنّه؟.«

ردّ بانون بالإيجاب، محتقراً من دون شفقة جهود البيت الأبيض، مستهدفاً كوشنر وكون وبريبوس وبرايس وراين بسلسلة من الاتصالات بالمراسلين .بالنسبة إلى بانون، يمكن الاعتماد على أن كوشنر وكوهن سيهربان لدى سماع أوّل طلقة نارية) فقد أمضى كوشنر معظم الأسبوع في رحلة للتزلّج .(وبريبوس يُملي على راين النقاط والأعذار التي يجب أن يقولها .أما برايس، الذي من المفترض أن يكون »معلّم «الرعاية الصحية، فهو دجّال أخرق؛ فهو يقف في الاجتماعات، ولا يتفوّه إلّا بالحماقات.

هؤلاء هم الأشرار، الذين يؤسسون لخسارة مجلس النواب في العام2018 ، وبالتالي يضمنون اتّهام الرئيس .هذا هو تحليل بانون العتيق :رؤية سياسية

أكيدة وفورية أتت إلى جانب احتمالٍ بحكم بانوني-ترامبوي قد يدوم طوال نصف قرن.

وكونه على قناعة بأنه يعرف وجهة طريق النجاح، ويدرك عمره وفرصه المحدودة، ويعتبر نفسه محارباً سياسياً داخلياً موهوباً) من دون أي سبب وجيه(، سعى بانون إلى رسم خطّ فاصل بين المؤمنين والخونة، وبين الوجود الفعلي وعدمه .وبالنسبة إليه، لكي ينجح، يجب أن يعزل جماعة راين وكون وكوشنر.

كانت جماعة بانون مصرّة على التصويت لصالح مشروع قانون الرعاية الصحية، مع علمها بأنه لا مفر من الهزيمة .وقال بانون» :أريد هذا كتقرير عن وظيفة راين كرئيس مجلس النواب .«إنه تقرير مدمّر، إنه فشل ذريع.

يوم التصويت، أُرسِل بينس إلى صحيفة ذاهيل ليرمي رميته الأخيرة على مجموعة الحرية التي يرأسها ميدوز) .كان أتباع راين يظنون أنّ بانون يحثّ ميدوز على الصمود، إلّا أنه في وقت سابق من الأسبوع نفسه، أمر بانون مجموعة الحرية بالتصويت لصالح مشروع القانون، في ما عبّرت عنه والش بأنه : »عرضٌ سخيف لبانون .(«عند الساعة الثالثة والنصف، اتصل راين بالرئيس ليقول له إنه ينقصه خمسة عشر صوتاً أو عشرون صوتاً ويحتاج إلى دفع أنصاره إلى التصويت .واستمر بانون في حثّ التصويت الفوري بدعم من مولفاني الذي أصبح عميل» ذاهيل «في البيت الأبيض .ستكون الهزيمة هنا هزيمة أساسية لقيادة الحزب الجمهوري .وهذا كان يناسب بانون كثيراً : فليفشلوا.

لكن الرّئيس تراجع .فأمام هذه الفرصة الوحيدة لجعل القيادة الجمهورية هي المسألة، وتسميتهم على أنهم هم المشكلة، تردّد ترامب، فأثار غضب بانون ولم يكن غضباً صامتاً تماماً .بعدها، سرّب راين معلومات عن أن الرئيس هو من طلب منه إلغاء التصويت.

خلال عطلة نهاية الأسبوع، اتصل بانون بلائحة طويلة من المراسلين وقال لهم بشكلٍ حاول أن يكون غير علني،» أرى أن راين لن يبقى هنا لفترة طويلة.«

***

بعد سحب التصويت على مشروع القانون تلك الجمعة، أعلمت كايتي والش الغاضبة والمشمئزّة كوشنر بأنها تريد الانسحاب .وبعد أن أوجزت ما اعتبرته كارثة بيت ترامب الأبيض الكئيبة، تكلّمت بصراحة قاسية عن التناحرات المريرة، التي ترافقت مع مستوى هائل من عدم الكفاءة، ونقصٍ في تحديد المهمة المطلوبة .وإذ فهم كوشنر أنها يجب أن تفقد صدقيتها على الفور، سرّب معلومات بأنها تسرّب معلومات؛ وبالتالي يجب التخلص منها وإخراجها.

مساء يوم الأحد، تناولت والش العشاء مع بانون في معقله في كابيتول هيل، سفارة بريتبارت .وأثناء هذا العشاء، توسّل إليها أن تبقى، ولكن من دون جدوى . يوم الاثنين، حلّت التفاصيل مع بريبوس .سوف تغادر للعمل بدوام جزئي لدى لجنة الحزب الجمهوري، وبدوام جزئي آخر على الفقرة (4) (c) من مشروع ترامب، لكنها لن تكون من ضمن فريق الحملة .وبحلول يوم الخميس كانت قد رحلت.

بعد مرور عشرة أسابيع على بدء الإدارة الجديدة بمهماتها، خسر بيت ترامب الأبيض، بعد مايكل فلين، فرداً آخر من كبار الموظفين فيه، هو تلك التي تمحور عملها الفعلي حول إنجاز الأمور.

الفصل الثالث عشر

معاناة بانون

شعر هو أيضاً، أنه كالسجناء .وقد أخبر كايتي والش ذلك عندما جاءت لتعلمه بأنها سترحل.

بعد عشرة أسابيع من بداية فترة ترامب الرئاسية، بدا أن سيطرة بانون على برنامج ترامب، أو على ترامب نفسه على الأقل، قد انهارت .كانت معاناة بانون الحالية ذات طبيعة كاثوليكية :الجلد الذاتي لرجل آمَنَ بأنه في مستوى أخلاقي أعلى من الآخرين، إضافة إلى كرهه للبشر بشكل أساسي .كان على بانون، كرجل غير اجتماعي تجاوز منتصف العمر لا يجيد الانسجام مع البشر، أن يبذل جهوداً خارقة ليتعايش مع الآخرين، وهي جهود باءت بالفشل في أغلب الأحوال . كما كان دونالد ترامب، على وجه الخصوص، سبباً لتعاسته. ذلك أن قسوة

ترامب، التي تكون هائلة حتى عندما تكون عَرَضية، تصبح غير محتملة حقاً عندما ينقلب ضدك.

قال بانون، وهو جالس ذات مساء في مكتب راينس بريبوس» :كرهت مشاركتي في الحملة، وكرهت الفترة الانتقالية، وأكره وجودي هنا في البيت الأبيض .«كان ذلك المساء دافئاً على غير العادة في أوائل الربيع، وكانت الأبواب الفرنسية الطراز مفتوحة على الفناء المغطى بالأشجار، وقد جلس بانون وبريبوس، اللذان أصبحا الآن صديقين وحليفين مخلصين في عداوتهما لجارفانكا، إلى طاولة في الخارج.

لكن بانون كان هنا لهدف، بحسب اعتقاده .فقد كان مؤمناً بشدة، وهو الإيمان الذي لم يستطع أن يحتفظ به لنفسه، وبالتالي قوّض مكانته عند الرئيس على الدوام، بأن لمجهوداته الفضل في وصول الآخرين إلى البيت الأبيض . بل والأهم من ذلك، فقد آمن بأنه الشخص الوحيد الذي يتوجّه إلى العمل كل يوم، وفي نيّته هدف تغيير البلاد بالفعل :تغييرها بشكل سريع، وجذري، وحقيقي.

إن فكرة انقسام الناخبين إلى ولايات حمراء وزرقاء، وإلى تيارين متنافسين من القيم، وتفرّقهم بين مناصر للعولمة ومناصر للقومية، ومؤيد للمؤسسة الحاكمة ومناضل في المعارضة الشعبية، كانت بمثابة ما تختصره وسائل الإعلام بالقلق الثقافي، والأوقات العصيبة سياسياً، واستمرار الأعمال على ما هي عليه رغم الصعوبات والاضطرابات .لكن بانون كان يؤمن بأن الانقسام واقعي .لقد أصبحت الولايات المتحدة دولة لشعبين يعادي كل منهما الآخر .يجب أن يفوز أحدهما ويخسر الآخر، أو أن يسيطر أحدهما، فيما يصبح الآخر هامشياً.

كانت هذه حرباً أهلية حديثة، كانت حرب بانون .وكانت الدولة المبنية على قيم المواطن الأميركي العامل وشخصيته وقوّته، التي كانت سائدة في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٥ و1965، هي النموذج الذي أراد الدفاع عنه واستعادته: اتفاقيات التجارة، أو حروب التجارة، التي دعمت الصناعة الأميركية؛ سياسات المهاجرين التي حمت العمال الأميركيين) وبالتالي، الثقافة الأميركية، أو على الأقل الهوية الأميركية من العام ١٩٥٥ إلى العام ١٩٦٥(؛ والعزلة الدولية التي من شأنها أن تحافظ على الموارد الأميركية وتطوّق فلسفة دافوس التي تؤمن بها الطبقة الحاكمة) وأيضاً تحفظ حياة الفئة العاملة بالجيش .(لقد كان كل هذا، في نظر الجميع، باستثناء دونالد ترامب واليمين البديل، ضرباً من الجنون السياسي والاقتصادي السخيف .لكن بانون كان يرى ذلك فكرة ثورية وضرورية.

أما الآخرون في البيت الأبيض، فقد أجمعوا على أن حلم بانون لا يمكن تحقيقه» .ستيف هو...ستيف .«أصبح المصطلح الفنّي المخفف لتحمُّله .قال الرئيس» :إن كثيراً من الأشياء تدور في رأسه .«وتابع حواراته المعتادة، متجاهلاً بانون.

لكن الأمر لم يكن يتعلق ببانون في مواجهته للآخرين، بقدر ما كان يتعلق بترامب المؤيد لأفكار بانون في مواجهة ترامب الرافض لأفكار بانون .فلو كان ترامب يستطيع، بحالته المزاجية السوداوية، العازمة والعدوانية، أن يمثل بانون ووجهة نظره، فإنه يستطيع بالسهولة نفسها ألَا يمثل شيئاً على الإطلاق، أو أن يمثل فقط حاجته إلى المتعة الفورية .هذا ما فهمه الأشخاص المعارضون لبانون عن ترامب .إذا كان الرئيس سعيداً، قد يسود نهج سياسي طبيعي وتدريجي حذر،

بل قد يبرز نوع جديد من الاعتدال، الذي يمكننا أن نتصور مدى إضراره بمنهج بانون .إن آراء بانون، بشأن حكم سياسات ترامب) الترامبوية (لخمسين عاماً، يمكن أن يخلفها حكم جاريد، وإيفانكا، وغولدمان ساكس.

بحلول نهاية آذار/مارس، كان هذا هو الجانب المنتصر .وقد أسفرت جهود بانون في استخدام الإخفاق الأسطوري للرعاية الصحية كدليل على أن النظام هو العدو، عن نتائج عكسية إلى حد بعيد .لقد رأى ترامب في إخفاق الرعاية الصحية إخفاقاً شخصيّاً له، لكن بما أنه يعتقد أنه لا يخفق، فقد أصرّ على أن الرعاية الصحية لم تكن إخفاقاً، بل ذهب حتى إلى حدّ اعتبارها نجاحاً سيتحقّق قريباً إذا لم يكن قد تحقّق بعد .لذا أصبح بانون، الذي كان بمثابة نذير شؤم على الهامش، هو المشكلة.

برّر ترامب تأييده السابق لبانون بكيل عبارات التحقير له، وإنكار تأييده له في أي وقت مضى .إذا كان ثمة خطأ في بيته الأبيض، فهو ستيف بانون .أصبح التشهير ببانون مصدر مرحٍ لترامب .عندما يؤتى على ذكر بانون، كان ترامب يقوم بتحليل دقيق قائلاً» :مشكلة ستيف بانون هي العلاقات العامة .إنه لا يفهمها . الجميع يكرهونه .لأن ...انظر إليه .علاقاته العامة السيئة تنتقل إلى الآخرين.«

السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هو، بالطبع :كيف اعتقد بانون، المعارض الشعبي للنظام، أنه يستطيع الانسجام مع دونالد ترامب، الملياردير الذي يستخدم النظام لمصلحته الخاصة؟ إن بانون من جهته كان يرى في ترامب اللعبة التي عليه أن يجاريها .لكنه بالكاد تمكن من ذلك، أو أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من تهشيمها .فكان يشير كلما تحدث عن انتصار ترامب، إلى أن الحملة الانتخابية

كانت تواجه قصوراً في التصويت عندما انضمّ إليها، وهو قصورٌ لا تستطيع أي حملة أن تواجهه وتنجو منه، لاسيما أن أمامها عشرة أسابيع فقط قبل الانتخابات، أن تنجو منه .وفقاً لبانون، كان ترامب بلا بانون سيصبح ويندل ويلكي.

فهم بانون ضرورة ألا يسرق الأضواء من ترامب؛ وأدرك أن الرئيس كان يسجل بدقة جميع المزاعم ضد الفضل الذي اعتقد أنه وحده يستحقه .لقد بدا هو وكوشنر، أهم شخصيتين في البيت الأبيض بعد الرئيس، صامتين بشكل احترافي .لكن مع ذلك، بدا بانون كما لو أنه في كل مكان، وكان الرئيس مقتنعاً، عن حقّ، أن جهود بانون الصحافية الخاصة هي السبب .كان بانون يشير إلى نفسه بلقب» الرئيس بانون«، بتكرار يتخطى مجرّد السخرية من الذات .أما كيليان كونواي اللاذعة، والتي أُنتقدت بشكل منتظم لسرقتها الأضواء، فقد أكدت ملاحظة الرئيس على أن بانون قد زجّ بنفسه في أكبر عدد ممكن من صور البيت الأبيض) .بدا أن الجميع يحصون حضور الآخرين في الصور .(وفضلاً عن ذلك، لم يهتم بانون كثيراً بإخفاء اقتباساته المجهولة الكثيرة، ولم يبذل جهداً ليقلل من حدّة افتراءاته غير السرية على كوشنر، وكوهن، وباول، وكونواي، وبريبوس، وحتى ابنة الرئيس) علماً أنه كان يركّز غالباً على ابنة الرئيس.(

مما يثير الفضول أن بانون لم يكن قد عبّر بعد عن خواطر جانبية بخصوص ترامب .ربما كانت استقامة وسلامة ترامب الخاصّتان أساسيتين للغاية كي يشيّد بانون منهج سياسات ترامب) الترامبوية .(كان ترامب الفكرة التي

يجب عليك دعمها، وهذا شبيه إلى حدّ ما بالفكرة القائلة بضرورة احترام النظام .لكن الحقيقة كانت معاكسة، فترامب هو السفينة :لن يكون هناك بانون من دون ترامب .فمهما اعتمد بانون على إسهاماته الفريدة، التي تبدو سحرية، في انتصار ترامب، فإن فرصته كانت معتمدة تماماً على موهبة ترامب المتميزة .أما هو فلم يكن أكثر من مجرد رجل وراء رجل .لقد كان بمثابة كرومويل الخاص بترامب، بحسب وصفه للأمر، حتى لو كان مدركاً تماماً مصير كرومويل.

لكن ولاءه لفكرة ترامب لم يحمه من تصريحات ترامب الفعلية الدائمة ضده .لقد جمع الرئيس لجنة تحكيم عريضة للتفكير في مصير بانون، واضعاً أمامها، بأسلوب كوميديا بورسشت بيلت المهين، قائمة طويلة من مصادر إزعاج بانون» :تبدو كشخص مشرّد .استحم يا ستيف .لقد ارتديت هذا البنطلون لستة أيام .يقول إنه يجني المال .أنا لا أصدق هذا) .«لم يتناول الرئيس، بشكل ملحوظ، آراء بانون السياسية .(لم تكن إدارة ترامب قد تجاوزت الشهرين في الحكم، لكن جميع وسائل الإعلام توقّعت طرد بانون.

كانت إحدى الصفقات المربحة التي يمكن أن تقوم بها مع الرئيس بصورة خاصة هي أن تحضر نقداً جديداً أكثر قسوة يستهدف الخبير الاستراتيجي الرئيسي لديه، أو تقارير عن أشخاص آخرين ينتقدونه .كان من المهم ألا تقول شيئاً إيجابياً عن بانون لترامب .حتى مجرد المديح الباهت الذي يسبق الاستدراك ب» لكن) «ستيف ذكي للغاية، لكن(... قد يسبّب التجهم والاستياء، إذا لم تسارع إلى الاستدراك) .علماً أن نعت أي شخص بالذكاء يسبّب لترامب ضيقاً

شديداً على الدوام (وقد كلّف كوشنر سكاربورو وبريجنسكي بما يشبه البرنامج التلفزيوني الصباحي المنتظم لانتقاد بانون.

كان هـ .ر .ماكماستر، الماريشال في الجيش الأميركي، والذي حل محل مايكل فلين كمستشار للأمن القومي، قد أمّن تعهُّد الرئيس له أنه يستطيع استخدام الفيتو ضد أعضاء مجلس الأمن القومي الأميركي .وسريعاً ما أمّن كوشنر، الذي يدعم تنصيب ماكماستر، انضمامَ دينا باول، وهي عضو رئيسي في جماعة كوشنر، إلى مجلس الأمن القومي الأميركي، وإطاحة بانون.

يمكن أن يسأل المؤيدون لبانون بعضهم بعضاً، بأصوات منخفضة وإحساس خاص بالشفقة :كيف بدا؟ وكيف كان يتحمل الأمر؟ وسوف يتفقون جميعاً على أن مظهره كان سيّئاً للغاية، حيث حفر الإرهاق أخاديد عميقة في وجهه المدمّر بالفعل .وقد عبّر ديفيد بوسي عن ذلك قائلاً إن بانون» :بدا كما لو أنه على شفير الموت.«

قال بانون متأملاً» :أفهم الآن ما يعنيه أن يكون المرء في بلاط الملك تيودور .3«عقب الحملة، تذكّر، كيف كان نيوت جينجريتش» :يأتي بكل هذه الأفكار الغبية .عندما فزنا كان صديقي المقرّب الجديد .كل يوم يأتي بمئة فكرة .« بحلول الربيع في البيت الأبيض» عندما فقدت سلطتي، وحين سرت في طريقي المحفوف بالأخطار، رأيته ذات يوم في الرواق ونظر إلى الأسفل، متجنّباً عيني، وغمغم قائلاً' :أهلاً، ستيف'، قلت' :ماذا تفعل هنا، دعني أدخلك .'فأجاب' :لا، لا، أنا بخير، إنني أنتظر دينا باول.«'

بتحقيق بانون ما هو غير قابل للتخيل، أي الوصول بالحزب العرقي اليميني البديل العنيف والمعادي لليبرالية إلى مكان مركزي في البيت الأبيض، وجد بانون نفسه وجهاً لوجه مع ما لا يطيق :احتقار الديمقراطيين الأغنياء والمخوّلين بالسلطة له، ووجوب تبرير تصرفاته لهم.

***

وكانت المفارقة في رئاسة ترامب أنها كانت الأكثر تأثراً بعوامل أيديولوجية والأقل تأثّراً في الوقت نفسه .فقد مثلت اعتداءً هيكلياً عميقاً على القيم الليبرالية؛ إذ إن تفكيك بانون للدولة الإدارية هدف إلى إزاحة وسائل الإعلام والمؤسسات الأكاديمية وغير الهادفة للربح معها .ولكن منذ البداية كان من الواضح أيضاً أن إدارة ترامب يمكن أن تتحول بسهولة إلى نظام يسيطر عليه النادي الجمهوري، أو ديمقراطيو وول ستريت؛ أو أنها فقط كانت تسعى باستمرار للإبقاء على دونالد ترامب سعيداً .وكانت ثمة مجموعة من القضايا التي كانت أشبه بشبح مرعب لترامب، اختبر رواجها في مختلف الحملات الإعلامية الهائلة، ولكن لم يكن من بينها قضايا بارزة باستثناء هدفه الأكبر المتمثل في اكتساب منافع شخصية عبر اللعبة الانتخابية.

ومع ارتفاع قرع طبول الإطاحة ببانون، سعت عائلة ميرسر لحماية استثماراتها في الإطاحة بالحكومة الراديكالية وكذلك مستقبل ستيف بانون.

وفي عصر يُحاصر فيه جميع المرشحين السياسيين الناجحين إن لم يقفوا طائعين على عتبة أولئك الأغنياء الذين يصعب إرضاؤهم بل المعادين للمجتمع الذين يوسعون نفوذهم والذين كلما كانوا أكثر ثراءً، أصبح إرضاؤهم أكثر

صعوبة، بل أصبحوا أكثر عداءً للجميع وجنوناً بالسلطة، كان بوب وريبيكا ميرسر واضحين أمام أنفسهما .فإذا كان صعود ترامب غير مرجح، فإن صعود عائلة ميرسر كان أقل ترجيحاً بكثير.

وحتى الأغنياء، الذين يصعب إرضاؤهم، أمثال الأخوين كوخ وشيلدون أديلسون اليمينيين، وديفيد جيفن وجورج سوروس اليساريين، تؤثّر بهم وتكبحهم حقيقة أن الأموال تتوافر حيث تكون السوق التنافسية .إن الخبث له حدوده وعالم الأغنياء ينظم نفسه بنفسه بطريقته .وللتسلق الاجتماعي قواعده.

ولكن من بين الأغنياء ذوي النفوذ الذين يصعب إرضاؤهم، ظل ميرسر وابنته في انطواء شبه تام يشقّان طريقهما رغم التشكيك وعدم الثقة .وعلى خلاف غيرهما من الناس الذين ساهموا في مبالغ كبيرة للمرشحين السياسيين، كان ميرسر وابنته مستعدين لعدم الفوز إطلاقاً .كانت لهما فقاعتهما الخاصة بهما.

لذلك، عندما فازا، بفضل حظّ دونالد ترامب، كانا لا يزالان يتسمان بالنقاء .الآن، بعد أن وجدا أنفسهما في السلطة، بمصادفة غريبة احتمالاتها شبه منعدمة، لم يعُدْ من السهولة بمكان أن يتخليا عنها بسبب عدم استمتاع ستيف بانون ببعض التصريحات أو الأفعال، أو عدم نومه بصورة كافية.

في نهاية آذار/مارس، نظم ميرسر وابنته مجموعة من الاجتماعات الطارئة التي كان أحدها مع الرئيس نفسه .وقد كان هذا النوع من الاجتماعات هو تماماً ذلك النوع الذي يتجنّبه ترامب :ذلك أنه لم يكن يهتم بمشكلات من يعملون معه، لأنها سوف تسلط الضوء على أشخاص آخرين .وفجأة، أُجبر على التعامل

مع ستيف بانون، بدلاً من حدوث العكس .والأكثر من ذلك أن المشكلة كانت في جزء منها بسبب إهانته المستمرة لبانون، والآن ها هُم يطلبون منه أن يعترف بخطئه .وعلى الرغم من أن الرئيس ظل يكرر أن بمقدوره طرد بانون، بل ينبغي له ذلك، كان يدرك العواقب تماماً، وهي موجة يمينية من الغضب العارم لا يمكن التنبؤ بها.

وكان ترامب يرى أن ميرسر وابنته يتّسمان بالغرابة، وكان هذا رأي الجميع . ولم يكن يحبّذ كيف ينظر بوب ميرسر إليه صامتاً من دون أن يتفوه بكلمة واحدة، ولم يحبّ أن تجمعه غرفة واحدة مع ميرسر أو ابنته .لقد كان ميرسر وابنته شريكين غريبين للغاية أو» مخبولين«، على حد تعبيره .ولكن على الرغم من رفضه الاعتراف بأن قرار ميرسر وابنته دعمه وفرضهما بانون على الحملة في آب/أغسطس كان على الأرجح الحدث الذي من دونه لما وصل إلى البيت الأبيض الآن، فهم أيضاً أن تجاوز ميرسر وابنته بالإضافة إلى بانون قد يؤدي إلى إثارة مشكلات من الطراز الأول.

وقد دفع تعقُّد مشكلة بانون - ميرسر ترامب إلى استشارة شخصيتين متناقضتين :روبرت مردوخ وروجر أيلز .وحتى عندما فعل الرئيس ذلك، ربما كان يعلم أنه لن يحصل على إجابة مجدية.

قال مردوخ، الذي أحاطه كوشنر بالأمر فعليّاً، إن التخلص من بانون هو السبيل الوحيد للتعامل مع الخلل الطارىء في البيت الأبيض) .مردوخ، بطبيعة الحال، افترض أن التخلص من كوشنر لم يكن خياراً .(هذا محتّمٌ، لذا قم به الآن .كان رد مردوخ منطقياً تماماً؛ فقد أصبح الآن مؤيداً سياسياً نشطاً

للمعتدلَيْن كوشنر - غولدمان .كما أنه رأى أنهما سوف ينقذان العالم من بانون، بل من ترامب أيضاً.

أما أيلز، ذلك الصريح الفظ، فقال» :دونالد، لا يمكنك أن تفعل ذلك .لقد رتبت سريرك، ويضجع عليه الآن ستيف .لست مجبراً على الاستماع إليه، أو حتى على التفاهم معه .ولكنك أصبحت متزوّجاً منه .لذلك، لا يمكنك أن تطلّقه الآن هكذا.«

كان جاريد وإيفانكا سعيدين باحتمال الإطاحة ببانون؛ إذ من شأن رحيله أن يجعل منظمة ترامب مرة أخرى تحت سيطرة الأسرة تماماً، الأسرة وموظفيها من دون منافس داخلي على الاسم والقيادة .وكانت الأسرة ترى أن من شأن ذلك أيضاً، من الناحية النظرية على الأقل، أن يساعد على تيسير حدوث واحد من أصعب التحولات التي قد يشهدها التاريخ، وهو التحوّل الذي سيجعل اسم دونالد ترامب جديراً بالاحترام والتقدير .إن حلم أن يصبح ترامب رجلاً محورياً، وهو حلم مؤجّل منذ فترة طويلة، قد يصبح واقعاً في ظل عدم وجود بانون . ناهيك بأن هدف كوشنر، الذي يتمثل في إنقاذ ترامب من نفسه، وإنجاح مستقبل جاريد وإيفانكا، كان بعيد المنال تقريباً ومبالغاً فيه، شأنه شأن تصور بانون القائم على تكريس البيت الأبيض لإعادة هوية أميركا الأسطورية إبان سنوات ما قبل.1965

إذا كان بانون سوف يغادر، فإنه قد يسبب أيضاً انقساماً كبيراً في الحزب الجمهوري الممزق بالفعل .قبل الانتخابات، طرحت إحدى النظريات أن ترامب المهزوم سوف يأخذ الـ 35% المهينة ويستمتع بهذه الأقلية المريرة .أما الآن، فإن

النظرية المثيرة للقلق هي أنه، في وقت يحاول فيه كوشنر أن يحوّل حماه إلى روكفلر عصري، وهو ما كان ترامب يحلم به أحياناً) كان مركز روكفلر مصدر إلهام لعلامات ترامب التجارية العقارية الخاصة(، كان يمكن أيضاً لبانون أن يذهب آخذاً معه جزءاً كبيراً من الـ35%

كان ذلك هو تهديد بريتبارت .لقد ظلت منظمة بريتبارت تحت سيطرة ميرسر وابنته .وكان من الممكن في أي وقت أن تُسلم مرة أخرى إلى ستيف بانون . والآن، في ظل تحوُّل بانون بين عشية وضحاها إلى نابغة سياسية وشخصية ذات قوة ونفوذ، وانتصار اليمين المتطرف، أصبحت بريتبارت أكثر قوة كثيراً .وقد سلم انتصار ترامب، بصورة ما، ميرسر وابنته أداة تدميره .وعندما احتدمت الأمور وشحذت وسائل الإعلام الرئيسية والبيروقراطية المتعفنة الهمم بلا هوادة ضده وأصبحت أكثر تنظيماً، أصبح ترامب بالتأكيد بحاجة إلى وقوف اليمين المتطرف الذي يدعمه ميرسر إلى جانبه للدفاع عنه .ماذا بعد كل ذلك؟ هل أصبح من دونهم؟

وعندما اشتدت الضغوط، فإن بانون، المنضبط تماماً حتى الآن في نظرته إلى دونالد ترامب على أنه الصورة الرمزية المثالية للترامبوية) والبانونية (والذي حاول بإصرار أن يظهر بمظهر المساعد والمؤيد ذي الموهبة السياسية العصيّة، قد بدأ بالتصدُّع .إن ترامب الذي فَهِمَه جميع الذين عملوا معه، هو ترامب، بصرف النظر عمّا قد ترغبون أن يكونه، أي إنه الشخص الذي قد يصبّ جام غضبه بلا هوادة على جميع من حوله.

ولكن ميرسر وابنته تشبّثا برأيهما؛ إذ اعتقدا أن رئاسة ترامب، على الأقل الرئاسة التي كانا يتصورانها) والتي أسهما فيها(، ستنتهي بمجرّد الاستغناء عن بانون .لذلك، صبّا جل تركيزهما في كيفية تحسين وضع ستيف، وجعلاه يتعهد بالاستقالة في الوقت المناسب .وبذلك، لم يعد بانون بحاجة إلى انتظار أن يحتاج ترامب إلى رفيقٍ على العشاء) في الآونة الأخيرة، كان جاريد وإيفانكا يحاولان منع حدوث ذلك في أي حال .(وقد تضمن الحل البحث عن بانون الحقيقي داخل بانون، أو بعبارة أخرى البحث عن كبير المستشارين الإستراتيجيين الذي يستحق منصب كبير المستشارين الإستراتيجيين.

وفي أواخر آذار/مارس، اتفق ميرسر وابنته على هدنة مع الرئيس، فحواها ألا تجري إقالة بانون .وبالرغم من أن هذه الاتفاقية لم تكن لتضمن لبانون شيئاً لناحية نفوذه ومكانته، إلا أنها كانت طريقة لكسب بعض الوقت لصالحه وصالح حلفائه، بغية إعادة تنظيم صفوفهم .بما أن مهارة نائب الرئيس تُقاس عادةً من خلال آخر نصيحة جيّدة قدّمها، لذلك اعتقد بانون أن عدم كفاءة خصميه، كوشنر وزوجته، سوف يعجّل بمصيرهما.

***

وافق الرئيس على عدم إقالة بانون؛ إلا أنه أعطى كوشنر وابنته شيئاً في المقابل؛ إذ عزز دور كل منهما.

في السابع والعشرين من آذار/مارس، أنشىء مكتب الابتكار الأميركي، وتولى كوشنر قيادته .وتمثلت مهمته المعلنة في الحد من البيروقراطية الفيدرالية، أو الحد منها بإنشاء المزيد منها، على غرار إنشاء لجنة لإنهاء مجموعة من اللجان .

وبالإضافة إلى ذلك، سوف تدرس مجموعة كوشنر الجديدة التكنولوجيا الداخلية التي تستخدمها الحكومة، وتركز في إيجاد فرص العمل، وتشجّع سياسات التعليم الصناعي، وتقترح المزيد منها، وتشجّع قطاع الأعمال بالشراكة مع الحكومة، وتعمل على مكافحة إدمان الأفيون .وكان ذلك، بعبارة أخرى، تجسيداً لاتباع النهج المعتاد مصحوباً بتجديدٍ وحيد هو دفعة الحماسة داخل أروقة الدولة الإدارية.

غير أن المغزى الحقيقي من هذا المكتب كان تزويد كوشنر بمجموعة من الموظفين الداخليين في البيت الأبيض، أي بفريقٍ من الناس لا يعملون فقط على المشروعات التي يدعمها كوشنر، والتي تتناقض إلى حد بعيد مع مشروعات بانون، بل يعملون على ما هو أوسع من ذلك، أو كما أوضح كوشنر لأحد الموظفين ذات مرة» :يعملون على زيادة بصماتي«، حتى أن كوشنر أصبح لديه »مسؤول عن الاتصالات«؛ ومتحدث مخصص يعمل أيضاً على الترويج لكوشنر . لقد كان هذا المكتب بمثابة عمل بيروقراطي لا يهدف إلى تعزيز نفوذ كوشنر فحسب، بل إلى إضعاف ستيف بانون أيضاً.

وبعد يومين من إعلان قاعدة سلطات جاريد الموسّعة، مُنحت إيفانكا وظيفة رسمية داخل البيت الأبيض أيضاً؛ إذ تولّت منصب مستشار الرئيس . وقد كانت إيفانكا منذ البداية مستشارةً أساسية لزوجها، وكان هو بالمقابل مستشاراً أساسياً لها .ومع ذلك، كان ذلك تعزيزاً مفاجئاً لسلطات أسرة ترامب ونفوذها داخل البيت الأبيض .لقد كان ذلك بمثابة انقلاب بيروقراطي كبير على

حساب ستيف بانون تماماً .الآن، أصبح البيت الأبيض، الذي كان منقسماً في السابق، متحداً بشكل كامل تحت قيادة أسرة الرئيس.

كان صهر ترامب وابنته يأملان، بل كانا واثقين أن بمقدورهما تلمّس إلى شخصية دونالد ترامب الإيجابية، أو على الأقل الموازنة بين المتطلّبات الجمهورية وبين العقلانية التقدمية، والتعاطف، والأعمال الجيدة .وعلاوة على ذلك، اعتقدا أن بإمكانهما تعزيز هذا الاعتدال عبر توجيه المزيد من المديرين التنفيذيين ذوي التوجُّه المماثل إلى داخل المكتب البيضاوي .وفي الواقع، كان الرئيس نادراً ما يختلف مع برنامج جاريد وإيفانكا، بل كان متحمساً له في كثير من الأحيان .تقول كايتي والش» :إذا أخبراه بأن الحيتان تحتاج إلى إنقاذ، يوافقهم الرأي تماماً.«

ولكن بانون، الذي كان يعاني في منفاه الداخلي، ظل مقتنعاً بأنه يمثل ما يؤمن به دونالد ترامب، أو بشكل أكثر دقة، ما يشعر به الرئيس .كان بانون يعرف أن ترامب رجلٌ عاطفي بصورة كبيرة، وكان متأكداً من أنه يضمر الكثير من الشر والغضب بداخله .وبغض النظر عن مقدار رغبة الرئيس في دعم تطلعات ابنته وزوجها، كانت رؤيتهما العالمية لا تشبه رؤيته .هكذا رأت والش الموقف» :يعتقد ستيف أنه دارث فيدر من ثلاثية حرب النجوم الشهيرة وأن ترامب جرى استدعاؤه إلى الجانب المظلم.«

في الواقع، تناسبت جهود ترامب الشرسة لمنع نفوذ بانون عكسياً مع النفوذ الذي كان بانون يحظى به بالفعل.

لا يصغي الرئيس حقاً إلى أي شخص .كلما تحدثت أكثر، قلّ إصغاؤه إليك . تقول والش» :ستيف حذرٌ في ما يقول، وثمة شيء مميز، يحتمل أنه نبرة صوته وطاقته وحماسته، يدفع الرئيس إلى الإنصات إليه، دون أي شيء آخر.«

وبينما كان جاريد وإيفانكا في جولة على شرف الانتصار، وقّع ترامب الأمر التنفيذي رقم13783 ، وهو تغيير في السياسة البيئية رعاه بانون بعناية؛ وهو ما دفع، على نحو فعال، إلى إبطال قانون السياسة البيئية الوطنية، أي القانون العام 1970 الذي كان بمثابة حجر الأساس لإجراءات حماية البيئة الحديثة، والذي يُلزم جميع الوكالات التنفيذية بإعداد بيانات الأثر البيئي، واتخاذ ما يلزم من إجراءات بناءً عليها .ومن آثاره الأخرى، ألغى القرار التنفيذي رقم 13783 توجيهات سابقة بدراسة التغير المناخي، وأخذه في الاعتبار، وهو ما أدى بعد ذلك إلى إثارة الجدل بشأن موقف البلد من اتفاق باريس للمناخ.

وفي الثالث من نيسان/إبريل، ظهر كوشنر بشكل غير متوقع في العراق بصحبة رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف دانفورد .وبحسب المكتب الصحفي للبيت الأبيض، كان كوشنر» مسافراً نيابةً عن الرئيس ليعرب عن دعم الرئيس للحكومة العراقية والموظفين الأميركيين المشاركين حالياً فى الحملة والتزامه أمامهم .«وقد التقطت لكوشنر العديد من الصور خلال الرحلة.

شاهد بانون، الذي كان يتابع واحدة من شاشات التلفزيون العديدة في الجناح الغربي، التي تعرض الأوضاع بصورة مستمرة، كوشنر وهو يرتدي سماعة الرأس أثناء طيرانه في مروحيّة فوق بغداد .ردّد بلهجة انتقادية غير موجّهة لشخص بذاته» :تمت المهمة«؛ مستعيداً حماقة جورج دبليو بوش وهدوءه، وهو

يقف على متن حاملة الطائرات يو إس إس إبراهام لنكولن، معلناً انتهاء الحرب العراقية.

راقب بانون، في غيظ، كيان البيت الأبيض، وهو يتحرك في الاتجاه المعاكس تماماً من الترامبوية - البانونية .لكنه كان قد حافظ، حتى الآن، على اعتقاده بحتمية أن يتوجّه نبض الإدارة الحقيقي باتجاهه هو .لقد أصبح مقدّراً لبانون، ذلك المحارب العظيم الذي لم يسبق له مثيل من وجهة نظره على الأقل والذي يتسم بالجلد والقوة، أن ينقذ الأمة.

الفصل الرابع عشر

غرفة الأزمات

قُبيل السابعة صباحاً من يوم الثلاثاء ٤ نيسان/إبريل، أي في اليوم الرابع والسبعين من ولاية ترامب الرئاسية، هاجمت القوات الحكومية السورية المتمردين في بلدة خان شيخون بالأسلحة الكيميائية .قُتل العديد من الأطفال في الهجوم .وكانت المرة الأولى التي يطرأ فيها حدث خارجي على رئاسة ترامب.

تشكّل الأزمات الخارجية طبيعة معظم الولايات الرئاسية؛ وترسمها .فالدور الأهم للرئاسة هو رد الفعل .إن الكثير من نواقيس الخطر التي قُرعت تحسباً من رئاسة ترامب كان مردُّها القناعة السائدة على نحو واسع بأنه شخص لا يعوَّل عليه في الحفاظ على هدوئه ورباطة جأشه في مهب العواصف .لقد أسعفه

الحظ إلى حد بعيد :عشرة أسابيع، ولم يجرِ اختباره بشكل جدّي .قد يكون ذلك، في جزء منه، ناتجاً عن طغيان الأزمات الداخلية النابعة من البيت الأبيض على منافِساتها الخارجية.

قد لا يمثّل بعدُ، هجوم شنيع واحد، هجومٌ واحد فقط، على الأطفال في حرب طال أمدها، السبب الذي سيُنتج تغييراً في اللعبة السياسية الرئاسية، يتوقّعه الجميع لا محالة .ولو أن الهجوم الكيميائي، قد وقع في ظل أي ولاية رئاسية أخرى، لكانت فظاعة كهذه ستؤدي إلى جواب مدروس بعناية، وببراعة فائقة .في الواقع، كانت رؤية أوباما أقل من بارعة، بإعلانه أن استعمال الأسلحة الكيميائية خط أحمر، ثم السماح بتجاوزه بعد ذلك.

ليس في استطاعة أحد في إدارة ترامب التنبّوء بالطريقة التي سيعتمدها الرئيس في الردّ، أو حتى بما إذا كان سيرد .هل يعتقد أن الهجوم الكيميائي مهم أم لا؟ لا أحد كان يستطيع الجزم.

لئن كان بيت ترامب الأبيض هو الأكثر إثارة للقلق في التاريخ الأميركي، فقد كانت آراء الرئيس حول السياسة الخارجية والعالم ككل من الآراء الأكثر عشوائية وغير المستندة إلى معلومات، وتبدو متقلبة .لم يكن مستشاروه يعرفون ما إذا كان انعزاليّاً أو عسكريتارياً أو قادراً على التمييز بين الاثنين .كان مفتوناً بالجنرالات وقرر أن يأخذ أصحاب الخبرة في القيادة العسكرية زمام المبادرة في السياسة الخارجية .لكنه كان يكره أن يملى عليه ما ينبغي فعله .كان ضد بناء الأمة، لكنه كان يعتقد أن هناك حالات قليلة لم يكن بوسعه شخصياً القيام

بعمل أفضل فيها .لم يكن يطيق عدم خبرته في السياسة الخارجية، لكنه لم يكن يكنُّ أي احترام للخبراء أيضاً.

فجأة، كان السؤال عن كيفية رد الرئيس على هجوم خان شيخون اختباراً للحالة السوية وللذين كانوا يأملون في تمثيل تلك الحالة في بيت ترامب الأبيض . هنا كان هذا النوع من التجاور المأساوي الذي قد يساعد على خلق مسرحية قوية ومفعمة بالحيوية :أناسٌ يعملون في بيت ترامب الأبيض ويحاولون تأدية وظيفتهم بشكل سوي.

***

والمثير للدهشة، ربما، هو أنه كان هنالك عدد قليل من هؤلاء الناس.

التصرف بسوية، وتجسيد الحالة السوية، أي اتّباع الطريقة التي يتَّبعها شخص عقلاني في السعي وبذل الجهد لإنجاز الأشياء .هكذا رأت دينا باول وظيفتها في البيت الأبيض .في سن الثالثة والأربعين، كانت باول قد صنعت لنفسها سيرة مهنية مزدوجة، تتقاطع بين عالم الأعمال والفضاء السياسي العام، ولم تكن تحتاج سوى إلى أداءٍ جيّد كي تبدو وكأنها برعت .لقد قامت بخطى واسعة وجبارة في عهد ولاية جورج دبليو بوش، وبعد ذلك لدى غولدمان ساكس. إن عودتها إلى البيت الأبيض على المستوى ما قبل الأول، ولديها، على الأقل، فرصة لشغل أحد أعلى المناصب الشاغرة في البلاد، قد تجعلها تستحق على الأرجح مبالغ هائلة، عندما تعود إلى عالم الأعمال.

مع ذلك، قد يحدث العكس في عالم ترامب .كانت باول قد صنعت سمعتها وصورتها بعناية) وهي من الأشخاص الذين يعتقدون بأهمية صورتهم .(وكان من الممكن أن تقترن بشكل لا يمكن الخلاص منه بصورة ترامب .بل الأسوأ من ذلك، كانت معرّضة لأن تصبح جزءاً مما قد يتحوَّل بسهولة إلى كارثة تاريخية .ففي نظر الكثيرين الذين عرفوا دينا باول من قبل، والجميع كانوا يعرفونها، كان مجرد اتخاذها موقعاً في إدارة ترامب ينمُّ عن تهور أو سوء تقدير جدّي.

»كيف تفسّر هذا بشكل عقلاني؟«، تساءلت إحدى صديقاتها القديمات . كما سألها الأصدقاء وأفراد الأسرة والجيران، سرّاً وعلانية، هل تدركين ماذا تفعلينه؟ ثم كيف أمكن لك ذلك؟ وما غايتك منه؟

هنا الخط الفاصل بين الذين كان وجودهم في البيت الأبيض نابعاً من ولائهم للرئيس وبين المختصين الذين كان ينبغي توظيفهم .كان بانون وكونواي وهيكس، إلى جانب تشكيلة من الإيديولوجيين الغريبين الذين ربطوا أنفسهم بترامب، وبطبيعة الحال، أسرته وجميع الذين لم تكن لهم سمعة حقيقية واضحة قبل شراكتهم مع ترامب، مربوطين به في السرّاء والضرّاء) .حتى بين المطبلين والمزمرين لترامب، كان هنالك دائماً عدد معيّن من الذين يحبسون أنفاسهم ويعيدون النظر في خياراتهم باستمرار .(ولكن أولئك المنتمين إلى دائرة التأثير الأوسع للبيت الأبيض، أصحاب منزلة ما أو على الأقل ما يظنونه منزلة، كان عليهم تبرير أعمالهم مستخدمين أُطُراً شخصية ومهنية أكثر تعقيداً.

في كثير من الأحيان، كانوا يجاهرون بوخز الضمير .فقد أكَّد ميك مولفاني، مدير مكتب الشؤون الإدارية، حقيقة أنه كان يعمل في مبنى المكتب التنفيذي،

وليس في الجناح الغربي .وكان مايكل أنطون، الذي أبقى على بن رودس في وظيفته السابقة في مجلس الأمن القومي، قد أتقن حد الكمال تدويرة عين بارعة) أُطلق عليها تدويرة عين أنطون .(أمَّا هـ .ر .ماكماستر، فقد بدا دائم التكشير ويتصاعد من رأسه الأصلع بخار أبدي») .ماذا دهاه؟ «غالباً ما كان يسأل الرئيس.(

هنالك، بالطبع، أسباب أكثر منطقية :كان البيت الأبيض يحتاج إلى مختصين راشدين، طبيعيين، عقلاء ومنطقيين .رأى هؤلاء المختصون في أنفسهم أنهم يضفون صفات إيجابية ضروريةٍ وغير متوفّرة في البيت الأبيض :تفكير منطقي، وقدرات تحليلية، وخبرة مهنية كبيرة .كانوا يقومون بقسطهم من الواجب لجعل الأشياء أكثر سوية، وبالتالي، أكثر استقراراً .كانوا الحصن والملاذ، أو هكذا رأوا أنفسهم، ضد الفوضى والتهور والغباء .لم يكونوا مؤيدين لترامب بقدر ما كانوا ترياقاً مضاداً لسمومه.

»إذا أخذت الأمور تسوء أكثر مما هي عليه بالفعل، فليس لديَّ أدنى شك في أن جو هايغن نفسه سيتحمل المسؤولية الشخصية، ويقوم بما يجب القيام به«، قالها سيناتور جمهوري من كبار الشخصيات في واشنطن، بخصوص موظف بوش السابق الذي يشغل اليوم منصب نائب رئيس الموظّفين المتخصصين في العمليات، في محاولة منه لتحقيق الاطمئنان الذاتي.

لكن هذا الحس بالواجب والفضيلة ينطوي على حساب معقّد حول تأثيرك الإيجابي في البيت الأبيض مقابل تأثيره السلبي بك .في نيسان/إبريل، عُمّمت رسالةٌ إلكترونية كان قد أرسلت إلى حوالي اثني عشر شخصاً فقط، ووصلت إلى عددٍ كبير من الأشخاص الذين راحوا يعيدون توجيهها .كانت الرسالة تحمل آراء

غاري كوهن، وتلخّص تماماً الشعور بالذعر لدى الأكثرية في البيت الأبيض .هذا نص الرسالة الإلكترونية:

إن الأمور أسوأ مما بوسع المرء أن يتخيّل .أحمق يحيط به مهرّجون .لا يريد ترامب قراءة أي شيء، لا صفحة مذكرات واحدة، ولا الملخص السياسي، لا شيء. ينتصب واقفاً في منتصف اجتماعاته مع قادة العالم لأنه يشعر بالملل .وطاقمه ليس أفضل منه .كوشنر طفل مدلل لا يفقه شيئاً .بانون وغد متعجرف يظن أنه أكثر ذكاء مما هو عليه .ترامب ليس شخصاً بقدر ما هو مجموعة من الصفات الرهيبة .لن يصمد أحد خلال السنة الأولى إلا أسرته .أكره العمل، لكنني أشعر أن عليَّ أن أبقى لأنني الشخص الوحيد هناك الذي يدرك ما يفعله .إن السبب في ملء بعض الوظائف هو أنهم يقبلون فقط أولئك الذين ينجحون في اختبارات سخيفة تتعلّق بمدى إخلاصهم، حتى لوظائف متوسطة في صنع السياسة، لن يكون شاغلوها في دائرة الضوء يوماً ما .إنني في حالة دائمة من الصدمة والرعب.

مع ذلك، فإن الفوضى التي قد تسبّب ضرراً جسيماً للأمة، ولسمعتك الشخصية أيضاً، قد يمكن تجاوزها، إذا كان يُنظر إليك على أنك الشخص الذي يستطيع السيطرة على هذه الفوضى بفضل كفاءته ومهنيّته.

باول، التي جاءت إلى البيت الأبيض بصفة مستشارة لإيفانكا ترامب، ترقّت، في غضون أسابيع، لتتبوّأ في مجلس الأمن القومي .وفجأة، أصبحت إلى جانب كوهن، زميلها في غولدمان ساكس، مرشّحةً لشغل واحد من أعلى مناصب الإدارة.

في الوقت نفسه، كان كلاهما يقضي قدراً كبيراً من الوقت مع مستشارين خارجيين خاصين لتحديد الطريقة التي قد يقفز بواسطتها خارج البيت الأبيض . قد تستطيع باول الحصول على وظائف بعمولات من سبعة أرقام في إحدى الشركات المئة الأغنى، أو على مستقبل مريح في شركة تكنولوجية .لم لا؟ فشيريل ساندبرغ، مديرة فيسبوك العامة، تملك خلفية في العمل الخيري للشركات، وفي إدارة أوباما .أمَّا كوهن، فهو بالأصل من أصحاب مئات الملايين، وكان يفكر في ترؤس البنك الدولي، أو البنك الاحتياطي الفيدرالي.

كانت إيفانكا ترامب التي تتعامل مع أناس شبيهين بباول من حيث الاعتبارات الشخصية والمهنية، لكن من دون استراتيجية واضحة للمغادرة، هادئة البال في زاويتها الصغيرة الخاصة بها .إنها من النوع الذي لا يعبّر، وأشبه برجل آلي في الفضاء العام .لكنها بين أصدقائها تستطرد وتنتقل من موضوع إلى آخر؛ وهي امرأة استراتيجية .فقد أصبحت إيفانكا أشد دفاعاً عن والدها وأكثر تخوفاً من خطر الاتجاه الذي ينحو نحوه البيت الأبيض .فقد ألقت مع زوجها باللائمة على بانون وفلسفته» :دع ترامب يكون ترامب) «تفسَّر غالباً» :دع ترامب يكون بانون .(«وقد توصل الزوجان إلى اعتباره أكثر شيطانية من راسبوتين .انطلاقاً من ذلك، كانت وظيفتهما إبعاد بانون والأيديولوجيين عن الرئيس، الذي، كانوا يؤمنون بأنه، في قلبه، شخص عملي) على الأقل عندما يكون في أفضل حالاته المزاجية(، إلّا أنه ضحية تأثير نفوذ أشخاص يستغلون عدم قدرته على التركيز لفترةٍ طويلة.

على أساس تحقيق منفعة متبادلة متفق عليها، اعتمدت إيفانكا على دينا لكي تقترح وضع تكتيكات إداريّة قد تساعدها على التعامل مع والدها ومع البيت الأبيض، وإدارة تلك التكتيكات، في حين اعتمدت دينا على إيفانكا في ضمان ألّا يُعدّ كل من هو من أسرة ترامب مصاباً بالجنون .كان هذا الرابط يعني أن في أوساط أهم ساكني الجناح الغربي، يُنظر إلى باول كجزء من الدائرة الأكثر قرباً من الأسرة، الأمر الذي يمنحها، في الوقت نفسه، نفوذاً أكبر، لكنه أيضاً يجعل منها هدفاً لهجمات قاسية غير مسبوقة» .ستفضح عدم كفاءتها بنفسها«، قالتها كايتي والش بمرارة، التي كانت ترى أن تأثير باول لا يتعدّى كونه جزءاً من اللعبة التي تمارسها أسرة ترامب غير الطبيعية في السلطة.

وفي الواقع خلص كلّ من باول وكوهن سرّاً إلى أن المهمة التي يتطلعان إلى أدائها، وهي مهمة رئيس الموظّفين، أي الوظيفة الوحيدة الضرورية لإدارة البيت الأبيض، ستكون مستحيلةً ما دامت ابنة الرئيس وصهره يتمتّعان بالقدرة على التحكّم في الأمور متى أرادا، وهذا بغضّ النظر عن قوة الرابط الذي يجمع بينهما وبين باول وكوهن.

كانت دينا وإيفانكا تتصدران بأنفسهما مبادرة السيطرة على تدفق المعلومات الموجهة إلى الرئيس .وهي مبادرة، في الأصل، يجب أن تكون من مسؤولية مدير المكتب الأساسية.

***

تمثَّل جزء من المشكلة الوحيدة هنا في كيفية الحصول على المعلومات من شخص لم يكن يقرأ) أو لا يستطيع ذلك، أو لا يريده(: ويستمع في أفضل

الحالات بشكل انتقائي .لكن الجزء الآخر من المشكلة تمثَّل في ماهية أفضل السبل لتحديد طبيعة المعلومات التي يحب الحصول عليها ونوعها .هوب هيكس، بعد أكثر من سنة في هذا المجال، شحذت كل غرائزها لتعرف بالحدس نوع المعلومات، أو اللقطات، التي تعجبه وترضيه .بانون، بصوته العميق والموثوق، كان يستطيع التسلل إلى عقل الرئيس .كيليان كونواي كانت تجلب إليه أخبار التهجّمات عليه فور صدورها .كانت هناك مكالماته الهاتفية التي يجريها بعد العشاء :مع جوقة المليارديرات، ثم المحطات التلفزيونية، المبرمجة للوصول إليه للتغزل به أو لإغضابه.

لم تكن المعلومات التي يحصل عليها هي المعلومات الرسمية، من بيانات وتفاصيل وخيارات، وتحليلات .ولم يكن يحبّذ استعمال باوربوينت .ما إن يشعر أنه في صف، حيث يعلمه أحدهم شيئاً أو يحاضر فيه، حتى يهبّ واقفاً ويغادر المكان .فقد كانت كلمة» بروفسور «إحدى كلماته السيئة .وكان فخوراً بعدم ذهابه إلى المدرسة، وعدم شراء كتاب مدرسي، وعدم تدوين الملاحظات.

كانت هذه، في الواقع، مشكلة متعددة النواحي في معظم الوظائف الرئاسية .لكن ربما كانت بشكلٍ أساسي، مشكلة تقييم الخيارات العسكرية الاستراتيجية.

كان الرئيس يحب الجنرالات .وكلما زاد تمويه لباسهم، كان أفضل .وقد سُرَّ جدّاً بالمديح الذي ناله لتعيينه جنرالات جديرين بالاحترام، مثل ماتيس وكيلي وماكماستر) بغضّ النظر عن مايكل فلين .(أمَّا ما لم يكن الرئيس يحبه، فهو الإصغاء إلى الجنرالات، الذين، في معظم الأحيان، كانوا بارعين في مصطلحات

»باوربوينت «العسكرية الجديدة، وتفريغ حمولة البيانات، وعرض المسائل على طريقة ماكينزي .إن أحد الأشياء التي جعلت فلين محبباً من الرئيس، هو أنه، إلى جانب كونه المتآمر المثالي والمضخم للأمور، كان يملك حسّاً سرديّاً حيويّاً.

في أثناء الهجوم على خان شيخون، لم يكن قد مضى على ماكماستر سوى ستة أسابيع في منصب مستشار ترامب للأمن القومي .كانت جهوده المبذولة لإعلام الرئيس قد أصبحت بمثابة تمرينٍ يحاول خلاله تعليم طالب حرون وسريع الامتعاض .كانت اجتماعات ترامب مع ماكماستر قد انتهت مؤخراً بما يقارب الفظاظة .واليوم، يخبر الرئيس العديد من الأصدقاء أن مستشاره الجديد للأمن القومي كان مملاً، وأنه سيطرده.

كان خيار ماكماستر ناتجاً من عدم وجود بديل، مما جعل ترامب يعود مراراً إلى التساؤل :لماذا اخترته؟ كان يلقي باللائمة على صهره.

بعد أن طرد الرئيس فلين في شهر شباط/فبراير، قضى يومين في مارآلاغو حيث كان يجري مقابلات مع مرشحين لاستبداله، وصبره يكاد ينفد.

لقد غذّى جون بولتون، سفير الولايات المتحدة السابق في الأمم المتحدة وخيار بانون الثابت، نبرته العدوانية لإشعال العالم وشن الحرب.

ثم جاء الفريق روبرت إل .كاسلين الابن، المشرف على كلية» وست بوينت « West Point Academyالعسكرية، ليقدم نفسه .ورأى ترامب فيه بديلاً إيجابيّاً، ينتمي إلى النمط العسكري القديم الطراز .نعم سيدي .كلا سيدي .هذا

صحيح سيدي .حسناً، أعتقد أننا نعرف أن الصين لديها بعض المشكلات، سيدي .وفي وقت قصير، بدا أن ترامب يرشح كاسلين للوظيفة.

»هذا هو الرجل الذي أريده«، قالها ترامب» .مظهره مناسب.«

لكن كاسلين تردّد .فلم يسبق له حقاً أن شغل منصباً وظيفيّاً في فريق عمل . كان كوشنر يعتقد أنه قد لا يكون جاهزاً.

»نعم، لكنني معجب بهذا الرجل«، ضغط ترامب.

ثم جاء ماكماستر، يرتدي زيه العسكري بنجمته الفضية، وعلى الفور، راح يلقي محاضرة واسعة النطاق حول الاستراتيجية الشاملة .وبما أن محاضرته طالت، بالطبع، فسرعان ما تشتت ذهن ترامب، وامتعض وتقطُّب حاجباه.

»هذا الرجل يصيبني بالضجر .«هذا ما أعلنه ترامب إثر مغادرة ماكماستر الغرفة، لكن كوشنر حثَّه على الاجتماع ثانية بماكماستر، الذي امتثل في اليوم التالي من دون أن يرتدي زيه الرسمي .كان يرتدي بدلة فضفاضة.

»يبدو أشبه ببائع جعة«، قالها ترامب .سيوظف ماكماستر، لكنه لا يريد لقاءه.

بعد فترة وجيزة من تعيينه، ظهر ماكماستر في برنامج مورننغ جو .شاهد ترامب البرنامج، وعلَّق بإعجاب» :الرجل قطعاً يستميل وسائل الإعلام.«

قال الرئيس إنه اتخذ قراراً جيداً في تعيينه.

في منتصف صباح الرابع من نيسان/إبريل، أحيط الرئيس في البيت الأبيض علماً بمعلومات متكاملة جمعت بشأن الهجمات الكيميائية .إلى جانب ابنته وباول، رأى معظم أعضاء دائرة الرئيس الداخليين للأمن القومي أن قصف خان شيخون فرصة مواتية لتسجيل اعتراض أخلاقي مطلق .كانت الظروف لا لبس فيها :مرة أخرى، يتحدّى النظام السوري القانون الدولي باستخدامه أسلحة كيميائية .كان ثمة فيديو يوثق الهجوم وتوافق كبير بين معظم وكالات الاستخبارات على مسؤولية النظام .كان السياسيون على حق :لقد أخفق أوباما في الرد على الهجوم الكيميائي، واليوم، يستطيع ترامب الردّ بشكلٍ أفضل .كان الجانب السلبي ضئيلاً، إذ يمكن التحكّم في الردود وردعها .كما كانت له ميزة إضافية، وهي تفسيره كوقفة في وجه الروس، شركاء الأسد الفعليين في سوريا، مما يمكن أن يسجل نقطة سياسية في صالح البيت الأبيض.

بانون، الذي كان كثيرون يشعرون باقتراب رحيله، كان الصوت الوحيد الذي يناهض الردّ العسكري، علماً أن نفوذه كان في أدنى مستوياته في تلك الآونة. كانت حجّته ذات نزعةٍ صفائية :إبقاء الولايات المتحدة خارج المشكلات المستعصية، وعدم زيادة انخراطها فيها .كان يضع الخط الفاصل بينه وبين فصيل التصعيد، الذي يتخذ القرارات على أساس مجموعة الافتراضات نفسها، والتي كانت نتيجتها، باعتقاد بانون، خلق مستنقع في الشرق الأوسط .كان الوقت قد حان لكسر نمط الرد النموذجي في السلوك، والممثَّل بتحالف جارفانكا-باول-كوهن-ماكماستر .فلنبتعد عن الردود العادية - في الحقيقة كان بانون ينظر إلى كل ما هو عادي على أنه المشكلة الفعلية.

كان الرئيس قد وافق على طلب ماكماستر إقالة بانون من مجلس الأمن القومي .ومع ذلك، اتُّفق على تأجيل إعلان التغيير إلى اليوم التالي .لكن ترامب كان ميالاً إلى وجهة نظر بانون الاستراتيجية :لماذا تفعل شيئاً إن لم تكن مضطراً؟ أو، لماذا تفعل شيئاً لا يأتي عليك في الواقع بأي نفع؟ منذ توليه منصبه، طوَّر الرئيس وجهة نظر حدسية بشأن الأمن القومي :إسعاد عدد معيّن من الطغاة لأنهم قد يطعنوك إذا غضبوا .فإلى كونه قائداً مزيّفاً قويّاً، كان أيضاً مهدئاً أساسياً .في هذه الحالة، إذن، ما نفع مقارعة الروس؟

بعد ظهر ذلك اليوم، كان أفراد فريق الأمن القومي يعانون من شعور متصاعد بالذعر :بنظرهم، لم يكن يبدو أن الرئيس يقيّم الوضع جيداً .لم يكن بانون متعاوناً .فقد كانت مقاربته المغالية في العقلانية تروق للاعقلانية الرئيس . وقد حاجج بانون بقوله إن هجوماً كيميائيّاً لم يكن ليغيّر الظروف على الأرض . إلى جانب ذلك، كانت هناك هجمات أسوأ بكثير أوقعت عدداً أكبر من الضحايا . إذا كنتم تبحثون عن أطفال ضحايا، يمكنكم أن تجدوهم في كل مكان .لماذا هؤلاء الأطفال بالذات؟

لم يكن الرئيس محباً للمجادلة، حسناً، ليس بأي معنى سقراطي .ولم يكن صانع قرار بأي معنى تقليدي .وبالتأكيد، لم يكن من الذين يدرسون وجهات نظر السياسة الخارجية وخياراتها .مع ذلك، كانت تلك مواجهة فلسفية حقيقية.

منذ زمن طويل، كان خبراء السياسة الخارجية الأميركية ينظرون إلى» عدم فعل شيء «كموقف عجز غير مقبول .فالرغبة في فعلِ شيءٍ غالباً ما كانت تقودها رغبةٌ في إثبات الوجود .لم يكن بإمكانك عدم فعل شيء وإظهار القوة .

لكن مقاربة بانون كانت إلى حد بعيد» :فلتحلّ اللعنة على الجميع«، لم تكن فوضانا .ووفقاً لكل الأدلة الأخيرة، لا خير في محاولة المساعدة على تنظيفها . ستزهق تلك المحاولة أرواحاً من قواتنا المسلحة من دون مكاسب عسكرية .كان بانون يعتقد بالحاجة إلى تغيير جذري في السياسة الخارجية، وكان يقترح عقيدة جديدة :تباً لهم !هذه الانعزالية ذات القبضة الحديدية كانت تروق لعقلية الرئيس التجارية :ما هي منفعتنا) أو منفعته (في ذلك؟

من هنا كانت الضرورة الملحة لإخراج بانون من مجلس الأمن القومي . والغريب في الأمر أنه، في البداية، كان يُظن أنه شخص أكثر عقلانية من مايك فلين الذي كان يستحوذ عليه الهاجس الإيراني، ويعتقد أن إيران مصدر كل شر . كان من المفترض أن يحتضن بانون فلين .لكن ما صعق كوشنر أن بانون لم يكن ذا نظرة انعزالية عن العالم فحسب، بل نبوئية بنهايته .سيحترق الكثير في هذا العالم، وليس هنالك من شيء يمكنك فعله حيال ذلك.

جرى إعلان إقالة بانون غداة الهجوم .كان ذلك بحد ذاته إنجازاً ملحوظاً في صالح المعتدلين .بعد أكثر من شهرين بقليل، استُبدل بقائد الأمن القومي المتطرف، إن لم نقل المعتوه، أشخاصاً يمكن القول إنهم عقلانيون.

كانت المهمة الآن جلب الرئيس إلى داخل دائرة العقل هذه.

***

مع تقدم النهار، كانت إيفانا ترامب ودينا باول كلتاهما متحدتين في تصميمهما على إقناع الرئيس بالرد ...بشكل طبيعي .في الحد الأدنى، إدانة مطلقة لاستخدام الأسلحة الكيميائية، وجملة من العقوبات؛ ومن الناحية المثالية، رد عسكري، ولكن ليس رداً كبيراً .لم يكن أي من هذه الأمور استثنائيّاً بأي شكل من الأشكال، وهذا لبّ الموضوع :الانتباه إلى عدم الردّ بطريقة جذرية مزعزعة، بما في ذلك الامتناع عن الردّ، وهو أسلوب جذري بحدّ ذاته.

كان كوشنر يشكو آنذاك لزوجته أن والدها لم يقم باللازم .كان مجرّد التوصُّل إلى توافق في الآراء، بشأن إعلان عدم مقبولية استخدام الأسلحة الكيميائية، في المؤتمر الصحفي الذي عُقد بعد ظهر ذلك اليوم، أمراً صعباً. فبنظر كل من كوشنر وماكماستر، بدا بديهيّاً أن الرئيس كان منزعجاً من الحاجة إلى التفكير في الهجوم أكثر من انزعاجه من الهجوم نفسه.

أخيراً، قالت إيفانكا لدينا إنهما تحتاجان إلى تقديم نوع مختلف من العروض إلى الرئيس .كانت إيفانكا قد اكتشفت منذ زمن طويل كيفية صناعة سيناريوهات ناجحة لوالدها .عليك أن تضغط أزرار حماسته؛ فقد يكون رجل أعمال، لكنه لا يقيم وزناً للأرقام .لم يكن يحب جداول البيانات، فقد كان محاسبوه يتولونها عنه .كان يحب الأسماء الكبيرة .وكذلك الصورة الأشمل .كان حرفياً يحبّ الصور الكبرى .أراد أن يرى الأمور .أراد أن يلمس» التأثير.«

ولكن إلى حدّ ما، ظل الجيش ومجتمع الاستخبارات وفريق الأمن القومي، في البيت الأبيض، متأخرين عن مواكبة الحدث .كان عالمهم عالم البيانات وليس عالم الصورة .وما حدث هو أن الهجوم على خان شيخون قد أنتج ثروة من

الأدلة البصرية .ربما كان بانون على حق في أن هذا الهجوم لم يقتل أكثر من هجمات أخرى لا تحصى، ولكن بالتركيز عليه وتنظيم الدليل البصري، تصبح هذه الفظائع فريدة.

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، صمّمت إيفانكا ودينا عرضاً، وصفه بانون باشمئزاز بأنه صور أطفال تخرج الرغوة من أفواههم .عندما قدّمت المرأتان عرضهما إلى الرئيس نظر إليه مرات عديدة .بدا وكأنه مسحور.

مراقباً ردة فعل الرئيس، رأى بانون الترامبوية تذوب أمام عينيه .وعلى الرغم من مقاومة ترامب لما تقوم به المؤسسات من توفير غطاء لنفسها، ولمعايير السياسة الخارجية التي جرّت البلد إلى حروب ميؤوس منها، فإن وجهه قد بدا فجأة ممتقعاً .فبعد أن رأى تلك الصور المرعبة، تبنَّى على الفور وجهة نظر تقليدية تماماً :بدا له أن من غير المعقول ألاَّ يكون بوسعه فعل شيء ما.

ذاك المساء، وفي مكالمة هاتفية مع صديق، وصف الرئيس الصور :الرغوة، كل تلك الرغوة .إنهم مجرد أطفال .كان في العادة يظهر ازدراءه الثابت لأي شيء غير الرد العسكري الساحق؛ والآن، كان يعرب عن اهتمام واسع مفاجئ بجميع الخيارات العسكرية الأخرى.

في يوم الأربعاء 5 نيسان/إبريل، تلقّى ترامب إحاطة توجز خيارات متعددة لكيفية الرد .لكن ماكماستر أثقله مرة أخرى بالتفاصيل، ممَّا أغضبه سريعاً، وأشعره بأنه قد جرى التلاعب به.

في اليوم التالي، توجّه الرئيس، مع العديد من كبار مساعديه، إلى فلوريدا للاجتماع بالرئيس الصيني شي جين بينغ .وقد نظم ذلك الاجتماع كوشنر بمساعدة هنري كيسنجر .وفي الوقت الذي كان فيه على متن الطائرة الرئاسية، عقد اجتماعاً مصمَّماً بدقة من مجلس الأمن القومي، يضم الفريق العامل على الأرض .في تلك الأثناء، كان قرار كيفية الرد على الهجوم الكيميائي قد اتُّخذ :عبر تنفيذ الجيش لضربة صاروخية بواسطة صواريخ توما هوك على مطار الشعيرات .بعد جولة نهائية من المناقشة، كان الرئيس لا يزال على متن الطائرة، عندما أصدر بشكل شبه احتفالي، أمره بتنفيذ الضربة في اليوم التالي.

بعد انتهاء الاجتماع واتخاذ القرار، عاد ترامب يحادث بمزاج فرِحٍ الصحفيين المسافرين معه على متن الطائرة الرئاسية .ثم رفض بطريقة تنطوي على بعض الإثارة التصريح عمَّا يعتزم القيام به في موضوع سوريا .بعد ساعة، حطَّت الطائرة الرئاسية، ونُقل الرئيس بسرعة إلى مارآلاغو.

وصل الرئيس الصيني وزوجته بُعيدَ الساعة الخامسة لتناول العشاء، حيث استقبلهما الحرس العسكري، ورحَّب بهما على طريق مارآلاغو السريعة . كانت إيفانكا تشرف على الترتيبات، يرافقها عملياً كامل كبار طاقم البيت الأبيض.

خلال عشاء يتألف من سمك موسى مع الفاصوليا الخضراء وجزر الثومبلينا) وهو جزر صغير مدوّر بحجم كرة الغولف(، جلس كوشنر مع الثنائي الرئاسي الصيني، وكان بانون يجلس آخر المائدة .كانت الضربة على مطار الشعيرات قد نُفّذت.

قُبَيل الساعة العاشرة، أعلن الرئيس إنجاز المهمة، وهو يقرأ على الملقّن مباشرة .ثم قامت دينا باول بترتيب صورة لتخليد الذكرى، ضمَّت الرئيس ومستشاريه وأعضاء فريقه للأمن القومي في غرفة أزمات مؤقتة، جرى تجهيزها في مارآلاغو .كانت المرأة الوحيدة في الغرفة .وكان ستيف بانون يحملق غاضباً من مقعده على المائدة، مشمئزاً من هذا الإخراج المسرحي و»زيف هذه المهزلة.«

كان ترامب مبتهجاً ومرتاحاً، وهو يختلط بضيوفه بين أشجار النخيل والقرم» .كان ذلك إنجازاً كبيراً«، هذا ما أفضى به إلى أحد الأصدقاء .وكان فريق أمنه الوطني أكثر ارتياحاً منه .لقد بدا الرئيس الذي لا يمكن التنبؤ بتصرّفاته مقروءاً، والرئيس الصعب المراس طيّعاً.

الفصل الخامس عشر

الإعلام

في 19 نيسان/إبريل، أقالت أسرة مردوخ بيل أورايلي مذيع شبكة فوكس وأشهر نجم في مجال الإذاعات الإخبارية بتهمة التحرش الجنسي .أتى هذا في إطار عملية التطهير التي بدأت الشبكة بتطبيقها قبل 9 أشهر مع صرف رئيسها روجر أيلز .وحققت شبكة فوكس تأثيرها السياسي المطلق مع انتخاب دونالد ترامب . غير أن مستقبل الشبكة بدا عالقاً في متاهة أسرة مردوخ أي بين أب محافظ وأبناء ليبراليين.

وبعد ساعات قليلة من إقالة أورايلي، أرسل أيلز، الملزم بعدم منافسة شبكة فوكس لمدة 18 شهر وفقاً لبنود عقد الانفصال المبرم معها، مبعوثاً من منزله المشرف على المحيط في مدينة بالم بيتش إلى الجناح الغربي، مع سؤال إلى

ستيف بانون :أواريلي وهانيتي سيشاركان، ماذا عنك؟ وكان أيلز يخطط سراً لعودته إلى العمل مع شبكة محافظة يمينية .أما بانون الذي كان في الوقت الراهن في منفى داخلي داخل البيت الأبيض، فكان كلّه آذان صاغية.

ولم يكن يندرج هذا الأمر فقط ضمن إطار مخطط رجال طموحين يسعون إلى انتهاز فرصة والانتقام على حد سواء؛ ذلك أن فكرة الشبكة الجديدة كانت مدفوعةً بإحساسٍ عاجل بأن ظاهرة ترامب تتمحور حول الإعلام اليميني .وكانت شبكة فوكس قد عملت خلال 20 سنة على شحذ رسالتها الشعبية :الليبراليون ينهبون البلاد ويقضون عليها .وفي الوقت الذي كان فيه عدد كبير من الليبراليين، بمن فيهم أبناء روبرت مردوخ الذين أخذ نفوذهم يتصاعد داخل شركة والدهم، يعتقدون أن جمهور شبكة فوكس بدأ يشيخ مع اعتمادها رسالة اجتماعية مناهضة لزواج المثليين والإجهاض والمهاجرين، وأنها بدت مبتذلة جداً بالنسبة إلى جمهور الجناح اليميني الأصغر سناً، لم يكن موقع بريتبارت الإخباري يتوجه إلى جمهور يميني أكثر شباباً فحسب، بل استطاع أن يحوّل جمهوره إلى جيش كبير من الناشطين الرقميين) أو متصيدين على وسائل التواصل الاجتماعي .(وقد شعر بانون في هذا المجال أنه على تناغم مع جمهوره تماماً كما كان يشعر أيلز مع جمهوره.

وكما كانت وسائل إعلام الجناح اليميني تتحد بشدة حول ترامب، وجاهزة للدفاع عن طرقه التي قد تتناقض مع التفكير المحافظ التقليدي، أصبحت وسائل الإعلام الرئيسية شرسة في مقاومتها .وانقسمت البلاد إلى حد بعيد جرّاء الإعلام كما السياسة؛ ذلك أن الإعلام يجسد السياسة .وكان أيلز المهمّش يتوق

للعودة إلى اللعب، حيث كان هذا ملعبه الطبيعي، للأسباب الآتية (1 :أثبت انتخاب ترامب القوة التي تتمتع بها قاعدةٌ انتخابية متفانية حتى إن كانت أصغر، أي ووفقاً لمنطق الفضائيات :قاعدة أصغر شديدة الولاء أهم من قاعدة أكبر أقل التزاماً؛ (2 هذا يعني تفانياً مضادّاً من قبل دائرة صغيرة مماثلة من الأعداء الشغوفين؛ (3 بالتالي، سيكون الوضع دامياً.

وإذا كان بانون قد أصبح مرفوضاً في البيت الأبيض كما بدا، فستكون هذه فرصته .ذلك أن المشكلة الحقيقية، في الواقع، تكمن في الموقع الخاص ببانون : بريتبارت الذي يرتكز على الإنترنت، والذي يحقق 1,5 مليون دولار سنوياً؛ في حين أنه يتعذر تحقيق أي دخل منه، أو حتى توسيع نطاقه .لكن بوجود أورايلي وهانيتي، قد يتأمن دفقٌ جديدٌ من الثروات التلفزيونية المدفوعة بحقبةٍ ترامبويةٍ جديدة ترتكز على الشغف والهيمنة اليمينيين.

وكانت رسالة أيلز إلى من كان يتمتع بحماية واضحة وصريحة :قد تكون لحظة بانون ليس فقط بصعود ترامب، بل بسقوط شبكة فوكس .غير أن بانون أعلم أيلز أنه يحاول في الوقت الراهن التمسك بمركزه في البيت الأبيض .لكن نعم .الفرصة واضحة.

وعلى الرغم من أن مصير أورايلي كان محط نقاش أسرة مردوخ، فقد أعرب ترامب الذي كان يدرك قدرة أورايلي، ويعلم كم يتداخل جمهور أورايلي مع قاعدته الخاصة، عن دعمه واعتماده عليه في قوله لصحيفة نيويورك تايمز : »لا أظن أن بيل قد أخطأ ...إنه شخص جيد.«

في الواقع، شكّل ترامب مفارقة القوة الجديدة للإعلام المحافظ .حيث أنه كان يعمل خلال حملته الانتخابية على مهاجمة شبكة فوكس عندما كان يناسبه هذا الأمر .وكان ينتهز فرص وسائل الإعلام الأخرى في حال توافرها) .ففي الماضي القريب، وبخاصة خلال المرحلة الابتدائية، قدم الجمهوريون الطاعة والإجلال إلى شبكة فوكس على حساب وسائل الإعلام الأخرى (وكان ترامب يصر باستمرار على أنه أكبر من مجرد إعلام محافظ.

وفي الشهر المنصرم، لم يتوقف أيلز، الذي كان يتصل بترامب باستمرار، ويقدم إليه الاستشارات، عن التحدث إلى الرئيس معرباً عن انزعاجه من التقارير المستمرة التي كانت تفيد بأن ترامب كان ينتقده ويشيد بمردوخ الذي بدا يقظاً مؤخراً، والذي كان يسخر من ترامب قبل الانتخابات.

وقال أيلز مستهزئاً» إن الاشخاص الذين يطلبون أقصى درجة من الولاء هم الأقل ولاء«، علماً أنه كان هو نفسه شخصاً يطلب الولاء.

أما المعضلة فكانت تكمن في أن الإعلام المحافظ رأى في ترامب صنيعته في حين رأى ترامب نفسه نجماً، نتاجاً متبجحاً، تحترمه وسائل الإعلام كافة، وشخصاً يتقدم باستمرار .كان هذا تجسيداً لمصطلح عبادة الشخصية، وكان هو تلك الشخصية .فكان الرجل الأكثر شهرة في العالم، وكان الجميع يحبونه، أو وجب عليهم أن يحبوه.

ويمكن القول إن ترامب قد أساء فهم طبيعة الإعلام المحافظ .ومن الواضح أنه لم يدرك أن ما ترفعه وسائل الإعلام المحافظ ستعمل وسائل الإعلام الليبرالي حكماً على الحط من قدره .واستمر ترامب مدفوعاً من بانون في القيام بالأمور

التي من شأنها أن تسر الإعلام المحافظ وتثير حفيظة الإعلام الليبرالي .فكان هو هذا البرنامج الموضوع .كلما زاد حب أنصارك لك زاد كره مناهضيك .وهذا هو المسار المفترض العمل وفقه .وهذا ما كان يحدث.

غير أن ترامب قد جُرِح من طريقة معاملة وسائل الإعلام الرئيسية له .كان يتوجّس من كل إهانة إلى أن تحل به إهانة أخرى .كان ينتقي الإهانات الإعلامية التي وُجّهت إليه ويعيد عرضها مراراً وتكراراً .وكان مزاجه يزداد سوءاً مع كل عرض) كان يعيد تشغيل مسجل الفيديو الرقمي .(أما معظم أحاديث الرئيس اليومية، فكانت مجرد تكرار يوجز ما قاله عنه المذيعون ومعدّو البرامج .ولم يكن يستاء فقط عندما كان يتعرض هو للهجوم، بل أيضاً عندما كان يتعرض الأشخاص الذين يحيطون به للانتقادات .إلا أنه، بدلاً من أن يقدّر ولاءهم ويفكّر في قدر الملامة الذي يمكن أن يتحمّله هو، أو الذي يمكن إلقاؤه على طبيعة الإعلام الليبرالي نتيجة للإهانات التي كانت تنهال على العاملين معه، كان يلقي اللوم على المحيطين به وعلى عجزهم عن التمتع بسمعة طيبة في الصحافة.

ساهم إيمان وسائل الإعلام الرئيسية بعفّتها وتحقيرها لترامب، في موجةٍ عارمة من المتابعة لوسائل الإعلام اليمينية .إلا أن الرئيس الغاضب في معظم الأحيان، والذي كان يشفق على ذاته ويشعر بالألم، لم يتلقف هذه الملاحظة، أو أنه أخفق في فهمها .فكان يبحث عن حب وسائل الإعلام له في كل مكان .وفي هذه النقطة بالذات بدا وكأن ترامب غير قادر على التمييز بين مصلحته السياسية واحتياجاته الشخصية؛ فكان يفكر بطريقة عاطفية لا استراتيجية.

فهو يظن أن قيمة الرئيس تكمن في أنه أشهر رجل في العالم، وفي أن الشهرة غالباً ما تكون مصدر احترام وعشق وسائل الإعلام .أليس كذلك؟ غير أن ترامب، وبطريقة مدهشة، أصبح رئيساً؛ وإلى حد بعيد بسبب موهبته الخاصة، واعية كانت أو انعكاسية، في إثارة نفور وسائل الإعلام، ما جعله في النتيجة شخصيةً تحقّرها الصحافة .ولم تكن هذه المساحة المثيرة للجدل مساحة مريحة لشخص غير واثق.

أفاد أيلز» :يرى ترامب في وسائل الإعلام مصدر قوة أكثر من السياسة .« وقد أراد الحصول على اهتمام أهم رجالاتها واحترامهم» .كنت أنا ودونالد صديقين جيدين لأكثر من 25 سنة، إلا أنه فضّل أن يصبح صديق مردوخ الذي كان من جهته يعتبره معتوهاً، أقلّه إلى أن أصبح رئيساً.«

***

جرى تحديد تاريخ حفل عشاء مراسلي البيت الأبيض في 29 نيسان/إبريل، أي في اليوم المئة على قيام إدارة ترامب .إن العشاء السنوي الذي كان في السابق حدثاً يتعلق بالأشخاص المطلعين والملمين بالأمور، أصبح فرصة لوسائل الإعلام لتعزيز مكانتها عبر تجنيد مشاهير، كانوا بغالبيتهم لا يمتون إلى الصحافة والسياسة بأي صلة، للجلوس إلى طاولتهم .وهو ما أسفر عن إذلال ترامب سنة 2011، حين سخر باراك أوباما منه؛ وكانت تلك الإهانة التي حثت ترامب على الترشح للرئاسة سنة.2016

ولم يمض وقت طويل على وصول فريق ترامب إلى البيت الأبيض، حتى أصبح حفل عشاء المراسلين مصدر قلق لهم .فذات عصر من فصل الشتاء،

شهد مكتب كيليان كونواي الكائن في الطابق العلوي من الجناح الغربي، حديثاً اتسم بالاستياء بين كل من كونواي وهوب هيكس حول ما يجب القيام به .حيث كانت المشكلة الرئيسية تكمن في أن الرئيس لم يكن يرغب في إثارة الاستهزاء، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يتمتّع بالقدرة على التسلية والإمتاع .وهذا على الأقل بناء على وصف كونواي» .لم تكن طريقته ظريفة.«

ومن المعلوم أن جورج دبليو بوش لم يكن يحبذ حفل عشاء المراسلين، وكان يعاني كثيراً خلاله .بيد أنه كان يستعد له ويحصد بنتيجته أداءً مقبولاً كل سنة .غير أن أيّاً من السيدتين لم تكن تظن، وهما تجلسان في مكتب كونواي حول طاولة مع صحافي تتعطفان معه، أن ترامب كان يتمتع بفرصة حقيقية لإنجاح حفل العشاء.

»إنه لا يحبذ الدعابة القاسية«، قالت كونواي.

»إنه قديم الطراز «قالت هيكس.

رأت المرأتان في حفل العشاء مشكلة مستعصية الحل، واصفتين العشاء بأنه» غير عادل«، وهو تعبير تعتمدانه إجمالاً لوصف رأي وسائل الإعلام بترامب» :إنهم يصورونه بطريقة غير عادلة» .«لا يمنحونه فرصة» .«لا تجري معاملته كما جرت معاملة الرؤساء السابقين.«

أما العبء الذي كان يقع على عاتق كونواي وهيكس، فهو إدراكهما أن الرئيس لم يكن يرى أن عدم احترام وسائل الإعلام له جزء من الانقسام السياسي الذي كان هو نفسه على جانب معيّن منه .بل كان يراه هجوماً شخصيّاً

عليه :لأسباب غير منصفة، لشخصه، لم يكن الإعلام يحبه .كان يسخر منه وبقساوة، لماذا؟

وفي محاولة منه لمؤاساتهما، أفاد الصحافي السيدتين أن ثمة شائعة تسري حول غرايدون كارتر، محرّر مجلة فانيتي فير وأحد أهم مضيفي عشاء المراسلين، الذي كان على مدار عقود مصدر عذاب رئيسي لترامب في وسائل الإعلام .تفيد الشائعة أنه سيزاح قريباً من المجلة.

»حقّاً؟«، قالتها هيكس وهي تقفز» .يا إلهي، هل يمكنني إخباره بذلك؟ هل هذا ممكن؟ سيرغب في معرفة هذا الأمر .«وهرعت إلى الطابق السفلي إلى المكتب البيضاوي.

***

أما الغريب في الأمر، فكان أن كلّاً من كونواي وهيكس كانت تجسّد أحد جوانب الرئيس في مشكلته مع وسائل الإعلام .كانت كونواي الخصم المرير، مرسال التمنيات، والتي كانت بكل تأكيد تشعل وسائل الإعلام غضباً ضد الرئيس .أما هيكس فكانت تحاول دائماً الحصول على هدنة من وسائل الإعلام الوحيدة التي كان يهتم بأمرها، ألا وهي الوسائل التي كانت تكن له أكبر قدر من الكراهية، وجعلها تكتب عنه بطريقة جيدة .ولكن بقدر اختلافهما، من حيث الطبع والوظيفة الإعلامية، حقّقت كل من السيدتين تأثيراً كبيراً في الإدارة، بالعمل كشخصين رئيسيين مسؤولين عن معالجة أهم مصدر قلق للرئيس، ألا وهو سمعته في وسائل الإعلام.

وفي حين كان ترامب لا يحب النسوة بمختلف الطرق التقليدية، إلا إنه كان أقرب إلى النساء من الرجال في مجال العمل .فكان يثق بهنّ، بينما كان يبقي الرجال على مسافة منه .كان يحب زوجات العاملين معه، ويعهد إليهن بأهم مسائله الخاصة .فالنساء بالنسبة إلى ترامب، وبكل بساطة، جديرات بالثقة وأكثر ولاء من الرجال .قد يكون الرجال أكثر قوة وكفاءة إلا أنهم وعلى الأرجح لديهم مخططاتهم الخاصة .فالمرأة بطبيعتها، أو وفقاً لتعريف ترامب لطبيعتها، تستطيع أن تركز هدفها حول رجل، رجل مثل ترامب.

ولم يكن من باب المصادفة البحتة، أو لإحداث التوازن، أن تحتل امرأة مركز مساعدته المتدرجة، أو أن تصبح ابنته إيفانكا أحد أقرب مستشاريه .ذلك أنه كان يشعر أن المرأة تفهمه .أو بالأحرى تلك التي تبدو إيجابية، التي يمكنها أن تحقق إنجازات، المخلصة والجميلة المظهر .هذه هي المرأة التي تفهمه .وأدرك كل من نجح في العمل لديه أن ثمة معنى ضمنيّاً لكل احتياجاته وحركاته اللاإرادية والتي كان يجب تلبيتها بدقة مطلقة .ولم يكن يختلف في هذا الأمر عن سائر الشخصيات الناجحة، لكنه كان أكثر حدة .سيكون من الصعب تصور أن ثمة شخصاً قد يتطلب قدراً أكبر من الانتباه لنزواته الخاصة ولأهوائه وأحكامه المسبقة ورغباته المراهقة في معظم الأحيان، واهتماماً أكبر بها .كان بحاجة إلى عناية خاصة بل إلى عناية خاصة جداً .وقد أوضح لأحد أصدقائه بشيء من الإدراك الذاتي، أن المرأة لديها تلك السمة، لكن بدقة أكثر من الرجل .وبخاصة المرأة التي تعتبر نفسها أكثر تحملاً لتلميحاته الجنسية المستمرة، أو تتناساها، أو تقوم بتحصين نفسها ضدها .وقد كان ذلك يتطابق مع نظرة أبوية بطريقة غير

متوقعة، ومزعجة في معظم الأحيان، التي كانت بطريقة غير متوقعة ومزعجة في معظم الأحيان، تتطابق مع نظرة أبوية.

التقت كيليان كونواي دونالد ترامب لأول مرة مطلع سنة2000 ، في اجتماع لمجلس إدارة شقق فندق ترامب الدولي الذي يقع مباشرة مقابل مقر الأمم المتحدة، وحيث كانت تسكن مع زوجها وأولادها .تخرّج جورج زوج كونواي، في جامعة هارفرد وكلية الحقوق في جامعة يال، وكان شريكاً في عمليات الدمج والاستحواذ في شركة واشتل، ليبتون، روزن، وكاتز Wachtel, Lipton, Rosen & Katz.)على الرغم من أن شركة واشتل كانت ذات توجه ديمقراطي، إلا أن جورج أدّى دوراً في الكواليس مع الفريق الذي مثّل بولا جونس في مقاضاتها لبيل كلينتون .(وكانت أسرة كونواي قد نظمت حياتها المهنية والأسرية حول مسيرة جورج المهنية .أما حياة كيليان المهنية فكانت ثانوية.

نشأت كيليان، التي استخدمت خلال حملة ترامب الانتخابية سيرتها المهنية في الطبقة العاملة لإحداث تاثير إيجابي، في وسط نيوجرسي، وهي ابنة سائق شاحنة، ربّتها والدتها العزباء) وجدّتها وخالتان غير متأهلتين وذلك وفقاً لروايتها(، التحقت بكلية جورج واشنطن للحقوق وتدربت لاحقاً مع ريتشارد ورثلن الخبير في استطلاعات الرأي خلال حملة ريغان .وأصبحت بعد ذلك مساعدة فرانك لانتز، الشخصية الغريبة في الحزب الجمهوري، الذي عرف بصفقاته التلفزيونية وشعره المستعار بقدر ما عرف بفطنته الانتخابية .وبدأت كونواي تظهر على الفضائيات في ظل عملها مع لانتز.

إحدى حسنات العمل الذي بدأت فيه سنة 1995 في مجال استطلاع الرأي والاقتراع، هو أنه كان من الممكن أن يتكيف مع عمل زوجها .بيد أنها حافظت على وضعها الوسطي في الدوائر السياسية للحزب الجمهوري، كما أنها ظلت الشخص الذي يظهر خلف آن كولتر وولورا إنغراهام في الفضائيات، حيث رآها ترامب لأول مرة، وتمكّن من ثم من تمييزها في اجتماع مجلس إدارة الشقق السكنية .بمعنى أصح لم يكمن مكسبها في لقاء ترامب، بل في عملها لدى شركة ميرسر التي وظفتها سنة 2015 للعمل على حملة كروز حينما كان ترامب لا يزال بعيداً كل البعد عن المثال المحافظ، والتي أدرجتها سنة 2016 في آب/أغسطس للعمل على الحملة الانتخابية لترامب.

فأدركت كونواي الدور المنوط بها، وقالت بوقار تام للمرشح في مقابلة توظيفها» لن أناديك إلا بالسيد ترامب .«وهو ما كانت تكرره في كل مقابلاتها . كانت كونواي أشبه بقائمة من النصوص المتكررة، رسالة متكررة لترامب وللآخرين.

كان مسمّاها الوظيفي مديرة الحملة الانتخابية .غير أن تلك التسمية كانت خاطئة لأن بانون كان المدير الحقيقي .أما هي فكانت مستطلع الآراء الأول .فحل بانون محلّها بعد وقت قليل، وأدّت هي الدور الذي رآه ترامب أكثر أهمية وهو المتحدث الرسمي في التلفزيونات.

كانت كونواي تبدل موقفها على نحو يلائمها، حيث بدا عليها عندما كانت بعيدة عن الأنظار أنها ترى في ترامب شخصاً متعباً مبالغاً أو غير منطقي .وكل من يراه كذلك يبدو أنه يشاطرها الرأي .فكانت تصور رأيها برئيسها من خلال تعابير

في الوجه :شح النظر بالعينين، فتح الفم باندهاش، وتحريك الرأس بصورة مفاجئة نحو الخلف .لكنها خلال العمل، كانت تتحول إلى مؤمنة به، وحامية له، ومدافعة عنه ومساعدته .إن كونواي مناهضة للمرأة) أو هي في الواقع، وفي تحوير عقائدي معقد، ترى أن من يؤمنون بالمساواة بين الجنسين هم مناهضون للمرأة .(وهي تنسب منهجها وطبعها إلى كونها زوجة وأمّاً .وهي انفعالية تعتمد على غريزتها .ولهذا السبب كان دورها كمدافع نهائي عن ترامب .كانت لتلقي بنفسها أمام أي طلقة تستهدفه.

أحب ترامب دفاعها الفكاهي المستميت عنه .وكانت تندرج لقاءاتها التلفزيونية على جدول أعماله ليشاهده مباشرة .وغالباً ما كان أول اتصال تتلقّاه بعد الحلقة منه .فكانت تستلهم من ترامب :فتقول بالضبط الأمور التي كان ليقولها، والتي إن قالت غيرها فذلك يعني أنها تنتحر.

أدّى فوز ترامب في الانتخابات إلى إعادة ترتيب منزل كونواي، وإلى صراع لحصول زوجها على وظيفة في الإدارة .لقد أرادها ترامب السكرتيرة الصحفية له . وقالت كونواي» :بما أنه هو ووالدتي يشاهدان التلفزيون كثيراً فقد ظننا أنها من أهم الوظائف .«ووفقاً لرواية كونواي، فإنها قد رفضت أو اعترضت على عرض ترامب .واستمرت في اقتراح البدائل التي تكون فيها المتحدث الرسمي، بل أكثر من ذلك .وفي الواقع كان الجميع يناورون بشأن رغبة ترامب في تعيين كونواي.

كان الولاء أثمن صفة في نظر ترامب .ورأت كونواي أن دفاعها المستميت عن ترامب في وسائل الإعلام جعلها تستحق الأولوية المطلقة في البيت الأبيض . ولكنها، وفي شخصيتها العامة، دفعت بحدود الولاء بعيداً جداً، فكانت تبالغ كثيراً

حيث أن الأشخاص الموالين لترامب وجدوا أن سلوكها متطرف، وشعروا بالنفور منها.

لم يكن أحد يشعر بالنفور منها أكثر من إيفانكا وجاريد اللذين انزعجا من ظهورها التلفزيوني الوقح، وأخذا يتوسعان في انتقاد مدى ابتذالها .فكانا يحبان أن يشيرا إليها بالعبارة المختصرة» :الأظفار «في إشارة منهما إلى أظفارها الشبيهة بأظفار شخصية» رويلا درفيل.«

وأصبحت في منتصف شهر شباط/فبراير عرضة لتسريبات، جاءت بمعظمها من أيفانكا وجاريد، حول تهميشها .فأخذت تدافع عن نفسها بقوة، عارضة قائمة باللقاءات التلفزيونية التي كانت لاتزال على جدول أعمالها، حتى لو كان عددها أقل من السابق .كما جرى لقاء دامع مع ترامب في المكتب البيضاوي عرضت فيه تقديم استقالتها في حال فقد الرئيس ثقته فيها .وكان ترامب يوفر دائماً الطمأنات عندما كان يعرض عليه تنحّي أحدهم، فقال لها : »مكانك محفوظ في إدارتي«،» ستبقين هنا لمدة ثماني سنوات.«

وفي الواقع، جرى تهميشها، حتى أصبحت تتعامل مع وسائل إعلام من الدرجة الثانية، وأصبحت المبعوث المعتمد إلى مجموعات تنتمي إلى الجناح اليميني .وأبعدت عن عملية صنع أي قرار ذي مغزى .فألقت اللوم على وسائل الإعلام، وهي بلية إضافية أخرى جمعتها بدونالد ترامب لرثاء الذات .وفي الواقع، أصبحت علاقتها بالرئيس أكثر عمقاً، تربطهما الجراح التي تسبّبت بها وسائل الإعلام.

***

كانت هوب هيكس في سنّها السادسة والعشرين، عندما جرى توظيفها للعمل في الحملة الانتخابية، وكانت تعرف الرئيس أكثر من كونواي .كما أدركت أن أهم دور لها في الإعلام هو في عدم الحضور في وسائل الإعلام .نشأت هيكس في مدينة غرينويتش بولاية كونيتيكت .عمل والدها مديراً تنفيذياً في مجال العلاقات العامة .وهو يعمل حالياً لدى مجموعة غلوفر بارك، الشركة الاستشارية في مجال السياسة والاتصالات، والتي تميل إلى الحزب الديمقراطي . أما والدتها فعلمت سابقاً لدى عضو من أعضاء الكونغرس الديمقراطيين . التحقت هيكس الطالبة غير المبالية بالجامعة الميثودية الجنوبية، وعملت في مجال عرض الأزياء قبل أن تحصل على وظيفة في مجال العلاقات العامة . فذهبت بادئ الأمر إلى العمل لدى ماثيو هيلتزيك الذي كان يدير شركة صغيرة للعلاقات العامة في نيويورك؛ وعرف بعمله لصالح عملاء متطلبين جداً، أمثال منتج الأفلام هارفي ويانشتيان) الذي شُهّر به لاحقاً بتهمة التحرش الجنسي وإساءة المعاملة، وهي اتهامات حاول هيلتزيك وفريقه العامل حمايته منها لفترة طويلة(، والممثلة التلفزيونية كايتي كوريك .وكان هيلتزيك الناشط الديمقراطي قد عمل مع هيلاري كلينتون، كما عمل على تمثيل خط الأزياء الخاص بإيفانكا ترامب .ثم بدأت هيكس بتنفيذ بعض الأعمال لصالح شركة إيفانكا، قبل أن تلتحق بها بدوام كامل .وفي سنة2015 ، انتدبتها إيفانكا للعمل في الحملة الانتخابية الخاصة بوالدها .ومع تقدم الحملة انتقلت من مشروع الأزياء إلى العمل في السياسة إلى جانب رجلٍ يُعتبر قوةً عظمى .فبدأت أسرة هيكس ترتاب، وتشعر شيئاً فشيئاً أنها قد أُسِرت) .عقب فوز ترامب وانتقالها إلى البيت

الأبيض، أخذ أصدقاؤها والمقربون منها يتحدّثون بقلق كبير عن العلاجات والنقاهة التي قد تحتاج إليها بعد أن تنتهي من عملها.(

على مدى الشهور الثمانية عشر من الحملة، كانت مجموعة السفر تتألف من المرشح وهيكس ومدير الحملة كوري ليفاندوفسكي .وأصبحت هيكس مع مرور الزمن، إضافة إلى كونها مشاركاً غافلاً في صناعة التاريخ، وهو أمر دهشت منه تماماً كأي شخص آخر، أشبه برجل آلي، تُكرّس نفسها بالكامل، وتتسامح مع السيد ترامب تماماً كالذين عملوا معه.

بعد انقضاء فترة وجيزة على صرف ليفاندوفسكي الذي كانت هيكس على علاقة عاطفية متقطعة معه في شهر حزيران/يونيو2016 ، لاشتباكه مع أفراد أسرة ترامب، جلست هيكس في برج ترامب مع ترامب وأبنائه قلقة بشأن معاملة ليفاندوفسكي في الصحافة، متسائلة عن كيفية مساعدته .فقال ترامب الذي كان يعامل هيكس بطريقة أبوية ويحميها بعد أن رفع نظره» :لماذا؟ لقد فعلت ما يكفي له، فكنت أفضل شريك جنسي قد يحظى به«؛ فخرجت هيكس مسرعة من الغرفة.

ومع حصاد ترامب لألقاب جديدة، أولاً كمرشح، ثم كرئيس منتخب، استمرت هيكس تلعب دور مديرة العلاقات العامة .فكانت أشبه بظله، وأكثر شخص يستطيع الوصول إليه» .هل تحدثتم إلى هوب؟«، كان السؤال الأكثر شيوعاً في الجناح الغربي.

كانت هيكس المخلصة لإيفانكا والتي حظيت برعايتها، تُعتبَر ابنة ترامب الفعلية في حين اعتبرت إيفانكا زوجته الحقيقية .كانت هيكس عملياً وجوهرياً

المسؤول الأول عن إعلام الرئيس .عملت إلى جانبه، بعيدة كل البعد عن مكتب الإعلام والتواصل في البيت الأبيض الذي يضم 40 شخصاً .كان الرئيس يأتمنها على رسالته وصورته، والأصح أنها كانت وكيل الرئيس في تمرير هذه الرسالة والصورة والتي لم يكن ليأتمن عليها أحداً سوى نفسه .فشكلا معاً ما يشبه العملية المستقلة .من دون أي سياسة خاصة بها، ومع خلفية في العلاقات العامة في نيويورك، وبازدراء لصحافة الجناح اليميني، أصبحت مسؤولة الاتصال الرسمي للرئيس في وسائل الإعلام الرئيسية .فعهد إليها بمهمة جوهرية، وهي: التوصل إلى نشر مقال جيد عنه في صحيفة نيويورك تايمز.

وفق الرئيس، لم يحدث هذا الأمر بعد» :لكن هوب تحاول بشكل مستمر.«

وفي مناسبات عديدة، وبعد يوم من التعليقات السيئة، وهو يوم من الأيام التي لا تُعدّ ولا تُحصى، رحب بها الرئيس بمودة قائلاً» :لا بد من أنك أسوأ شخص في العالم يعمل في مجال العلاقات العامة.«

***

في الأيام الأولى من المرحلة الانتقالية، ومع خروج كونواي من السباق إلى شغل وظيفة السكرتير الإعلامي، أصبح ترامب عازماً على العثور على» نجم .« المقدّمة الإذاعية المحافظة لورا إنغراهام، التي تحدثت في المؤتمر، كانت على القائمة، كما كانت آن كولتر .أما ماريا بارتيرومو من فوكس بزنيسز فكانت هي أيضاً قيد النظر) .إنه التلفزيون، قال الرئيس المنتخب، ويجب أن نختار امرأة جميلة المظهر .(عندما لم توفَّق أي من تلك الخيارات، عُرضت المهمة على تاكر كارلسون من فوكس نيوز، الذي رفضها.

لكن كانت هناك فكرة مضادة :السكرتير الصحفي يجب أن يكون عكس النجم .في الواقع، يجب أن يجري خفض مستوى العملية الإعلامية بأكملها .إذا كانت الصحافة هي العدو، فلماذا تهتمّ بها؟ لماذا تبرز دورها؟ كانت تلك فكرة بانون المتطرّفة :توقف عن التفكير بأنك تستطيع أن تتفق مع أعدائك بطريقة أو بأخرى.

ومع استمرار النقاش، دفع بريبوس باتجاه أحد نوابه في اللجنة الوطنية للجمهوريين، وهو شون سبايسر، محترفٌ سياسي محبوب من واشنطن يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً تبوأ سلسلة من المناصب في موقع ذي هيل The Hill في عهد جورج دبليو بوش وكذلك مع اللجنة الوطنية للجمهوريين .سبايسر، المتردد في تلقي هذه المهمة، راح يطرح السؤال بقلق على زملائه في واشنطن» :إذا فعلت ذلك، فهل سيكون لديّ أي فرصة للحصول على عمل آخر؟.«

جاءت الإجابات متضاربة .خلال المرحلة الانتقالية، وافق العديد من أعضاء فريق ترامب مع بانون على أن نهجهم لإدارة الصحافة في البيت الأبيض يجب أن يكون إبعادها .وكلما كان التباعد كبيراً كان ذلك أفضل .وبالنسبة إلى الصحافة، أصبحت هذه المبادرة، أو الشائعات عنها، علامة أخرى على موقف الإدارة القادمة المعادي للصحافة وجهودها المنظمة لقطع الإمداد بالمعلومات. والحقيقة أن الاقتراحات الواردة بشأن نقل غرفة الإعلام إلى خارج البيت الأبيض، أو اختصار البرنامج الإعلامي، أو الحد من برامج البث أو التواصل مع الصحافة، أمور نوقشت بصورة مختلفة من جانب الإدارات الجديدة الأخرى.

ففي البيت الأبيض في عهد زوجها. كانت هيلاري كلينتون مؤيدة للحد من تدخّل الصحافة.

لكن دونالد ترامب لم يكن قادراً على التخلي عن هذا القرب من الصحافة ووجودها في منزله .كان بانتظام يوبخ سبايسر على أدائه البارد، وكثيراً ما كان يولي اهتمامه الكامل لذلك الأداء.

كان رده على إحاطات سبايسر جزءاً من اعتقاده المستمر بعدم وجود شخص يستطيع أن يتعامل مع وسائل الإعلام مثله، وأنه عالق مع فريق إعلاميّ يفتقر إلى الكاريزما، والقدرة على الجذب، والعلاقات المتينة مع وسائل الإعلام.

أسهم ضغط ترامب على سبايسر، وهو عبارة عن سيل مستمر من الأوامر الإدارية والتعليمات أمطر به السكرتير الإعلامي، في تحويل الأخبار الصادرة عنه إلى ما يشبه خبر تحطّم قطار لا يمكن تفويته .وفي الوقت نفسه، تحوّلت العملية الإعلامية الحقيقية إلى مجموعة من المنظمات الصحفية المتنافسة داخل البيت الأبيض.

كان هناك هوب هيكس والرئيس، اللذان كانا يعيشان في ما وصفه الجناح الغربي بالكون البديل، حيث على وسائل الإعلام الرئيسية اكتشاف سحر دونالد ترامب وحكمته .وفي حين كان الرؤساء السابقون قد قضوا أجزاء من يومهم يتحدثون عن الاحتياجات والرغبات ونقاط النفوذ بين مختلف أعضاء الكونغرس، كان الرئيس وهيكس يقضيان وقتاً طويلاً في الحديث عن مجموعة من الشخصيات الإعلامية، وتخمين جداول الأعمال الحقيقية ونقاط الضعف لدى مقدمي البرامج والمنتجين وصحفيي التايمز والبوست.

في كثير من الأحيان كان التركيز على هذا الطموح غير الواقعي موجّهاً إلى مراسلة التايمز ماغي هابيرمان .كتبت هابيرمان على الصفحة الأولى، عن» غرابة دونالد ترامب«، وقامت بتأليف حكايات لافتة عن سلوكه الغريب، المشكوك فيه، والكلام المقرف الذي يتفوه به، وذلك بأسلوب العارف بالأمور من الداخل . كان الجناح الغربي يعرف تماماً أن ترامب كان صبياً من كوينز لا يزال تحت تأثير رهبة صحيفة التايمز، لكن أحداً لم يكن بإمكانه أن يفسر لماذا كان ترامب وهيكس يركزان على هابيرمان التي تصوّر الرئيس بصورة ساخرة ومؤلمة.

كان هناك شعور بأن ترامب كان يعود إلى مشاهد نجاح سابق :قد تكون التايمز ضده، لكن هابيرمان عملت في صحيفة نيويورك بوست لسنوات عديدة . قالت كونواي» إنها محترفة جدّاً«، متحدّثةً في معرض الدفاع عن الرئيس، ومحاولةً تبرير وصول هابيرمان غير العادي إلى المعلومات .لكن مع رغبة الرئيس في أن يرى مقالات جيدة عنه في التايمز، كان يعتبر هابيرمان» شريرة ورهيبة .« ومع ذلك، كان هو وهيكس يخططان أسبوعياً لدعوة التايمز.

***

كان لكلّ من كوشنر وبانون عملياتهما الصحافية الشخصية .وقد أصبحت ثقافة التسريب مفتوحة جداً ومكشوفة حتى أنها أصبحت رسمية .ففي معظم الوقت كان بإمكان الجميع التعرف إلى مصدر التسريبات.

استخدم مكتب كوشنر للابتكار الأميركي، جوش رافيل كمتحدث باسمه، وهو مثل هيكس، تخرّج في شركة ماثيو هيلتزيك للعلاقات العامة .كان رافيل، وهو ديمقراطي يعمل في هوليوود، يتصرّف كممثل لكوشنر وزوجته، ليس لشيء

سوى أن الزوجين وجدا أن سبايسر، بسبب ولائه لبريبوس، لم يكن يمثلهما بالزخم المطلوب .وكان ذلك واضحاً» .كان جوش بمثابة هوب بالنسبة إلى جاريد«، ذلك كان توصيفه الوظيفي في الجناح الغربي.

قام رافيل بتنسيق كل إطلالات كوشنر وإيفانكا الصحفية الشخصية، على الرغم من أن معظمها كانت لإيفانكا وليس لكوشنر .ولكن الأهم من ذلك، أن رافيل نسّق كل تسريبات كوشنر المهمّة، كما لو كان ذلك جزءاً من عمله غير الرسمي، والجزء الأكبر منها كان ضد بانون.

وقد أكد كوشنر، الذي كان مقتنعاً اقتناعاً كبيراً أنه لم يسرّب قط، مبرّراً جزئياً عمليته الصحفية كدفاع ضد العملية الصحفية لبانون.

أما إلكسندرا بريت الناشطة الاجتماعية المحافظة البارعة، المتحيّزة للشمبانيا والتابعة لبانون .فقد كانت ممثلة لشبكة أخبار بريتبارت وغيره من الشخصيات المحافظة، مثل لاري كودلو من السي .إن .بي .سي وكانت صديقة مقرّبة من ريبيكا ميرسر .في علاقة لا يبدو أن أحداً قادر على فهمها، كانت تدير كل عمليات بانون مع الصحافة، ولكنها لم تكن موظّفة في البيت الأبيض، على الرغم من أنه كان لها مكتب، أو في أقل تعديل دوام مكتبي هناك .كان الهدف واضحاً :هي تعمل لدى بانون وليس لدى إدارة ترامب.

ما أثار قلق جاريد وإيفانكا هو أن بانون كان له وصول فريد إلى قدرات بريتبارت الكبيرة على تغيير المزاج اليميني وتركيزه .أصرّ بانون على أنه قطع علاقاته مع زملائه السابقين في بريتبارت، ولكن هذا منع الجميع من تصديقه،

والجميع اعتقد بعدم وجود شخص مضطر إلى تصديقه .بل كان على الجميع أن يتوجّسوا خشية من ذلك.

كان هناك اعتقاد غريب في الجناح الغربي أن علاقة دونالد ترامب، مع رئيس وسائل الإعلام، تعاني من اختلال وظيفي لم يسبق له مثيل في تاريخ البيت الأبيض الحديث .مايك دوبك الجمهوري المتخصص في العلاقات العامة والذي جرى تعيينه كمدير للاتصالات في البيت الأبيض، كان بحسب تقدير الجميع، يسير نحو باب الخروج منذ اليوم الأول الذي دخل فيه البيت الأبيض .في النهاية لم يستمر أكثر من ثلاثة أشهر.

***

شكل عشاء المراسلين في البيت الأبيض، مثل أي تحدٍّ آخر للرئيس الجديد وفريقه، اختباراً لقدراته .هو أراد أن يفعل ذلك .كان واثقاً أن قوة سحره كانت أكبر من الحقد الذي يكنّه لهذا الجمهور، أو الذي يكنّه الجمهور له.

تذكّر ظهوره الإعلامي عام 2015 في برنامج» ستارداي نايت لايف «الذي كان برأيه ناجحاً تماماً .في الواقع، كان قد رفض التحضير، وظلّ يردّد أنه سوف »يرتجل«، فلا مشكلة .قيل له إن الممثلين لا يرتجلون في الواقع .كل شيء مكتوب ويجري التدرّب عليه .لكن تأثير هذه النصيحة فيه كان هامشياً.

لا أحد باستثناء الرئيس نفسه كان يعتقد أن بإمكانه النجاح في عشاء المراسلين .كان موظفوه يشعرون بالذعر، لأنه سوف يُقضى عليه هناك أمام جمهور مستهتر ساخر .على الرغم من أنه يستطيع التحمل، وغالباً ما يجيب

بطريقة قاسية جداً، لكن ما من أحد كان يعتقد أنه يستطيع تحمّل مثل هذه السقطة .ومع ذلك، بدا الرئيس حريصاً على الظهور في هذا الحدث، وكان يتحدّث بخفة عنه أيضاً، في حين كانت هيكس تشجعه بقوة كالعادة ألا يفعل ذلك .أصرّ بانون على نقطة رمزية :لا ينبغي أن ينظر إلى الرئيس على أنه يحاول استرضاء أعدائه، أو محاولة الترفيه عنهم .وسائل الإعلام كانت بمثابة الجلاد أكثر منها شريكة في الجريمة .ظل مبدأ بانون الإصرار على المواقف كما هو :لا انحناء، لا استيعاب، لا موافاة إلى منتصف الطريق .وفي النهاية، بدلاً من أن يلمّح ضمناً إلى أن ترامب لم يكن لديه الموهبة والطرافة اللازمتان للتأثير في هذا الحشد، فضّل إقناع الرئيس بعدم الظهور في العشاء.

عندما وافق ترامب أخيراً على التخلي عن الحدث، تنفّست كونواي وهيكس وكل شخص تقريباً في الجناح الغربي الصعداء.

***

بعد دقائق قليلة من الساعة الخامسة، صبيحة اليوم المئة من رئاسته، وهو يوم عصيب بشكل خاص، تجمهر 2500 شخص تقريباً من أعضاء المؤسسات الإخبارية وأصدقائهم في واشنطن هيلتون بمناسبة عشاء مراسلي البيت الأبيض، فيما غادر الرئيس الجناح الغربي قاصداً» مارين وان«، الذي كان قريباً من قاعدة أندروز لسلاح الجو .ورافقه ستيف بانون، ستيفن ميلر، ريينس بريبوس، هوب هيكس، كيليان كونواي .وانضم نائب الرئيس بينس وزوجته الى المجموعة في أندروز، للقيام برحلة قصيرة على متن الطائرة الرئاسية إلى هاريسبرج بولاية بنسيلفانيا، حيث يلقي الرئيس كلمة.

خلال الرحلة، جرى تقديم طبق السلطعون، ومُنح جون ديكرسون مقدّم برنامج فايس ذي نايشن Face the Nation حق إجراء مقابلة خاصة بمناسبة مرور مئة يوم على الرئاسة .أقيم أول حدث في هاريسبورغ في منشأة لتصنيع أدوات الهندسة الزراعية والبستنة، حيث قام الرئيس باستعراض مجموعة من عربات اليد الملونة .الحدث التالي، حيث سيجري إلقاء الخطاب، كان في حلبة روديو في مجمّع المزرعة ومركز المعارض .ذلك كان الهدف من هذه الرحلة الصغيرة .فقد جرى تنظيمها من أجل تذكير بقية البلاد بأن الرئيس لم يكن مجرد شخص مزيف آخر يرتدي بدلة التاكسيدو في عشاء مراسلين البيت الأبيض)وهذا يفترض بطريقة أو بأخرى أن قاعدة الرئيس لا تهتم بل لم تكن على علم بالحدث(، ومن أجل إلهاء فكر الرئيس عن حقيقة أنه كان غائباً عن العشاء.

لكن الرئيس ظل يطالب بالاطلاع على آخر النكات التي تستهدفه.

الفصل السادس عشر

كومي

قال روجر أيلز في مطلع أيار/مايو بصوت محبط ضمن حكومة ترامب: »يستحيل جعله يفهم أن من غير الممكن إيقاف هذه التحقيقات .في السابق، أمكننا تجاهلها .اليوم، إن تجاهلناها، تعرّضنا للتحقيق .إنّه يعجز عن فهم هذا.«

بينما حاول عدة أشخاصٍ من دائرة المليارديرات التي كانت تتواصل مع الرئيس كلّ مساء تهدئته، كانوا بشكل عام يحاولون التأثير عليه عبر تعبيرهم عن قلقهم الشديد بشأن مخاطر وزارة العدل والشرطة الفيدرالية .اعتبر الكثير من أصدقاء ترامب الأثرياء أنّهم يملكون خبرةً في وزارة العدل .ففي مِهَنهم، واجهوا ما يكفي من المشكلات مع وزارة العدل، ما دفعهم إلى تطوير علاقات ومصادر في

الوزارة .وقد أسهم ذلك في إطلاعهم على أسرار الوزارة باستمرار .كان فلين سيوقعه في ورطة، وكان مانافورت سينقلب؛ وليس بشأن روسيا فحسب، بل أتلانتيك سيتي ومنتجع مارآلاغو وترامب سوهو.

كريس كريستي ورودي جولياني، وكلاهما خبيران في وزارة العدل والشرطة الفيدرالية، أكّدا لترامب مصادرهما المطّلعة، وشجّعاه على اعتناق فكرة تقضي بأنّ وزارة العدل تنوي القضاء عليه؛ كان كل هذا جزءاً من مخطط مستمر منذ وقت أوباما.

كان خوف شارلي كوشنر أكثر إلحاحاً، وقد أوصله عبر ابنه وكنّته، وهو أنّ أعمال أسرة كوشنر قد تأثّرت سلباً بترامب .أوقفت التسربات في كانون الثاني/يناير صفقة كوشنر مع الشركة الصينية الضخمة أنبانغ للتأمين من أجل إعادة تمويل دَين الأسرة الكبير في إحدى حيازاتها العقارية الكبيرة، 666 الجادة الخامسة .في نهاية نيسان/إبريل، تلقّت صحيفة نيويورك تايمز تسريبات من وزارة العدل، فسرّبت صفقات كوشنر في مقال في الصفحة الأولى بقلم باني ستاينماتز، فهو صاحب ثروة إسرائيلي يعمل في مجال الألماس والتعدين والعقارات، وله علاقات روسية وخضع لتحقيق مطوّل شمل مختلف أنحاء العالم) .ما فاقم موقف كوشنر هو أنّ الرئيس قال بغبطة للكثيرين إنّ جاريد قادر على حل مشكلة الشرق الأوسط، لأنّ أسرته ملمّة بالشؤون الإسرائيلية .(في الأسبوع الأول من أيار/مايو، غطّت صحيفتا تايمز وواشنطن بوست مساعي أسرة كوشنر لجذب مستثمرين صينيين بوعدهم بتأشيرات سفر أميركية.

»الطفلان«، جاريد وإيفانكا، أبديا حساً متزايد الهلع بأنّ الشرطة الفيدرالية ووزارة العدل تذهبان أبعد من التدخل الروسي في الانتخابات، باتجاه التدقيق في أوضاع الأسرة المالية .فقال بانون الراضي» :إيفانكا مرتعبة.«

فاقترح ترامب على جوقته الفاحشة الثراء أن يطرد مدير الشرطة الفيدرالية، كومي .لقد سبق أن ذكر هذه الفكرة عدة مرات، لكن يبدو أنه قد ذكرها دائماً في الوقت عينه وفي السياق عينه لفكرة طرد أي كان .هل يجب أن أطرد بانون؟ هل يجب أن أطرد راينس؟ هل يجب أن أطرد ماكماستر؟ هل يجب أن أطرد سبايسر؟ هل يجب أن أطرد تيلرسون؟ فهِم الجميع أنّ أسئلته هذه لم تكن سوى ذريعة لمناقشة السلطة التي يمارسها أكثر منها مسألة قرارات حول طاقمه .لكن بأسلوب ترامب في التضليل، تُرجمت أسئلة ترامب، والتشاور الذي نالته في أوساط المليارديرات، على أنها تأكيدات :برأي كارل إيكان، يجب أن أطرد كومي) أو بانون أو بريبوس أو ماكماستر أو تيلرسون.(

تضاعف إلحاح ابنته وصهره بسبب ذعر شارلي كوشنر، فشجّعاه مجادلين أنّ كومي الذي كان ربما ساحراً في السابق، قد أصبح الآن لاعباً خطيراً وخارجاً عن السيطرة سيستفيد من خسارتهم .فلاحظ بانون أنّ حماس ترامب حيال موضوع معيّن ينبع من تحريض أحدهم على هذا الموضوع .فتركّز نقاش الأسرة المصرّ وشبه المسعور على طموح كومي حصرياً .سوف يرتفع مقامه عبر إلحاق الضرر بهم .فازداد التشويق.

قال أيلز» :سيحاول هذا اللعين طرد رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي.«

في الأسبوع الأول من أيار/مايو، أجرى الرئيس اجتماعاً غاضباً مع سيشنز ونائبه، رود روزنشتاين .كان الاجتماع مذلاً للرجلين، فأصرّ ترامب على أنّهما غير قادرين على السيطرة على موظفيهما، ودفعهما لإيجاد سبب لطرد كومي، بل ألقى عليهما اللوم لتقاعسهما في إيجاد هذا السبب لأشهر) .فلمّح إلى أنّ عدم طرد كومي الفوري خطأهما.(

في الأسبوع عينه، أجرِي اجتماع حضره الرئيس وجاريد وإيفانكا وبانون وبريبوس ومستشار البيت الأبيض، دون مكغان .كان اجتماعاً مغلقاً .وقد لوحظ هذا بشدة لأنّ من غير الاعتيادي إقفال باب المكتب البيضاوي.

قال الرئيس معبراً عن رؤيته الأكيدة والذاتية التبرير» :كل الديمقراطيين يكرهون كومي .ويكرهه كل عملاء الشرطة الفيدرالية أيضاً، يعجز خمسة وسبعون في المئة منهم عن تحمله) .«كان هذا رقماً وجده كوشنر عن طريق الخطأ، فاعتمده ترامب .(أعلن الرئيس الذي نادراً ما تكلّم على جمع الأموال : »سيعود طرد كومي بفائدةٍ ضخمةً لجهة جمع المال.«

حاول مكغان شرح أنّ كومي شخصياً لم يكن يدير التحقيق في روسيا، وأنّ التحقيق سيجري حتى من دون كومي .مكغان، المحامي الذي اقتضى عمله بشكل أساسي على إصدار التنبيهات، كان هدفاً مستمراً لغضب ترامب .وكانت نوبات غضب ترامب تبدأ بشكلٍ نموذجي، بحيث يعيد كلام مكغان بمغالاة مسرحية، ثم تتطوّر النوبات لتتحوّل إلى :سخط خارج عن السيطرة يُبديه وجه ترامب القبيح البارز الأوردة .أصبح غضبه غريزياً .فركزت تنديدات الرئيس الآن مصحوبة بغضب شديد على مكغان وتنبيهاته بشأن كومي.

كرّر ترامب» :كومي واشٍ .«ثمة وُشاة في كل مكان ويجب التخلص منهم . وراح يكرّر» :جون دين .جون دين .هل تعرفون ما فعله جون دين بنيكسون؟.«

ترامب الذي رأى التاريخ عبر الشخصيات، سواء أحبّها أم لم يحبّها، كان مهووساً بجون دين .فقد صوابه عندما ظهر دين المتقدم في العمر على برامج حوارية وقارن التحقيق في ترامب وروسيا بفضيحة ووترغيت .فهذه المقارنة لفتت انتباه الرئيس وأطلقت مونولوجاً لا مفرّ منه عن الولاء، وما يفعله الناس للظهور في الإعلام .قد يترافق هذا مع عدد من النظريات التحريفية التي يؤمن بها ترامب بشأن ووترغيت وكيفية توريط نيكسون .وثمة وُشاة، كالعادة .الواشي شخص يشوّه سمعتكم من أجل ربحه الشخصي .إن وجدتم واشياً، عليكم بقتله .وأحاط به الوشاة من كل صوب.

)لاحقاً، كان بانون من أخذ الرئيس جانباً وقال له إنّ جون دين كان مستشار البيت الأبيض في إدارة نيكسون، فربما من المحبّذ أن يهدّىء من روعه مع مكغان.(

مع تقدم الاجتماع، عمد بانون الذي لم يعُد الرئيس راضياً عنه، والذي تحالف مع بريبوس في ظلّ الكراهية المتبادلة لجارفانكا، إلى استغلال الفرصة لتوسّل الرئيس ألاّ يطرد كومي، وهو ما مثّل محاولةً منه لدحض جاريد وإيفانكا وحلفائهما، الذين أطلق عليهم تسمية» العباقرة») .«العباقرة «من بين كلمات التي يعتمدها ترامب للسخرية من أي شخص يزعجه أو يعتقد أنّه أذكى منه، فاستولى بانون على العبارة واستعملها لوصف أسرة ترامب .(قال بانون للرئيس

مقدماً تحذيرات شديدةً ويائسةً» :هذه القصة الروسية غير مهمة، لكن إذا طردت كومي، فستصبح القصة الكبرى في العالم.«

مع نهاية الاجتماع، اعتقد بانون وبريبوس أنّهما قد انتصرا .لكن في نهاية ذلك الأسبوع، في بدمينستر، أصغى الرئيس مجدداً إلى مخاوف ابنته وزوجها العميقة، وتأثّر .رافقه ستيفن ميلر في نهاية ذلك الأسبوع، بالإضافة إلى جاريد وإيفانكا .كان الطقس رديئاً، وفوّت الرئيس مباراة الغولف؛ فأسهب في التفكير مع جاريد في غضبه من كومي .بحسب رواية من ليسوا في جبهة جارفانكا، فإنّ جاريد هو من دفعه إلى التحرّك، فأثار حماسة والد زوجته من جديد .في هذه الرواية، أعطى كوشنر، بموافقة الرئيس، ملاحظات لميلر عن السبب الذي يحتّم طرد رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي، وطلب منه كتابة رسالة تشكّل أساساً لصرفه الفوري .ميلر الذي لا يبرع كثيراً في الكتابة، وظّف هيكس لتساعده، وهي شخص آخر تنقصه قدرات الكتابة) .وبّخ بانون ميلر لاحقاً لأنّه سمح لنفسه بأن يرتبط بفوضى كومي ويتورّط فيها.(

كانت الرسالة، في مسودّتها المذعورة التي وضعها ميلر وهيكس، إمّا بحسب تعليمات كوشنر، وإما بتعليمات قادمة مباشرةً من الرئيس، مزيجاً غير اعتيادي يحتوي على نقاطٍ أساسية، إدارة كومي للتحقيق الخاص بهيلاري كلينتون؛ التأكيد القائل) من كوشنر (أن مكتب التحقيقات الفيدرالي قد انقلب على كومي؛ والأهم هوس الرئيس بعدم اعتراف كومي العلني بأنّ الرئيس غير خاضع للتحقيق .هذه هي النقاط التي ستشكّل ذريعة أسرة ترامب لطرد كومي .كل شيء

ما عدا حقيقة أن مكتب التحقيقات الفيدرالي بإمرة كومي كانت تحقّق مع الرئيس.

حاربت جبهة كوشنر بمرارة تجسيد كوشنر رأساً مدبّراً أساسيّاً، فوضعت مسعى رسالة بدمينستر كله، بالإضافة إلى العزم على التخلص من كومي، على عاتق الرئيس وجعلت كوشنر يبدو كعابر سبيل) .عبّرت جبهة كوشنر عن موقفها بالشكل الآتي» :هل دعم كوشنر القرار؟ نعم .هل قيل له إنّ هذا سيحدث؟ نعم . هل شجّعه؟ كلا .هل حارب لأجل طرد كومي لأسابيع وأشهر؟ كلا .هل عارض القرار؟ كلا .هل قال إنّه سيكون سيئاً؟ كلا.(«

تراجع مكغان المذعور عن إرسال الرسالة .لكنّها وصلت إلى سيشنز وروزنشتاين اللذين سارعا إلى كتابة مسودّتهما الخاصة عن رغبات كوشنر والرئيس.

فقال بانون بعد عودة الرئيس من نهاية أسبوعه في بدمينستر» :عرفت أنّه قد ينفجر في أي لحظة عندما عاد.«

***

في صباح يوم الاثنين 8 أيار/مايو، وفي اجتماع في المكتب البيضاوي، قال الرئيس لبريبوس وبانون إنّه قد اتّخذ قراره :سيطرد كومي .رجاه الرجلان بشدة أن يغيّر رأيه، طالبَيْن المزيد من النقاش على الأقل .هذه تقنية أساسية للسيطرة على الرئيس :أجّلوا .إن المضيّ بقرار ما يعني أنّ شيئاً آخر، سيظهر للحلول محل الفوضى الجارية مثل فوضى أخرى مساوية لها أو أكبر منها .كذلك، أتى هذا

التأجيل لصالح ترامب فأعطاه وقتاً ليركز أكثر؛ فمهما كانت المسألة الحالية، كان يتلهى بشيء آخر لوقت قصير .عندما انتهى الاجتماع، اعتقد بريبوس وبانون أنّهما ماطلا قليلاً.

في وقت لاحق من ذاك اليوم، مثلت سالي ييتس ومدير الاستخبارات الوطنية جيمس كلابر أمام لجنة الجرائم والإرهاب الفرعية التابعة للجنة مجلس الشيوخ القضائية؛ فرحّب بهما الرئيس بسلسلة من التغريدات الغاضبة.

رأى بانون من جديد أنّ هذه هي مشكلة ترامب الأساسية .شخّص كل شيء بشكل ميؤوس .رأى العالم بمفاهيم عالم الاستعراضات التجارية :هناك شخص ما يحاول دائماً أن يتفوّق عليك ويسرق منك الأضواء .فتجري المعركة بينك وبين شخص آخر يريد سلبك ما تملك .بنظر بانون، حقّر تقليصُ العالم السياسي إلى مواجهات ومشاحنات المكانَ الذي احتلّه ترامب وإدارته في التاريخ .لكنّه أعطى أيضاً فكرةً خاطئةً عن القدرات الحقيقية لمن يقفون في مواجهتهم .لم يكن المقصودون هم الأشخاص، بل المؤسسات.

اعتبر ترامب أنّه لا يواجه سوى سالي ييتس ونعتها غاضباً بالساقطة.

منذ طرد ييتس في 30 كانون الثاني/يناير، بقيت صامتةً بشكل مريب .عندما سألها الصحافيون، فسّرت هي، أو عبر ممثليها، أنّها لا تستعمل وسائل الإعلام بنصيحة من محاميها .اعتقد الرئيس أنّها تتربّص منتظرةً .فأعرب في اتصالات مع أصدقائه عن خوفهم من» مخططها «و»استراتيجيتها، «واستمرّ في الضغط على مصادره بعد العشاء لمعرفة آرائهم بما» تخبّئه «مع بن رودس، مخطط أوباما المفضل لدى ترامب.

لم تأتِ هذه المشكلة لتصبّ في مصلحة الخطة الإعلامية لأعدائه فحسب، بل لأصدقائه أيضاً .فشكّل الإعلام أرض المعركة .افترض ترامب أنّ الجميع أرادوا فرصةً تحت الأضواء، وأنّ الجميع قد وضعوا استراتيجيةً إعلاميةً سيطرحونها عندما يسلّط الضوء عليهم .إن لم تحصلوا على إعلام يغطّيكم، تتحوّلون إلى مسرّبين .برأي ترامب، ما من أخبار عرَضية .فكل الأخبار مفبركة ومصممة ومدبّرة ومزروعة .كل الأخبار مزيفة إلى حدّ ما، فهِم هذا جيداً، لأنّه كثيراً ما زيّف الأخبار في مسيرته .لذا استند بشكل طبيعي إلى اعتماد توصيف» الأخبار المزيفة .«فتباهى قائلاً» :لطالما اختلقت أموراً، ولطالما نشروها.«

شكلت عودة سالي ييتس وظهورها أمام لجنة مجلس الشيوخ القضائية بداية عرضها الإعلامي المنظم والمستدام برأي ترامب) .تأكّد رأيه الإعلامي لاحقاً في أيار/مايو عبر مقال فاخر عن سيرة ييتس في صحيفة نيويوركر، أغدق في مديحها .فطرح سؤالاً بلاغياً» :منذ كم من الوقت كانت تدبّر هذا؟ تعرفون أنّ هذا مدبر، إنه يوم تصفية حساباتها .(«وتذمّر الرئيس بمرارة قائلاً» :لم تشتهر ييتس سوى بفضلي .عدا عن هذا، من تكون؟ نكرة.«

أمام الكونغرس في صباح ذاك الاثنين، قدّمت ييتس أداءً سينمائياً، بارداً وهادئاً ومفصلاً وغيرياً، ما زاد من غضب ترامب واضطرابه.

***

في صباح الثلاثاء 9 أيار/مايو، كان الرئيس لا يزال مهووساً بكومي .وبدعم من ابنته وكوشنر، سعى بريبوس إلى التأجيل من جديد، فقال للرئيس» :ثمة طريقة صائبة وأخرى فاشلة للقيام بهذا العمل .لا نريده أن يسمع الخبر عبر

التلفاز .سأقول هذا مرةً أخيرةً :ليست هذه الطريقة الصائبة .إن أردت طرده، فالصواب أن تدعوه إليك وتجري معه حديثاً .هذه هي الطريقة اللائقة والمحترفة .«بدا أنّ الرئيس قد هدأ ثانيةً وركّز أكثر على العملية الضرورية.

لكنّ هذا كان تحركاً مزيّفاً .في الواقع، كي يتفادى الرئيس العملية التقليدية المحرجة، أو أي حس بالسبب والتأثير أيضاً، ألغى بكل بساطة كل الأشخاص من عمليته .في معظم ذاك اليوم، لم يعرف أحد أنّه قرّر التصرف على هواه .في سجلات الرؤساء، قد يكون طرد رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي هو الخطوة الأكثر جذباً لردود الفعل التي قام بها رئيس حديث بمفرده.

المصادفة أن المدّعي العام سيشنز ونائبه رود روزنشتاين، في وزارة العدل، كانا، باستقلالية عن الرئيس، يحضّران قضيتهما ضد كومي .اعتمدا نهج بدمينستر ولاما كومي على أخطاء في التعامل مع فوضى رسائل كلينتون الإلكترونية .وهذه تهمة جدلية، فلو كانت هذه هي المشكلة بحقّ، فلماذا لَم يُطرد كومي على هذا الأساس حالما تسلّم ترامب الرئاسة؟ بغضّ النظر عن قضية سيشنز وروزنشتاين، قرّر الرئيس التصرف من تلقاء نفسه.

كان جاريد وإيفانكا يحثّان الرئيس على المضيّ بقراره، لكن حتى هما لم يعرفا أنّ الطرد سيحين قريباً .حتى هوب هيكس، ظل ترامب الملازم، التي عرفت كل ما فكّر فيه الرئيس، لأنّه عجز عن التعبير عنه علناً، لم تعرف .ستيف بانون الذي قلق كثيراً من أن ينفجر الرئيس، لم يعرف أيضاً .كبير مستشاريه لم يعرف . ومستشاره الإعلامي لم يعرف .الرئيس، على وشك شن حرب على الشرطة الفيدرالية ووزارة العدل والكثير من أفراد الكونغرس .لقد أصبح مارقاً.

أخبر ترامب ابنته وزوجها بخطته عند الظهيرة .فأصبحا فوراً متواطئين، وأسكتا أي نصيحة متعارضة بعزم.

من الغريب أنّ هذا اليوم سار كما هو مقرّر في الجناح الغربي .كان مارك هالبرين، المراسل السياسي ومؤرخ الحملة، ينتظر هوب هيكس في ردهة الاستقبال؛ فحضرت قبيل الساعة 5 بعد الظهر .كان هاورد كورتز من فوكس حاضراً أيضاً، بانتظار موعده مع شون سبايسر .وخرج مساعد راينس بريبوس لإطلاع منتظِر موعد الساعة 5 أنّ بريبوس سيتأخّر لبضع دقائق.

قبيل الساعة5 ، بعد برهة على إعلام الرئيس مكغان بنيّته، صرّح عنها . أوصل حارس ترامب الشخصي، كيث شيلر رسالةَ الصرف إلى مكتب كومي في مبنى مكتب التحقيقات الفيدرالي بُعَيد الساعة .5 شملت الجملة الثانية من الرسالة الكلمات الآتية» :بموجب هذه الرسالة، أعلن عن صرفك من الخدمة ابتداءً من الآن.«

بعد وقت قصير من ذلك، اعتقدت غالبية طاقم الجناح الغربي أنّ استقالة كومي ما هي إلا تقرير خاطئ من فوكس نيوز .ثم، في سلسلة من الأخبار المتشابكة في أنحاء مكاتب الجناح الغربي، اتّضح ما حدث فعلاً.

فقال بريبوس غير مصدّق متكلّماً مع نفسه، عندما سمع بما جرى قبيل الساعة» :5 إذاً الخطوة التالية هي جلب مدّعٍ خاص.«!

كانت أمام سبايسر مجرد دقائق لاستيعاب القرار، فوُضع عليه اللوم لاحقاً، لعدم معرفته كيفية التعامل مع طرد كومي.

لم يكتفِ الرئيس باتخاذ القرار من دون استشارة أحد ما خلا أسرته، بل أدار مع أسرته بصورة شبه حصرية الرد والتفسير وحتى التبريرات القانونية. حُشرت حجة روزنشتاين وسيشنز الموازية للطرد في اللحظة الأخيرة .آنذاك، وبإرشاد كوشنر، أصبح التفسير الأوليّ لطرد كومي هو أنّ الرئيس تصرّف تبعاً لتوصية هذين الرجلين فقط .أُجبِر سبايسر ونائب الرئيس على تقديم هذه الحجة غير المحتملة .لكنّ هذا الزعم قد انهار فوراً تقريباً .فقد أسهمت غالبية طاقم الجناح الغربي بالكشف عنه لأنّهم لم يريدوا التورط في قرار طرد كومي.

وقف الرئيس مع أسرته في جهة من انقسام البيت الأبيض، بينما وقف الطاقم في الجهة الأخرى، مصدوماً وعاجزاً عن الكلام.

لكن بدا أن الرئيس يرغب في أن يعرف الناس أنّه هو شخصياً، بثورة غضبه وخطورته، قد قضى على كومي .لا دخل لروزنشتاين وسيشنز، فالمسألة شخصية .هذا رئيس قويّ وحقود، أغضبه من لاحقه بكل الطرق، فصمّم على حماية أسرته التي صمّمت على نيل الحماية منه.

فقال بانون في مزاج شكسبيري» :ستودي الابنة بالوالد.«

كُرّرت السيناريوهات البديلة ضمن الجناح الغربي .إذا أردتم التخلص من كومي، فلا بد من وجود طرق سياسية، وقد اقتُرحت على ترامب .ومن بينها اقتراحٌ غريب، بدا تهكّمياً فيما بعد، يقضي بالتخلص من الجنرال كالي في الأمن القومي، وإعطاء هذه الوظيفة لكومي .(لكنّ الخلاصة هي أنّ ترامب أراد مواجهة رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي وإذلاله .فالقسوة من سمات ترامب.

نفّذ الصرف علناً وأمام أسرته .الأمر الذي باغت كومي بالكامل، بينما كان يلقي خطاباً في كاليفورنيا .ثم جعل الرئيس الضربةَ أكثر شخصيةً بقدح شخصيّ لكومي، مقترحاً أنّ مكتب التحقيقات الفيدرالي كان إلى جانب ترامب، وأنه هو أيضاً يمقت كومي.

في اليوم التالي، وكأنّ ترامب أراد التلذذ أكثر بالإهانة وبحصانته الشخصية، عمد الرئيس إلى لقاء مسؤولين روس كبار في المكتب البيضاوي، بمن فيهم سفير روسيا، كيسلياك، الذي تركّز عليه التحقيق في علاقة ترامب بروسيا . فقال للروس» :طردت للتو رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي .كان مجنوناً بالفعل .تعرّضت لضغط كبير بسبب روسيا، لكنّني تخلّصت منه .«بالإضافة إلى هذا، كشف عن معلومات زوّدت إسرائيل الولايات المتحدة بها عبر عميلها في سوريا بشأن استعمال داعش حواسيب محمولة لتهريب قنابل على متن رحلات لبعض الخطوط الجوية؛ الأمر الذي كشف ما يكفي من المعلومات لتعريض الوكيل الإسرائيلي للخطر) .لم يسهم هذا الحادث في تحسين سمعة ترامب ضمن دوائر الاستخبارات؛ ففي مجال التجسس، يجب حماية المصادر البشرية أكثر من كل الأسرار الأخرى.(

فقال بانون» :هذا هو ترامب .يعتقد أنّ بوسعه طرد مكتب التحقيقات الفيدرالية كلّه.«

***

اعتقد ترامب أنّ طرد كومي سيجعل منه بطلاً .في اليومين التاليين، أطلع عدداً من الأصدقاء على رأيه .فالأمر بسيط :لقد دعم الشرطة الفيدرالية .أثبت

أنّه مستعدّ لمواجهة سلطة الولاية .الدخلاء في مواجهة من هم من الداخل، لذلك هو الذي انتُخب في النهاية.

كان محقاً من ناحية .فأحد أسباب عدم طرد الرؤساء مديري الشرطة الفيدرالية هو خوفهم من العواقب .هذه متلازمة هوفر التي تسبّب شللاً جزئياً: قد يكون أي رئيس رهينة ما يعرفه مكتب التحقيقات الفيدرالي، والرئيس الذي يعامل الشرطة الفيدرالية بقلّة احترام، يتحمّل مسؤولية أفعاله .لكنّ هذا الرئيس قد واجه الشرطة الفيدرالية .رجل واحد في مواجهة قدرة استثنائية لطالما اعترض عليها اليسار، ومؤخراً، اعتبرها اليمين أيضاً من أقدس المسائل. فقال الرئيس لأصدقائه بحزن متزايد» :يجب أن يدعمني الجميع.«

هذه ميزة فريدة أخرى من ميزات ترامب :عدم القدرة على رؤية أفعاله كما يراها معظم الناس .أو تقديره الصحيح للسلوك الذي يتوقّعه الناس منه. فالفكرة القائلة بأن الرئاسة مفهوم مؤسساتي وسياسي، يعتمد على الطقوس واللياقة والرسائل السيميائية، في تدبير شؤون الدولة، إنما هي فكرة تتخطّاه.

داخل الحكومة، كان رد الفعل إزاء طرد كومي أشبه باشمئزاز بيروقراطي. حاول بانون أن يفسّر لترامب لبّ طبيعة المسؤولين الحكوميين، الذين يريحهم ارتباطهم بمنظمات مسيطرة، وإحساسهم بأنهم يخدمون قضيةً سامية، فهم مختلفون جدّاً عن الذين يسعون إلى التميز الفردي .كان كومي بيروقراطياً، مهما تكن صفاته الأخرى .فشكّل طرحه بشكل مخزٍ إهانةً أخرى من ترامب للبيروقراطية.

أصبح رود روزنشتاين، كاتب الرسالة التي برّرت ظاهرياً طرد كومي، في مهبّ الريح الآن .ابن الثانية والخمسين الذي يضع نظّارة بلا إطار، والذي اعتبر نفسه بيروقراطياً بأصالة، كان المدعي العام الأميركي الأطول عهداً في البلد .عاش ضمن النظام وبحسب القانون، وبدا أنّ هدفه الأقصى أن يقول الناس إنّه اتّبع القانون .كان مستقيماً، وأراد أن يعرف الجميع هذا.

لكنّ ترامب قوّض كل هذا، بل أفسده .أخاف الرئيس المتنمّر والمزمجر المسؤولَين الأرفع عن تنفيذ القانون في البلد عبر اتهام رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي بشكلٍ غير مدروس، أو أقلّه، عبر إطلاقه هذا الاتهام في وقت غير مناسب .سبق أن شعر روزنشتاين أنّه استُغلّ وأسيئت معاملته .ثم تبيّن أنّه قد تعرّض للخداع أيضاً .لقد كان مغشوشاً.

أجبر الرئيس روزنشتاين وسيشنز على بناء حجة قانونية، لكنّه عجز هو عن الحفاظ على التظاهر البيروقراطي واتّباع هذه الحجة .طوّع ترامب روزنشتاين وسيشنز في مخططه، فكشف عن مساعيهما لتقديم قضية عقلانية قانونية على أنّها زيف .ويمكن القول إنّها خطة لعرقلة العدالة .وضّح الرئيس أنّه لم يصرف رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي لأنّه أخطأ بحقّ هيلاري؛ بل لأنّ الشرطة الفيدرالية حقّقت بعدوانية شديدة معه ومع إدارته.

رود روزنشتاين الفائق الاستقامة الذي كان حتى الآن العامل اللاسياسي الأساسي، أصبح فوراً في نظر واشنطن أداةً يائسةً بيد ترامب .لكنّ ثأر روزنشتاين كان حاذقاً وسريعاً وساحقاً، و)طبعاً (بحسب القانون.

بما أنّ المدعي العام قرّر الانسحاب من التحقيق في روسيا، فقد أصبح من صلاحيات نائب المدعي العام تحديد ما إذا كان هناك تضاربٌ في المصالح، أي بمعنى آخر، ما إذا كان المدعي العام غير قادرٍ على التصرّف بموضوعية بسبب مصالحه الشخصية .وإذا وجد، وفق تقديره الشخصي، أن هناك تضارباً، فيتوجّب عليه تعيين مستشار خاص خارجي متمتّع بسلطة ومسؤوليات واسعة لإجراء تحقيق، قد يتطوّر إلى ملاحقة قضائيةً إن اقتضت الحاجة.

في 17 أيار/مايو، أي بعد 12 يوماً من صرف كومي، عيّن روزنشتاين رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي السابق روبرت مولر للإشراف على التحقيق مع ترامب وحملته وعلاقات طاقمه بروسيا، وذلك من دون استشارة البيت الأبيض، أو المدعي العام .فإذا كان مايكل فلين قد أصبح مؤخراً الرجل الأوسع نفوذاً في واشنطن لما قد يكشفه عن الرئيس، يمكن القول إنّ مولر قد اضطلع بهذا المنصب الآن، لأنّه يمتلك القدرة على إخافة فلين وكل أصدقاء ترامب المقربين وأتباعه.

من المؤكد أنّ روزنشتاين فهِم، وربما ببعض الرضى، أنّه قدّم ما قد يشكّل ضربةً قاضيةً لرئاسة ترامب.

هزّ بانون رأسه مشيراً إلى حيرته من ترامب، وعلّق بشكل جاف» :إنّه لا يتوقّع ما سيحدث.«

الفصل السابع عشر

في الخارج وفي الوطن

في اليوم الثاني عشر من أيار/مايو، كان من المقرر أن يعود روجر أيلز من بالم بيتش إلى نيويورك للقاء بيتر ثيل، وهو واحد من أوائل مؤيدي ترامب والوحيد في سيليكون فالي، الذي ازدادت دهشته بسبب تصرفات الرئيس المفاجئة .قلق أيلز وثيل من إمكانية أن يُضعف ترامب بنفسه سياسة الترامبوية، وقرّرا أن يناقشا مسألة تمويل شبكة أخبار متلفزة وإطلاقها .واتفق الاثنان أن يتولّى ثيل المصاريف، وأن يضم أيلز أورايلي وهانيتي بالإضافة إليه هو، وربما بانون إلى الشبكة.

لكن، قبل يومين من الاجتماع، سقط أيلز في حمّامه وأصاب رأسه .وقبل دخوله في غيبوبة، قال لزوجته ألاّ تغيّر موعد اجتماعه بثيل .وبعد أسبوع، مات

أيلز، تلك الشخصية الفريدة من حيث مسيرته التي بدأت ضمن أغلبية نيكسون الصامتة لينتقل من بعدها إلى ديمقراطيي ريغان، وينضمّ من ثم إلى قاعدة ترامب الشغوفة.

وكان مأتمه في بالم بيتش في 20 أيار/مايو درساً في ازدواجية تيارات اليمين وحتى عارها .وبقي محترفو اليمين شغوفين في دفاعهم الظاهري عن ترامب، لكنّهم كانوا منزعجين، بل خجلين فيما بينهم .وفي المأتم، عانى راش ليمبو ولورا إنغراهام في الإعراب عن دعمهما لسياسة ترامب، حتى وإن كانا قد نأيا بأنفسهما عنه شخصياً.

وأصبح الرئيس بكل تأكيد الداعم المادي لليمين .وكان أبرز معادٍ لليبرالية: سلطوي يجسّد مقاومة السلطة .لقد كان نقيضاً لكل ما اعتبره اليمين تنازلاً وسذاجةً ونفاقاً لدى اليسار .لكن من الواضح أنّ ترامب هو ترامب :رجل متهوّر وصاحب نزوات وغدّار وخارج عن السيطرة .لم يعرف أحد هذا بقدر ما عرفه المقربون منه.

أصرّت باث، زوجة أيلز، على دعوة الأوفياء لزوجها وحدهم إلى مأتمه . فاستثنت كل من تردّد في الدفاع عن زوجها منذ طرده أو كل من فضّل المستقبل الواعد الذي ينتظره مع أسرة مردوخ .ما وضع ترامب، الذي كان لا يزال مفتوناً بعلاقته الجديدة مع أسرة مردوخ، في الجهة المقابلة .ومرّت ساعات وأيام تعقّبتهما بدقة باث أيلز، من دون أن تتلقى اتصال عزاء من الرئيس.

وفي صباح المأتم، أقلعت طائرة شون هانيتي الشخصية من المطار المحلّي في فارمينغدايل، لونغ آيلند، متجهةً إلى بالم بيتش .ورافق هانيتي فريق صغير من

موظفي فوكس الحاليين والسابقين، كلهم من مؤيدي أيلز وترامب .ولكنّ شعر كل منهم ببعض القلق أو حتى التشكيك في أن تصرفات ترامب تحاكي ترامب فعلاً :فأولاً، وجدوا صعوبة في استيعاب المبرّرات التي قُدّمت لطرد كومي، والآن عدم تعزيته بصديقه الراحل أيلز ولو حتى باتصال.

فقالت مراسلة فوكس السابقة ليز تروتا» :من الواضح أنّه أبله.«

وقضت مقدمة فوكس، كيمبرلي غيلفويل، غالبية الرحلة في نقاش حول توسلات ترامب أن يجعلها بديلة شون سبايسر في البيت الأبيض» .ثمة مشكلات كثيرة، منها الصمود على الصعيد الشخصي.«

أمّا هانيتي، فقد تحولّت نظرته إلى عالم اليمين من التركيز على فوكس إلى التركيز على ترامب .فلم يعتقد أنّ أكثر من سنة ستمرّ قبل أن يُطرد هو أيضاً من المحطة أو يشعر بأنّه غير مرحّب به فيها .لكنّ اهتمام ترامب بمردوخ قد آلمه، إذ إن مردوخ لم يطرد أيلز فحسب، بل كانت سياسته المحافظة منفعةً في أفضل الأحوال .فقال هانيتي» :كان يشجّع هيلاري.«!

وفكّر هانيتي بصوت مرتفع أنّه سيستقيل من المحطة، وسيعمل بدوام كامل لحساب ترامب، فما من شيء أهم من نجاح ترامب؛ وأضاف ضاحكاً: »بالرغم من سلوكه.«

لكنّه لم يغضب لأنّ ترامب لم يتّصل بباث .فخلُص إلى أنّ مولر الذي يدخّن سيجارة إلكترونية قد ألهاه.

قد يكون ترامب صنيعاً تدميرياً، لكنّه صنيع اليمين، اليمين الأول، الحقيقي، والأصلي .كان في استطاعة هانيتي غضّ الطرف عن كارثة كومي .وعن جاريد .وعن الفوضى في البيت الأبيض.

لكنّه لم يتّصل بباث بعد.

فسأل هانيتي» :ما خطبه؟.«

***

آمن ترامب بأنّه يحتاج إلى نصر وحيد آخر ليقلب كل شيء رأساً على عقب . أو بالأحرى، إلى نصرٍ آخر للحصول على تغطية إعلامية إيجابية تقلب كل شيء . وكان من غير المهم أنّه قد بدّد أيامه المئة الأولى، التي وجب أن تكون انتصاراتها زاد الأيام المئة التالية .فقد يصوّرك الإعلام بشكل سلبي في يوم ما، وفي اليوم التالي تحقق إنجازاً يجلب لك النجاح.

قال بغضب ووتيرة متكررة» :نحن نحتاج إلى خطط ضخمة .هذا ليس ضخماً .أحتاج إلى خطة ضخمة .أتعرفون ما معنى الضخامة؟.«

بيد أن المخطط الذي شمل إلغاء نظام الرعاية الصحية واستبداله، والبنية التحتية، والإصلاح الفعلي للضرائب، أي ما وعد به ترامب ثم اعتمد على بول راين لتنفيذه، كان منهاراً .فقال كل الموظفين الرفيعين إنّه ما كان ليجدر بهم العبث بالرعاية الصحية الذي مهّد للتعديل التشريعي في الأصل .فكرة من هذه في الأساس؟

قد يكون من الطبيعي إنجاز أمور بسيطة في البدء، ووضع خططٍ تدريجية للبرنامج .لكنّ ترامب لم يبدِ اهتماماً بالخطط الصغيرة .فبات فاتراً وغاضباً.

حسناً إذاً، يجب إحلال السلام في الشرق الأوسط.

يعتبر ترامب، والكثير من الاستعراضيين مثله أو من رجال الأعمال الذين يعتمدون على البيانات الصحافية، أن عدوّ كل شيء هو التعقيد والإجراءات البيروقراطية، والحل لكل شيء هو اختصار المهام .فتفادي المصاعب أو تجاهلها؛ والمضي في خط مستقيم نحو الرؤية، هما اللذان سيقنعان الناس، إذا اتّسما بالجرأة والمبالغة الكافيتين .في هذه المعادلة، ثمة سلسلة وسطاء على الدوام سيعدونكم أنّهم سيساعدونكم على اختصار الأعمال، بالإضافة إلى شركاء سيفرحون بالتسلّق على ظهر عظمتكم.

هنا بدأ دور ولي عهد آل سعود، محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، البالغ من العمر 31 سنة.

صادف أنّ العاهل السعودي، والد محمد، كان يفقد زمام الأمور .فازداد)نوعاً ما (الإجماع ضمن الأسرة المالكة في السعودية على الحاجة إلى التجديد . وكان محمد بن سلمان، مدمن ألعاب الفيديو، شخصيةً جديدةً في القيادة السعودية .كان فصيحاً، ومنفتحاً، وساحراً ولاعباً دوليّاً، وتاجراً بارعاً .لم يكن مجرّد رجل يتحلّى بمرتبةٍ اجتماعية عليا منغلقٍ على نفسه .سيطر على المحفظة الاقتصادية، واتّبع رؤيةً شبيهةً برؤية ترامب لتخطي دبي وتنويع الاقتصاد . وسوف تكون مملكته جديدةً وعصريةً، بل أكثر عصريةً بقليل) نعم، سيحقّ للنساء قريباً القيادة؛ وحمداً للّه على وصول السيارات الذاتية القيادة قريباً .(!

اتّسمت القيادة السعودية بالكهولة، والتقليدية، والتكتم النسبي، والتفكير الحريص القائم على الإجماع .لكنّ الأسرة المالكة في السعودية التي تأتي منها الطبقة الحاكمة، غالباً ما اتّسمت بالإسراف، والبهرجة، والاستمتاع بملذّات الحداثة خارج البلاد .فحاول محمد بن سلمان الذي بدا على عجلة من أمره أن يقلّص المسافة بين أفراد الأسرة المالكة.

شلّ انتخاب دونالد ترامب القيادة الليبرالية العالمية، بل شلّها وجود دونالد ترامب بحد ذاته .لكن بخصوص الشرق الأوسط، فإن الأمر قد اتخذ منحى عكسيّاً .وساهمت شراسة أوباما وعقلانيته المفرطة وتدخّله في الأمور الصغرى، التي سبقتها نزعة بوش العسكرية والاضطرابات الناتجة عنها، والتي سبقتها صفقات كلينتون وسياسة المقايضة والطعن في الظهر، في فسح المجال أمام صيغة ترامب المستلّة من الواقعية السياسية .ولم يكن يتحمّل تبرّم نظام ما بعد الحرب الباردة وعقليّته المبنية على افتراض أن يديه مقيّدتان، ولا جمود رقعة الشطرنج المعتمد على فرضية أن التحرك التدريجي هو السيناريو الأفضل في حال تمثّل الحل البديل والوحيد بالحرب .وكانت رؤيته أبسط بكثير :من يملك السلطة؟ أعطوني رقمه.

يقول المثل الشائع :عدوّ عدوّي صديقي .وإذا كان لترامب مرجع ثابت واحد في الشرق الأوسط، ويعود الفضل الكبير فيه إلى تعاليم مايكل فلين، فهو أنّ إيران هي الشر، وأن كل من يعارض إيران، يُعتبر، بالتالي، خيّراً.

بعد الانتخابات، اتّصل محمد بن سلمان بكوشنر .وفي الارتباك الذي عمّ الفترة الانتقالية، لم يتمّ تنصيب شخصٍ ملمّ بالسياسة الخارجية، ويتمتّع

بشبكة علاقات دولية .حتى وزير الخارجية المكلّف، ريكس تيلرسون، لا يمتلك خبرةً فعليةً في السياسة الخارجية .وبنظر وزراء الخارجية الأجانب المصدومين، بدا من المنطقي أن يروا في صهر الرئيس المنتخَب صورة للاستقرار .فسوف يكون حاضراً مهما حدث .وبالنسبة إلى بعض الأنظمة، وتحديداً النظام السعودي المتمحور حول الأسرة، كان كوشنر الصهرُ أكثر طمأنةً من رجل سياسيّ .ذلك أنه لم يعيّن في منصبه بسبب أفكاره.

بين نقاط ضعف ترامب البليغة والكثيرة في إدارة السلطة العظمى العصرية، يمكنكم حتماً إدخال حصان طروادة بسبب ضعف إلمامه بخصوصيات السياسة الخارجية وتفاصيلها، ما أتاح لكل العالم فرصة ترميم علاقته بالولايات المتحدة؛ هذا إن كنتم مستعدين لاعتماد لغة ترامب الجديدة، التي ليس لها تعريف .ما من خارطة طريق هنا، مجرد انتهازية محضة وانفتاحٌ جديد في التعامل .بل أكثر من ذلك، فرصةٌ لاستخدام القدرة على السَّحر والإغراء التي تماشى معها ترامب بالحماسة نفسها التي انتابته تجاه الصفقات المربحة الجديدة.

هذه واقعية سياسية تشبه نهج كيسنجر .فكيسنجر بذاته، الذي ألف ترامب منذ وقت طويل عبر عالم نيويورك الاجتماعي، والذي راح يرعى كوشنر، نجح في إعادة إدخال نفسه في السياسة، فساعد على تنظيم اجتماعات مع الصينيين والروس.

شعر أغلبية شركاء أميركا، وحتى الكثير من خصومها بالقلق، لا بل بالرعب . لكنّ البعض رأى فرصةً جديدةً، إذ وجد الروس فرصةً في الوصول الحرّ إلى

أوكرانيا وجورجيا وإلى رفع العقوبات، مقابل التخلي عن إيران وسوريا .وفي بداية تسلّم السلطة، اتّصل مسؤول رفيع في الحكومة التركية، وهو مرتبك، بشخصية أميركية عريقة في مجال الأعمال سائلاً إن كانت تركيا ستحصل على نفوذ أكبر عبر الضغط على الوجود العسكري الأميركي في تركيا، أو عبر تقديم موقع فندق ساحر على البوسفور للرئيس الجديد.

من اللافت أنّ ثمة شبهاً بين أسرة ترامب ومحمد بن سلمان .فعملياً، لم يتلقّ محمد بن سلمان تعليماً شاملاً، مثله مثل بقية أفراد الأسرة المالكة السعودية .في الماضي، أسهم ذلك في الحد من الخيارات السعودية؛ فلم يكن أي شخص مجهزاً لاستكشاف احتمالات فكرية جديدة بثقة .بالتالي، تخوّف الجميع من محاولة حثّ الأسرة على تخيّل التغيير .لكنّ محمد بن سلمان وترامب متشابهان .فقلة معرفتهما جعلتهما يرتاح أحدهما للآخر .عندما قدّم محمد بن سلمان نفسه إلى كوشنر كوسيط له في السعودية، كان ذلك» أشبه بلقاء رفيق لطيف في اليوم الأول من المدرسة الداخلية«، بحسب صديق كوشنر.

أصبح رأي ترامب الجديد بالشرق الأوسط، إذا طرحنا كل الافتراضات السابقة بوتيرة جانباً،) وهو في الواقع، لم يكن ملماً حتى بهذه الافتراضات(، الرأي الآتي :ثمة أربعة لاعبين) أو على الأقل بوسعنا نسيان كل الباقين(، هم : إسرائيل، مصر، السعودية، إيران .يمكن توحيد الثلاثة الأوائل ضد الرابع . وبالنظر إلى ما تهدف إليه مصر والسعودية في الموضوع الإيراني) والمواضيع الأخرى التي لا تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة الأميركية(، فسوف تضغط هاتان على الفلسطينيين لإبرام اتفاق .هذا ملخّص الأمور ببساطة.

لقد شكّل ذلك خليطاً من الأفكار المثيرة للغثيان، تمثَّل بانعزالية بانون)فلتحلّ اللعنة على الجميع؛ لا نريد التدخل(؛ ومعاداة فلين لإيران) بين كل غدر العالم وسمّيته، لا شيء يضاهي الملالي(؛ ونهج كيسنجر الذي اعتنقه كوشنر)ليس تحديداً نهج كيسنجر بقدر ما هو عدم امتلاك رؤية خاصة، ومحاولة مطيعة لاتباع نصيحة ابن الرابعة والتسعين من العمر.(

لكنّ الجوهر هو أنّ الإدارات الثلاث الأخيرة قد أخطأت بشأن الشرق الأوسط .وكان من المستحيل التشديد على مدى احتقار دائرة ترامب لسيناريو بقاء الأمور على حالها الذي أدّى إلى كل هذه الأخطاء .بالتالي، أتى مبدأ العمل بسيطاً :القيام بعكس ما فعلوه) أوباما ومحافظو بوش الجدد أيضاً .(فسلوكهم وغرورهم وأفكارهم، وحتى خلفيتهم وتعليمهم وفئتهم الاجتماعية، كلها مشبوهة . من غير الضروري أن تكونوا ملمّين بالأحوال، يكفي أن تتصرّفوا بشكل مختلف عن السابق ليس إلّا.

قامت السياسة الخارجية القديمة على الفروق الدقيقة :نجهد لبلوغ مستقبل متوازن عبر مواجهة معادلة متعددة الأطراف وفائقة التعقيد من التهديدات والمصالح والحوافز والصفقات والعلاقات المتواصلة التطور .عملياً، تقضي السياسة الجديدة، وهي عقيدة فعالة لترامب، بتقليص المعادلة إلى ثلاثة عناصر :قوى نستطيع العمل معها، وقوى لا يمكننا العمل معها، وقوى لا تملك سلطة كافية، وبالتالي يمكن تجاهلها أو التضحية بها .هذه عقلية الحرب الباردة . وبالفعل، في رؤية ترامب الكبرى، مُنحت الولايات المتحدة أفضليتها العالمية الكبرى في الحرب الباردة .آنذاك، كانت أميركا عظيمةً.

***

كان كوشنر قائد عقيدة ترامب .وبناء على ذلك أجرى اختباراته على الصين والمكسيك وكندا والسعودية .وقدّم إلى كل بلد فرصة إسعاد والد زوجته.

في أيام الإدارة الأولى، فوّتت المكسيك فرصتها .ففي نسخة نُشرت لاحقاً عن الحديث بين ترامب والرئيس المكسيكي أنريكي بينيا نياتو، اتّضح جلياً أنّ المكسيك لا تفهم اللعبة الجديدة، أو غير مستعدة للمشاركة فيها .إذ رفض الرئيس المكسيكي إيجاد ذريعة لتحمّل نفقات الجدار، وهي ذريعة كان من الممكن أن تصبّ في صالحه) من دون أن يضطرّ حقيقةً إلى دفع نفقات الجدار.(

وبعد فترة وجيزة، قام رئيس الوزراء الكندي الجديد، جاستن ترودو، وهو مناصرٌ للعولمة في الخامسة والأربعين من العمر شبيه بكلينتون وبلير، بزيارة واشنطن .وكان يبتسم باستمرار ويتحفّظ عن التعليق على ترامب .فنجح هذا التكتيك؛ وسرعان ما أصبحت كندا صديقة ترامب المفضلة الجديدة.

وأتى الصينيون، الذين غالباً ما أهانهم ترامب خلال حملته، إلى منتجع مارآلاغو لعقد قمة اقترحها كوشنر وكيسنجر) .ما تطلّب تثقيف ترامب بعض الشيء، فقد أخطأ بلفظ اسم الرئيس الصيني .(وكان الصينيّون في مزاج هادئ، واتّضح أنّهم مستعدون لمجاملة ترامب .وأدركوا بسرعة أنّه يردّ الإطراء إذا أطروا عليه.

لكنّ السعوديين هم من أحرزوا النصر الفعلي، مع أنّه غالباً ما أهانهم في حملته أيضاً .لكنّهم تمتّعوا بفهم حدسيّ للأسرة والرسميات والطقوس واللياقة.

وكان لصانعي السياسة الخارجية علاقة طويلة وحميدة بخصم محمد بن سلمان، ولي العهد الأمير محمد بن نايف .وقلقت شخصيات بارزة من وكالة الأمن القومي ووزارة الخارجية من أن توصل محادثات كوشنر وعلاقته السريعة التقدم بمحمد بن سلمان رسالة خطيرة إلى محمد بن نايف .وهذا ما حدث . فاعتقد مسؤولو السياسة الخارجية أنّ انتهازياً لم تُختبر توجهاته الحقيقية بالكامل يخدع كوشنر .أما كوشنر فكان مقتنعاً، بسذاجة، بأنه لا يتعرّض للخداع، أو أنه، متحلياً بثقة ابن السادسة والثلاثين من العمر الذي يضطلع بمهام المسؤول الجديد، لم يكن يكترث حتى :لنتقبّل كل من يتقبّلنا.

وكانت خطة كوشنر ومحمد بن سلمان بسيطةً بشكل يختلف عن السياسة الخارجية :إذا أعطيتمونا ما نريده، نعطيكم ما تريدونه .ودُعي محمد بن سلمان إلى البيت الأبيض في آذار/مارس، بعد أن أكّد أنّه يحمل معه أخباراً سارةً للغاية .)وصل السعوديون مع وفد كبير، لكنّ دائرة الرئيس الصغيرة وحدها من رحّبت بهم في البيت الأبيض .ولاحظ السعوديون أنّ ترامب قد أمر بريبوس بأن يحضر له أغراضاً خلال الاجتماع .(الرجلان الكبيران، ترامب الأكبر سناً ومحمد بن سلمان الأصغر سناً، وكلاهما ساحران ومتملقان وممازحان، كل بطريقته الخاصة، انسجاماً شديداً.

كانت هذه دبلوماسيةً عدائيةً .إذ استعمل محمد بن سلمان احتواء ترامب له كجزء من خطته للوصول إلى السلطة في المملكة .وسمح له طاقم بيت ترامب الأبيض بفعل هذا، مع أن الطاقم أنكر أنّ ذلك ما حدث .بالمقابل، قدّم محمد

بن سلمان باقة صفقات وتصريحات تزامنت مع زيارة رئاسية إلى السعودية، وهي رحلة ترامب الأولى إلى الخارج .وحصد ترامب» فوزاً.«

أقلقت الزيارة مسؤولي وزارة الخارجية، وقد خُطّط لها قبل طرد كومي وتعيين مولر .وكان الطريق، بين 19 أيار/مايو و27، طويلاً جداً لأي رئيس، تحديداً لرئيس غير مختبَر وغير مدرَّب) .ترامب نفسه، وهو المصاب برهاب السفر والأماكن التي لم يألفها، وراح يتذمّر بشأن مشقات الرحلة .(لكنّ الزيارة جرت بعد أزمة كومي ومولر وشكّلت عطيةً من اللّه للهروب .فما من وقت أفضل من هذا لاحتلال عناوين الصحف بعيداً عن واشنطن .فقد تغيّر رحلة برية كل شيء.

ورافق ترامب كامل طاقم الجناح الغربي تقريباً، بالإضافة إلى طاقم وزارة الخارجية والأمن القومي :ميلانيا ترامب، إيفانكا ترامب، جاريد كوشنر، راينس بريبوس، ستيفن بانون، غاري كوهن، دينا باول، هوب هيكس، شون سبايسر، ستيفن ميلر، جو هاغين، ريكس تيلرسون، مايكل أنطون .كذلك رافقته سارا هاكابي ساندرز، نائبة السكرتير الصحافي؛ ودان سكافينو، مدير التواصل الاجتماعي في الإدارة؛ وكيث شيلر، مستشار أمن الرئيس الشخصي؛ وويلبر روس، وزير التجارة) .تعرّض روس لسخرية كبيرة لعدم تفويته فرصة ركوب طائرة الرئيس، وعنه قال بانون» :ويلبر مثل زاليغ، ترونه حيثما نظرتم .(«كانت هذه الرحلة والوفد الأميركي الضخم ترياق تعيين مولر والكون البديل له.

عجز الرئيس وصهره عن احتواء ثقتهما بأنفسهما وحماسهما .فكانا متأكدين من أنّهما يمهدّان الطريق للسلام في الشرق الأوسط، مثل الكثير من الإدارات السابقة الأخرى.

مدح ترامب كوشنر بشدة .وأكّد لأحد المتصلين به بعد العشاء قبل بدء الرحلة» :أقنع جاريد العربَ بالوقوف إلى جانبنا .إنّ الصفقة مبرمة .سيكون هذا رائعاً.«

فقال المتصل به» :أعتقد أنّ هذه الرحلة ستُنجح المخطط، كتغيّر مفاجئ في أحداث فِلمٍ رديء.«

***

مرّ موكب الرئيس على الطرقات السعودية الخالية، أمام لوحات إعلانات عليها صور ترامب والملك السعودي) والد محمد بن سلمان البالغ من العمر 81 سنةً (مع عبارة» :معاً ننتصر.«

بدا أنّ حماسة الرئيس قد نبعت جزئياً من مبالغة كبيرة، بشأن ما جرى الاتفاق عليه خلال المفاوضات قبل الرحلة) وقد تكون هذه الحماسة قد تسبّبت بتلك المبالغة .(في الأيام التي سبقت مغادرته، قال للناس إنّ السعوديين سيموّلون حضوراً عسكرياً جديداً بالكامل في المملكة، وسيحلّون محل مركز القيادة الأميركية في قطر .وأنه سيكون هناك» إنجازٌ هو الأعظم على الإطلاق في المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية» .«وسيغيّر ذلك اللعبة بشكل كبير لم نشهده من قبل.«

في الواقع، كانت رؤيته لما سيُنجَز قفزةً كميةً أبعد ممّا جرى الاتفاق عليه، لكن لم يبدُ أنّ هذا قد بدّل مشاعر الحماسة والغبطة.

سيشتري السعوديون أسلحةً أميركيةً بقيمة 110 مليارات دولار، وبقيمة إجمالية تبلغ 350 مليار دولار على مر عشر سنوات .فأعلن الرئيس» :استثمارات بقيمة عشرات مليارات الدولارات في الولايات المتحدة والكثير من الوظائف .«بالإضافة إلى ذلك، سيعمل الأميركيون والسعوديون معاً» لمواجهة رسائل التطرف العنيف وتعطيل تمويل الإرهاب وتعزيز التعاون الدفاعي .« وسيقيمون مركزاً في الرياض لمناهضة التطرف .وإن لم يكن هذا مرادفاً لإحلال السلام في الشرق الأوسط، فبحسب وزير الخارجية،» يشعر الرئيس بأنّ هذه لحظة تاريخية .سيتكلّم الرئيس مع نتانياهو بشأن العملية المستقبلية .سيتكلّم مع الرئيس عباس بشأن ما يعتبره ضرورياً لنجاح الفلسطينيين.«

كانت هذه صفقة ترامبوية كبيرة .في الوقت عينه، كانت تُنقل الأسرة الأولى، أسرة الرئيس الأميركي، على متن عربات غولف مذهّبة، وأقام السعوديون حفلاً بلغت كلفته 75 مليون دولار على شرف ترامب، الذي أتيح له الجلوس على كرسي شبيه بعرش) .خلال تلقّي الرئيس تكريماً من الملك السعودي، بدا في صورة أنّه ينحني، ما أثار سخط اليمين.(

واستدعى السعوديون ممثلين عن خمسين دولةً عربيةً ومسلمةً للتودد إلى الرئيس، الذي اتّصل لإخبار أصدقائه في الوطن كم كانت العملية طبيعيةً وسهلةً، وكيف أخفق أوباما بشكل غريب ومريب .فأكّد الرئيس لملك البحرين،

حمد بن عيسى آل خليفة» :كان هناك بعض التوتر، لكنّه سيختفي مع هذه الإدارة.«

جامل الزعيم المصري، عبد الفتاح السيسي الرئيس بمهارة، قائلاً» :أنت شخصية فريدة قادرة على فعل المستحيل) .«فردّ ترامب على سيسي قائلاً» :أحبّ حذاءك .رباه، يا لهذا الحذاء.(«...

كان هذا تغيُّراً في موقف السياسة والاستراتيجية الخارجيتين بطريقة دراماتيكية .وكانت آثار هذا التغير شبه فورية .إذ تجاهل الرئيس، بل تحدّى نصائح السياسة الخارجية، وأعطى إشارة الانطلاق لتنمُّر السعودية على قطر . رأى ترامب أنّ قطر تزوّد المجموعات الإرهابية بالدعم المالي، غاضّاً الطرف عن التاريخ السعودي المشابه) .فبحسب حجته، لم يقدّم سوى أفراد قلائل من الأسرة المالكة السعودية دعماً للإرهاب .(بعد أسابيع من الرحلة، اعتقل محمد بن سلمان محمد بن نايف على بغتة، وأجبره على التخلي عن منصبه كولي العهد، فاضطلع به محمد بن سلمان .فقال ترامب لأصدقائه إنّه، هو وجاريد، قد دبّرا انقلاباً سعودياً .فقال» :وضعنا حليفنا في القمة.«!

من الرياض، انتقل الوفد الرئاسي إلى القدس، حيث التقى الرئيس نتانياهو، وفي بيت لحم، التقى عباس، معبّراً عن تأكيد متزايد ومستخدماً ضمير الغائب في قوله» :ترامب سيُحلّ السلام .«ثم انتقل الوفد إلى روما للقاء البابا، ثم إلى بروكسيل، حيث عاد الرئيس إلى شخصيته ورسم الحدود بين السياسة الخارجية المرتكزة على التحالف الغربي والتي رُسّخت منذ الحرب العالمية الثانية، وبين شعار أميركا أوّلاً.

اعتبر ترامب أن ما جرى كان بمثابة عامل يصوغ فترة رئاسته .ولم يصدّق أنّ إنجازاته الضخمة لم تُعطَ العظمة التي توقّعها .فكان في حالة إنكار بكل بساطة، بحسب ما أشار بانون وبريبوس وغيرهما، بشأن العناوين الصحافية المترجّحة بين قضيّتي كومي ومولر.

ويشكّل عدم فهم ترامب الكامل للسبب والنتيجة، ثابتة من ثوابت الحملة وثوابت الرئاسة حتى الآن، إنه أحد عيوب ترامب .وحتى الآن، حلّت أحداث جديدة بشكل موثوق محل المشاكل التي سبّبها في الماضي، ما أعطاه الثقة أنّ في وسعه أن يستبدل بقصة سيئة قصة أخرى أفضل وأكثر دراماتيكيةً .بوسعه دائماً تغيير الحديث .فيجدر بالرحلة السعودية وحملته الجريئة لقلب النظام العالمي للسياسة الخارجية بأن تنجز هذا .لكنّ الرئيس وجد نفسه محاصراً بشكل متواصل، لدهشته، بقضيّتي كومي ومولر .بدا أنّ كل شيء عالق عند هذين الحدثين.

أُنهِك بانون وبريبوس من التقرب الشديد إلى الرئيس وأسرته، على أثر زيارة السعودية، فعادا إلى واشنطن .وتوجّب عليهما، في غياب الطاقم الرئاسي، التعامل مع ما أصبح الأزمة الحقيقية، أو حتى القصوى، لتشكيل الرئاسة.

***

ما كان رأي المحيطين بترامب به؟ ليس هذا مجرد سؤال صائب، بل إنه السؤال الأكثر طرحاً بين المحيطين بترامب .فقد كافح هؤلاء باستمرار لتحديد رأيهم ورأي الآخرين به.

عموماً، لم يطلعوا أحداً على إجاباتهم، لكن في حالة كومي ومولر، وبعد كل التهرب واختلاق الحجج المعتادة، لم يبق شخص لم يلقِ اللوم بوضوحِ على ترامب سوى أسرته.

وفي هذه المرحلة، جرى عبور عتبة تباهي الرئيس غير العقلاني .وبات يمكن الآن وبصراحة، التشكيك بحرية في حُكمه وفطنته، والأهم من ذلك، في النُصح الذي تلقّاه.

أعلن توم باراك لصديق له» :ليس مجنوناً فحسب، بل أحمق.«

لكنّ بانون وبريبوس عارضا بشدة طردَ كومي، بينما لم يؤيّده جاريد وإيفانكا فحسب، بل أصرّا عليه .وحثّ هذا الحدث المزلزل بانون إلى التوصّل إلى خلاصة راح يكرّرها باستمرار ومفادها أن كل نصيحة قادمة من هذا الثنائي نصيحة رديئة.

لم يعتقد أحد الآن أنّ طرد كومي فكرة سديدة؛ حتى الرئيس بدا محرجاً . ورأى بانون، بالتالي، أنّ دوره الجديد يتمثل بإنقاذ ترامب .وسوف يحتاج ترامب دائماً إلى الإنقاذ .فقد يكون ممثلاً بارعاً، لكنّه غير قادر على إدارة مسيرته.

وشكّل هذا التحدي الجديد لبانون فائدةً واضحةً :عندما يفشل ترامب، ينتصر بانون.

واهتمّ بانون بالأعمال أثناء الرحلة إلى الشرق الأوسط .فركّز على شخصية لاني ديفيس، أحد محامي اتهام كلينتون .ففي غالبية العامين الأخيرين، كان ناطقاً باسم إدارة كلينتون ومدافعاً علنياً عنها على مدار الساعة .واعتبر بانون

أنّ مسألة كومي ومولر تهدّد البيت الأبيض في عهد ترامب، بقدر تهديد مونيكا لوينسكي وكين ستار للبيت الأبيض في عهد كلينتون، فرأى نموذجاً للهرب من مصير مهلك في رد كلينتون.

ففسّر قائلاً» :تحضّرت أسرة كلينتون للمعركة بسلوك ممتاز .بدآ أعمالاً خارج البلد، ولم يذكر بيل وهيلاري الحادثة من جديد .وصمدا بوجه الأزمة .لقد أثبت ستار ذنبهما، لكنّهما تخطّيا المسألة.«

وعرف بانون ما عليه فعله تحديداً :عزل الجناح الغربي، وإقامة طاقم شؤون قانونية واتصالات منفصل للدفاع عن الرئيس .وفي هذا السيناريو، سيحتلّ الرئيس واقعاً متوازياً، ولن يتورّط في ما سيصبح رياضةً دمويةً لها أنصارها، كما جرى في نموذج كلينتون .فتُنفى السياسية إلى زاويتها القذرة، وسيتصرّف ترامب كالرئيس والقائد الأعلى.

أصرّ بانون بجنون وحيوية» :سنتبع الطريقة التي اتبعوها باعتماد مركز قيادة منفصل ومحامين منفصلين وناطقين منفصلين .فنُبقي صراعاً بعيداً كي نشنّ الآخر هنا .يفهم الجميع هذا .ربما لا يفهمه ترامب جيداً .ليس هذا واضحاً . ربما قليلاً .ليس هذا ما تخيّله.«

هرع بانون متحمساً وبريبوس ممتنّاً لإيجاد حجة للابتعاد عن الرئيس إلى الجناح الغربي لبدء التخطيط.

لم يَفُت بريبوس أنّ بانون نوى إقامة مجموعة مدافعين خلفية مكوّنة من ديفيد بوسي، وكوري ليفاندوفسكي وجايسون ميلر، الذين سيكونون ناطقين

خارجيين باسم الرئيس، وسوف تكون هذه المجموعة وفيةً له بشكل عام .الأهمّ أنّه لم يَفُت بريبوس أنّ بانون طلب من الرئيس تأدية دور ليس من شِيَمه بتاتاً: الرئيس التنفيذي البارد، المتّزن الذي عانى منذ وقت طويل.

وما زاد الطين بلةً أنّهما عجزا عن توظيف شركة محاماة لها مكتب حكومي إداري ممتاز .وعندما عاد بانون وبريبوس إلى واشنطن، كانت ثلاث شركات كبرى قد رفضت العرض .خافت كلها من مواجهة عصيان من طاقمها الشاب إن مثّلت ترامب، وخشيت من أن يذلّها ترامب علناً إن ساءت الظروف، ومن ألاّ يسدّد فاتورته.

في النهاية، ردّت تسع شركات كبيرة طلبهم.

الفصل الثامن عشر

عودة بانون

عاد بانون، بحسب جماعته .وقد قال بانون بنفسه» :أنا بخير، أنا بخير . لقد عدت .قلت له ذلك .قلت له ألّا يطرد رئيس الشرطة الفيدرالية .لكنّ العباقرة هنا عارضوني الرأي.«

هل عاد بانون؟ هذا ما سأله القسم القلِق الآخر من البيت الأبيض :جاريد وإيفانكا، دينا باول، غاري كوهن، هوب هيكس، هـ.ر .ماكماستر.

إن عاد، فهذا يعني أنّه نجح في تحدي شعار فريق ترامب التنظيمي :بالأسرة تنتصر دائماً .لم يوقف ستيف بانون هجومه الشفهي العلني على جاريد وإيفانكا، حتى وهو في منفاه الداخلي .فأصبح كلامه غير الرسمي رسمياً وفعالاً .

ومن بين بعض الاستنكارات المرّة والمضحكة أحياناً لفطنة الثنائي وذكائهما وحوافزهما» :يعتقدان أنهما يدافعان عنه، لكنّهما يدافعان دائماً عن أنفسهما.«

أعلن الآن أنّ أمرهما قد انتهى كمركز السلطة، فقد دُمّرا .إن لم يكن كذلك، فسوف يدمّران الرئيس بنصائحهما المريعة التي تخدم مصالحهما .كانت إيفانكا أسوأ من جاريد، فقال بانون عنها» :لم يكن لها أثر في الحملة .أصبحت من طاقم البيت الأبيض، فأدرك الناس عندها أنّها حمقاء .هي تملك بعض الخبرة في التسويق وقد نشرت كتاباً، لكنّها لا تعرف شيئاً عن المناخ العملي وماهية السياسة ومعناها .عندما تكتشفون هذا، سوف تفقدون الثقة بها .وبالمقابل فإن جاريد يهتم قليلاً بالسياسة ويتابع الشؤون العربية.«

بدا المحيطون بالثنائي حقّاً خائفين أكثر فأكثر مما قد يحدث إن أغضبوا المحيطين ببانون .بدوا خائفين حقاً من أن يكون أنصار بانون مجرمين.

في الرحلة إلى الرياض، تحدثت دينا باول إلى بانون بشأن تسريب يخصّها إلى موقع أخبار يساريّ .قالت له إنّها تعلم بأنّ التسريب قد جاء عبر جوليا هان، إحدى مناصرات بانون وكاتبة سابقة في موقع بريتبارت.

فقال بانون الذي سرّه الخبر» :يجب أن تكلّميها هي، لكنّها مفترسة وستهاجمك .وأعلميني بالمستجدات.«

أصبحت باول هدفاً مفضلاً بين أهداف بانون المعتادة الكثيرة .غالباً ما أُشير إليها على أنها نائب مستشار الأمن القومي؛ حتى في صحيفة النيويورك تايمز أحياناً .في الواقع، كانت نائب مستشار الأمن القومي في الشؤون

الإستراتيجية .وقد أشار بانون إلى أنّ الفرق بين الوظيفتين أشبه بالفرق بين مدير عمليات في سلسلة فنادق وبين البوّاب.

بعد عودة باول من رحلتها إلى الخارج، وراحت تخبر أصدقاءها بصراحة عن موعد رحيلها من البيت الأبيض، كي تعود إلى وظيفة في القطاع الخاص .قالت إنّ شاريل سانبورغ مثل أعلى لها.

فعلّق بانون» :رباه.«!

في 26 أيار/مايو أي قبل يوم على عودة الوفد الرئاسي من رحلةٍ خارجية، أعلنت الواشنطن بوست أنه، خلال انتقال السلطة، ناقش كوشنر والسفير الروسي سيرجي كيسلياك، بتحريض من كوشنر، احتمال إقامة الروس محطة اتصالات خاصة بين الفريق الجديد والكرملين .وذكرت الصحيفة» :أُعلِم مسؤولون أميركيون عن وجود تقارير مخابراتية .«واعتقدت جبهة جارفانكا أنّ بانون هو المصدر.

يكمن جزء من العداء الذي أصبح الآن عميقاً بين ثنائي الأسرة الأولى وحلفائهما وبين بانون وفريقه في اقتناع جارفانكا بأنّ بانون كان له دور في كثير من التقارير المتعلقة باتصال كوشنر بالروس .بعبارة أخرى، لم تكن هذه مجرد حرب سياسية داخلية، بل مبارزة حتى الموت .كي يعيش بانون، يجب تكذيب كوشنر كلّياً، والتشهير به والتحقيق معه، بل سجنه.

أكّد الجميع لبانون أن من المستحيل أن ينتصر على أسرة ترامب، فلم يحاول إخفاء إيمانه الراسخ بأنّه سيتغلّب عليها .وقد عمد بانون في المكتب

البيضاوي إلى مهاجمة ابنة الرئيس أمام والدها مشيراً إليها على مرأى منه، قائلاً: »أنت كاذبة لعينة .«لكنّ تذمُّر إيفانكا المرير لوالدها، الذي قلّل من قدر بانون في السابق لم يحظ باهتمام ترامب، الذي خاطبها قائلاً» :قلتُ لك إنّ هذا عمل صعب يا حبيبتي.«

***

لقد عاد بانون، لكن معنى عودته لم يكن واضحاً بتاتاً بعد .ذلك أن تصرفات ترامب غير متوقَّعة، وترامب هو ترامب، فهل تعني هذه العودة إعادة تأهيل فعلية له؟ أم أنه شعر بضغينة أعمق حيال بانون بعد تخطيه نيّته الأولية بالقضاء عليه؟ لا يعتقد أحد أنّ ترامب قد نسي، بل على العكس فقد أطال ترامب التفكير في المسألة .وقد فسّر الأمر سام نانبرغ، الذي كان من قبل ضمن دائرة ترامب الداخلية ثم طُرِح خارجاً، قائلاً» :أحد أسوأ الأمور أن يعتقد ترامب أنّكم نجحتم على حسابه .إن اعتبر نصركم خسارةً له، فليكن اللّه بعونكم.«

أمّا بانون، فاعتقد أنّه عاد لأنّ نصائحه بدت أفضل كثيراً من نصائح »العباقرة «في نقطة محورية .ذلك أن جبهة جارفانكا التي تدّعي حل المشكلات جميعاً، قد طرحت حلّاً بطرد كومي أدّى إلى سلسلةٍ من العواقب الوخيمة.

اعتقدت جبهة جارفانكا أنّ بانون يبتزّ الرئيس .فمع رحيل بانون، رحل معه خبث الإعلام الرقمي اليميني .وبالرغم من هوس الرئيس الظاهر» بالأخبار الملفقة «التي نشرتها النيويورك تايمز والواشنطن بوست والسي.أن.أن، إلاّ أنّ خطر الأخبار الملفقة الحقيقي كان أكبر من جهة اليمين .ومع أنّه لم يتّهم يوماً فوكس وبريتبارت ومحطات أخرى بأنّها تنشر أخباراً ملفقة، فقد اعتقد أنها أكثر

خطورةً بكثير من مثيلاتها اليسارية، ذلك أنها قد تنشر أخباراً عن مؤامراتٍ يبدو فيها ترامب ضعيفاً وقد باع نفسه للنظام القوي.

اعتُبر بانون أيضاً أنّه يُصلح خطأ بيروقراطياً سابقاً .فقد كان في البدء راضياً بأن يكون هو الرأس المدبر للعملية، وواثقاً بأنّه أذكى من الباقين)وبالفعل، قلائل من حاولوا تحدّيه على هذا اللقب(، من دون فريق عمل حوله . أمّا الآن، فراح يرسّخ مكانة منظمته ومواليه .فشكّل طاقم اتصالاته الذي لا تدخل نفقاته في ميزانية محدّدة، والمؤلف من بوسي، وليفاندوفسكي، وجايسون ميلر، وسام نانبرغ) مع أنّه كان خارج دائرة ترامب منذ وقتٍ طويل (وإلكسندرا بريت، جيشاً خاصاً جداً من المسرّبين والمدافعين .علاوةً على هذا، انتهى انقطاع العلاقات الودية بين بانون وبريبوس بفضل كرههما المتبادل لجاريد وإيفانكا . فاتّحد البيت الأبيض المحترف بوجه هواة أسرة البيت الأبيض.

وممّا زاد من أفضلية البيروقراطية الجديدة لبانون، التأثير الأكبر الذي كان من حصّته في طاقم الجدار الناري الجديد، المؤلف من المحامين وفريق الاتصالات الذين سيصبحون مجتمعين بمثابة لاني ديفيس في الدفاع عن ترامب .عجز بانون عن توظيف مواهب راقية، فلجأ إلى واحد من محامي الرئيس البارعين القدماء، هو مارك كاسويتز .كان بانون قد تقرّب سابقاً من كاسويتز، عندما اهتمّ المحامي بسلسلة من المشكلات المنهكة خلال الحملة، بما فيها التعامل مع عدد هائل من الادعاءات والتهديدات الفتاكة من لائحة متزايدة من النساء اللواتي اتّهمن ترامب بالتحرش بهنّ.

في 31 أيار/مايو، سرى مفعول خطة جدار بانون الناري .من الآن فصاعداً، راح فريق كاسويتز يهتمّ بكل النقاشات المتعلقة بروسيا ومولر وتحقيق الكونغرس والمسائل القانونية الأخرى .فوصف بانون الخطة بأنّها لن تدع الرئيس يعالج أيّاً من هذه الموضوعات، وقد حثّ بانون ترامب على الابتعاد عن هذه القضايا .كان هذا من آخِر المساعي الجمّة لدفع ترامب كي يتحلّى بسلوك رئاسي.

بعد ذلك عيّن بانون مارك كورالو، وهو فرد من طاقم كارل روف الإعلامي، كناطق باسم جدار الحماية الناري .كان ينوي أيضاً تعيين بوسي وليفاندوفسكي ضمن فريق إدارة الأزمات .وبتشجيع حثيث من بانون، حاول كاسويتز عزل الرئيس أكثر عبر إعطاء عميله نصيحة مهمة، هي :إبعاد الطفلين عنه.

عاد بانون بالفعل .كان ذاك هو فريقه .فريقه الذي شكّل جداراً حول الرئيس .جداراً كان يأمل أن يمنع دخول جارفانكا.

تعزّزت لحظة عودة بانون الرسمية بإنجاز عظيم .في 1 حزيران/يونيو، وبعد نقاش داخليّ مرير ومطوّل، أعلن الرئيس قراره بالانسحاب من اتفاق باريس للمناخ .كان هذا بنظر بانون صفعةً مُرضيةً على وجه الاستقامة الليبرالية، حيث استقال إيلون ماسك وبوب إيغر فوراً من فريق مستشاري أعمال ترامب؛ كما اعتبر بانون أن ما حدث تأكيد لغرائز ترامب الحقيقية والداعمة لآراء بانون.

كانت هذه كذلك أكثر الخطوات التي حاربت إيفانكا ترامب ضدها في البيت الأبيض.

فقال بانون» :لقد نجحتُ، وماتت الساقطة.«

***

ما من متغيرات سياسية حديثة أكثر تعطيلاً من مدّعٍ عام متفانٍ .إنّه العامل المفاجئ الأقصى.

يعني وجود المدعي العام أنّ المسألة الخاضعة للتحقيق، ولاسيما المسائل التي تتصاعد أحداثها، سوف تستقطب تركيز الإعلام عليها بشكل متواصل .ويعدّ المدّعون العامّون مسرحهم العام الخاص بهم، ويقومون مقام مسرّبين أكيدين.

ما يعني أنّ على الجميع في حلقة متوسّعة أن يوكّلوا محامين .فحتى التورط العرَضي قد يكلّف مئات الآلاف من الدولارات؛ بينما تبلغ نفقات التورط المركزي الملايين.

في مطلع الصيف، احتدمت سوق المحامين الجنائيين البارزين في واشنطن . وبينما سرى تحقيق مولر، هرع طاقم البيت الأبيض مذعوراً لتوكيل شركة المحاماة الفضلى قبل أن يوكّلها شخص غيرهم، ويخلق نزاعاً.

بعد ثلاثة أشهر على طردها من البيت الأبيض، وبنصيحة من محاميها الجديد، صرّحت كايتي والش» :لا أستطيع الكلام على روسيا، لا شيء، لا أستطيع التطرق إلى هذا الموضوع.«

قد تعرّضكم أي مقابلات أو شهادات مقدَّمة إلى المحقّق للخطر .بالإضافة إلى هذا، يترافق كل يوم في البيت الأبيض مع أخطار جديدة :فقد تُكشَفون أكثر في أي اجتماع عشوائي تحضرونه.

استمرّ بانون في الإصرار على الأهمية البالغة لهذه النقطة بشكلٍ عام، وأهمّيتها الإستراتيجية بنظره .فإذا أردتم ألاّ يحقّق الكونغرس معكم وألّا تتعرّض مِهَنكم وأموالكم للخطر، فاحذروا الكلام مع أي يكن .والأهم من ذلك :إياكم أن تتكلّموا مع جاريد أو إيفانكا، مهما تكن الظروف، فهما سمّ روسيّ .كانت هذه فضيلة بانون وأفضليته اللتين أعلن عنهما بشكل واسع» :لم أزُر يوماً روسيا .لا أعرف أي شخص من روسيا .لم أكلّم أي أشخاص روس قط .وأفضّل ألاّ أتكلّم مع شخص يعرف الروس.«

راقب بانون مايك بنس البائس في عدد من» الاجتماعات الخاطئة«، وأسهم في تعيين العميل الجمهوري نيك أيرز ككبير مستشاري بنس، كي يخرج» الشاب غير المرغوب فيه «من البيت الأبيض، و»يجول العالم ويبدو فعلاً كنائب رئيس.«

بعد المخاوف والتعطيل، أصبح الجميع مقتنعاً بالنتيجة شبه المؤكدة التي تفيد بأنّ مدعياً عاماً محدداً موكّلاً بإيجاد جريمة سيجد حتماً جريمةً، وعلى الأرجح أكثر من جريمة .أصبح الجميع عملاء سياسيين لتوريط الآخرين، على أمل أن تتهاوى قطع الدومينو وتنهار الأهداف.

بول مانافورت الذي جنى رزقه من الثغرات المالية الدولية، احتسب المخاطر معتمداً على أن احتمال وضع مموّل خاص غير بارزٍ أمام التحقيق هو احتمال ضعيف ومستبعد؛ لكنّه في الواقع أصبح هو نفسه خاضعاً لفحصٍ مجهريّ .عدوّه اللدود، أوليغ ديريباسكا، الذي كان قد أقام دعوى قضائية ضد مانافورت بقيمة 17 مليون دولار، والذي يسعى وراء معاملة حسنة من السلطات الفيدرالية التي حدّت من سفره إلى الولايات المتحدة، قيل إنّه قدّم إلى المدّعين

العامين الأميركيين نتائج تحقيقه العميق في علاقات مانافورت بالروس والأوكرانيين.

فجأةً، تنبّه توم باراك، الذي اطّلع على أفكار الرئيس وتاريخه المالي، إلى العواقب المحتملة لعلاقاته .فكل أصدقاء المليارديرالذين كلّمهم ترامب عبر الهاتف وثرثر معهم وتذمّر لهم يمكن أن يكونوا شهوداً محتملين.

أثبت الماضي أن إجبار الإدارات على التعاطي مع مدَّعٍ خاصّ معيّن للتحقيق والادعاء بمسائل قد ترتبط بالرئيس، يجعلها تنوء تحت ثقل ما يتطلّبه الأمر من جهود .وغالباً ما تنقسم بالنتيجة ولايات هذه الإدارات إلى ما» قبل التحقيق «وما »بعد التحقيق«، علماً أن فترة» ما بعد التحقيق «غالباً ما تكون عبارة عن مسلسلٍ من التحقيقات السرية .لكن بدا الآن أنّ فترة» ما بعد التحقيق « ستشكّل إدارة ترامب بكاملها.

إن فكرة التواطؤ الرسمي والمؤامرة الداهية، كما وهي الفكرة التي آمن الإعلام والديمقراطيون بتلهفٍ بصحّتها، أو التي أملوا أن تشكّل حقيقة ما حدث بين ترامب والروس، بدت مستبعدةً بالنسبة إلى جميع طاقم البيت الأبيض .)أصبح تعليق بانون على أنّ حملة ترامب لم تكن منظمةً كفايةً للتواطؤ مع المنظمات الرسمية الخاصة بها، موضوع الحديث المفضل لدى الجميع، لأنّ هذا التعليق صحيح .(لكنّ أحداً لم يؤكد الصفقات الجانبية والعمليات المستقلّة والمعلومات التافهة التي يتلقّاها المدعي العام يومياً، والتي شكّلت مخلفات متملّقي ترامب .واعتقد الجميع أنّ التحقيق سيطال أسرة ترامب والبيت الأبيض، بمجرّد أن يتناول السلسلة الطويلة من صفقات ترامب المالية.

ثم أتى تأكيد الرئيس وإصراره على أنّه قادر على التصرف .كان يقول: »بوسعي طرده .«بالفعل، هذه إحدى جُمله المتكررة» :بوسعي طرده .بوسعي طرده .«مولر، وفكرة المواجهة، التي ينتصر فيها الأقوى والأكثر عزماً والأكثر عناداً والأقل اهتماماً بالعواقب، فكرة مركزية في معتقدات ترامب الشخصية. لقد عاش في عالم مواجهات، حيث لا أهمية مركزية للكرامة والاحترام وحيث يحظى المرء بالأفضلية فقط إذا لم يهتم أو يسعَ ليبدوَ كشخصٍ محترمٍ وعقلاني. إن اعتبرتم المسألة شخصيةً، وآمنتم بأنّ النتيجة ستكون قاتلاً أم مقتولاً ولاسيما في الصراعات الأساسية، فمن المستبعد أن تلتقوا شخصاً مستعداً لجعل المسألة شخصيةً بقدركم.

كانت هذه النظرة الجوهرية التي امتلكها بانون حول ترامب :يجعل كل شيء شخصياً، ولم يكن في استطاعته غير ذلك.

***

نصح الجميعُ الرئيسَ بالعدول عن تركيز غضبه على مولر) على الأقل، في الوقت الراهن(، فركّز على سيشنز.

كان سيشنز، واسمه الأوسط بورغارد، حليفاً مقرّباً من بانون .وفي أيار/مايو وحزيران/يونيو، وفّرت تعليقات الرئيس الساخرة شبه اليومية على المدعي العام بانون والتي تتضمن نقداً لاذعاً لقامته وصوته وملابسه، فضلاً عن ولائه وعزمه، خبراً ساراً مفاجئاً للجبهة المعادية لبانون داخل البيت الأبيض .فجادلت تلك الجبهة بأنّ بانون لن يتمكّن من أداء دورٍ قيادي إن ألقِي اللوم الآن على وكيله الأساسي بشأن كل الأمور السيئة في حياة ترامب .كالعادة، كان احترام ترامب أو

ازدراؤه مُعدِيين .إن أيّدتموه أيّدتم كل من ارتبط به وما ارتبط .وإن لم تؤيّدوه، فكل ما يرتبط بكم سامّ.

استمرّت وحشية تذمّر ترامب في التصاعد .فقد سخر الرئيس بمرارة من سيشنز، ناعتاً إياه بأنه قصير كالسيد، وذو لكنة جنوبية تقليدية .ورسم عنه صورةً حاقدةً للضعف الجسدي والعقلي .وهكذا تدفّق سيل الإهانات من المكتب البيضاوي .كان بإمكان كل من يمرّ في المكتب البيضاوي سماع تلك الإهانات الموجّهة لسيشنز.

أخفقت مساعي بانون بتهدئة الرئيس .فقد ذكّر ترامب بالصعوبات التي سيواجهونها في حال تحديد جلسة استماعٍ ثانية، وبأهمية سيشنز في نظر القاعدة المحافظة، وبالولاء الذي أبداه خلال حملة ترامب، لكن محاولات بانون انقلبت عليه .وقد سُرّت الجهة المعادية لبانون بأنّ هذه المساعي قد أدّت إلى جولة انتقاداتٍ أخرى لبانون على لسان الرئيس.

أصبح الهجوم على سيشنز الآن، على الأقل في رأي الرئيس، وسيلة القتال الأولى في مسعى ناشط لاستبدال سيشنز كمدّع عام .لكنْ ثمة مرشحان فقط قادران على إدارة وزارة العدل، اعتقد ترامب أنّه سيحظى بولائهما المطلق، هما: كريس كريستي ورودي جولياني .اعتقد أنّ كلّاً منهما مستعد للقيام بعمليات انتحارية إكراماً له .وقد عرف الجميع أنّهما بصورة شبه مؤكّدة لن يصلا.

***

مع اقتراب موعد شهادة جيمس كومي أمام لجنة مخابرات مجلس الشيوخ- بتاريخ 8 حزيران/يونيو، أي بعد 12 يوماً من عودة الوفد الرئاسي من الرحلة الطويلة إلى الشرق الأوسط وأوروبا، بدأ كبار أفراد الطاقم يتساءلون بصورة شبه علنية عن دوافع ترامب وحالته الذهنية.

يبدو أنّ هذه التساؤلات قد حفّزها سؤال بديهي :لمَ لَم يطرد كومي في الأيام الأولى من تسلّمه الرئاسة، عندما كان ذلك يُعدّ تغييراً طبيعياً للطاقم من دون علاقة واضحة بالتحقيق الروسي؟ كثرت الإجابات المبهمة :انعدام القدرة على التنظيم بشكلٍ عام، سرعة جريان الأحداث، وحس حقيقي بالجهل والسذاجة بشأن التُهم الروسية .لكن يبدو أنّ ثمة فهماً جديداً ساد الآن :اعتقد دونالد ترامب أنّه يملك قدرةً وسلطةً وسيطرةً أكثر من الواقع، واعتقد أنّ موهبته في التلاعب بالناس والهيمنة عليهم أكبر مما هي عليه .وإذا أكملنا التحليل بمنطقٍ مشابه، نخلص إلى الآتي :اعتقد كبار أفراد الطاقم أنّ الرئيس يواجه مشكلةً مع الواقع، وأنّ الواقع بدأ يغمره.

إذا صحّت هذه الفكرة، فهي تعارض مباشرةً الفرضية الأساسية للدعم الذي تلقّاه ترامب من طاقمه .فمن ناحية، اعتقدوا أنّه يتمتّع بقدرات شبه سحرية لم يشكّكوا فيها عن كثب .وبما أنّ فوزه لم يكن قابلاً للتفسير، فلا بد من أنّه يملك مواهب تتخطّى فهمهم :غرائزه أو موهبته بالإقناع أو طاقته، أو مجرد كونه نقيض ما يُفترض به أن يكون .هذه سياسة خارجة عن المعتاد، سياسة تصدم النظام؛ لكنّها قد تفلح.

لكن ماذا إذا لم تفلح؟ ماذا إذا كانوا كلهم مخطئين؟

أدى تحقيق مولر وطرد كومي إلى تعليق ساعة الحساب وتأخيرها، لكنها حانت في النهاية وأنهت أشهراً طويلة من الانتظار .لم تكن هذه الاعتبارات المفاجئة في أرفع مستويات الحكومة، قد أثّرت بعد على قدرة الرئيس على تأدية وظيفته بشكل ملائم .لكنها أدّت، للمرة الأولى في الأحاديث العلنية، إلى اعتبار أن الرئيس يمكن أن يؤثّر بنفسه سلباً في قدرته على تأدية وظيفته بشكل ملائم .ومع أنّ هذه المعلومات كانت مخيفة جداً، فإنها عَنَت أيضاً أن بإمكانه أن يؤدي مهمّته بنجاح، في حال تمّت السيطرة بحذر على عناصر التخريب الذاتي، وهي: معلوماته، جهات اتصاله، تعليقاته العامة، والشعور المهيمن بأنه تحت التهديد وبأن ثمة خطراً يُحدق به.

فجأةً، أصبحت الرؤيةَ المهيمنة على رئاسة ترامب والفرصة التي لا تزال تناديه تتلخّص في القول :قد ينقذك من حولك أو قد يقضون عليك.

آمن بانون بأنّ رئاسة ترامب ستخفق إخفاقاً شبه كارثيّ، إذا بقي كوشنر وزوجته أوسع مستشاري ترامب نفوذاً .فسبق أن عرقلت قلة خبرتهما السياسية العملية الرئاسية .لكن منذ كارثة كومي، راح الوضع يسوء أكثر :برأي بانون، بدآ الآن يتصرّفان مدفوعين بذعرٍ شخصي.

آمنت جبهة كوشنر بأنّ بانون، أو سياسته بشكلٍ أدق، قد دفعت الرئيس إلى قسوة قوّضت قدراته الطبيعية على الإقناع والسحر وإيصال رسالته .فقد حوّله بانون وفريقه إلى وحشٍ أكثر فأكثر.

في هذا الوقت، اعتقد الجميع تقريباً أنّ جزءاً كبيراً من المسؤولية يقع على عاتق راينس بريبوس، الذي أخفق في بناء بيت أبيض يحمي الرئيس من نفسه، أو

من بانون، أو من أطفاله .في الوقت عينه، كان الإيمان بأنّ المشكلة الجوهرية تقبع في أن بريبوس كبش فداء سهل، بل مثير للضحك .لقد عجز كبير المستشارين بكل بساطة عن توجيه ترامب أو المحيطين به، لأنّه لم يملك سوى سلطة محدودة .يستطيع بريبوس أن يجادل، من دون أن يستفيد كثيراً، في أن أحداً لا يستطيع أن يقدّر حتى السوء الذي كان يمكن أن تؤول إليه الأمور لولا وساطته المضنية بين أقارب الرئيس ومستغلّيه وغرائزه المريعة .ربما وقعت كارثتان أو ثلاث في اليوم، لكن لولا عزم بريبوس ورزانته وضربات ترامب التي امتّصها، لوقعت عشرات الكوارث الإضافية.

***

في 8 حزيران/يونيو، بين الساعة العاشرة صباحاً والساعة الواحدة بعد الظهر تقريباً، أدلى جيمس كومي بشهادته علناً أمام لجنة مخابرات مجلس الشيوخ .جاءت شهادة رئيس الشرطة الفيدرالية السابق، التي كانت مثالاً بارعاً على الصراحة والاستقامة الأخلاقية والشرف الشخصي والأدلة الدافعة بتفاصيلها، لتقدّم رسالةً واضحةً إلى البلاد :الرئيس أبله على الأرجح، وكاذب بكل تأكيد .في عصر كياسة الإعلام الحديث، قلائل هم الرؤساء الذين واجهوا كمّ التحدي والاعتراضات التي واجهها هو أمام الكونغرس.

ها هي الحقيقة، كما وردت في شهادة كومي الفاضحة :يعتبر ترامب أنّ مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي) أف.بي.أي (.يعمل مباشرةً لصالحه، ويدين

له بوظيفته، وبالتالي فإنه يريد منه معروفاً الآن .قال كومي» :يشير المنطق، وأكرّر أنّني قد أكون مخطئاً، إلى أنّه أراد الحصول على شيء مقابل إبقائي في منصبي.«

بحسب قول كومي، أراد الرئيس من الشرطة الفيدرالية أن تطرد مايكل فلين .وأراد من الشرطة الفيدرالية الكف عن متابعة تحقيقها المتعلق بروسيا . هذا أوضح ما يكون :إن ضغط ترامب على كومي ناجم عن أنه خشي من أن يضرّ به تحقيق مايكل فلين، فهذه عرقلة لمسار العدالة.

عبّر التباين بين الرجلين، كومي وترامب، عن التباين بين الحكومة الصالحة وترامب بذاته .بدا كومي دقيقاً ومنّظماً في أفكاره، ونيّقاً في التفاصيل التي قدّمها حول ما جرى وطبيعة مسؤوليته؛ كان مثالياً قدر المستطاع .أما ترامب، كما وصفه كومي، فكان مشبوهاً ومتهوراً وطائشاً، أو حتى غير مدرك للقواعد، ومخادعاً وأنانياً.

بعد انتهاء جلسة الاستماع، قال الرئيس للجميع إنّه لم يشاهد الجلسة، لكنّ الجميع عرفوا أنّه شاهدها .وإذا كان ترامب يرى في الأمر منافسةً بين الرجلين إلى حدّ ما، فقد كانت في الحقيقة المقارنة الأمثل والأكثر مباشرةً بينهما على الإطلاق .كان كل هدف شهادة كومي تغيير ومعارضة ما سبق أن قاله الرئيس في تغريداته وتصريحاته الغاضبة والدفاعية، وزرع الشكوك في أفعاله ودوافعه، والتلميح إلى أنّ نية الرئيس إغراء كومي لتقديم شهادة زور.

حتى بين موالي ترامب الذين آمنوا، كما آمن هو، بأنّ كومي مزيف، وأنّ كل العملية مدبّرة، ساد شعور بأنّ ترامب أعزل في هذه اللعبة الفتاكة.

***

بعد خمسة أيام، أي في 13 حزيران/يونيو، حان دور شهادة جيف سيشنز أمام لجنة مخابرات مجلس الشيوخ .قضت مهمته بمحاولة تفسير اتصالاته بالسفير الروسي، الاتصالات التي جعلته لاحقاً يتنحّى، وحوّلته إلى هدف لسخرية الرئيس .بعكس كومي الذي دُعي إلى مجلس الشيوخ للتباهي بفضائله، والذي استغلّ الفرصة، دُعي سيشنز للدفاع عن غموضه وخداعه، أو عن حماقته.

في حديث شرسٍ، قدّم المدعي العام نظرةً غريبة عن امتيازات السلطة التنفيذية .ومع أنّ الرئيس لم يستثِر موضوع امتيازات السلطة التنفيذية، فإنّ سيشنز وجد من الملائم أن يحاول حمايتها.

سرعان ما أحبِط بانون الذي رأى الشهادة من الجناح الغربي، وقال» :هيا يا بورغارد.«

جلس بانون، الذي لم يحلق لحيته، عند طرف طاولة المؤتمرات الخشبية الطويلة في مكتب كبير المستشارين، وركّز بشدة في الشاشة المسطحة أمامه.

وقال» :اعتقدوا أنّ اللاقوميّين سيفرحان إذا طردنا كومي«، في إشارة منه إلى جاريد وإيفانكا .وتابع» :أنهما سيهلّلان لطردنا الرجل الذي أطاح بهيلاري .« بينما اعتبر الرئيس أنّ سيشنز سبب فوضى كومي، اعتبره بانون ضحيتها.

دخل كوشنر الرشيق الغرفة، مرتدياً بدلةً رماديةً ضيقةً مع ربطة عنق سوداء ضيقة) .انتشرت مؤخراً مزحةٌ تفيد بأن كوشنر هو الرجل الأكثر أناقةً في واشنطن، ولم يكن هدف هذه المزحة مدحه بل على العكس .(بدا من حين إلى

آخر أنّ النزاع على السلطة بين بانون وكوشنر قد أصبح ملموساً .ونادراً ما تغيّر سلوك بانون، لكنّ كوشنر كان حيناً مشاكساً ومتعجرفاً ورافضاً، وحيناً آخر، كما في تلك اللحظات، متردّداً وخجولاً ومبدياً كلّ احترام.

تجاهل بانون كوشنر إلى أن تنحنح الشاب، وقال» :كيف الحال؟.«

أشار بانون إلى التلفاز، وكأنّه يقول» :انظر بنفسك.«

أخيراً، تكلّم بانون قائلاً» :لا يدركون أنّ هذه مسألة مؤسسات وليست مسألة أفراد.«

يبدو أنّه كان يعني جبهة جارفانكا، أو مجموعة أكبر مؤلفةً من كل الذين وقفوا إلى جانب ترامب من دون تفكير.

ثم أكمل بانون» :هذه مدينة مؤسسات .نطرد رئيس الشرطة الفيدرالية والشرطة الفيدرالية كلها .ترامب رجل ضد المؤسسات، والمؤسسات تعلم بذلك . كيف سيجري هذا برأيك؟.«

كان هذا اختزالاً لإحدى أفكار بانون المفضلة :خلال الحملة، هدّد دونالد ترامب عملياً كل المؤسسات المعنيّة بالحياة السياسية الأميركية .كان عبارةً عن نسخة سخيفة وغبيّة من جيمي ستيوارت، في فِلم» السيد سميث يذهب إلى واشنطن .(Mr. Smith Goes to Washington) «اعتقد ترامب أنّ رجلاً واحداً قد يكون أعظم من النظام، ما أثار حفيظة الأميركيين العريقين وسخطهم .وقد افترض تحليلُه هذا أن مؤسسات الحياة السياسية تستجيب بالقدر والسرعة أنفسهما اللذين تستجيب بهما المؤسسات التجارية التي أتى منها ترامب، وأنّها

توّاقة إلى تلبية السوق وإيجاد روح العصر .لكن ماذا لو لم تكن تلك المؤسسات توّاقة فعلاً إلى التكيّف؟ الإعلام، والقضاء، والمخابرات، والسلطة التنفيذية العليا بذاتها، ومستنقع شركات المحاماة، والمستشارين، ومستغلّي النفوذ والمسرّبين .إذا كان مقدّراً لتلك المؤسسات أن تدوم، فقد قرّر الرئيس العرضيّ أن يقف في وجهها.

لم يبدُ كوشنر مقتنعاً، فقال» :لا أرى المسألة من هذا المنظور.«

فردّ بانون متجاهلاً كوشنر» :أعتقد أنّ هذا هو الدرس الذي تلقّنه الناس هنا من الأيام المئة الأولى .لن يتحسّن الوضع .هذا هو الواقع.«

أجاب كوشنر» :لا أعلم.«

فردّ بانون» :إذاً اعلم.«

فقال كوشنر» :أعتقد أنّ سيشنز يبلي بلاءً حسناً، ألا تظنّ ذلك؟.«

الفصل التاسع عشر

مايك مَن؟

سعى الإعلام إلى استجلاء مكامن القوة والضعف لدى دونالد ترامب، لكن قلّة في الإعلام تمكّنت من ذلك بشكلٍ مباشر وشخصي، كما فعل جو سكاربورو وميكا بريجنسكي .فالبرنامج الصباحي» مورنينغ جو «الذي يقدّمانه عبر شبكة إم .إس .إن .بي .سي كان عبارة عن دراما متواصلة على طريقة المسلسلات الطويلة أو ربما على طريقة أوبرا) وينفري (عن علاقتهما بترامب :كيف خيّب آمالهما، وإلى أي حدّ تراجع احترامهما الأساسي له، وكيف أحرج نفسه دوماً على نحو مثير للشفقة .فالرابط الذي كان يجمعه بهما فيما مضى، وقد صاغته الشهرة المتبادلة وحسّ فذ مشترك بالسياسة) بدا أن سكاربورو، النائب السابق في الكونغرس، يشعر على نحو مبرّر لديه بوجوب أن يكون رئيساً، على قدر ما

شعر به دونالد ترامب(؛ هذا الرابط كان قد ميّز البرنامج خلال الحملة الانتخابية؛ لكنّ تدهوره علناً اليوم قد أصبح جزءاً من دورة الأخبار اليومية . عمد سكاربورو وبريجنسكي إلى نصحه، ونقلا مخاوف أصدقائه وأسرته .وبّخاه، وأعربا علناً عن قلقهما عليه .فهو يتلقى المشورة الخطأ) من بانون(، كما أن قواه العقلية تتدهور هي الأخرى .حاولا الزعم بأنهما يمثلان يمين الوسط بوصفه البديل المعقول للرئيس، وكانا بالفعل مقياساً جيّداً لجهود يمين الوسط الهادفة إلى التعامل معه، وللصعوبات اليومية التي يعانيها يمين الوسط في التعايش معه.

اعتقد ترامب أن سكاربورو وبريجنسكي قد استغلاه وأساءا معاملته؛ فادعى أنه قد توقف عن مشاهدة البرنامج .لكن هوب هيكس كانت كل يوم، تضطر وهي مرتعبة، إلى إعادة إخباره بمحتواه.

كان برنامج مورنينغ جو، بمثابة الدراسة الأساسية للطريقة التي بالغ فيها الإعلام في استغلال ترامب .كان ترامب الحوت الذي انبرى الإعلام إلى تغطية انفعالاته، واعتداده بنفسه، وغروره، وحبّه للصدام، وامتهانه خوض المنافسة، والرغبة في أن يكون محور القصة، بهوس شديد .وفي نظرة معاكسة، كان الإعلام، بالنسبة إلى ترامب، هو الحوت نفسه، ويؤدّي الوظيفة ذاتها.

وأضاف ترامب إلى ذلك تشنّجاً لا إرادياً آخر، إحساساً رافقه طوال حياته بأن الناس يستفيدون منه باستمرار على نحو غير منصف .وربما جاء ذلك من بخل والده وافتقاره إلى السخاء، أو من إدراكه لنفسه بأنه فتى ثري) وما يولّد له ذلك من مخاوف، بلا شك(، أو من إدراكه العميق كمفاوضٍ) في الأعمال (بعدم وجود صفقة مربحة لجميع الأطراف، وبأن حدوث ربح يعني حدوث خسارة .ولا

يمكن لترامب ببساطة تحمّل فكرة أن يُدعم أحدهم ليتقدّم على حسابه .إنّه بمثابة نظام متفرّد لا مكاسب فيه للغير .فكل ما يُعتبر ذا قيمة، في عالم ترامب، إما يعود إليه، وإما قد سُرق منه.

كان سكاربورو وبريجنسكي قد استغلا علاقتهما بترامب وأفادا منها بالكثير من المال، من دون أن يضعا أي نسبة مئوية في جيبه، وقد شدّد، في هذه الحالة، على وجوب أن تُراعى عمولته حتماً بطريقة خاصة .ولا يكفي القول إن ذلك قاده إلى الجنون .فقد استرسل في التحدث عمّا رأى أنه ظلم وركّز عليه .لا تأتوا على ذكر جو أو ميكا أمامه، كان ذلك هو المحظور دائماً.

إن مشاعره المجروحة وعدم استيعابه لفشل الأشخاص الذين سعى إلى تقبّلهم، وكسْب قبولهم في المقابل، كانت مشاعر» عميقة، عميقة بشكل جنوني«، على ما قاله مساعده السابق سام نانبرغ الذي كان قد ذُهِل بحاجته إلى قبوله قبولاً تاماً، وارتيابه المرير من أنّه يُستغل.

***

وجاءت تغريدته في 29 حزيران/يونيو عن ميكا بريجنسكي بدافع من هذا الغضب المتراكم.

كان هذا ترامب الذي عهدناه :لا مصالحة بين اللغة غير المخصّصة للنشر والتصريح العلني .وقد أشار في إحدى التغريدات إلى» ميكا المجنونة ذات معدل الذكاء المنخفض«، ليكتب في تغريدة أخرى أنها كانت» تنزف بشدة جرّاء عملية لشد الوجه «وذلك عندما جاءت هي وسكاربورو لزيارته في مارآلاغو ليلة رأس

السنة السابقة .ولم يكن الكثير من تغريداته، كما قد يبدو، كلاماً عفوياً، بل كان كلاماً مدروساً .غالباً ما بدأت خلافات ترامب أشبه بكوميديا من الإهانات، وتبلورت لتتحول إلى اتهامات مريرة؛ لتصير في لحظة لا يمكن احتواؤها، تصريحاً رسمياً، مِن ثمّ.

كانت المرحلة التالية، في مخطّط تغريداته النموذجي، هي الاستنكار الليبرالي العالمي .وأعقب تغريداته المسيئة لبريجنسكي أسبوعٌ من فورة الغضب في وسائل التواصل الاجتماعي، ومن الاستهجان الشديد في الفضائيات، ومن تنديدات في الصفحات الأولى للصحف، تعقبها تغريداته عن بريجنسكي .وكان ذلك يترافق مع الجزء الآخر من دينامية تغريد ترامب :فهو، بتوحيد الرأي العام الليبرالي ضده، وحّد نقيضه لصالحه.

والحقيقة أنه لم يكن في الغالب يعلم بطبيعة ما قد قاله، ولا مدركاً تماماً سبب حدوث مثل ردّ الفعل الشديد هذا عليه .وكثيراً ما كان يُفاجئ بحدّ ذاته . ويسأل بعد تلقّيه رد فعل سلبيّاً قاسياً» .ما الذي قلته؟.«

لم يكن يوجّه تلك الشتائم بهدف إحداث تأثير .ولم يكن سلوكه محسوباً على نحو جيد؛ كان الأمر بمثابة» واحدة بواحدة .«ومن المرجح أنه كان سيقول ما قد قاله حتى ولو لم يقف شخص إلى جانبه) .كان غياب التقدير، وعجزه عن أن يكون سياسياً، جزءاً من سحره السياسي .(وكان من حسن حظه أن 35% من أنصاره لم ينزعجوا، بل إن كل تعبير جديد عن» الترامبوية «ربّما رفع معنوياتهم . وتلك هي النسبة الدائمة من الأشخاص الذين تشير معظم إحصاءات الرأي، إلى

أنهم يؤيدونه مهما فعل) والذين، وفق تقديره، سيتركونه ينجو بفعلته حتى لو أنه أطلق النار على أحدهم في الجادة الخامسة.(

أما وقد عبّر ترامب عن نفسه وكانت له الكلمة الأخيرة، فكان يعاود الابتهاج.

»ميكا وجو يحبان ذلك تماماً .إنه يعطيهما نسبة مشاهدة كبيرة«، قالها الرئيس بنوعٍ من الرضى والاقتناع الجلي.

***

بعد ذلك بعشرة أيام، كان عدد من أنصار بانون يتناولون العشاء إلى مائدة كبيرة في بومباي كلوب، وهو مطعم هندي راق على بُعد تجمُّعَين للمباني من البيت الأبيض .طرح أحد أفراد المجموعة، وهو آرثور شوارتز، المستشار في العلاقات العامة، سؤالاً عن قضية ميكا وجو.

ربما كان الأمر يتعلّق بالضجيج المُثار، لكن ذلك شكّل أيضاً مقياساً مناسباً للسرعة التي تحصل فيها الأحداث في عهد ترامب :فقد أجابت مساعدة بانون، إلكسندرا بريت، بنوعٍ من التشوّش الحقيقي،» مَن؟.«

كانت أوبريت التغريدات في شأن ميكا، متضمّنة الإساءة اللفظية والفظة التي أظهرها الرئيس، وفقدانه الخطير للسيطرة والحكم على الأمور، وما ألحقه به ذلك من إدانة عالمية، قد تراجعت بالفعل كثيراً؛ وقد غطى عليها المزيد من ثورات ترامب ونزاعاته.

لكن، وقبل الانتقال إلى الحلقة التالية من» الاستغراب المفاجئ«، يجدر النظر في إمكان أن يكون هذا الكم من الأحداث الدائمة واليومية التي يغلب أن

تنطوي على أكثر حدث في اليوم، ويلغي كل منها ما قبله، هو ما يشكّل تلك المسحة من الغرابة والابتداع الجديد في صميم رئاسة ترامب.

لم يسبق في التاريخ، لا في الحروب العالمية، ولا خلال إطاحة الإمبراطوريات، أو فترات التغيير الاجتماعي الاستثنائي، أو حلقات الفضائح التي هزّت الحكومات، أن تكشّفت أحداث حياة واقعية بمثل هذا التأثير الانفعالي والتعقيد في الحبكة .ففي موضة المشاهدة الإدمانية لبرنامج تلفزيوني، تصبح حياة المرء الواقعية ثانوية جدّاً حيال الدراما العامة .ولم يكن من المفرِط القول آه .تمهّلوا قليلاً :الحياة العامة لا تجري على هذا النحو .وتفتقر الحياة العامة في الواقع إلى التماسك والدراما) .التاريخ، في المقابل، لا يبلغ التماسك والدراما إلا بالإدراك المتأخر.(

إن عملية إنجاز أصغر مجموعة من المهمات داخل السلطة التنفيذية الواسع النطاق والعصيّ، لَهي عملية تسير ببطء السلحفاة .فالعبء الملقى على البيت الأبيض هو السأم الذي تعاني منه البيروقراطية .وقد كافحت كل عهود البيت الأبيض لتجاوز ذلك، ولم تنجح إلا في ما ندر، ولمرة واحدة .كما أن عصر الوسائط الفائقة، أو وسائط المعلومات الشاملةhypermedia ، لم يسهّل الأمر على البيت الأبيض، بل زاده صعوبة.

إنها أمة مشتتة الذهن، مجزّأة، ومنشغلة .ويمكن القول إن مأساة باراك أوباما الغريبة هي أنه، على الرغم من كونه شخصيةً تحثُّ على التحوّل، وكونه مُحاوِراً مُلهِماً، لم يتمكن من استقطاب الكثير من الاهتمام .كذلك يمكن أن تكون المأساة الأساسية لوسائل الإعلام الإخبارية في أنها قديمة الطراز؛ بل إن

اعتقادها الخاطئ ذا التوجه المدني بأن السياسة هي أعلى أشكال الأخبار قد ساعد على تحويلها من أعمال شاملة إلى أعمال ضيقة النطاق .لكن وللأسف تحوّلت السياسة نفسها لتصير أكثر فأكثر أعمالاً سرّية .وتوجهها هو» أعمال لأعمال .(Business-to-business) «فالمستنقع الحقيقي هو مستنقع المصالح الانعزالية والهجينة والمحرّمة .وهذا ليس فساداً بقدر ما هو إفراط في التخصص .إنها حياة البيروقراطي .وقد مضت السياسة في اتجاه والثقافة في اتجاه آخر .وقد يدّعي المهووسون باليسار-اليمين عكس ذلك، لكن الوسط الكبير لا يضع شجون السياسة في قمة تفكيره.

ومع ذلك، وفي مخالفة لكل منطق ثقافي وإعلامي، كان دونالد ترامب ينتج يوميّاً خطاباً مدهشاً لا يمكن التوقف عن متابعته .ولم يكن ذلك بالأمر السوي إذ إنّه يعمل على تغيير أسس الحياة الأميركية أو الإخلال بها .ففي الأشهر الستة من رئاسته، وقد فشل تقريباً في إتقان كل وجه من أوجه العملية البيروقراطية، لم يحقق، عملياً، أي شيء، في ما عدا تعيين مرشحه في المحكمة العليا .ومع ذلك، يا للهول :لم يكن هناك موضوع آخر في أميركا؛ وفي معظم العالم .كانت تلك هي الطبيعة الجذرية والتحويلية لرئاسة ترامب :لقد استرعت انتباه الجميع.

لم تكن الضوضاء اليومية وافتتان العالم مصدر فرح في داخل البيت الأبيض .فوسائل الإعلام، من وجهة نظر موظفي البيت الأبيض، كانت تحوّل كل يوم لحظةً من التوتر المباغت إلى حد الذروة .وكان ذلك، بمعنى من المعاني، صحيحاً :لا يمكن لكل تطور أن يكون ذروياً .والواقع هو أن ذروة الأمس ستكون قريباً، بالمقارنة مع الذروة المقبلة، قاعاً، وتعزّز التفاوت بالأحرى .وكان الإعلام

يخفق في الحكم على الأهمية النسبية لنشاطات ترامب :فقد ذهب معظمها)وربّما ذهبت كلها (هباء .ومع ذلك استُقبلت كلها بالقدر نفسه من الصدمة والهول .واعتقد موظفو البيت الأبيض أن تغطية الإعلام لترامب قد افتقرت إلى »السياق .«عنوا بذلك أن على الناس أن يدركوا أن ترامب كان في الغالب ينفث غضبه فحسب.

وفي الوقت نفسه، كان الذين لم يلقوا اللوم على ترامب، في ذلك أيضاً، قلة في البيت الأبيض .بدا أنه يفتقر إلى أبسط الإدراك الأساسي المتمثل في أن كلام الرئيس وأفعاله سيجري، بالضرورة، تضخيمهما إلى أقصى درجة .أخفق، بمعنى ملائم ما، في فهم هذا لأنه أراد جلب الانتباه، بغض النظر عن عدد المرات التي يصيبه ذلك فيها بالخيبة .لكنه أراده أيضاً، لأن الرد كان يفاجئه المرّة تلو المرة، ولم يتمكن من تعديل سلوكه، كما لو أن كل مرة كانت هي المرة الأولى.

سقط شون سبايسر تحت وطأة الدراما اليومية، ما حوّل المهني العقلاني والدمث ذا المنحى العملي إلى بهلوان يقف عند باب البيت الأبيض .ففي تجربته اليومية الخارجة عن المألوف، كشاهد على إذلاله وعجزه عن الكلام، أدرك سبايسر، مع أنه قد بدأ يفهم هذا منذ يومه الأول في الوظيفة وهو يتعامل مع الجدل حول عدد الحضور في يوم حفل تنصيب الرئيس، أنه قد» سقط في حفرة الأرنب .«في هذا المكان المشوّش، كان قد نُبذ كل دهاء عام وتظاهر وتناسب وفطنة وإدراك للذات، أو أن ذلك جاء نتيجة أن ترامب لم ينوِ قط أن يكون رئيساً :لم يدخل في حسبانه أنه سيصبح رئيساً.

من جهة أخرى، كانت الهستيريا المستمرة تمتلك فضيلة سياسية واحدة غير مقصودة .فلو أن كل حدث جديد محا كل حدث آخر، أشبه بمخطط هرمي لدورة أخبار سخيفة، فأنت حينها ستصمد يوماً آخر.

****

وُجد ابنا دونالد ترامب، دون جونيور، 39 عاماً، وإريك،33 ، في علاقة طفولية مفروضة مع والدهما، وهو دور أحرجهما، لكنه دور امتهناه أيضاً .قضى الدور بأن يكونا وريثي دونالد ترامب وملازمين له .وقد استمتع والدهما بانتظام في الإشارة إلى أنهما كانا في خلفية الغرفة عندما وزّع اللّه العقل على الناس .لكن، ومرة أخرى، كان ترامب يميل إلى السخرية من أي شخص قد يكون أكثر ذكاء منه .وكانت شقيقتهما إيفانكا، وهي بالتأكيد ليست عبقرية بالفطرة، قد اعتُبرت الشخص الذكي في الأسرة، وزوجها جاريد المشغّل السلس للأسرة .وهو ما ترك لدون وإيريك تولي المهمات والإدارة .وكان الشقيقان قد ترعرعا في الواقع ليصبحا مديرين كفيين في شركة الأسرة) ليس إلى الحد المطلوب(، لأنه لم يكن لوالدهما في الواقع الكثير من الصبر، بل أي صبر على الإطلاق، لإدارة شركته .وقد صُرف الكثير من وقتهما المهني، بالطبع، على نزوات دونالد جون ترامب ومشروعاته، وعلى الترويج له ولأسلوب حياته العام.

كانت إحدى فوائد ترشُّح والدهما للرئاسة إبعادهما عن المناصب .ومع ذلك كانت إدارة الحملة إلى حد بعيد من مسؤوليتهما .وبالتالي عندما تحوّلت الحملة من نزوة إلى تطور جدّي، تسبّبت باضطراب في دينامية الأسرة .فقد بات أشخاص آخرون فجأة تواقين أن يكونوا مساعدي ترامب الأساسيين .كان هناك أشخاص

من الحلقة الخارجية، أمثال كوري ليفاندوفسكي، مدير الحملة .لكن كان هناك أحد الأفراد في الحلقة الداخلية، هو الصهر جاريد .وفي أمر جديد غير معهود في شركة أسرية، جعل ترامب الجميع يتنافسون لكسب رضاه .فالشركة تخصّه؛ وهي موجودة بسبب اسمه وشخصيته وسحره، وبالتالي فإن المكانة الأرفع في الشركة مخصصة لأولئك الذي يخدمونه على أفضل وجه .ولم يكن هذا القدر كله من المنافسة على هذا الدور موجوداً قبل ترشّحه للرئاسة .لكن في أوائل العام2016 ، ومع انهيار الحزب الجهوري وصعود ترامب، واجه ابناه وضعاً مهنياً وأسريّاً جديداً.

جُذب صهرهما ببطء إلى الحملة، وكان بداية بناء على إلحاح زوجته، لأن عدم قدرة والدها على ضبط النفس قد تؤثّر بالفعل في شركة ترامب، ما لم يبقوا عيناً ساهرة عليه .وكانت إثارة الحملة نفسها قد اجتذبته إليها، مع شقيقَيْ زوجته .ولما جرى تثبيت الترشيح في أواخر ربيع2016 ، باتت حملة ترامب مسرحاً لمراكز قوى متنافسة بشراسة.

نظر ليفاندوفسكي إلى كلا الشقيقين وصهرهما بازدراء شديد :فلم يكن دون جونيور وإيريك غبيين فحسب، وجاريد على بعض من الغطرسة والتزلف) كبير الخدم(، بل لم يمتلك أي منهم أيضاً مثقال ذرة من السياسة، ولم يكونوا، ثلاثتهم معاً، يمتلكون خبرة ساعة واحدة في السياسة.

مع مرور الوقت، بات ليفاندوفسكي مقرّباً بنوع خاص من المرشح .وكان، بالنسبة إلى الأسرة، وبخاصة كوشنر، محفّزاً .فقد تدفّقت أسوأ غرائز ترامب من خلال ليفاندوفسكي .وفي أوائل حزيران/يونيو، أي قبل أكثر من شهر بقليل على

المؤتمر الوطني الجمهوري، قرر جاريد وإيفانكا أن الحاجة تدعو إلى التدخل، من أجل مصلحة الحملة وشركة ترامب.

حملت القضية المشتركة دون جونيور وإيريك وجاريد وإيفانكا على تشكيل جبهة موحدة لإقناع ترامب بإطاحة ليفاندوفسكي .لكنّ دون جونيور، الذي لم يشعر بأن ليفاندوفسكي لوحده هو الذي يحشره بل جاريد أيضاً، استغل الفرصة .وهو سيدفع بليفاندوفسكي خارجاً ويحل محله .وبالفعل رحل ليفاندوفسكي بعد ذلك بعشرة أيام.

كان هذا جزءاً من خلفية اجتماع من أكثر الاجتماعات المحيّرة في السياسة الحديثة .في 9 حزيران/يونيو2016 ، اجتمع دون جونيور وجاريد وبول مانافورت في برج ترامب مع مجموعة من الأشخاص المثيرين للريبة الذين يليق بهم التمثيل في الأفلام، بعد أن تلقوا وعوداً منهم بمعلومات عن هيلاري كلينتون مضرة بها . كان دون جونيور يحاول، بتشجيع من جاريد وإيفانكا، إثارة إعجاب والده بامتلاكه ما يلزم للترقّي في الحملة.

وعندما أصبح هذا الاجتماع معروفاً على الملأ بعد ذلك بثلاثة عشر شهراً، جسّد للبيت الأبيض في عهد ترامب، قضيّتين :واحدة ضد التواطؤ مع الروس وواحدة لصالحه .ليس الموضوع قضية، أو غياب قضية، عقلاً مدبّراً ومكيدة، بل موضوع أشخاص حمقى وجاهلين على درجة كبيرة من السذاجة وعدم الاهتمام، بحيث تواطأوا بحماسة على مرأى من الجميع.

***

دخلت إلى برج ترامب في ذلك اليوم من حزيران/يونيو محامية من موسكو تتمتع بعلاقات قوية، من المرجح أنها عميلة روسية، وشركاء للثري المتنفّذ الأذربيجاني الروسي أراس أغالاروف؛ ومسوّق موسيقى أميركي يدير أعمال ابن أغالاروف، وهو نجم بوب روسي؛ وشخص تابع لجماعات ضغط الحكومة الروسية بواشنطن .كانت غايتهم من زيارة مقر حملة مرشح مفترض لحزب كبير لرئاسة الولايات المتحدة الاجتماع مع ثلاثة أشخاص يحتلون مكانة مرموقة جدّاً في الحملة .وسبقت هذا الاجتماع سلسلة من الرسائل الإلكترونية بُعثت إلى عدة أشخاص في حملة ترامب ذات قصد يكاد يكون مفرحاً :كان الروس يعرضون مجموعة من المعلومات التي تؤثر سلباً على خصمتهم بل تدينها.

ومن النظريات المتعلقة بدافع هذا الاجتماع الأحمق وكيفيته النظريات الآتية:

•كان الروس، بطريقة منظمّة أو مستقلة، يحاولون إيقاع حملة ترامب في شرك علاقة مشبوهة.

•كان الاجتماع جزءاً من التعاون النشط بالفعل من جانب حملة ترامب مع الروس للحصول على معلومات عن هيلاري كلينتون مضرّة بها .وبالفعل، وفي غضون أيام على الاجتماع الذي عقده دون جونيور، أعلنت ويكيليكس أنها حصلت على بريد كلينتون الإلكتروني .وشرعت في نشره بعد أقل من شهر من ذلك.

•كانت حملة ترامب الساذجة، والتي لا تزال إلى حد بعيد تلعب دور خوض الترشُّح للرئاسة، ومن دون أي تفكير بالفوز فعلاً في الانتخابات، منفتحة على كل الالتماسات والعروض، لأنه لم يكن لديها ما تخسره .كان دون جونيور المغفل)فريدو، كما كان ستيف بانون يلقبه في واحدة من استعاراته الكثيرة من فِلم العرّاب (Godfather يحاول ببساطة أن يبرهن أنه لاعب، وأنه الشخص الذي يجب اللجوء إليه.

•ضم الاجتماع رئيس الحملة، بول مانافورت، والصوت الأكثر نفوذاً في الحملة، جاريد كوشنر، للأسباب الآتية) :أ (كان يجري تنسيق مؤامرة رفيعة المستوى؛) ب (كان مانافورت وكوشنر، اللذان لم يأخذا الحملة على محمل الجد، ولم يفكّرا هنا في أية عواقب، مستمتعين فحسب بإمكانية القيام بخدع دنيئة؛) ج (توحّد الرجال الثلاثة في خطتهم للتخلص من ليفاندوفسكي، التي يتولى فيها دون جونيور تنفيذ المهمة القذرة؛ وكان على مانافورت وكوشنر المجيء إلى اجتماع دون جونيور السخيف كجزء من هذه الوحدة.

مهما يكن سبب هذا الاجتماع، وبغض النظر عن أي من السيناريوهات السابقة هو الذي يشرح بدقة كيف التقت معاً هذه المجموعة الهزلية والمفزعة، فإن ما من أحد يشك، بعد ذلك بسنة، بأن دون جونيور أراد أن يُعلِم والده أنه أمسك بزمام المبادرة.

»إن احتمال ألّا يكون دون جونيور هو الذي استدعى هؤلاء التافهين إلى مكتب والده في الطابق السادس والعشرين هو صفر«، قالها بانون المدهوش والهازئ بعد فترة ليست بالطويلة من الكشف عن الاجتماع.

وتابع بانون، وهو غير مصدّق» :اعتقد الأشخاص الثلاثة الكبار في الحملة أنها فكرة جيدة أن يجتمعوا بحكومة أجنبية داخل برج ترامب، في غرفة الاجتماعات التي تشغل الطابق الخامس والعشرين، من دون محامين .لم يكن معهم أي محام .وحتى لو فكّرت أن ذلك لا يشكّل خيانة، أو أنه يفتقد إلى الوطنية، أو أنّه ممارسة سيئة، وحدث أنك فكّرت بأنه ذلك كله، كان عليك أن تتصل بمكتب التحقيقات الفيدرالي الإف .بي .آي على الفور .وحتى لو فكّرت في عدم القيام بذلك، وأنت مفتقد إلى الأخلاق تماماً، وأردت تلك المعلومات، كان عليك أن تقوم بالأمر في الهوليداي إن في مانشستر، نيو هامشاير، مع محامين يلتقون هؤلاء الناس ويستعرضون كل شيء، ثم يأتون ويبلغون الأمر شفوياً إلى محام آخر يلعب دور الوسيط .وإذا حصلت على شيء ما، فسوف تتصور عندها كيف توصله إلى بريتبارت أو ما شابه، أو إلى مطبوعة شرعية أخرى .وأنت لا ترى المعلومات أبداً، ولا تعرفها أبداً، لأنك لست في حاجة إلى ذلك ....لكن ذلك كان العقل المدبر الذي لديهم.«

وسيتذرّع جميع المشاركين في الاجتماع آخر المطاف بأنه كان عديم الشأن تماماً، مهما كان الأمل منه، ويعترفون بأنه كان منحوساً .لكن حتى لو صح ذلك، فقد كان للكشف بعد سنة عن الاجتماع ثلاثة تأثيرات عميقة، وربما تحويلية:

أولاً، الإنكار الدائم والمتكرر لحدوث نقاش حول الحملة بين مسؤولين في الحملة وروس على ارتباط بالكرملين، والقول إن أي اتصال ذي شأن لم يجرِ بالفعل بين مسؤولين في الحملة والحكومة الروسية.

ثانياً، اليقين الراسخ بين موظفي البيت الأبيض بأن ترامب نفسه لم يُطْلَع على تفاصيل الاجتماع فحسب، بل إنه التقى أيضاً الأشخاص الرئيسيين؛ هذا يعني أن الذين يحتاج الرئيس إلى ثقتهم أكثر ما يكون قد كشفوا أمره بأنه كاذب . وكان ذلك بمثابة نقطة انحراف بين التحصُّن في الخندق والمشاركة في الجولة الجامحة والإفلات من المأزق.

ثالثاً، كان قد بات واضحاً بشكل صارخ أن مصالح الجميع قد تباينت .باتت مصائر دون جونيور، وبول مانافورت، وجاريد كوشنر كلّ بمفرده على المحك . وبالفعل، فإن أفضل تخمين للكثيرين في الجناح الغربي كان أن جانب كوشنر هو الذي سرّب تفاصيل الاجتماع، مضحّين بذلك بدون جونيور في محاولة لإبعاد المسؤولية عنهم.

***

كان فريق كوشنر القانوني، الذي جُمع إلى حد بعيد على عجل منذ تعيين مولر مدّعياً خاصاً، يعمل، حتى قبل تسريب اجتماع حزيران/يونيو2016 ، على جمع صورة التحليل الجنائي لكل من اتصالات الحملة مع الروس والأسس المالية لشركات كوشنر وتتبُّع أثر الأموال .وفي كانون الثاني/يناير، تجاهل كوشنر تنبيه الجميع من ذلك، ودخل البيت الأبيض كشخصية رئيسة في الإدارة؛ وها إنه الآن، وبعد ستة أشهر، يواجه مساءلة قانونية حادة .كان قد حاول الابتعاد عن الأنظار معتبراً نفسه مستشاراً من وراء الكواليس، لكن ها إن منصبه العام لم يعد يسبب الخطر له وحده فحسب بل لمستقبل أعمال أسرته أيضاً .وما دام هو مكشوفاً، فإن أسرته ستبقى ممنوعة عن معظم المصادر المالية .وفي غياب

الوصول إلى هذه السوق، ستكون موجوداتهم عرضة لخطر أن تصير في وضع الديون المتعثّرة.

وقد بات جاريد وإيفانكا أنفسهما الآن على شفير هاوية العار، حتى ولو إن الزوج والزوجة لم يقضيا ما يكفي من الوقت في منصبهما للقيام بأي عمل فعلي على الإطلاق .وهما اللذان أوجدا لأنفسهما حياة أشبه بالخيال؛ فهما شابان طموحان مهذّبان محبوبان جدّاً، يعيشان في قمة عالم نيويورك الاجتماعي والمالي، قبلا بسماتهما التي تنمُّ عن تواضع، السلطة العالمية.

كان السجن ممكناً .وكذلك الإفلاس .ربما كان ترامب يتحدّث بتحدّ عن منح العفو، أو يتباهى بقدرته على منحه .لكن ذلك لم يحل مشكلات كوشنر المالية، كما أنه لم يقدّم طريقة لتهدئة تشارلي كوشنر، والد جاريد، ذي المزاج الحاد وغير العقلاني في أغلب الأحيان .والأكثر من ذلك، أن الإبحار الناجح عبر الشؤون القانونية الدقيقة يتطلب من الرئيس لمسة متأنية ومقاربة استراتيجية دقيقة، وهو تطور غير محتمل إلى حد بعيد.

وفي غضون ذلك، أنحى الزوجان باللائمة على كل من عداهما في البيت الأبيض .فقد لاما بريبوس على الفوضى العارمة التي أنتجت مناخاً أشبه بالحرب أدى إلى موجة تسريبات دائمة ومضرّة؛ ولاما بانون على التسريب؛ ولاما سبايسر على دفاعه الضعيف عن فضيلتهما ومصالحهما.

احتاجا إلى الدفاع عن أنفسهما .وقضت إحدى الاستراتيجيات بالخروج من المدينة) كان لدى بانون لائحة بكل اللحظات العصيبة التي أخذ فيها الزوجان عطلة مناسبة .(وحدث أن ترامب كان سيحضر قمة مجموعة الدول العشرين في

هامبورغ، ألمانيا، بتاريخ 7 و 8تموز/يوليو .ورافق جاريد وإيفانكا الرئيس في الرحلة، وعلما وهما في القمة بخبر تسريب لقاء دون جونيور مع الروس .وقد واصل الزوجان بالتحديد الحديث عن الاجتماع على أنه اجتماع دون جونيور. والأسوأ من ذلك معرفتهما أن القصة على وشك أن تُنشر في النيويورك تايمز.

كان فريق ترامب يتوقَّع في الأساس أن تُنشر تفاصيل اجتماع دون جونيور على موقع سيركا Circa على الإنترنت .وكان المحامون، والمتحدث مارك كورالو، يعملون على التحكّم بهذا الخبر .لكن فريق الرئيس عرف، وهو في هامبورغ، أن التايمز تُعِدّ قصة تحتوي على تفاصيل أكثر بكثير عن الاجتماع، ويُحتمل إلى حد بعيد أن يكون طرف كوشنر هو الذي زوّدها بها؛ وسوف تُنشَر يوم السبت 8 تموز/يوليو .ولم يتسلّم فريق الرئيس القانوني نسخة مسبقة، لسبب واضح هو أنها لا تتعلق بالرئيس.

عرفت إيفانكا أن الخبر سيُذاع قريباً، وهي في هامبورغ تقدّم الجهد الذي يحمل توقيعها :تمويل من البنك الدولي لمساعدة سيدات الأعمال في البلدان النامية .وكان هذا مثالاً آخر على ما وجد فيه موظفو البيت الأبيض اتجاه الزوجين غير العادي إلى التنصُّل من الموضوع .حيث لا يوجد في أي مكان من حملة ترامب، أو على لوح بانون الأبيض، أو في صميم هذا الرئيس، اهتمامٌ بسيدات الأعمال في البلدان النامية .كانت أجندة الابنة متعارضة بشكل استثنائي مع أجندة الوالد؛ أو على الأقل الأجندة التي انتُخب على أساسها. فإيفانكا، من وجهة نظر كل موظف في البيت الأبيض، أساءت إلى حد بعيد فهم

طبيعة عملها، وحوّلت جهود السيدة الأولى التقليدية من باب» للنُّبل أحكامه « إلى عمل لموظفي البيت الأبيض.

قُبيل الصعود على متن طائرة الرئاسة في رحلة العودة، جلست إيفانكا، في ما بدا أشبه بعَمَهِ الموسيقى الفوضوي؛ نيابة عن والدها بين الرئيس الصيني شي جين بينغ ورئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي، إلى الطاولة الرئيسية لمؤتمر مجموعة الدول العشرين .لكن ذلك كان مجرّد إلهاء :ففيما تجمّع الرئيس وفريقه في الطائرة، لم يكن المؤتمر هو الموضوع الرئيسي، بل كان كيفية الرد على موضوع» التايمز «حول اجتماع دون جونيور وجاريد في برج ترامب، وقد بات الآن على بُعد ساعات من نشره.

في طريق العودة إلى واشنطن، أحيل شون سبايسر وجميع أعضاء مكتب الاتصالات إلى الجزء الخلفي من الطائرة، واستُبعدوا عن النقاشات المذعورة . أصبحت هوب هيكس كبيرة واضعي استراتيجية الاتصال والتواصل، والرئيس، كالعادة، زبونها الوحيد .وفي الأيام التي تلت، انقلبت الحالة السياسية الأرفع المتمثلة بالوجود» ضمن الحلقة الداخلية «رأساً على عقب .صار عدم الوجود »ضمن الحلقة الداخلية«، وفي هذه الحال المقصورة الأمامية في الطائرة الرئاسية، مكانة مثلى وبطاقة مجانية لتجنّب السجن .وقال سبايسر،» كان الأمر في العادة يجرح شعوري عندما أراهم يجولون في المكان ويقومون بعملي .إلا أنني سعيد الآن لكوني خارج الحلقة.«

ضمّ النقاش، داخل الطائرة، الرئيس، وهيكس، وجاريد وإيفانكا والمتحدث باسمهما جوش رافل .وقد غادرت إيفانكا الاجتماع بعد وقت قصير، بحسب ما

تذكّره فريقها لاحقاً، وتناولت قرص دواء، وخلدت إلى النوم .أما جاريد، بحسب أخبار فريقه، فقد كان هناك، لكنه لم» يكن ينبس بكلمة لأحد .«وفي غرفة اجتماعات صغيرة في الجوار، كانت دينا باول وغاري كوهن وستيفن ميلر وهـ.ر. ماكماستر يشاهدون فِلم فارغوFargo ؛ وهم جميعاً سيصرون لاحقاً على أنهم مهما كانوا قريبين مادياً من الأزمة الآخذة في التكشف، فإنهم كانوا مبعدين عنها. وبالفعل فإن كل من كان» في الغرفة «قد تورّط في وضع سيكون بعد فترة وجيزة محل تمحيص دقيق من المدعي الخاص .وقد كان السؤال الوجيه هو :هل ثمة موظّف أو أكثر الموظفين الفيدراليين قد حثّوا موظفين فيدراليين آخرين على الكذب؟

هيمن الرئيس المتضرر، العنيد والمهدّد، على النقاش، دافعاً ابنته وزوجها وهيكس ورافيل إلى التماشي معه .وأُبقيَ كازوفيتز، المحامي الذي حُدّدت مهمته بإبعاد ترامب عن المسائل المتعلقة بالروس، على الخط قرابة الساعة، لم يجرِ بعدها وصله بالرئيس .أصر الرئيس على أن الاجتماع في برج ترامب كان يتعلّق بكل بساطة بسياسة التبنّي الروسية .ذلك ما نوقش، ونقطة على السطر. وبالرغم من أنه كان من المرجَّح، إذا لم يكن من المؤكَّد، أن التايمز تمتلك سلسلة الرسائل الإلكترونية التجريمية، وكان من الممكن جدّاً، في الواقع، أن يكون جاريد وإيفانكا والمحامين على علم بأن التايمز تمتلكها، فإن الرئيس قد أمر بألا يتخلّى أحد عن النقاش الأكثر إشكالية في شأن هيلاري كلينتون.

كان ذلك مثالاً، في الزمن الحقيقي، على الإنكار والتغطية .كان الرئيس يعتقد، بكلّ عناد، بما يعتقد به .وكانت الحقيقة هي ما يعتقد أنها عليه، أو ما

يجب أن تكونه .من هنا الرواية الرسمية :جرى لقاء مجاملة وجيز في برج ترامب حول سياسة التبنّي، من دون نتيجة، حضره مساعدون كبار ومواطنون روس غير تابعين للنظام .كانت صناعة هذه الرواية المفبركة عملية فردية قام بها مبتدئون؛ ودائماً يحضر العنصران الأكثر هشاشة في أي عملية تغطية.

في واشنطن، لم يجرِ إبلاغ كازوفيتز والمتحدث باسم الفريق القانوني، مارك كورالو، بأي من مقالة التايمز، أو خطة الرد عليها، إلى أن أذيع البيان الأول لدون جونيور، قبل أن يُنشر الموضوع ذاك السبت.

في غضون الساعات الاثنتين والسبعين التالية، أو ما يقاربها، وجد الفريق الأساسي نفسه منفصلاً تماماً عن أفعال حلقة المساعدين الأكثر قرباً من الرئيس .ومرّة أخرى، ينظر إليها بذهول .وبذلك أخذت العلاقة بين الرئيس وهوب هيكس، التي طال تقبّلها طويلاً بوصفها رابطاً غير مألوف بين الرجل العجوز وشابة جديرة بالثقة، تُعدّ علاقة شاذة وتنذر بالخطر .وكانت هوب هيكس، الوسيط الذي يسهّل تواصله الإعلامي، المكرّسة تماماً لاستيعابه، هي في النهاية مَنْ يسهّل سلوكه الذي لا تدخل فيه .فاندفاعاته وأفكاره، غير الخاضعة للتحرير والمراجعة والمعارضة، التي لا تمر فقط عبره، بل عبر هيكس أيضاً، جابت أنحاء العالم من دون أي تحكيم آخر في البيت الأبيض.

ولاحظ أحد موظفي الاتصالات أن» المشكلة ليست تويتر، بل إنها هوب.«

وفي 9 تموز/يوليو لاحظت التايمز، بعد نشرها موضوعها الأول، أن الاجتماع في برج ترامب قد دُعي إليه تحديداً لمناقشة العرض الروسي بتقديم مادة مضرة بكلينتون .وفيما استعدت التايمز في اليوم التالي لنشر سلسلة

الرسائل الإلكترونية الكاملة، سارع دون جونيور إلى نشرها بنفسه .وأعقب ذلك إحصاء شبه يومي لشخصيات جديدة بدا أنها شاركت في الاجتماع، وكل منها، على طريقته، غريب ومثير للقلق.

لكن كان للكشف عن الاجتماع في برج ترامب بُعدٌ آخر، بل وربما أوسع .فقد أشّر على انهيار استراتيجية الرئيس القانونية :نهاية محاكاة ستيف بانون لجدار حماية الرئيس، كما في عهد كلينتون.

رأى المحامون في الواقع، باشمئزاز وذعر، كل مسؤول رئيسي يصبح شاهداً على الارتكابات المحتملة لمسؤول رئيسي آخر .وجميعهم يتآمرون معاً لتسوية قصصهم .كان الموكّل وأسرته يصابون بالذعر، ويتولون دفاعهم الخاص .كانت العناوين القصيرة الأجل تكتسح أي نوع من أنواع الاستراتيجية البعيدة المدى . وقال أحد أعضاء الفريق القانوني إن» أسوأ ما يمكنك القيام به هو الكذب على المدعي العام .«ونظر الفريق القانوني إلى فكرة ترامب الثابتة، بأن الكذب على الصحافة ليس جريمة، على أنها في أفضل الحالات فكرة متهوّرة، وهي في حد ذاتها قابلة لاتخاذ إجراءات في حقها :محاولة صريحة لوضع العصي في دواليب التحقيق.

صدرت التعليمات إلى مارك كورالو بعدم التحدُّث إلى الصحافة، بل وحتى بعدم الرد على هاتفه .وفي وقت لاحق من ذلك الأسبوع، استقال كورالو، وقد رأى أن النتيجة لن تكون جيدة .وأسرّ في مجالسه الخاصة عن اعتقاده بأن الاجتماع في الطائرة الرئاسية يشكّل عرقلة محتملة لسير العدالة) .ستُعلن جبهة جارفانكا] أي جاريد وإيفانكا [أن كورالو قد طُرد.(

وقال بانون المحبط في شأن فريق جدار الحماية،» لن يتعرّض هؤلاء الرجال لتشكيك الأولاد.«

وعلى غرار ذلك، لن يُدير أسرة ترامب، مهما يكن انكشافها القانوني، محاميها .وقد ساهم جاريد وإيفانكا في تنسيق مجموعة من التسريبات البشعة : معاقرة الخمرة، سلوك سيّئ، حياة خاصة مضطربة، تستهدف مارك كاسويتز الذي كان قد نصح الرئيس بإرسال الزوجين إلى البيت .وبعد فترة قصيرة من عودة الفريق الرئاسي إلى واشنطن، كان كاسويتز قد بات خارجاً.

***

استمرت الملامة في التدفق .وكانت رائحة الواقع الجديد المريرة، ما لم تكن المنذرة بالسوء، التي ترافقت مع كارثة كومي-مولر، قد فاقمها الجهد الذي بذله كل واحد لئلّا يصير موسوماً بها.

وقد تميّز الأطراف في البيت الأبيض أكثر ما يكون بذنبهم في كارثة سكومي-مولر، أو بعدهم عنها .فقد اتخذ جاريد، وإيفانكا، وهوب هيكس، ودينا باول التي تشتد تناقضاً، وغاري كوهن جهة، واتخذ الجهة الأخرى كل الباقين تقريباً، بمن فيهم بريبوس، وسبايسر، وكونواي، وبانون بشكل أكثر وضوحاً .كانت تلك، بحسب ما سيشير إليه باطراد الفريق غير المنتمي إلى جارفانكا، كارثة من صنع أيديهم .وبالتالي بات جهد فريق جارفانكا ينصب ليس فقط على التوصل إلى إبعاد أنفسهم عن أسباب الكارثة، حيث باتوا الآن يصورون ما كانوا قد تورطوا به على أنه تورّط سلبي محض، أو مجرّد تنفيذ للأوامر، بل ينصبّ أيضاً على الإيحاء بأن خصومهم مذنبون بالقدر نفسه.

بعد وقت قصير من نشر قصة دون جونيور، غيّر الرئيس بنجاح الموضوع، بتركيز اللوم في كارثة كومي-مولر على سيسشنز، بل إنه حقّره بقوة، وهدده وأوحى بأن أيامه باتت معدودة.

أما بانون، الذي واصل الدفاع عن سيسشنز، واعتقد أنه كان بهجماته الفعلية على جماعة جارفانكا بالنظر إلى غبائهم، تمكَّن بإقدام من حماية نفسه من سقطة كومي، فقد أخذ الآن يتلقى اتصالات من المراسلين الصحافيين في شأن تسريبات صورّته بأنه شريك مرتبط بقرار كومي.

وفي اتصال هاتفي غاضب مع هيكس، ألقى بانون عليها بالملامة في التسريبات .وكان قد توصّل، مع الوقت، إلى رؤية ابنة الثامنة والعشرين على أنها ليست أكثر من وسيطة تسهيل أمور رئاسية بائسة، وتابعة مسكينة لجارفانكا . واعتقد أنها قد ورّطت نفسها بشدة الآن في الكارثة كلها، بمشاركتها في اجتماع الطائرة الرئاسية .وفي اليوم التالي، ومع المزيد من استفسارات المراسلين، واجه هيكس في ديوان الحكومة واتهمها بأنها تقوم بأعمال جاريد وإيفانكا القذرة . وسرعان ما تصاعدت المواجهة إلى مجابهة بين جبهتي البيت الأبيض، وهما جبهتان على استعداد تام للحرب.

صاح بانون الغاضب بهيكس» :أنتِ لا تعرفين ما الذي تقومين به«، مطالباً أن يعرف لصالح مَن تعمل :ألصالح البيت الأبيض أم لصالح جاريد وإيفانكا؟ وصاح قائلاً» :إنك لا تعرفين مقدار المشكلات التي تورطتِ بها«، وأبلغها أنها إذا لم توكّل محامياً فسيتصل بوالدها ويبلغه أن من الأفضل أن يوكّل لها واحداً . »أنت غبية كالحجر«!؛ وانتقل من غرفة الحكومة عبر المنطقة المفتوحة إلى

حيث بإمكان الرئيس أن يسمعه، وصاح بانون» الصاخب، المخيف، المنذر بوضوح بالخطر«، بحسب رواية جارفانكا» :سأسحقك أنت وفريقك الصغير «! في حين أراد الرئيس المذهول أن يعرف،» ما الذي يجري؟.«

وبحسب رواية جبهة جارفانكا، هربت هيكس عندها من وجه بانون، وهي تجهش ببكاء هستيري» والرعب واضحٌ على محيّاها .«وأشّر آخرون في الجناح الغربي على هذا بأنه ذروة العداء الذي يغلي بين الطرفين .وبخصوص أتباع جارفانكا، فإن تشدّق بانون كان أيضاً تصرّفاً علنياً اعتقدوا أنهم يستطيعون استخدامه ضده .ودفع جماعة جارفانكا ببريبوس إلى إحالة المسألة على محامي البيت الأبيض، واصفين ذلك بأنه لحظة الإساءة الكبرى في تاريخ الجناح الغربي، أو أقلّه بالتأكيد أكثر الفصول إساءة على الإطلاق.

ورأى بانون أن ذلك يشير فقط إلى القنوط المتزايد لجارفانكا .فهما، وليس هو، اللذان سارا في ركب كومي-مولر، وهما اللذان يصابان بالذعر ويفقدان السيطرة.

ولن يتحدث بانون مع هيكس من جديد طوال ما تبقى له من وقت في البيت الأبيض.

الفصل العشرون

ماكماستر وسكاراموتشي

كان ترامب متهوراً، ولكنه لم يكن يحب اتخاذ القرارات، أو على الأقل ليس القرارات التي تجبره على تحليل المشكلة .وكان القرار الأكبر الذي شعر بعبئه منذ اللحظات الأولى لرئاسته هو قضية أفغانستان .لقد كانت أفغانستان معضلة وأصبحت معركة .ولم يقتصر أمرها على مقاومة ترامب الخاصة للتفكير التحليلي، بل تعدى الأمر ليشمل كلّاً من اليمينيين واليساريين في بيته الأبيض، وانقسامهم بين من يدعون إلى التحرُّك والتغيير، وبين الذين يريدون الإبقاء على الوضع الراهن.

في هذه القضية، كان بانون صوت البيت الأبيض الذي يدعو إلى التحرُّك ولا يهادن، ولا يؤمن بأي نوعٍ من الهدنات بأي حال .في رأي بانون، كان هو وحده وشخصية دونالد ترامب غير الحاسمة الشخصين اللذين وقفا في وجه إرسال خمسين ألف جندي أميركي إضافي إلى أفغانستان.

وتمثلت الدعوة إلى الإبقاء على الوضع الراهن في هـ.ر .ماكماستر، الذي أصبح، بالإضافة إلى جارفانكا، الهدف الرئيسي لسوء معاملة بانون .وعلى هذه الجبهة، بنى بانون علاقة وطيدة مع الرئيس، الذي لم يخفِ ازدراءه لجنرال العروض التقديمية» ماكماستر .«استمتع بانون والرئيس بتبادل الأحاديث المهينة لماكماستر معاً.

كان ماكماستر أحد تلاميذ ديفيد بتريوس، قائد القيادة المركزية للولايات المتحدة (CENTCOM) السابق وقائد عمليات أفغانستان الذي أصبح مدير وكالة المخابرات المركزية (CIA) في عهد أوباما قبل استقالته جرّاء فضيحة تنطوي على علاقة حب وسوء تعامل مع معلومات سرية .كان بتريوس، والآن ماكماستر، يتّبعان نهجاً يدعو إلى الحفاظ على طريقة العمل المعتادة في أفغانستان والشرق الأوسط.وواصل ماكماستر بإصرار تقديم اقتراحات جديدة إلى الرئيس، الذي واصل تجاهل ماكماستر وصرفه بإشارة من يده من المكتب البيضاوي بتأفف واستغراب.

ازداد انزعاج الرئيس من ماكماستر ونقمته عليه، مع اقتراب الحاجة إلى اتخاذ قرار نهائي بشأن أفغانستان، وهو قرار واصل الرئيس تأجيله .كانت قضية أفغانستان تشكّل لترامب ورطة عسكرية لا يعرف الكثير عنها، لكنه متأكد من

أنها حالة صعبة .وكان موقفه تجاه الحرب التي دامت ستة عشر عاماً، موقفاً رافضاً بشكل ساخر ولاذع .وبما أنه ورث هذه الحرب فإن مشاعره تجاهها لم تكن أكثر دفئاً، ولم يرد أن تشغل حيزاً أكبر من تفكيره .كان يعلم أن الحرب لعنة، واعتبر أن هذا كافياً بالنسبة له وليس هناك حاجة لمعرفة المزيد عنها .وألقى الرئيس مسؤولية هذه الحرب على اثنين من الأشخاص الذين يعشق إلقاء اللوم عليهم :بوش وأوباما.

مثلت أفغانستان لبانون إخفاقاً آخر في تفكير المؤسسة .وعلى وجه أدق، اعتبر أنها تمثل عجز المؤسسات عن مواجهة الإخفاق.

من الغريب أن ماكماستر قد ألّف كتاباً عن هذا الموضوع بالذات، حيث انتقد، وبشكل لاذع، الافتراضات التي لم يشكّك فيها القادة العسكريون في خوضهم لحرب فيتنام .وجرى احتضان هذا الكتاب من قبل الليبراليين والمؤسسات، الذين، في رأي بانون، أصبح ماكماستر الآن متماشياً معهم إلى أقصى حد .والآن، ها هو ماكماستر يوصي بزيادة كبيرة في القوات الموجودة في أفغانستان، وذلك غالباً لشعوره بالخوف من المجهول، وفي محاولةٍ لإبقاء خياراته مفتوحة، والحفاظ على الاستقرار وحماية صدقيته المؤسسية.

***

بحلول أوائل تموز/يوليو، كان الضغط على ترامب لاتخاذ قرار يقترب من درجة الغليان .كان ترامب قد أصدر أمراً إلى البنتاغون بالفعل لنشر القوات التي يعتقدون أنها ضرورية، بيد أن وزير الدفاع ماتيس رفض العمل من دون تصريح

محدد وموجّه من الرئيس .سوف يضطر ترامب في نهاية المطاف إلى إعطاء الأمر، إلا إذا تمكن من إيجاد وسيلة لتأجيله مرة أخرى.

وفكر بانون أن بالإمكان اتخاذ القرار عوضاً عن الرئيس، وهي الطريقة التي يحب الرئيس أن تتخذ القرارات بها، إذا استطاع التخلُّص من ماكماستر .كان التخلص من ماكماستر يعني لبانون التخلص من الصوت الذي يدعو إلى إرسال مزيد من القوات إلى أفغانستان، بالإضافة إلى الانتقام من ماكماستر لتسبُّبه بفصله من مجلس الأمن القومي.(NSC)

مع وعد الرئيس باتخاذ قراره بحلول آب/أغسطس المقبل، واستمرار ماكماستر، وماتيس، وتيلرسون، بحثّ الرئيس على اتخاذ قرار في أقرب وقت ممكن، بدأت وسائل الإعلام يدفعها بانون بحملة لتصنيف ماكماستر كمؤيّد للعولمة وسياسة التدخل، معتبرةً أنه لا يشبه أنصار ترامب أبداً، وأنه متعاطف جدّاً مع إسرائيل .كان الهجوم حاقداً وعنيفاً، وإن كان محقّاً بشكل جزئي .كان ماكماستر في الواقع يتحدث إلى بتريوس غالبا .والأمر الذي حوّل الأحداث هو الاقتراح الذي يقول إن ماكماستر يقدم معلومات داخلية إلى بتريوس، المنبوذ بسبب إدانته بشأن سوء إدارته للمعلومات السرية .وفوق كل هذا لم يكن ماكماستر محبوباً من الرئيس، الذي كان يوشك على فصله.

عاد نجم بانون إلى السطوع مرة أخرى، واستمتع بلحظة من الثقة الزائدة بالنفس.

وكوسيلة لإثبات أن هناك خيارات أخرى بدل إرسال المزيد من القوات وبدل الهزيمة المهينة، وهما ربما كانا الخيارين الوحيدين المنطقيين، أصبح بانون

راعياً لفكرة مؤسس شركة بلاكووتر العسكرية» إيريك براينس«، التي من دون شك تتبع مصالحه الذاتية، والتي تقترح أن يُستبدل بالقوات العسكرية الأميركية مقاولون من شركات خاصة، وأن يستبدل بوكالة المخابرات المركزية موظفو العمليات الخاصة .وقد أعجب الرئيس بهذه الفكرة لفترة وجيزة، إلى أن أحبطها الجيش وسخر منها.

اعتقد بانون أن ماكماستر سيصبح خارج اللعبة في آب/أغسطس .وكان على يقين من أن الرئيس سيُبعده .كان متأكداً» .يريد ماكماستر إرسال المزيد من القوات إلى أفغانستان، لذلك نحن سوف نرسله هو«، قال بانون بانتصار .في سيناريو بانون، يقدم ترامب إلى ماكماستر نجمة رابعة» رافعاً من رتبته العسكرية«، ليصبح أعلى قائد عسكري في أفغانستان.

وتماماً كما كانت الحال في الهجوم الكيماوي في سوريا، كانت دينا باول، التي بذلت جهوداً حثيثة لتخرج من البيت الأبيض إما على مسار شيريل ساندبرج، أو كسفيرة لدى الأمم المتحدة، هي أكثر مَنْ جاهدوا من أجل الإسهام في دعم النهج الأقل تخريباً، والذي يحافظ على توفُّر بعض الخيارات، والذي اعتبرت أنه الأسلم .ولمّا كان هذا النهج معاكساً لمسار بانون، فقد تمكّنت من تجنيد جاريد وإيفانكا من دون جهدٍ يُذكر.

إن الحل الذي اعتمدته باول، والذي كان يهدف إلى تجميد المشكلة لمدة سنة أو سنتين أو ثلاثٍ أخرى، من المرجح أن يجعل موقف الولايات المتحدة في أفغانستان أكثر سوءا .فبدلاً من إرسال خمسين ألف جندي أو ستّين ألفاً بتكلفة لا يمكن تحمُّلها، واحتمال إثارة الغضب الوطني، مع احتمال أن يعني

ذلك الفوز بالحرب، يقوم البنتاغون بإرسال عددٍ أقلّ كثيراً، وهو رقم لن يثير تساؤلات عديدة، لكنه سيمنعنا من خسارة الحرب .كان باول وجارفانكا، يريان أن هذا هو النهج الأكثر اعتدالاً والأفضل والأيسر قبولاً، ويحقق التوازن الصحيح بين سيناريوهي الجيش غير المقبولين :إما التراجع والخزي وإما إرسال المزيد من القوات.

وقبل انقضاء فترة طويلة، أصبحت خطة إرسال أربعة آلاف جندي أو خمسة آلاف أو ستة أو سبعة آلاف على الأكثر، هي الاستراتيجية المعتدلة التي تدعمها مؤسسة الأمن القومي، والأغلبية ما عدا بانون والرئيس .حتى أن باول أسهمت في تصميم عرض تقديمي مجسّم بدأ ماكماستر بعرضه على الرئيس : صور كابول في السبعينات عندما كانت مدينة حديثة .وأخبر الرئيس أن المدينة يمكن أن تعود إلى ما كانت عليه إذا عزمنا.

بالرغم من أن الجميع تقريباً كانوا ضد بانون؛ إلا أنه كان واثقاً أنه سيفوز . كان لديه صحافة يمينية موحّدة .بحسب اعتقاده كان لديه أيضاً مجموعة من مناصري ترامب العمّال وأطفالهم الذين يحتمل أن يصبحوا أعلافاً لأفغانستان . والأهم من ذلك كله، كان لديه الرئيس الذي كان يشعر بالغضب من تسليمه المشكلة نفسها والخيارات نفسها التي سبق أن قدمت إلى أوباما .وواصل ترامب سكبَ غضبه وغيظه على ماكماستر.

نظم كوشنر وباول حملة للدفاع عن ماكماستر .ولم يكن سردهما دفاعاً مؤيّداً للقوات؛ بدلاً من ذلك، كان الأمر يتعلق بتسريبات بانون واستخدامه

لوسائل الإعلام اليمينية لتلطيخ سمعة ماكماستر،» وهو من أكثر من تقلَّد الأوسمة من الجنرالات وأكثرهم احتراماً.«

لم تكن أفغانستان هي المشكلة، بل المشكلة الكبرى كانت بانون .في هذا السرد، كان ماكماستر، نموذج الاستقرار، ضد بانون، نموذج الاضطراب .وهبت صحيفتا نيويورك تايمز وواشنطن بوست، للدفاع عن ماكماستر، ضد بريتبارت وأصدقائها وتابعيها.

كان صراعاً بين طبقة السلطة، التي ترفض أن تصبح تابعة لترامب وعلى هيئته، وبين شعارات ترامب التي تُنادي بِ» أميركا أولاً .«في العديد من النواحي، كان بانون الأقل تفوّقاً .لكنه مع ذلك كان لا يزال يعتقد أنه سيفوز .وبفوزه، سيتم تجنّب فصل آخر غبي ومؤلم في الحرب على أفغانستان، كما سيجري أيضاً تصنيف جارفانكا، وباول، ومن تبعهم، على أنهم عديمو الأهمية وضعفاء.

***

مع تقدّم النقاش نحو التسوية، قدَّم مجلس الأمن القومي، الذي كان يؤدي دور مقترِح الخيارات بدلاً من الداعي إليها) على الرغم من أنه بالطبع كان يدعو إليها، أيضا(، ثلاثة خيارات :الانسحاب، وجيش المقاولين الذي اقترحه إريك براينس، والزيادة التقليدية المحدودة.

كان الانسحاب، أيّاً تكن مزاياه، وكيفما تمكّن من تأخير أو تخفيف استيلاء طالبان على أفغانستان، يعني أن دونالد ترامب سيخسر حرباً، وهو موقف غير داعم للرئيس.

أما الخيار الثاني، وهو قوة من المقاولين ووكالة المخابرات المركزية، فقد كان في نظر وكالة المخابرات المركزية أمراً غير مقبول .لقد قضت الوكالة ستة عشر عاماً في تجنُّب أفغانستان بنجاح .وكان الجميع فيها يعرفون أن لا مجال لهم للتقدّم في حياتهم المهنيّة هناك، كما أن الكثيرين ماتوا هناك، لذلك لم يكن أحد يريد الذهاب إلى أفغانستان.

هذا ما جعل من نهج ماكماستر، أي إرسال عدد متواضع من الجند، محطُّ جدل وزير الخارجية تيلرسون :إرسال المزيد من القوات المحدودة إلى أفغانستان، والتي ستكون هناك على أساس مختلف إلى حد ما، وبمهمات مختلفة عن مهمات القوات المرسلة إلى هناك من قبل.

توقّع الجيش أن يصادق الرئيس على الخيار الثالث .ولكن بتاريخ 19 تموز/يوليو، وفي اجتماع لفريق الأمن القومي في غرفة الأوضاع في البيت الأبيض، جن جنون ترامب.

على مدى ساعتين، أعرب الرئيس بغضب عارم عن استيائه من الفوضى التي تسلّمها .وهدّد بفصل جميع الجنرالات الموجودين في سلسلة القيادة .وقال إنه لا يستطيع أن يفهم كيف أن دراسات كثيرة دامت أشهراً أوصلتهم إلى الخطة السابقة نفسها تقريباً.

قلّل ترامب من شأن المشورة التي قدّمها الجنرالات، وأشاد بنصيحة الرجال المجندين .وتساءل :إذا كان علينا أن نكون في أفغانستان، فلمَ لا يمكننا كسب المال من ذلك؟ وتذمر أكثر، قائلاً :إن الصين، وليست الولايات المتحدة، هي التي تملك حقوق التعدين) .كان يشير إلى صفقة مدتها عشر سنوات دعمتها الولايات

المتحدة» .(هذه القضية تماثل قضية مطعم .«21 Club قال ترامب هذه العبارة فجأة مربكاً الجميع لدى إشارته إلى أحد مطاعم نيويورك المفضلة لديه» .جرى إغلاق المطعم عام 1980 لمدة عام، ووُظّف عددٌ كبيرٌ من الاستشاريين ليحلّلوا كيف يجعلون المطعم أكثر ربحاً، وفي النهاية، كانت نصيحتهم :الحصول على مطبخ أكبر .بالضبط ما كان يمكن لأي نادل أن يقوله«، صاح ترامب.

كان الاجتماع في نظر بانون من أفضل أوقات رئاسة ترامب حتى الآن .حيث كان الجنرالات يتلعثمون، ويحاولون التبرير بمصطلحات تقنية، وبشكل غير مجدٍ ليحفظوا ماء وجههم.

وفقاً لبانون،» كان ترامب يقف أمامهم بشجاعة وقوة وعدوانية«، لقد سحق خططهم الأفغانية .وعاد مراراً وتكراراً إلى النقطة نفسها :نحن عالقون هناك ونخسر، وليس عند أي منكم خطة للقيام بعمل أفضل.«

بالرغم من أنه لم يكن هناك أي تلميح إلى استراتيجية بديلة وقوية في أفغانستان بعد، إلا أن بانون كان واثقاً من أنه هو الفائز هنا، وأن أمر ماكماستر قد انتهى.

***

في وقت لاحق من يوم الاجتماع الخاص بقضية أفغانستان، سمع بانون عن مخطط آخر طائش لجارفانكا .لقد خططوا لتوظيف أنطوني سكاراموتشي، الملقب ب» موش.«

بعد أن حصل ترامب على الترشيح قبل أكثر من عام، كان سكاراموتشي، وهو ممول خارجي ناب عن ترامب في محطات الأخبار) هي غالباً قناة فوكس بيزنيس وأصبح شخصاً يحظى بثقة ترامب .ولكن في الشهر الأخير من الحملة، ومع توقع استطلاعات الرأي لهزيمة ترامب، لم يعد سكاراموتشي يظهر للعيان، بل أصبح السؤال المعهود» :أين موش؟ «يشير إلى نهاية شنيعة للحملة.

في اليوم التالي للانتخابات، فوجئ ستيف بانون، الذي كان يوشك أن يحصل على لقب الاستراتيجي الأساسي للرئيس المنتخب الخامس والأربعين، بوجود أنتوني سكاراموتشي في جناح ترامب وهو يقدم إليه فنجاناً من قهوة ستارباكس.

على مدى الأشهر الثلاثة التالية، أصبح وجود سكاراموتشي ثابتاً في جناح ترامب، على الرغم من أنه لم تعد هناك حاجة إليه في الانتخابات أو حتى ليقوم بأي مهمة .كعادته، قام سكاراموتشي مثلاً بمقاطعة اجتماع في مكتب كيليان كونواي أوائل كانون الثاني/يناير فقط ليؤكد لها أن شركة زوجها، واتشتل ليبتون Wachtell, Lipton تمثله .وبعد أن أوصل هذه الفكرة، أشاد بالشركاء الرئيسيين للشركة، ثم جلس على كرسي في اجتماع كونواي، وبدأ يحدّثها هي وزائريها عن تفرُّد وحساسية دونالد ترامب وعن الناس الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة، ثم اغتنم هذه الفرصة لتقديم سيرة ذاتية عن شعبه في جزيرة لونغ آيلاند الذي انتخب ترامب.

يكاد سكاراموتشي يكون الباحث الوحيد عن وظيفة في المبنى، لكنَّ أسلوبه كان من الأساليب الأكثر إصراراً .قضى أيامه باحثاً عن اجتماعات يمكن أن يدعى

إليها، أو عن زوار يمكنه التحدث معهم، وكان ذلك سهلاً، لأن كل باحث عن عمل كان يبحث عن شخص ليتحدث معه .لذلك سرعان ما أصبح سكاراموتشي أشبه بمرحّب رسمي ليس رسميّاً .وحاول كلما سنحت له الفرصة الحصول على بضع دقائق من وقت أي من كبار الموظفين الذين أظهروا استعداداً للحديث معه . وبينما كان ينتظر أن يجري عرض وظيفة رفيعة عليه في البيت الأبيض، كان يبدو واثقاً بنفسه، ومؤكداً ولاءه وحيازته لروح الفريق ولطاقة فريدة من نوعها .كان واثقاً جداً بشأن مستقبله إلى درجة أنه عقد صفقة شركة الاستثمار الخاصة به، سكيبريدج كابيتالSkybridge Capital ، لمجموعة إتش إن إي (HNA) الصينية الضخمة.

إن الحملات السياسية، التي تقوم على أساس المساعدة التطوعية، تجتذب مجموعة من الشخصيات السخيفة والمحتاجة والانتهازية .وربما كانت حملة ترامب الأسوأ في هذا المجال .فموش، مثلاً، أكثر المتطوعين غرابة في حملة ترامب لرئاسة الجمهورية، ولكنه عُرف بين الكثيرين بأنه الأكثر صفاقة.

لم يكن ذلك فقط؛ لأنه قبل أن يصبح مؤيّداً محسوباً على دونالد ترامب، كان معارضاً سلبياً مكرساً، كما أنه كان مؤيداً لأوباما وهيلاري كلينتون .كانت المشكلة حقّاً تكمن في أنه غير محبوبٍ بتاتاً .ففي السياسة، كان عنيداً ومدّعياً، لا تهمّه سوى مصالحه الذاتية، وغالباً ما يدلي ببيانات متناقضة عن أشخاص ما لأشخاص آخرين مسبّباً مشكلات لا حصر لها.

لم يكن سكاراموتشي مجرد مروّج ذاتي وقح، بل تضاف إلى صفاته تلك أنه فخور بنفسه .كان يعتبر أنه استطاع أن يبني شبكة علاقات رائعة) .هذا التفاخر

كان صحيحاً بالتأكيد، لأن سكاي بريدج كابيتال عبارة عن صندوق من الأموال الاستثمارية، ولم يكن عملها يتطلّب منه فطنة في الاستثمار بل معرفة بكبار مديري الصناديق والقدرة على الاستثمار معهم .(وقد دفع ما يصل إلى نصف مليون دولار ليعرض شعار شركته في فِلم وول ستريت (Wall Street 2) 2 وليشتري لنفسه ولشركته حيّزاً في الفلم .وعقد مؤتمراً سنوياً لمموّلي الاستثمار الخارجي والذين كان هو نجمهم .وكان لديه برنامج تلفزيوني حي في قناة فوكس بيزنس الخاصة بالأعمال .كما كان معروفاً في اجتماع دافوس السنوي، وشوهد يرقص هناك جذلاً إلى جانب ابن معمر القذافي.

أما بخصوص الحملة الرئاسية، فعند وقوفه مع دونالد ترامب، بعد أن كان أساساً ضدّه، وصف نفسه بأنه نسخة عن ترامب، ورأى أنهما، هما الاثنان، نوع جديد من رجال الاستعراض والتواصل الذين سيقومون بصنع تحوُّل في السياسة.

بالرغم من أن إصراره وضغطه الشخصي المستمر لم يدفعا أحداً إلى حبه، لكنهما دفعا إلى سؤال محدد كان لابد من الإجابة عنه، وهو» :ماذا نفعل بسكاراموتشي؟ .«في محاولة من بريبوس للتعامل مع مشكلة موش والتخلص منه في الوقت نفسه، وقد اقترح منحه وظيفة جمع الأموال كمدير مالي للجنة الوطنية للحزب الجمهوري، وهو اقتراح رفضه سكاراموتشي بغضب في جناح ترامب، وهو يشتم بريبوس بصوت مرتفع وبلغة بذيئة .صحيح أن سكاراموتشي أراد وظيفة في إدارة ترامب، لكنه كان يريد على وجه التحديد واحدة من الوظائف التي من شأنها أن تقدم إليه بعض الإعفاءات من الضرائب لدى بيع شركاته .ذلك

أن البرنامج الاتحادي ينص على تأجيل دفع الضرائب المترتبة على الأرباح في حال بيع الممتلكات، وذلك لتلبية المتطلبات الأخلاقية .كان سكاراموتشي الحسود يحتاج إلى وظيفة من شأنها أن تقدم إليه» شهادة تصفية«، تماماً مثل التي حصل عليها غاري كوهن عند بيع أسهمه في غولدمان.

قبل أسبوعٍ من الافتتاح، عُرضت الوظيفة المناسبة على سكاراموتشي : مدير مكتب البيت الأبيض للمشاركة العامة والشؤون الحكومية الدولية . وسيكون ممثل الرئيس ومشجّع الجماعات ذات المصالح الجزئية مع ترامب .لكن مكتب الأخلاقيات في البيت الأبيض أعلمه أن تصفية أعماله ستستغرق شهوراً لاستكمالها، وأن عليه أن يتفاوض مباشرة مع كيان تسيطر عليه جزئياً الحكومة الصينية .ولأن سكاراموتشي كان يحظى بدعم أقلّ ممّا يحظى به أي شخص آخر، فقد جرى حظره فعليّاً .وأشار سكاراموتشي باستياء إلى أنها إحدى الحالات القليلة في حكومة ترامب التي تتداخل فيها صراعات تجارية لشخص ما مع تعيين في البيت الأبيض.

ولكن موش تابع ضغوطه بمثابرةٍ وإصرار .عيّن نفسه سفير ترامب من دون ملف تعيين .وأعلن نفسه رجل ترامب في وول ستريت، حتى ولو أنه عمليّاً لم يكن رجل ترامب، كما أنه كان يُخرج شركته من وول ستريت .وبقي أيضاً على اتصال دائم بأي شخص من دائرة ترامب كان على استعداد ليكون على اتصال به.

واستمر السؤال» :ماذا نفعل بموش؟ .«وقد ساعد كوشنر، الذي شاركه سكاراموتشي ضبط النفس النادر خلال الحملة، والذي سمع باستمرار من

اتصالات أخرى في نيويورك بولاء سكاراموتشي المتواصل، بالدفع للحصول على إجابة عن هذا السؤال.

حاول بريبوس وآخرون إيقاف سكاراموتشي عند حدود معيَّنة حتى شهر حزيران/يونيو .وبعد ذلك، عرض على سكاراموتشي عرضٌ أخير، توجّب عليه أن يقبل به، رغم أنفه، وهو عرض تعيينه نائب الرئيس الأول وكبير الاستراتيجيين لبنك التصدير والاستيراد الأميركي، وهو فرع تنفيذي كانت وكالة ترامب قد تعهّدت طويلاً بالقضاء عليه .ولكن موش لم يكن مستعداً للتخلي عن المعركة . وبعد المزيد من الضغوط، عرض عليه، بتحريض من بانون، منصب سفير لدى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية .وجاءت هذه المهمة مصحوبة بشقّة من عشرين غرفة في السين، وطاقم كامل من الموظفين، لكن لم يكن لسكاراموتشي عبرها أي تأثير أو مسؤوليات، وهو الأمر الذي وجده بانون مسلّياً للغاية.

***

وفي الوقت نفسه، ظهر سؤال آخر ثابت» :ما الذي يجب القيام به مع سبايسر«، لتشمله الكارثة الناجمة عن أخبار اجتماع حزيران/يونيو 2016 بين دون جاريد الابن، والروس .وبما أن الرئيس، أثناء سفره على متن طائرة الرئاسة، قد أملى فعليّاً على صحيفة تايمز رد دون جاريد الابن على الاجتماع، فإن اللوم على ذلك كان ينبغي أن يقع على كتفي ترامب وهوب هيكس .فالذي أملى هو ترامب، ودوّنت هيكس .ولكن لأن من غير الممكن إلقاء اللوم على الرئيس، فقد جرى إنقاذ هيكس أيضاً .وعلى الرغم من أن سبايسر قد استُبعد بشكل واضح

من أزمة ترامب، فإنه حمل عبء اللوم كله، وخصوصاً بسبب الشك في ولائه، فكان لا بد من استبعاده، واستبعاد موظفي مكتب الإعلام والاتصالات.

وفي هذا الصدد، اعتبر فريق الإعلام والاتصالات معادياً لمصالح جاريد وإيفانكا؛ فقد فشل سبايسر ومن حوله في الدفاع الشامل عنهما، كذلك لم يدافع هذا الفريق بشكل مناسب عن البيت الأبيض .وركز هذا بطبيعة الحال على النقطة الأساسية والواضحة الآتية :أن ذاك الثنائي الأوّل الأصغر قد ظن أنه جزء من الكيان الرئاسي وتصرّف على هذا الأساس؛ رغم أن ذينك الزوجين كانا مجرد موظّفين وليسا جزءاً من المكانة المؤسسية للبيت الأبيض .وقد نجم غضبهما وشعورهما بالمرارة من تردُّد بعض الموظفين، والذي كان في الواقع مقاومة عميقة ومكثفة، في معاملتهم كجزء لا يتجزأ من الرئاسة) .قام بريبوس في إحدى المرات بأخذ إيفانكا جانباً للتأكد من أنها قد فهمت دورها الرسمي المتمثّل في كونها مجرد موظفة .وأصرت إيفانكا على أنها موظفة، بالاضافة إلى أنها الابنة الأولى.(

كان بانون عدوهما العام، ولم يتوقعا شيئاً منه .ولكن بريبوس وسبايسر يعتبران من الموظفين، وكان عملهما دعم أهداف البيت الأبيض، والتي شملت أهداف الثنائي ومصالحه .كان سبايسر محط سخرية وسائل الإعلام لردوده السخيفه في الدفاع عن البيت الأبيض ولولائه المغفل .وقد اعتبره الرئيس منذ الافتتاح، غير موالٍ بما فيه الكفاية، وليس عدوانيّاً كما ينبغي له أن يكون في الدفاع عن ترامب، أو كما يرى جاريد وإيفانكا، في الدفاع عن أسرته» .ما الذي

يقوم به موظفو سبايسر المولّفون من أربعين عضواً حقّاً؟ .«كان هذا هو سؤال الأسرة الأولى المستمر.

***

منذ البداية تقريباً، كان الرئيس قد أجرى مقابلات مع مرشّحين لمنصب سكرتير الصحافة .ويبدو أنه قد عرض هذه المهمة على أشخاص مختلفين، كانت كيمبرلي غيلفويل واحدة منهم، وهي مذيعة على قناة فوكس نيوز والمضيفة المشتركة في برنامج الخمسة .The Five كانت غيلفويل، الزوجة السابقة للديمقراطي الكاليفورني غافن نيوسوم، وأشيع أنها عشيقة أنطوني سكاراموتشي .كانت حياة سكاراموتشي الشخصية في طريقها إلى الدمار، بالرغم من عدم معرفة البيت الأبيض ذلك .وفي 9 يوليو /تموز، رفعت زوجة سكاراموتشي عليه قضية طلاق، وهي في الشهر التاسع من حملها بطفلهما الثاني.

كانت غيلفويل تعرف أن سبايسر كان في طريق المغادرة، لكنها قررت عدم أخذ مكانه، أو وفقاً للآخرين في البيت الأبيض، لم يعرض العمل عليها أساساً، وقامت بترشيح سكاراموتشي له .بدأ سكاراموتشي يعمل على إقناع جاريد وإيفانكا أن مشكلتهما هي إلى حد بعيد مشكلة في العلاقات العامة، وأن فريق الاتصالات الحالي لا يخدم مصالحهما بشكلٍ جيّد.

دعا سكاراموتشي مراسلاً يعرفه ليدفعه إلى التصعيد في قضية كوشنر والاتصالات الروسية .ثم تابع بالطلب من شخص مشترك بينه وبين المراسل أن يكلم المراسل ويخبره أن تصعيد القصة سيساعد موش على دخول البيت

الأبيض، وسوف يسمح ذلك للمراسل بالتواصل بشكلٍ مباشر مع موش .ثم أكد موش لجاريد وإيفانكا أنه بهذه الطريقة الذكية، قد منع نشر القصة.

بذلك حاز سكاراموتشي اهتمامهما .فكّر الزوجان :نحن نحتاج إلى أفكار جديدة .إلى شخص يكون في صفّنا أكثر .وساعدت حقيقة أن سكاراموتشي كان من نيويورك، ومن وول ستريت، وكان غنيّاً، على طمأنتهما بأنه فهم اللعبة .وأنه سوف يفهم حجم المخاطر، ويدرك ضرورة اللعب بشراسة.

ومن ناحية أخرى، لم يكن الزوجان يرغبان أن ينظر إليهما أنهما متشددان . لذلك، بعد اتهامهما الظالم لسبايسر بعدم الدفاع عنهما بشكل كافٍ، تراجعا فجأة وأعلنا أنهما كانا يهدفان فقط إلى إضافة صوت جديد إلى الخليط .كانت وظيفة مدير الإعلام والاتصالات في البيت الأبيض، والذي لم يكن له اختصاص دقيق، شاغرة منذ استقالة مايك دوبك منها في أيار/مايو، فرأى الزوجان أن بإمكان سكاراموتشي أن يتولى هذه المهمة، ويمكنه في هذا الدور أن يكون حليفهما أيضاً.

وعندما سأل سبايسر إيفانكا عن سبب تعيينها مدير استثمار سابق كمدير اتصالات في البيت الأبيض، أجابت» إنه جيد على شاشة التلفزيون، وربما استطاع مساعدتنا.«

نال سكاراموتشي موافقة الرئيس، عندما قابله متزلّفاً إليه بالإطراء على طريقة وول ستريت») .لا أستطيع إلا أن أتمنى أن أتحلّى ببعض عبقريّتك في التواصل، لكنك مثالي ونموذجي«: كان هذا مثالاً واحداً عن جوهر طريقة

سكاراموتشي الاستجدائية .(وكان ترامب هو الذي حث بعد ذلك أن يصبح سكاراموتشي رئيس الاتصالات الحقيقي، ويقدم تقاريره مباشرة إلى الرئيس.

في 19 يوليو/تموز، حاول جاريد وإيفانكا، من خلال وسطاء، جس نبض بانون» :ما رأيك بسكاراموتشي كمدير الإعلام والاتصالات؟.«

بدا هذا الأمر لبانون أخرق ومثيراً للضحك، واعتبره صرخة للمساعدة تدل على أن الزوجين أصبحا في قمة اليأس، إلى درجة أنه رفض حتى التفكير أو الرد على السؤال .أصبح بانون الآن على يقين بأن جبهة جارفانكا، بدأت تجنّ.

الفصل الحادي والعشرون

بانون وسكاراموتشي

كانت شقة بانون في أرلينغتون، فيرجينيا، التي تبعد ركوباً في السيارة 15 دقيقة عن وسط مدينة واشنطن، تسمى» البيت الآمن .«كانت هذه التسمية تشير بطريقة أو بأخرى إلى كون دوره مؤقتاً، وإلى الطبيعة السرية، وربما الرومنسية، لسياسته وحبه للمعارك السياسية .انتقل بانون إلى هنا بعدما غادر مقر بريتبارت في الشارع A في الكابيتول هيل .كانت الشقة عبارة عن غرفة نوم واحدة تشبه غرف الطلاب، في مبنى متعدد الاستخدامات، فوق مطعم ماكدونالدز كبير، وكان بيته هذا بمثابة تكذيبٍ للشائعات التي تردّدت حول شرائه .كدّس بانون كتبه التي تبلغ خمسمئة كتاب أو ستمئة، يركّز أغلبها على التاريخ الشعبي، إلى جانب الجدار الذي ليس عليه رفوف .كانت إلكسندرا بريت،

وهي برتبة ملازم، تسكن في المبنى نفسه، وكذلك المحامي الأميركي نايجل فاراج، زعيم حزب الاستقلال البريطاني اليميني(Brexit) ، الذي كان جزءاً من دائرة بريتبارت الكبرى.

في مساء يوم الخميس، 20 تموز/يوليو، اليوم التالي للجلسة المثيرة للجدل حول أفغانستان، كان بانون يقيم عشاء صغيراً، نظّمه بريت، من الطعام الصيني .كان بانون في مزاج احتفالي .ومع ذلك، كان يعرف، أنه حتى عندما يشعر المرء أنه في القمة في إدارة ترامب، فعليه أن يتوقع دوماً قرب سقوطه .كان ذلك هو النمط والثمن لكون القيادة بيد شخص يشعر بعدم الأمان، فهو يحتاج دوماً إلى التقليل من شأن أي شخص آخر عظيم يقاسمه الغرفة نفسها.

شعر كثير من الأشخاص المحيطين ببانون أنه في طريقه إلى دورة سيئة أخرى .ففي أول جولة له عاقبه الرئيس بسبب غلاف مجلة التايم، وبسبب عرض »ستارداي نايت لايف «الذي تحدّث عن» الرئيس بانون«، في ما اعتبره الرئيس الطعنة الأقسى التي وُجّهت إليه .وقد صدر الآن كتاب جديد، باسم» صفقة مع الشيطان«، يدّعي، وبكلمات بانون الخاصة في أحيان كثيرة، أن ترامب لم يكن ليحقق شيئاً من دون مساعدة بانون .وكان الرئيس مرة أخرى غاضباً جدّاً.

ومع ذلك، كان بانون يشعر أنه قد بدأ بشق طريقه .ومهما حدث، فقد كان يرى بوضوح .كان البيت الأبيض يعج بالفوضى، وإذا لم يفده أي شيء آخر، فإن هذا الوضوح لوحده سيضعه على القمة .كان جدول أعماله يشغل الأمام والوسط، بينما كان أعداؤه على الهامش :جاريد وإيفانكا يتعرّضان للتعنيف كل يوم، وهما الآن مشغولان تماماً بحماية أنفسهما .دينا باول تبحث عن وظيفة

أخرى .ماكماستر أضاع فرصته في أفغانستان .غاري كوهن، الذي كان يوماً عدوّاً خطيراً، يسعى بيأس لكي يُعيّن رئيساً لمجلس المحافظين للنظام الاحتياطي الفيدرالي، ويتملّق لبانون بحسب ما قال بانون .وقد استغل بانون حاجة غاري كوهن إلى دعمه للفوز بتلك الوظيفة، بأن حاز موالاته لأجندة اليمين التجارية.

لقد قُضي على العباقرة .وحتى الرئيس قد يكون قضي عليه .لكن بانون كانت لديه الرؤية والانضباط، كان واثقاً من ذلك» :أنا أحاول جهدي كل يوم، لقد اقتربنا من حل مسألة الشؤون القومية .سأبقى هناك ما اقتضى الأمر.«

قبل ذلك العشاء، بعث بانون برسالة إلكترونية إلى كثير من الأشخاص، مرفقة بعبارة واحدة مع الرابط» :بدأت أشعر بالتعب من الفوز دائماً .«كان المقال من جريدة جارديان، وهي واحدة من الصحف الرائدة في اللغة الإنجليزية والتي تميل إلى حزب اليسار، لكنها كانت رغم ذلك من الجرائد المفضلة عند بانون، بخصوص الترددات العكسية للعولمة .أشاد المقال الذي كتبه الصحفي الليبرالي نيكيل سافال، بالفكرة السياسية الشعبية المركزية لبانون بقوله» :إن المنافسة بين العمال في البلدان النامية والمتقدمة ...قد ساعدت على خفض الأجور وتحقيق الأمن الوظيفي للعاملين في البلدان المتقدمة .«واعتبر المقال أن هذه السياسة هي المعركة المميزة في عصرنا هذا .كان دافوس ميتاً وكان بانون حيّاً يرزق .ثم تابع» :لقد أصبح الاقتصاديون الذين كانوا في وقت من الأوقات مؤيدين للعولمة من أبرز منتقديها، وفي الوقت نفسه، يعترف الأنصار السابقون، على الأقل جزئيّاً، بأن العولمة قد أدت إلى عدم المساواة والبطالة والضغط الهبوطي

على الأجور .فالفوارق والانتقادات التي يستخدمها الاقتصاديون فقط في المؤتمرات الخاصة تُعلن أخيراً على الملأ.«

استمتع بانون بسرد الطريقة التي هاجم الرئيس فيها ماكماستر، وكذلك، بمناورات سكاراموتشي السخيفة .ولكنه كان قلقاً ومتوتراً من شيء جرى في اليوم السابق.

قام الرئيس، من دون علم كبار الموظفين، أو المكتب الإعلامي، فقط عن طريق مذكرة شكلية، بإجراء مقابلة رئيسية مع صحيفة النيويورك تايمز .أعدّ لها جاريد وإيفانكا، مع هوب هيكس .وجرى استدعاء ماغي هابيرمان من صحيفة التايمز، التي يمقتها ترامب بشدة فهي») لاذعة جدّاً، وليست ذكية(«، لرؤية الرئيس مصحوبةً بزميليها بيتر بيكر ومايكل شميدت .وكانت النتيجة واحدة: مقابلة من أكثر المقابلات غرابة وأقلّها حكمة في تاريخ الرئاسة، أجريت مع الرئيس الذي سبق له، ولعدة مرات، تحقيق هذا الإنجاز.

في المقابلة، فاقت تصرفات ترامب كل الجنون الذي وصلت إليه ابنته وزوجها من قبل في الصحافة .فقد واصل، ومن دون استراتيجية محددة أو واضحة، مسار تهديد النائب العام ليتنحّى، ولفتح الباب أمام مدّعٍ خاص .وسخر ترامب من سيشنز علناً، واستهزأ به، بل دفعه بشكل صريح إلى الاستقالة .وتحدّاه على البقاء في منصبه .وعلى قدر ما يبدو أن هذا لن يحقّق شيئاً لأحد، فقد يساعد المدّعي الخاص» .فلن يذهب جيفرسون بورغارد سيشنز إلى أي مكان«، قالها بانون الذي اعترته دهشة كانت تتركز حول مقطع آخر ملحوظ في المقابلة:

حذّر الرئيس المدّعي الخاص من الخوض في الشؤون المالية لأسرته قائلاً :إن »قضايا أسرتي المالية هي خارج الحدود، إياك أن تذهب إلى هناك.«

»أأوو، آآآه» !..صرخ بانون مقلّداً صوت إنذار الطوارئ» .لا تنظر هناك ! نعم فلنخبر المدعي العام أين يجب عليه ألا ينظر.«!

ثم وصف بانون المحادثة التي أجراها مع الرئيس في وقت سابق من ذلك اليوم، قائلاً» :ذهبت إليه مباشرة وقلت له‘ :لماذا قلت ذلك؟ ’فقال‘ :فيما يتعلق بسيشنز؟ ’قلت‘ :لا، هذا سيء، ولكنه يوم آخر في العمل .لماذا حذّرته من التدخل في أمور أسرتك المالية؟ ’فأجاب‘ :حسناً، أأأ ’...قلت له :سوف يقومون بتحديد مدى شرعيتها ...قد لا يعجبك هذا، ولكنك ضمنت الآن أنه إذا أردت تعيين أي شخص آخر في تلك الحفرة] المجلس الخاص [فسوف يقدم كل عضو من مجلس الشيوخ بإجباره على القسم بأن يكون أول ما يفعله هو استدعاء الإقرارات الضريبية اللعينة الخاصة بك.«’

ويستمر بانون، ذاهلاً، في رواية تفاصيل قصة حديثة من الفاينانشال تايمز Financial Times عن فيليكس ساتر، وهو شخصية من الشخصيات الأكثر ظلاميةً المرتبطة بترامب في جانبه الظلامي، ورابطاً أساسياً لمتابعة المال الروسي، وكان على علاقة وثيقة مع محامي ترامب الشخصي مايكل كوهن) الذي اعتبر هدفاً لتحقيقات مولر .(ساتر،» كن مستعداً، أعلم أن هذا سيسبب لك صدمة، ولكن تأهّب .«سبق أن واجه ساتر مشكلات صعبة مع القانون، حينما ألقي القبض عليه مع شخصين في بوكا، وهم يضعون المال الروسي في غرفة المرجل .واتضح أن» ساتر الأخ«، قد جرت محاكمته من قَبل،» أوو انتظر«، من

قبل أندرو وايسمان) .كان مولر قد وظف وايسمان، وهو محامٍ رفيع المستوى في واشنطن كان يرأس قسم التحقيق الجنائي في عمليات الاحتيال التابع لوزارة العدل» .(ستتبعك التحقيقات في تبييض الأموال بسرعة فائقة يا جارفانكا .« أشعر بالحماسة.«!

ربت بانون، تماماً، على خاصرته، ثم عاد لإكمال حديثه مع الرئيس» :هذا ليس من حقهم، أليس كذلك يا صاح؟ .«وضع بريت الطعام الصيني على الطاولة، وقال» :لم يكن من حقهم التسبب في إفلاس آرثر أندرسن خلال فضيحة إنرونEnron ، ولكن هذا لم يوقف أندرو وايسمان وهو واحد من محامي إنرون.

»أنت تدرك إلى أين يوصل هذا «تابع بانون» .هذا كله يتعلق بتبييض الأموال؛ فقد اختار مولر فايسمان أوّلاً، وهو ممن يعملون تبييض الأموال .إن طريقهم للإيقاع بترامب يمر مباشرة من خلال بول مانافورت، ودون جونيور، وجاريد كوشنر ...إنها واضحة كوضوح الشعر على وجهك ....وسيحدث كل هذا من خلال البنك الدوليDeutsche Bank ، وجميع مشكلات كوشنر .مشكلات كوشنر كبيرة .سوف يكون عليهم المرور عبر كل ذلك .سوف يقومون بإنهاك هذين الأخيرين، ويخيرونهما .لكن» ...امتيازنا التنفيذي «!قلّد بانون صوت الرئيس: »لدينا امتيازات تنفيذية.«!

»ليس هناك امتياز تنفيذي !لقد أثبتنا ذلك في ووترغيت.«

بالرغم من أن بانون رجل معبّر، فقد بدا فجأة في قمة الاستنزاف .وأضاف بعد فترة توقف» :إنهم يجلسون على الشاطئ ويحاولون إيقاف إعصار من الفئة الخامسة.«

حرّك بانون يديه أمامه مقلّداً حركة مَن يبني حقلاً مغنطيسيّاً حوله من شأنه أن يعزله عن الخطر .وأضاف» إنها ليست عمليتي، لديه خمسة عباقرة من حوله :جارفانكا، هوب هيكس، دينا باول، جوش ورافل.«

رفع بانون يديه مرة أخرى، وكأنه يقول هذه المرة لا شأن لي بأي شيء» .أنا لا أعرف الروس، وأنا لا أعرف شيئاً عن› أي شيء .‹أنا لست شاهداً، ولا أحتاج إلى محامٍ، ولن أكون من يجب أن يمسك الميكروفون على التلفزيون الوطني ليجيب عن الأسئلة .هوب هيكس قد دُمّرت تماماً ولكنها لا تعرف هذا بعد .سوف يسلخون جلدها .وسوف يجلدون دون جونيور على التلفزيون الوطني إلى أن ينهار .سبق أن انهار مايكل كوهن» .أخبرني الرئيس مسبقاً بأن الجميع سوف يصدّقون فكرة اجتماع دون جونيور مع الروس .قلت له» :لا لن يحدث هذا ..ثم أضفت :أنا مجرد ضابط في البحرية ولن أعقد اجتماعاً مع الرعايا الروس، ولن أفعل ذلك في المقر الرئيسي، هل أنت مجنون؟' ويقول الرئيس :لكنه ولد طيب .' لم تُعقد أي اجتماعات من هذا القبيل، بعد أن توليت أنا الحملة.«

وتحوّلت نبرة بانون من اليأس والاستحالة إلى الاستسلام.

»إذا قام بفصل مولر فإن ذلك يقرّب الاتهام بشكل أسرع .لم لا؟ دعونا نفعل ذلك، لم لا؟ ماذا سأفعل؟ هل سأذهب لإنقاذه؟ إنه دونالد ترامب، وسيستمر في القيام بأشياء كهذه .يريد محامياً عامّاً غير متنحّ .قلت له إن ذهب

جيف سيشنز، فسوف يذهب رود روزنشتاين، ثم تذهب راتشيل براند«، النائب العام المساعد التالي بعد روزنشتاين،» سوف نكون كمن يستخرج رجال أوباما المهنيين .سيكون واحد من رجال أوباما هو النائب العام .قلت له :لن تحصل على رودي«، كان ترامب يتمنى أن يتبوّأ أحد مواليه، مثل رودي جولياني، أو كريس كريستي، هذا المنصب، فقلت» :لأنهما كانا في الحملة، وسوف يضطران إلى تنحية أنفسهما .إنها مجرد أوهام في عقلك يا صديقي، وعليك التخلص منها .إن أي شخص سيعيّن في هذا المنصب سيكون عليه أن يقسم ويتعهد أن الأمور ستمضي قدماً، وأنه لن يقوم بفصل أي شخص، لأنك قلت لهم بالأمس» :أأه ... أأأو' ...قضايا أسرتي المالية هي خارج الحدود'، بل إنهم سوف يطالبون الشخص الذي سيتولى المنصب كائناً من يكن، أن يعد ويلتزم جعل قضايا أسرتك المالية جزءاً من هذا التحقيق .قلت له وأعدت عليه أن ذلك محتّم وأن أفضل ما يحدث له هو بقاء سيشنز هنا.«

قالت بريت» كان يتصل بالعديد من الأشخاص في نيويورك الليلة الماضية ليسألهم عمّا يجب عليه القيام به .«وأضافت» :تابع أغلب الأشخاص الذين في البيت الأبيض تفكير ترامب من خلال تتبُّع الشخص الذي تكلّم معه في الليلة السابقة.«

جلس بانون، وشعوره بالإحباط يتزايد .كان يشبه شخصيات الرسوم المتحركة، وأوضح خطّته القانونية المشابهة لخطط كلينتون .ذهبوا إلى حيث الانضباط.» ولكن ترامب«، كما أشار بانون إلى ما يعرفه الجميع،» هو الرجل الأقل انضباطاً في السياسة.«

قال بانون إن من الواضح أين سيتّجه مولر وفريقه، سيتتبعون أثر المال من خلال بول مانافورت، ومايكل فلين، ومايكل كوهن، وجاريد كوشنر، ثم يؤلّبون أحدهم أو يؤلّبونهم جميعاً ضد الرئيس.

قال إنها مسرحية شكسبيرية، وهو يقوم بتعداد النصائح السيّئة التي جاءت من دائرة أسرته» :إنهم العباقرة، الناس أنفسهم الذين أقنعوه بفصل كومي، وهم الأشخاص أنفسهم الذين حالوا بينه وبين فريقه القانوني الخارجي في الطائرة الرئاسية، مع علمهم بوجود وانتشار تلك الرسالة الإلكترونية بأن الاجتماع كان يتمحور حول الخيارات، دع التصريح الذي يتحدث عن دون جونيور جانباً ...إنهم العباقرة أنفسهم الذين يحاولون التخلص من سيشنز وفصله من عمله.

»اسمع :كان كاسويتز يعرف ترامب منذ خمسة وعشرين عاماً .وقد قام بمساعدته على التخلص من مختلف أنواع المشكلات .كما أن كاسويتز انتبه تماماً لجميع النسوة اللاتي كن في الحملة، واهتم بهن؛ كن حوالي مئة امرأة. ولكنه الآن كم استطاع الصمود؟ أربعة أسابيع؟ أصبح مجرد شخص سكير، وضعيف .نحن نتكلم عن أفضل محامي نيويورك، إنه محطم .مارك كورالو، من أقوى من قابلتهم، لا يمكنه القيام بذلك.

لقد اعتقد جاريد وإيفانكا أنهما، إذا دعيا إلى إصلاح السجون وإنقاذ برنامج الإجراء المؤجل للقادمين في مرحلة الطفولةDACA ، وهو برنامج لحماية أطفال المهاجرين غير الشرعيين، فسوف يقوم الليبراليون بالدفاع عنهما .«واستطرد بانون باختصار لوصف الفطنة التشريعية لإيفانكا ترامب، والصعوبات التي

تعترضها، التي أصبحت من الشواغل الرئيسية للبيت الأبيض، وهي تحاول الحصول على راعٍ لمشروعها الأُسَري» :ولهذا السبب، أستمر في إخبارها قائلاً إن مشروعك ليس فيه أي دوائر انتخابية سياسية، أنتِ تعرفين كم من السهل الحصول على رعاية لمشروع قانوني، فأي أحمق يمكنه القيام ذلك .أتعرفين لماذا لايمكنك الحصول على راعٍ لمشروع قانونك؟ لأن الناس يدركون مدى حماقة هذا القانون .«وقال بانون، مع حركة اندهاش بعينيه وفمه» :إن فكرة جارفانكا في محاولة مقايضة العفو العام بالجدار الحدودي، لم تكن في الواقع الفكرة الأكثر حماقة في الحضارة الغربية، لكنها من الأفكار الثلاث الأكثر حماقة .هل يعرف هؤلاء العباقرة من نحن حتى؟.«

هنا تلقّى بانون مكالمة أخبره فيها المتصل أن سكاراموتشي على وشك الحصول على وظيفة المدير الإعلامي .فقال» :لا تمزح معي يا صاح«، وضحك مردّداً» لا تمزح معي بهذا الشأن أبداً.«

أنهى الاتصال معرباً عن مزيد من التعجب من عالم الخيال الذي يعيش فيه العباقرة، وقال بنبرة تقطر سمّاً :أنا فعليّاً لا أتحدث معهم .أتعرف لماذا؟ أنا أقوم بعملي، وهم لا دخل لهم به، ولا يهمّني ما يقومون به ...لا أهتم ...أنا لن أكون وحيداً معهم، أنا لن أكون في غرفة واحدة معهم .لقد دخلت إيفانكا إلى المكتب البيضاوي اليوم] ...و [بمجرد دخولها، نظرت إليها وخرجت من المكتب فوراً ...لن أكون في الغرفة نفسها ...لا أريد أن أفعل ذلك ...وعندما تدخل هوب هيكس إلى أي غرفة أخرج منها.«

قال بريت» :لقد أدخل مكتب التحقيقات الفيدرالي والد جاريد إلى السجن، ألا يفهمون أنك لا تستطيع العبث.«..

شهق بانون وضرب على رأسه لعدم تصديقه قائلاً» :شارلي كوشنر، إنه يكاد يصاب بالجنون، لأنهم سيدخلون في تفاصيل كيفية تمويله لكل شيء...الحاخامات والماس، وكل ما يخرج من إسرائيل من ذلك ...وجميع أولئك الرجال القادمين من أوروبا الشرقية ...وكل هؤلاء الرجال الروس ...والرجال في كازاخستان...وهو يجلس في مكتبه في المبنى 666 في الجادة الخامسة .وعندما يظهر كل شيء في العام المقبل، لن يعود لديه أي ضمانات ...لقد انتهى ...دُمّر ... نخبكم.«

وضع بانون وجهه بين يديه للحظة، ثم رفع نظره مرة أخرى وتابع» :لدي قدرة ممتازة على التوصل إلى حلول، وصلت إلى حل لحملته التي كانت تنهار في يوم واحد .ولكنني الآن لا أرى أي خطة لتخطي ذلك .«لقد قدّمت إليه، خطة، قلت له أغلق المكتب البيضاوي، قم بإرسال هذين الطفلين إلى منزلهما، وتخلّص من هوب، ومن جميع الأشخاص الفارغين .استمع إلى فريقك القانوني، استمع إلى كاسويتز، ومارك دود، وجاي سيكولو، ومارك كورالو .فهؤلاء جميعهم مهنيون متمرّسون، وقد قاموا بهذا العمل مرات عدّة .استمع إلى هؤلاء الرجال، ولا تتحدث عن هذه الأشياء مرة أخرى، واجلس في مكانك المخصص كقائد عام لتستطيع أن تكون رئيساً لمدة ثماني سنوات .إذا لم تفعل، فبكل بساطة لن تكون ذلك الرئيس ولتلك المدة.

لكنه هو الرئيس، ولديه خيار .وممّا لا شك فيه أنه يسير في طريق آخر ...ولا يمكن إيقافه .سوف يقوم هذا الرجل بكتابة نص مسرحيته الخاصة .إنه ترامب.«...

تلقّى بانون مكالمة أخرى، وكانت هذه المرة من سام نانبرغ، وكان يتحدث عن سكاراموتشي أيضاً .وتسبّبت كلماته في ذهول وانشداه بانون» :لا هذا مستحيل، لايمكن.«

أغلق بانون الهاتف، وقال» :يا إلهي، سكاراموتشي، لا أعرف كيف أستجيب لهذا، هذا رهيب .كان جاريد وإيفانكا بحاجة إلى شخص ليمثّلهما في قضيتهما . هذا جنوني .سوف يقف على تلك المنصة يومين، وسوف يتلقى ضربات عنيفة وسينزف كثيراً، سوف يجري تدميره خلال أسبوع .هذا هو السبب في أنني لا آخذ هذه الأشياء على محمل الجد .توظيف سكاراموتشي؟ إنه غير مؤهل للقيام بأي شيء .إنه يدير بعض صناديق الاستثمار .هل تعرف ما هي صناديق الاستثمار؟ إنها ليست أموالاً فعلاً، هذا جنون .نحن نبدو كالمهرجين.«

***

شهد اليوم الأول من أيام أنتوني سكاراموتشي العشرة، وهو 21 تموز/يوليو، استقالة شون سبايسر .وقد بدا أن هذه الاستقالة قد فاجأت الجميع .ففي اجتماع مع سكاراموتشي، وسبايسر، وبريبوس، أعلن الرئيس عن توظيف سكاراموتشي كمدير إعلامي، وقام بذلك بترقية سكاراموتشي ليس فقط إلى موقع أعلى من موقع سبايسر، بل أعلى من بريبوس أيضاً، رئيسه .ثم اقترح أن يعمل الرجال على حل مشكلاتهم معاً .عاد سبايسر إلى مكتبه، وطبع رسالة

استقالته، ثم أعادها إلى الرئيس الذي بدا مشوّشاً، والذي أخبر سبايسر مرة أخرى أنه يريده حقّاً كجزء من الفريق .ولكن سبايسر، الرجل الذي تعرّض لسخرية كبيرة، أدرك أنه قد تسلّم هدية رائعة، لقد انتهت أيامه في البيت الأبيض.

أما سكاراموتشي، فقد حان وقت انتقامه الآن .ألقى سكاراموتشي بلائمة الأشهر الستة المهينة التي عاشها في هذا الجحيم على راينس بريبوس .فبعد أن قرر سكاراموتشي أن مستقبله في البيت الأبيض، وباع أعماله تحسُّباً لهذا المستقبل، شعر بأنه لم يربح أي شيء، أو على الأقل لم يربح شيئاً ذا قيمة .ولكنه الآن، في تغيُّر يلائم سيداً حقيقيّاً للكون، يليق، في الواقع، بترامب نفسه، أصبح سكاراموتشي في البيت الأبيض، وفي وضع أهم وأفضل مما كان يتخيل أو يتوقع . وسوف يقضي على بريبوس.

كان هذا إشارة إلى أن الرئيس قد أرسل سكاراموتشي ليتعامل مع الوضع المزري .يرى ترامب أن المشكلات التي واجهها حتى الآن كانت مجرد مشكلات في الفريق .وإذا ذهب الفريق، ذهبت المشكلات معه .وهكذا تسلّم سكاراموتشي تعليمات مسيرته .لكن ما غاب عن ذهن سكاراموتشي هو حقيقة أن الرئيس كان يقول الأشياء نفسها عن فريقه الفاسد منذ اليوم الأول، وأن هذا الانقسام كان ثابتاً من أيام الحملة حينما كان الرئيس يقول إنه يريد من الجميع الذهاب، ثم يتراجع ويقول إنه لا يريد من أحد الذهاب .كل ذلك أصبح على عاتق سكاراموتشي الآن.

بدأ سكاراموتشي يستهزئ ببريبوس علناً .وفي داخل الجناح الغربي تبنّى موقف الرجل القوي تجاه بانون، وأعلن» لن أقبل تفاهاته .«بدا ترامب سعيداً

بهذا السلوك، مما دفع سكاراموتشي إلى الشعور بأن الرئيس كان يشجّعه عليه . كما كان جاريد وإيفانكا سعيدين أيضاً؛ فقد كانا يعتقدان أنهما فازا بامتنان سكاراموتشي وكانا واثقين أنه سيدافع عنهما ضد بانون والباقين .لم يكن من السهل على بانون وبريبوس تصديق ما يحدث حولهما أو تحمّله، وهما بكامل قواهما العقلية .في نظر كلا الرجلين، كان سكاراموتشي إما حلقة من الهلوسة، متسائلين عما إذا كان عليهما إغلاق عيونهما لحين انتهائها، أو أنه كان مسيرة إضافية على طريق الجنون.

***

حتى بالمقارنة مع الأسابيع العصيبة الأخرى في البيت الأبيض من عهد ترامب، كان أسبوع 24 تموز/يوليو الأسبوع الأسوأ .أولاً، استُهلَّت الحلقة التالية من الجهد الهزليّ لإلغاء قانون الرعاية الصحية» أوباما كير «في مجلس الشيوخ . وكما هي الحال في مجلس النواب، أصبح هذا الموضوع عبارة عن صراع بين الجمهوريين في الكونغرس من جهة وبين القيادة والبيت الأبيض من جهة أخرى، أكثر من كونه عن الرعاية الصحية .وأصبح التفويض بالتوقيع بالنسبة إلى الحزب الجمهوري الآن رمزاً لحربه الأهلية.

وفي يوم الاثنين ذاك، وقف صهر الرئيس أمام ميكروفونات الجناح الغربي لعرض بيانه أمام محققي مجلس الشيوخ حول اتصالات حملة ترامب بروسيا . لم يقم جاريد مسبقاً بالتحدث على الملأ .وقد نفى المسؤولية في الفوضى الروسية عن نفسه من خلال ادعائه بعدم الخبرة والسذاجة .كان يتحدث

بصوت رقيق ينم عن الشفقة على الذات، وصوّر نفسه شخصية شبيهة ببراءة بطل رواية كانديد Candide الذي أصيب بخيبة أمل من العالم القاسي.

في ذلك المساء، سافر الرئيس إلى ولاية فرجينيا الغربية لتقديم خطاب أمام فتيان الكشافة .ومرة أخرى، كان خطابه متناقضاً مع الزمان والمكان، والحس السليم .ما تطلّب على الفور اعتذاراً من فرقة الكشافة لأعضائها، ولأهاليهم، وللبلد ككل .لم يبدُ أن هذه الرحلة السريعة قد حسّنت من مزاج ترامب .ففي صباح اليوم التالي، وللمرة الثانية، هاجم الرئيس بغضب وعلى العلن محاميه العام، من دون سبب واضح، وأطلق تغريدة عن حظره للمتحوّلين جنسيّاً من دخول الجيش) .جرى عرض أربعة خيارات مختلفة تتعلق بالسياسة المتبعة مع المتحولين جنسيّاً في الجيش على الرئيس .وكان الهدف من العرض هو وضع إطار للنقاش الجاري .ولكن بعد عشر دقائق من تلقّي نقاط المناقشة، ومن دون مزيد من المشاورات، أطلق ترامب بتغريدة حظره للمتحولين جنسيّاً.(

في اليوم التالي، أي يوم الأربعاء، علم سكاراموتشي أن أحد أشكال كشوفه المالية قد تسرَّب .وافترض أن هذا عمل تخريبي أقدم عليه أعداؤه؛ فقام سكاراموتشي بإلقاء اللوم بشكل مباشر على بريبوس، متّهماً إياه بارتكاب جناية . في الواقع، كان كشف سكاراموتشي المالي وثيقة عامة ومتاحة للجميع.

وبعد ظهر ذلك اليوم، أبلغ بريبوس الرئيس أنه فهم أنّ عليه أن يستقيل، وأن عليه البحث عن بديل له .في ذلك المساء، كان هناك عشاء صغير في البيت الأبيض، حضره العديد من العاملين الحاليين والسابقين في فوكس نيوز، بمن فيهم كيمبرلي غيلفويل، وجرى تسريب هذا الخبر.

شرب سكاراموتشي أكثر من المعتاد، ودفعته محاولته اليائسة لاحتواء تفاصيل انهيار حياته الشخصية) إن ربطه بغيلفويل لن يساعده في مفاوضاته مع زوجته(، فضلاً عن احتواء الأحداث الجارية التي تتجاوز قدراته، إلى دعوة أحد مراسلي النيويوركر وإفراغ ما في قلبه أمامه.

جاءت المقالة سريالية، غريبة، وواضحة جدّاً في ألمها وغضبها، إلى درجة أن ما يقرب من أربع وعشرين ساعة قد انقضت من دون أن يتمكن أي شخص من الإقرار بأن سكاراموتشي قد ارتكب انتحاراً علنيّاً .نقلت المقالة عن سكاراموتشي قوله الصريح لرئيس الموظّفين» :إذا كنت تريد تسريب شيء، فسوف يطلب منك الاستقالة في القريب العاجل .«وقال إنه قبل وظيفته الجديدة» لخدمة البلاد«، وإنه» لا يحاول صنع اسم له«. كما استهزأ سكاراموتشي بستيف بانون علناً عندما قال» :أنا لست ستيف بانون، ولست متبجّحاً ومدّعياً مثله) .«في الواقع، علم بانون بهذا التعليق، عندما اتصل به مدققو الحقائق في المجلة، للتعليق على اتهام سكاراموتشي له بأنه متبجّح ومدّعٍ.(

كان سكاراموتشي، الذي أقدم في الواقع على فصل بريبوس علناً، يتصرف بغرابة، إذ أنه لم يكن من الواضح من الذي سيكون الرجل الذي سيبقى واقفاً . وأدرك بريبوس، الذي كان على وشك أن يُفصل من العمل، أنه قد وافق على الاستقالة أبكر مما كان يجب عليه، فلو انتظر لكان من المحتمل أن يحصل على فرصة فصل سكاراموتشي!

وفي يوم الجمعة، عند التصويت على إلغاء مشروع الرعاية الصحية في مجلس الشيوخ، انضم بريبوس إلى الرئيس على متن الطائرة الرئاسية في رحلة إلى

نيويورك التي سيلقي فيها ترامب خطاباً .وكان سكاراموتشي قد سبَّق على النيويوركر لتجنّب تداعيات ذلك، قائلاً إنه ذهب إلى نيويورك لزيارة والدته؛ ولكنه كان في الواقع يختبئ في فندق ترامب بواشنطن .أما الآن فها هو في الطائرة ومعه حقائبه) لا بد أنه سيبقى الآن في نيويورك ويزور والدته(، ورغم ذلك يتصرف كما لو أن شيئاً لم يحدث.

في طريق العودة من الرحلة، تحدّث بريبوس والرئيس على متن الطائرة، وناقشا توقيت رحيله .وحثّه الرئيس على القيام بذلك بالطريقة الصحيحة إعطاء الأمر وقته .قال له ترامب» :أنت أخبرني بما يناسبك، فلنعمل على ذلك بطريقة جيدة.«

بعد دقائق، وقف بريبوس على مدرج الطائرة فوصله إشعار بتغريدة ترامب على تويتر بأنّ هناك رئيس موظفين جديداً لوزارة الأمن الداخلي هو جون كيلي، وبأن بريبوس أصبح خارج اللعبة.

كان عمر رئاسة ترامب ستة أشهر، ولكن مسألة من الذي سيحلّ محل بريبوس كان موضوع مناقشة من اليوم الأول تقريباً .وكان من المرشحين باول وكوهن، المفضلين عند جارفانكا، ومدير مكتب الإدارة والميزانية ميك مولفاني، من اختيار بانون، وكيلي.

في الواقع، لم تجرِ استشارة كيلي، الذي سوف يعتذر قريباً من بريبوس، بسبب نقص اللياقة في طريقة فصله، بخصوص تعيينه .بل كانت تغريدة الرئيس هي ما أعلمه بهذا التعيين.

ولكن في الواقع لم يكن هناك وقت لإضاعته .فقد كانت القضية الأهم أمام حكومة ترامب، هي وجوب أن يقوم شخص ما بفصل سكاراموتشي .وبما أن سكاراموتشي قد تخلّص فعلياً من بريبوس، الشخص الذي كان من المنطقي أن يعلن فصل سكاراموتشي، فهناك حاجة فورية إلى رئيس موظفين جديد، للتخلص من موش.

وبعد ستة أيام، وبالكاد بعد ساعات من أدائه اليمين، أعلن كيلي قرار فصل سكاراموتشي.

شعر الزوجان الأولان الأصغران، عبقريّا توظيف سكاراموتشي، بالذعر، لأن اللوم سيقع عليهما بسبب واحدة من أكبر وأسخف كوارث التوظيف في التاريخ الحديث للبيت الأبيض؛ وهرعا لتأكيد تأييدهما بقوة لقرار التخلص من سكاراموتشي .وقد علّق شون سبايسر على ذلك قائلاً» :أقوم بلكمك على وجهك، ثم أقول» :يا إلهي، عليّ أخذك إلى المستشفى.«!

الفصل الثاني والعشرون

الجنرال كيلي

في 4 آب/أغسطس، غادر الرئيس وأعضاء الجناح الغربي الرئيسيون إلى نادي ترامب للجولف في بدمينستر، ورافقهم رئيس الموظّفين الجديد الجنرال كيلي .لكن لم يطلب من رئيس الاستراتيجيين ستيف بانون مرافقتهم .كان ترامب حانقاً على الرحلة المخطط لها لسبعة عشر يوماً، ومنزعجاً من الطريقة الجدية التي تسجل فيها وسائل الإعلام مواعيد لعبه للغولف .لذلك أطلق على هذه الرحلة اسم رحلة» عمل«، وهذا وجه آخر من غرور ترامب الذي يتلقى بعض العبوس وهزّ الرأس بتعجب أو استخفاف من الموظفين الذين اتّهموا بتخطيط الأحداث لتبدو وكأنها عمل، حتى مع إعطائهم تعليمات لترك مساحة من الوقت للغولف.

سيجري في غياب الرئيس تجديد الجناح الغربي، لأن ترامب، سيد الفنادق والديكورات، كان يشعر» بالاشمئزاز «من حالته .ولم يكن يرغب في الانتقال إلى مبنى المكتب التنفيذي القريب، حيث تُعقد أعمال الجناح الغربي مؤقتاً، وحيث جلس ستيف بانون في انتظار دعوته للذهاب إلى بدمينستر.

أخبر بانون الجميع بأنه كان على وشك المغادرة إلى بدمينستر، ولكنه لم يتلقّ دعوة .ولم يكن بانون، الذي نسب الفضل إلى نفسه بأنه جلب كيلي إلى الإدارة في المقام الأول، متأكّداً من مكانته مع رئيس الموظّفين الجديد .وفي الواقع حتى الرئيس لم يكن متأكداً من المكان الذي يقف فيه هو نفسه بالنسبة إلى كيلي؛ وظل يسأل الناس إن كان كيلي يحبه .وبشكل عام، لم يكن بانون متأكداً تماماً مما كان كيلي يقوم به، بخلاف واجبه .وأين يتموضع رئيس الموظّفين الجديد بالضبط في عالم ترامب.

أما كيلي فقد وقف في مكان ما إلى يمين مركز الطيف السياسي، وكان من مؤيدي فرض قيود صارمة على الهجرة في الأمن الداخلي .لكنه كان بعيداً جدّاً عن يمينية بانون أو ترامب» .ليس متشدداً«، كان تقييم بانون المؤسف له .وفي الوقت نفسه، لم يكن كيلي بالتأكيد وثيق الصلة بأي شكل من الأشكال بالليبراليين النيويوركيين الموجودين في البيت الأبيض، فالسياسة لم تكن من اختصاصه .بصفته مديراً للأمن الداخلي، نظر كيلي إلى الفوضى في البيت الأبيض باشمئزاز، وفكّر في الاستقالة .لكنه الآن وافق على محاولة ترويض هذه الفوضى .كان كيلي رجلاً حازماً وصارماً وجدّياً في السابعة والستين من عمره .

»هل يبتسم في حياته؟ «سأل ترامب، الذي كان قد بدأ بالفعل في التفكير أنه قد خدع بطريقة ما في هذا التعيين.

اعتقد بعض المدعين، من الذين لديهم سهولة الوصول إلى الرئيس على وجه الخصوص، أن ترامب قد خُدع للقيام بما لا يشبه نهجه المعهود .وبدأ روجر ستون، أحد الأشخاص الذين حال كيلي الآن بينهم وبين الرئيس، بإطلاق شائعة عن سيناريو اتفق فيه ماتيس وماكماستر وكيلي على الأمر الآتي :لن يجري اتخاذ أي عمل عسكري ما لم يتّفقوا هم الثلاثة، وأن واحداً منهم على الأقل سيظل دائماً في واشنطن إذا كان الآخران بعيدَيْن.

بعد أن قام كيلي بإقالة سكاراموتشي، كانت هناك قضيتان فوريتان على الطاولة في بدمينستر، هما :أقارب الرئيس وستيف بانون .كان من الواضح أنه لابد من مغادرة أحد الطرفين، أو كليهما.

لكن لم يكن من الواضح ما إذا كان بإمكان رئيس موظفي البيت الأبيض الذي رأى وظيفته كعملية تأسيس قيادة، وتنفيذ تنظيم هرمي، أن يقدّم أمراً قمعيّاً إلى القائد الأعلى، أو أن يعمل بشكل فعّال في البيت الأبيض، حيث كان لأطفال القائد الأعلى وصول خاص وتأثير كبير .وبقدر ما كانت ابنة الرئيس وزوجها يكنّان الآن احتراماً صاغراً للقائد الأعلى، إلا أنهما، وتبعاً للعادة والمزاج، سيعمدان بالتأكيد إلى تجاوز سيطرة كيلي على الجناح الغربي .لم يكن لهما تأثير خاص واضح فقط في الرئيس، ولكن أعضاء مهمّين من الموظفين رأوا تأثيرهما هذا، وبالتالي اعتقدوا أنهما على رأس سلطة الجناح الغربي وقوته.

ومن الغريب أن كلّاً من جاريد وإيفانكا القليلَي الخبرة، قد أصبح له وجود مخيف جدّاً، وأصبح الآخرون يخشون منهما بالقدر نفسه الذي يخشيان هما فيه بانون .وما هو أكثر من ذلك، أن جاريد وإيفانكا أصبحت لهما قدرة تنافسية كبيرة، وفرضا سيطرتهما على جميع الجبهات الأمامية والخلفية .قال أحد كبار الموظفين» :لو سمعا شخصاً يتحدث عنهما، لأنهما كانا حذرَيْن جدّاً على صورتهما الشخصية التي صاغاها بحذر، أو حاول أي شخص قول شيء ضد هذه الصورة، لاعتبرا هذا الأمر مشكلة كبيرة، وقرّرا ملاحقته.«

من ناحية أخرى، وفي حين أن قضية هذين» الطفلين «قد تجعل من عمل كيلي مستحيلاً، لم يكن للإبقاء على بانون معنى أو فائدة .فمهما تكن مواهبه، يظلّ مجرد مخطّط بائس ومتذمّر ناقم، قد يدفع بأي منظمة نحو الهاوية .إلى جانب ذلك، وسواء أكانت ثغرة بدمينستر دليلاً أم لم تكن، فإن بانون قد أصبح مرة أخرى على قائمة الرئيس المكروهة.

استمر الرئيس في الغليان بخصوص» صفقة مع الشيطان«، كتاب جوشوا جرين الذي أعطى لبانون الفضل في الفوز بالانتخابات .وفي الوقت الذي حاول فيه الرئيس الوقوف إلى جانب بانون ضد ماكماستر، كان ثمة تأثير لحملة الدفاع عن ماكماستر، بدعم من جاريد وإيفانكا .كان مردوخ، الذي جنّده جاريد للمساعدة في الدفاع عن ماكماستر، يضغط شخصيّاً على الرئيس للحصول على رأس بانون .ورأى أنصار بانون أنهم مضطرون للدفاع عن بانون ضد تحرك متهور يقوم به الرئيس .لذلك لم يقتصر الأمر على وسمهم ماكماستر بميله الكبير إلى إسرائيل، بل أقنعوا شيلدون أديلسون بالضغط على ترامب من أجل

بقاء بانون .وقال أديلسون للرئيس، إنه الشخص الوحيد الذي يؤمّنه على إسرائيل في البيت الأبيض .لطالما أعجب ترامب بمليارات أديلسون وبعناده، وكان تأييده، هو ما عزّز من موقف بانون بشكل كبير.

لكن بتجاوز إدارة كيلي للجناح الغربي المروع، كان نجاح كيلي وأهميته، كما أبلغه من يستطيعون إبداء آرائهم، يعتمدان على تحقيقه للتحدي الرئيسي في وظيفته، والذي كان كيفية إدارة ترامب، أو، في الواقع، كيفية العيش من دون التمكّن من إدارة ترامب .كان لابد لرغباته واحتياجاته ودوافعه التي تقع خارج الهيكل التنظيمي أن تحضر .كان ترامب ببساطة المتغيّر الوحيد الذي لا يمكن، من الناحية الإدارية، السيطرة عليه .كان يشبه طفلاً متمردّاً عمره عامان .إذا حاولت السيطرة عليه، لن تحصل إلا على تأثير معاكس .وفي مثل هذه الحالات لا بد للمدير من إدارة توقُّعاته الخاصة.

في لقاء مبكر مع الرئيس، وضع الجنرال كيلي جاريد وإيفانكا على جدول أعماله :كيف رأى الرئيس دورهما :ما الذي باعتقاده يجدي معهما أو لا يجدي؟ وكيف تصور تطور العلاقة معهما؟ كان قصد كيلي من كل ذلك أن يكون وسيلة سياسية لفتح مناقشة حول إبعادهما .ولكن الرئيس كان، كما أخبر كيلي، مسروراً جدّاً بجميع جوانب أدائهما في الجناح الغربي .وقد يصبح جاريد في وقت ما وزير الدولة .كان هذا هو التغيير الوحيد الذي يبدو أن الرئيس يتنبأ به .وكان أكثر ما تمكن كيلي من القيام به هو نيل موافقة الرئيس على أن الزوجين يجب أن يلتزما بشكل أكبر الانضباط التنظيمي في الجناح الغربي، ويجب ألا يتعدّيا الحدود بسرعة.

وكان هذا، على الأقل، شيئاً يمكن أن يحاول الجنرال فرضه .في عشاء بدمينستر، كان الرئيس يتناول الطعام مع ابنته وزوجها، وفوجئت الأسرة الأولى عندما ظهر كيلي، وانضم ليشاركهم وجبة الطعام .الأمر الذي لم يكن، كما فهموا بعدها، محاولة تواصل اجتماعي لطيف، أو نوعاً من الألفة غير المبررة، بل كان عبارة عن تنفيذ للسلطة :أصبح على جاريد وإيفانكا المرور بكيلي للتحدث إلى الرئيس.

لكن ترامب قد أوضح شعوره مبكراً، بأنه يعتقد أن الأدوار التي يقوم بها »طفلاه «في إدارته تحتاج فقط إلى تعديل طفيف .وقد مثّل هذا الآن مشكلة كبيرة لبانون .اعتقد بانون حقّاً أن كيلي سيجد وسيلة لإبعاد جارفانكا، ولماذا لا يفعل؟ في الواقع، أقنع بانون نفسه بأن إيفانكا وجاريد يمثّلان أكبر خطر على ترامب . وأنهما يسحبان الرئيس إلى الأسفل .كما اعتقد بانون أنه لا يستطيع البقاء في البيت الأبيض إذا بقيا هما فيه.

وبعيداً عن استياء ترامب الحالي من بانون، والذي اعتقد الكثيرون أنه مجرد استياء وشكوى اعتادوها من الرئيس تجاه بانون، فقد شعر أنصار بانون أن زعيمهم، على الأقل من حيث السياسة، قد أصبح اليد العليا .فجارفانكا مهمَّش، والقيادة الجمهورية فقدت صدقيتها، بعد قضية الرعاية الصحية . وكانت خطة كوهن ومنشين للضرائب فاشلة .وبدا المستقبل لبانون، من خلال نافذة واحدة، شبه وردي.

اعتقد سام نانبرغ، الموالي السابق لترامب، والذي أصبح الآن موالياً لبانون بشكل كلي، أن بانون سيبقى في البيت الأبيض لمدة عامين، ثم يغادر ليدير حملة

إعادة انتخاب ترامب» .إذا استطعتَ إنجاح هذا الأحمق في الانتخابات لمرتين«، علّق نانبرغ بإعجاب،» ستكون قد حقَّقت ما يشبه الخلود في السياسة.«

ولكن من خلال نافذة أخرى، لا يمكن أن يبقى بانون في مكانه .فقد ارتفع كثيراً إلى درجة سمحت له أن يرى كيف أصبح البيت الأبيض سخيفاً .كان بالكاد يستطيع البقاء صامتاً، وهو في الواقع، لا يستطيع .لم يعد بإمكانه رؤية مستقبل إدارة ترامب .وعلى الرغم من أن العديد من أنصار بانون قد جادلوا بعدم جدوى جارفانكا وعدم أهميته، إلا أنهم طلبوا من بانون تجاهله .ولكن صبر بانون كان ينفد .ومع اشتداد الغضب والحقد العام، لم يعد بوسعه تحمُّله أكثر من ذلك.

استمر بانون في انتظار دعوته للانضمام إلى الرئيس في بدمينستر، وفكَّر في أن يصعّد الوضع، ويقدّم استقالته إلى كيلي .ولكن هذه في الواقع هي لعبة الدجاج) تتمحور حول من هو الأكثر جبناً :(فهو يريد البقاء، ولكن من ناحية أخرى، يريد مغادرة جارفانكا .نعم هذا هو الإنذار الفعال.

***

على الغداء يوم 8 آب/أغسطس، داخل النادي في بدمينستر، ووسط الثريات الترامبوية، وميداليات الغولف، وكؤوس البطولات، جلس الرئيس محاطاً بتوم برايس، وزير الصحة والخدمات الإنسانية، وزوجته ميلانيا، وكيليان كونواي، وكوشنر، وعدة أشخاص آخرين .كان هذا غداء عمل نوقشت فيه أزمة المواد الأفيونية .أعقب ذلك بيان للرئيس وجولة قصيرة من الأسئلة من الصحفيين .أثناء قراءة البيان بلهجة رتيبة، أبقى ترامب رأسه مستنداً إلى مرفقيه .بعد الإجابة عن بعض الأسئلة حول الأفيون، سُئل ترامب فجأة عن

كوريا الشمالية، وتماماً كما لو كان في الرسوم المتحركة، توقف ..تحرّك، واشتعلت حماسته على الفور.

كانت قضية كوريا الشمالية ثقيلة في التفاصيل وقصيرة في الإجابات .وكان الرئيس يعتقد أنها نتاج عقول قاصرة، وعزم ضعيف، وكانت لديه صعوبة في الاهتمام بها .ما هو أكثر من ذلك، أن ترامب قد عبّر بشكل متزايد عن عدائه لزعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون، مشيراً إليه في كثير من الأحيان بصفات مهينة .لم يكن موظفوه قد أعدّوه لهذا الحديث، ولكنه في محاولة للانتهاء من موضوع الأفيون، شعر بارتياح مفاجئ لفرصة معالجة هذه المشكلة المزعجة . وبدأ بالحديث الذي كرره لوحده غالباً، كما يكرر كل شيء في كثير من الأحيان، عن الأزمة الدولية» .ينبغي لكوريا الشمالية ألا تلوّح بأي تهديدات للولايات المتحدة .لأن أي تهديدات تلوّح بها سوف تُقابل بنار وغضب لم يشهدهما العالم من قبل .لقد كان مهدّداً جدّاً خارج الحدود الطبيعية، وكما قلت سيجري الرد على التهديدات بالنار والغضب والقوة، التي لم يسبق لهذا العالم أن شهد لها مثيلاً .شكراً لكم.«

***

أصبح موضوع كوريا الشمالية، الذي لطالما نُصح الرئيس بأن يقلّل من مناقشته، الموضوع الرئيسي لبقية الأسبوع، مع معظم كبار الموظفين المشغولين ليس بالموضوع نفسه، بل بكيفية الاستجابة للرئيس، الذي كان يهدد» بالضرب « مرة أخرى.

في ظل هذه الخلفية، لم يكد أحد يهتم بإعلان مؤيد ترامب والنازي الأميركي ريتشارد سبنسر بأنه ينظّم احتجاجاً في جامعة فيرجينيا في شارلوتسفيل على إزالة تمثال روبرت لي .وكان موضوع التجمُّع الذي دعي إليه يوم السبت، 12 آب/أغسطس» وحّدوا اليمين«، وكان مصمّماً بشكل واضح لربط سياسة ترامب بالقومية البيضاء .في 11 آب/أغسطس، ومع استمرار الرئيس في بدمينستر بتهديد كوريا الشمالية، وأيضاً، على نحو غير مفهوم، تهديد جميع موظفيه تقريباً، بالتدخل العسكري في فنزويلا، دعا سبنسر إلى احتجاج مسائي .في الساعة 8:45 مساء، أثناء قضاء الرئيس الليلة في بدمينستر، بدأ حوالي 250 شاباً يرتدون البنطلونات الكاكي وقمصان البولو، تماماً كنمط لباس ترامب، بتنظيم موكب عبر حرم جامعة فيرجينياUVA ، وهم يحملون مشاعل الكيروسين .وقام مراقبو الموكب بتوجيهه .وعند الإشارة، بدأ المتظاهرون يرددون شعارات الحركة الرسمية» :الدم والتراب» «!لن تستبدلونا» «!لن يحل اليهود محلنا .»وفي وسط الحرم الجامعي، بالقرب من تمثال مؤسس الجامعة، توماس جيفرسون، قوبلت مجموعة سبنسر بمجموعة احتجاج معاكس .ومع عدم وجود أي من أفراد الشرطة تقريباً، بدأت أولى شجارات نهاية الأسبوع، وبدأت الإصابات تنجم عنها.

وبدءاً من الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، أصبحت الحديقة التي تقع قرب تمثال روبرت إدوارد لي ساحة معركة للحركة العنصرية البيضاء المفاجئة، بوجود العصي والدروع والمسدسات والبندقيات الآلية) فرجينيا ولاية يسمح حمل السلاح فيها .(إنها حركة ولّدتها، لرعب الليبراليين، حملة ترامب والانتخابات .وهكذا هدف ريتشارد سبنسر لها أن تكون .كان اعتراض المتظاهرين من اليسار المتطرف المتشدد هو الذي دعا إلى المتاريس، التي لايوجد

ما هو أفضل منها لإنهاء الوضع، بغض النظر عن أعداد المتظاهرين المحدودة . وشغل الجزء الأكبر من الصباح سلسلة من الاتهامات والهجمات والدفاعات المضادة، بالزجاج والحجارة، مع وقوف عناصر الشرطة كمتفرجين.

في بدمينستر، كان لا يزال هناك إدراك قليل لتكشف الأحداث في شارلوتسفيل .ولكن بعد ذلك، أي في حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر، عمد جيمس أليكس فيلدز جونيور، البالغ من العمر 20 عاماً، وهو من أنصار النازية، إلى الاندفاع بسيارته الدودج بين مجموعة من المحتجين المعارضين، مما أسفر عن مقتل هيذر هيير البالغة من العمر 32 عاماً، وإصابة آخرين.

في تغريدة سرعان ما صاغها موظفو ترامب، أعلن الرئيس» :يجب علينا جميعاً أن نكون متحدين، وأن ندين كل ما تحض عليه الكراهية .ليس هناك مكان لهذا النوع من العنف في أميركا. دعونا نكون معاً قوة واحدة.«

ومع ذلك، كان العمل هو العمل المعتاد في نظر الرئيس، فلم تكن شارلوتسفيل إلّا مجرد إلهاء .والواقع أن هدف الموظفين تمثّل في إبقائه خارج قضية كوريا الشمالية .وكان الحدث الرئيسي في بدمينستر لذلك اليوم هو التوقيع الاحتفالي على قانون يوسّع تمويل برنامج السماح للمحاربين القدامى بالحصول على الرعاية الطبية خارج مستشفيات فرجينيا .وحدث التوقيع في قاعة كبيرة في النادي بعد ساعتين من هجوم أليكس فيلد.

وخلال التوقيع، توقف ترامب لحظة لإدانة» الكراهية والتعصُّب والعنف الذي يحدث في» شارلوتسفيل .«وعلى الفور تقريباً، تعرّض الرئيس لهجوم، بسبب التمييز الذي بدا أنه يرفض وضعه بين العنصريين المعلنين والجانب

الآخر .وقد فهم ريتشارد سبنسر بشكل صحيح، أن تعاطف الرئيس كان مضطرباً .فقد كان من السهل والواضح إدانة العنصريين البيض، وحتى النازيين الجدد الذين يصنفون أنفسهم، لكنه قاوم هذا بشكل غريزي.

ولم يحاول البيت الأبيض إلا في صباح اليوم التالي توضيح موقف ترامب ببيان رسمي» :قال الرئيس بقوة في بيانه أمس أنه يدين جميع أشكال العنف والتعصب والكراهية .ويتضمن هذا العنصريين، والكوكلوكس كلان) وهي عدة أخويات في الولايات المتحدة تؤمن بتفوق العرق الأبيض والعنصرية ومعاداة السامية وكراهية المثلية والأهلانية (والنازيين الجدد وجميع الجماعات المتطرفة. وقد دعا الرئيس إلى الوحدة الوطنية وضم جميع الأميركيين معاً .«لكن ترامب في الواقع لم يدن العنصريين، وكو كلوكس كلان، والنازيين الجدد، بل كان مازال عنيداً تجاه القيام بذلك.

في مكالمة مع بانون، سعى ترامب للحصول على المساعدة في تقديم قضيته : »أين ينتهي هذا كله؟ هل سيقومون بإسقاط نصب واشنطن التذكاري، أو ماونت رشمور، أو ماونت فيرنون؟

وبما أن بانون لم يتسلّم دعوته إلى بدمينستر، فقد دفع الرئيس في هذا الاتجاه :يجب على الرئيس أن يدين العنف وسوء التصرف، ويجب عليه الدفاع عن التاريخ أيضاً) حتى مع سوء فهم ترامب للتاريخ.(

وإن التأكيد الحرفي للنصب التذكاري سوف يزعج الحزب اليساري ويريح الحزب اليميني.

غير أن جاريد وإيفانكا، وبدعم من كيلي، دفعا ترامب إلى اتباع السلوك الرئاسي .كانت خطتهم أن يعود ترامب إلى البيت الأبيض، وأن يعالج المسألة بتوبيخ عنيف اللهجة للمجموعات التي تحض على الكراهية والسياسة العرقية، الموقف الذي لا لبس فيه، والذي راهن ريتشارد سبنسر أن ترامب لن يتخذه بإرادته.

كان بانون يدرك وجود هذه التيارات عند ترامب .وقد ضغط على كيلي وشرح له أن نهج جارفانكا سيكون عكسيّاً .وقال بانون» سوف يكون واضحاً أن ما يقوله ترامب ليس صادراً من القلب.«

وصل الرئيس قبل الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين إلى البيت الأبيض الذي لا تزال أعمال البناء قائمة فيه، وقوبل بوابل من الأسئلة حول شارلوتسفيل» :هل تدين أعمال النازيين الجدد؟ وهل تدين أعمال المتطرفين البيض؟ .«وبعد حوالي تسعين دقيقة، وقف ترامب في غرفة الاستقبال الدبلوماسي، عيناه مركّزتان على جهاز العرض، وألقى بياناً مدته ست دقائق.

بدأ، قبل الوصول، إلى النقطة بالقول» :إن اقتصادنا قوي الآن، ولا تزال سوق الأسهم ترتفع إلى مستويات قياسية، والبطالة في أدنى مستوى لها منذ ستة عشر عاماً، والشركات أكثر تفاؤلاً من أي وقت مضى .وقد بدأت الشركات تعود إلى الولايات المتحدة وتحضر معها العديد من فرص العمل .لقد خلقنا بالفعل أكثر من مليون وظيفة منذ تولّيت منصبي.«

وبعد ذلك فقط» :يجب أن نُحبّ بعضنا بعضاً، ونظهر المودة بعضنا لبعض، ونتحد معاً في إدانة الكراهية والتعصب والعنف ...يجب علينا أن نعيد

اكتشاف روابط الحب والولاء التي تجمعنا كأميركيين ...العنصرية شريرة. وأولئك الذين يتسببون في العنف باسمها هم المجرمون والمتنمّرون بمن فيهم كوكلوكس كلان والنازيون الجدد، والعنصريون البيض، وغيرهم من مجموعات الكراهية التي هي بغيضة لكل ما نعتز به كأميركيين.«

كان خطابه عبارة عن تزلف متردد ومصغّر .كان يشبه إعادة عرض خطابه عن أوباما خلال الحملة :فيه الكثير من الإلهاء والتشويش، يتبعه اعتراف ملتبس وغير واضح .وبالمثل، بدا هنا يحاول أن يصوّب الأمور في ما يخص شارلوتسفيل؛ ومثل طفل يجري تعنيفه، كان مستاء ومشاكساً، وكان من الواضح أنه يقرأ سطوراً مفروضة عليه.

وفي الواقع لم يحصل إلا على قدر ضئيل من الاعتبار على هذه التصريحات الرئاسية، حيث كان الصحفيون يمطرونه بالأسئلة حول سبب استغراقه وقتاً طويلاً لمعالجة هذه القضية .عاد ترامب إلى طائرة الرئاسة مارين وان Marine Oneليتجه إلى قاعدة أندروز للقوات الجوية، وإلى مطار جون كينيدي، ثم إلى مانهاتن ثم برج ترامب .لقد كان مزاجه قاتماً ومشحوناً بعبارة» ألم أخبرك؟.«

ظل، بينه وبين نفسه، يحاول أن يفهم منطقياً لماذا يمكن لشخص ما أن يكون عضواً في كوكلوكس كلان .قد لا يعتقد هذا الشخص فعلاً بما تعتقده جماعة كوكلوكس كلان، وقد لا تعتقد كوكلوكس كلان بما يعتقد به هذا الشخص .وفي أي حال، مَن الذي يعرف حقّاً ما تعتقد به جماعة كوكلوكس كلان الآن؟ في الواقع، اتّهم ترامب والده نفسه بالتورط مع كوكلوكس كلان، بالرغم من أنه لم يكن له علاقة بهم) في الواقع، نعم، كانت له علاقة بهم.(

في اليوم التالي، يوم الثلاثاء 15 آب/أغسطس، كان البيت الأبيض على موعد مع مؤتمر صحفي مقرر في جناح ترامب .وحث بانون كيلي على إلغائه، فهو لم يكن مؤتمراً مهماً في أي حال .كانت فرضيته حول البنية التحتية، بخصوص إلغاء التنظيم البيئي الذي يمكن أن يساعد على بدء المشروعات بشكل أسرع لكنّه في الحقيقة كان مجرد جهد آخر لإظهار أن ترامب كان يعمل، وليس فقط في إجازة .فلماذا العناء؟ وما هو أكثر من ذلك، هو أن بانون أخبر كيلي بأنه يرى علامات تشير إلى أن الضغط المتزايد على ترامب سوف يجعله ينفجر قريباً جدّاً.

ظل المؤتمر الصحفي قائماً في أي حال .وقد وقف ترامب أمام منصة القراءة في بهو برج ترامب، وحافظ على النص الأصلي لدقائق محدودة.

ثم بدأ بشكل دفاعي ونوع من التبرير الذاتي، فراهن أن الندم كلام فارغ، والخطأ يكمن في كل مكان من حولنا .ثم خاض بشكل أعمق متابعاً حديثه من دون قدرة واضحة على ملاءمة مشاعره مع الظروف السياسية، أو حتى محاولة بذل جهد لإنقاذ نفسه .لقد كان هذا مثالاً آخر، على مواقفه السياسية الهزلية المثيرة للسخرية، حيث يقول السياسي كل ما يجول في ذهنه، من دون رقابة، كالمجانين تماماً.

»ماذا عن اليسار المتطرف الذي هجم على ما تسمونه اليمين المتطرف ؟ هل كان لديهم أي مظهر من مظاهر الشعور بالذنب؟ ماذا عن حقيقة أنهم هجموا وهم يحملون العصي والمضارب في أيديهم؟ بقدر ما أشعر بالقلق من أنه كان يوماً فظيعاً فظيعاً ...فإنني أعتقد أن اللوم يقع على كلا الجانبين .ليس لدي أي شك في ذلك، ليس هناك أي شك حول هذا الموضوع .إذا نظرت إلى الأمر بدقة

سترى هذا .«كان ستيف بانون جالساً في مكتبه المؤقت في مبنى المكاتب التنفيذية EOB، وفكّر قائلاً» :يا إلهي، ها هو يفعلها، لقد قلت لك.«

***

خارج مجموعة الناخبين الذين، كما ادعى ترامب مرة، قد يسمحون له بإطلاق النار على شخص ما في الجادة الخامسة، كان العالم المتحضّر في غاية الاندهاش .شعر الجميع بصعقة أخلاقية عالية .فأي شخص في أي موقف من المسؤولية ولديه ارتباط، ولو كان ارتباطاً بعيداً باحترام المؤسسات، سوف يستنكر ما حدث .أي رئيس تنفيذي لشركة عامة كان قد ربط نفسه مع ترامب والبيت الأبيض هو بحاجة الآن إلى قطع العلاقات بهما .قد لا تكون المشكلة الأساسية تكمن في المشاعر غير المتوازنة، والتي يبدو أنه يحملها في قلبه .وقد أفاد بانون أن ترامب ليس معادياً للسامية، ولكنه ليس متأكداً من موقفه تجاه المجموعات الأخرى؛ كل ما في الأمر أنه لا يستطيع التحكم بنفسه، وضبط أعصابه.

في أعقاب المؤتمر الإخباري المثير، تحوّلت كل العيون فجأة إلى كيلي، كانت تلك نتائج نيران ترامب .لقد عاش كل من سبايسر، وبريبوس، وكوهن، وباول، وبانون، وتيلرسون، وماتيس، ومونشين، وجميع كبار موظفي ترامب ووزرائه، السابقين والحاليين، جميع مراحل المغامرة، والتحدي، والإحباط، والمعركة، والتبرير الذاتي، والشك، قبل أن يواجهوا في النهاية الاحتمال الحقيقي بأن الرئيس الذي عملوا عنده، وحملوا بعض المسؤولية الرسمية خلال رئاسته، لم

يكن لديه القدرة على التركيز الكافي في وظيفته .والآن، وبعد أقل من أسبوعين من العمل، كان دور كيلي ليقف على حافة تلك الهاوية.

إن النقاش، كما قال بانون، لم يكن حول ما إذا كان وضع الرئيس سيئاً، بل ما إذا كان التشريع الخامس والعشرون سيّئاً.

***

بالنسبة إلى بانون، إن لم يكن بالنسبة إلى ترامب، كان محور النهج الترامبوي هو الصين؛ لأنه يعتقد أن قصة الجيل القادم كانت مقدَّرة، وهي عن الحرب مع الصين :حرب تجارية، وثقافية، ودبلوماسية .سوف تكون حرباً شاملة لا يفهم إلا قلة من الناس في الولايات المتحدة أنه يجب خوضها، وأنه لم يجرِ إعداد أي شخص تقريباً ليقاتل فيها.

كان بانون قد جمع قائمة» الصقور الصينية «التي عبرت الخطوط السياسية، من جماعة بريتبارت، إلى رئيس التحرير السابق لنيو ريبابليك New Republic بيتر بينارت الذي عامل بانون بازدراء، إلى روبرت كوتنر الأرثوذكسي الليبرالي التقدمي، رئيس تحرير مجلة السياسة العامة الصغيرة أميركان بروسبكت American Prospect. وفي يوم الأربعاء الموافق 16 آب/أغسطس، أي بعد يوم من المؤتمر الصحفي للرئيس في برج ترامب، اتصل بانون من دون سابق إنذار بكوتنر من مكتبه التنفيذي ليتحدث عن قضية الصين.

بحلول هذه النقطة، كان بانون مقتنعاً بأنه كان في طريقه إلى الخروج من البيت الأبيض .فهو لم يتلقَّ دعوة للانضمام إلى الرئيس في بدمينستر، وهذه

إشارة مدمرة .وفي ذلك اليوم، علم بتعيين هوب هيكس مديراً مؤقتاً للاتصالات، وهذا انتصار لجارفانكا .وفي الوقت نفسه، استمر الهمس المطرد من جانب جارفانكا بزواله القريب، وأصبح خلفية ضجيج ثابتة.

كان بانون لا يزال غير متأكد من أنه سيُفصل؛ ولكنه قرر اختيار مصيره بنفسه .وفي المقابلة الثانية الوحيدة التي أجريت معه منذ فوز ترامب، اتصل بكونتر .سوف يتأكد في وقت لاحق أن تبقى المحادثة خارج السجلات .كان هذا هو أسلوب بانون، إنه يحب التلاعب بالأقدار.

إذا كان ترامب هو ترامب البائس في آخر مؤتمر صحفي له، فقد كان بانون هو بانون البائس في محادثته مع كوتنر .حاول دعم ترامب ليتغلّب على ضعفه حيال الصين .وأوضح بطريقة ساخرة تبجح الرئيس فيما يتعلق بكوريا الشمالية، قائلاً» :عشرة ملايين شخص في سيوول سوف يموتون«، وأهان أعداءه الداخليين حين قال» :إنهم يرتجفون من الخوف .«إذا لم يكن ترامب قادراً على التحدث كرئيس، فإن بانون سيجاريه تماماً :ولن يكون قادراً على التحدث كمساعد رئيس.

***

في ذلك المساء، تجمّعت مجموعة من أنصار بانون قرب البيت الأبيض لتناول وجبة عشاء .كانت دعوة العشاء في بار فندق هاي آدامز، ولكن آرثر شوارتز، رجل العلاقات العامة لبانون، دخل في مشادة مع نادل من الفندق حول تحويل قناة التلفزيون من السي .إن .إن .إلى فوكس، حيث سيظهر موكله، بلاكستون ستيفن شوارزمان، رئيس أحد مجالس رجال أعمال الرئيس، قريباً .

كان مجلس الأعمال يتخلص من بعض أعضائه الرئيسيين بعد مؤتمر الرئيس الصحفي عن شارلوتسفيل .وأعلن ترامب، في تغريدة، أنه سيقوم بحل المجلس .)كان شوارزمان قد نصح الرئيس بأن المجلس ينهار، وأن على الرئيس أن يجعله يبدو وكأن قرار إغلاقه صادر عنه .(وأعلن شوارتز، بامتعاض شديد، أنه سيترك فندق هاي آدمز وينتقل إلى فندق ترامب .كما أصر أن يجري نقل العشاء إلى مطعم جو الذي يبعد شارعين عن الفندق .شعر ماثيو بويل، المحرر السياسي في بريتبارت نيوز، بالغضب لخروج شوارتز العصبي، ومن توبيخه له، وهو شاب في التاسعة والعشرين، لإشعال سيجارة، قال له شوارتز باستعلاء» :أنا لا أعرف أي شخص يدخن .«بالرغم من أن شوارتز كان يتردّد كثيراً على مخيم بانون، إلا أنه كان يتعامل مع جمهور بريتبارت بتعالٍ باعتبارهم من الطبقة الدنيا.

ناقش كل من أنصار بانون تأثير مقابلة بانون، التي فاجأت جميع أنصاره في العالم .ولم يستطع أي من الرجلين أن يفهم لماذا أجرى بانون المقابلة .هل انتهى بانون؟ لا، لا، لا، جادل شوارتز .ربما حدث هذا قبل بضعة أسابيع عندما تآمر مردوخ مع ماكماستر وذهبا إلى الرئيس، وضغطا عليه لفصل بانون .ولكن بعد ذلك قام شيلدون بإصلاح الأوضاع، قال شوارتز.

تابع شوارتز» :لقد بقي ستيف في المنزل عندما جاء عباس» .لم يكن ليتنفس الهواء نفسه الذي يتنفسه إرهابي .«وكانت هذه الجملة تحديداً هي التي سيقدّمها شوارتز إلى الصحفيين في الأيام المقبلة، في محاولة أخرى لتأكيد فضيلة بانون اليمينية.

وصلت مساعدة بانون، الملازم أليكساندرا بريتي، إلى مطعم جو لاهثة .وبعد ثوان، وصل جايسون ميلر، رجل علاقات عامة آخر لبانون .خلال المرحلة الانتقالية، كان من المقرر أن يكون ميلر مدير الاتصالات .ولكن بعد ذلك انتشرت شائعة فحواها أن ميلر كان على علاقة عاطفية مع موظفة أعلنت في تغريدة أنها حامل بطفل ميلر، كما كانت في هذه المرحلة زوجة ميلر حاملاً أيضاً . وفقد ميلر وظيفته الموعودة في البيت الأبيض، لكنه واصل العمل كصوت ترامب وبانون في الخارج .وبالرغم من جميع مشكلاته التي يواجهها بولادة طفليه اللذين جاءا من امرأتين مختلفتين، والموجة الصحافية التي تنتظره، ظل ميلر مركّزاً بشكل هائل على ما قد تعنيه مقابلة بانون.

ضجّت الطاولة بأصوات المتكهنين .كيف سيكون رد فعل الرئيس؟ كيف سيتفاعل كيلي؟ هل كانت هذه ستارة؟

بالنسبة إلى مجموعة الأشخاص الذين كانوا على اتصال متواصل مع بانون، من دقيقة إلى أخرى، كان من اللافت للنظر أن أيّاً منهم لم يكن يدرك أن بانون سيخرج من البيت الأبيض سواء بشكل طوعي أو قسري .على العكس من ذلك، تحوّلت المقابلة المدمرة، بتوافق الآراء، إلى خطوة استراتيجية رائعة .بانون لن يذهب إلى أي مكان، وأقل الأسباب، لأنه ليس هناك ترامب من دون بانون.

كان عشاء بهيجاً، ومناسبة محفزة تضم مجموعة شغوفة من الناس المتعلقين بالرجل الذي يعتقدون أنه من أكثر الشخصيات قوة في واشنطن .إنهم يرونه كنوع من العناصر غير القابلة للاختصار :بانون كان بانون نعم بانون.

بحلول المساء، خاض مات بويل معركة رسائل نصية غاضبة مع جوناثان سوان، وهو مراسل في البيت الأبيض كتب قصة عن كون بانون يقع في الجانب الخاسر في المواجهة بين بانون وبين ماكماستر .وعلى وجه السرعة، قام كل مراسل لديه معارف في المدينة بالتحدث مع أحد الأشخاص الذين على الطاولة . ولدى وصول رسالة نصية، يحمل المتلقي الهاتف عالياً إذا ما ظهر اسم أيّ مراسل ملحوظ.

في مرحلة ما، أرسل بانون رسالة نصية إلى شوارتز عن بعض نقاط الحديث .هل يمكن أن يكون هذا يوماً آخر في دراما ترامب التي لا نهاية لها؟ قدّم شوارتز، الذي يعتبر غباء ترامب نتيجة سياسية، تحليلاً قويّاً يعلّل عدم تمكّن ترامب من الاستغناء عن بانون .وبعد ذلك، سعى شوارتز إلى البحث عن المزيد من الأدلة على نظريته .وقال إنه كان يكتب رسالة لسام نانبرغ، الذي يعتبر عموماً الرجل الذي يفهم أهواء ترامب ودوافعه بالشكل الأفضل، والذي توقّع بقاء بانون في كل لحظة مشكوك فيها في الأشهر الماضية .قال شوارتز» :نانبرغ يعرف دائماً .«وبعد ثوانٍ، نظر شوارتز إلى شاشة هاتفه، واتسعت عيناه وصمت للحظة ثم قال» :نانبرغ يقول إن بانون قد انتهى.«

وبالفعل، ومن دون علم أنصار بانون، حتى الأقرب إليه، كان بانون في تلك اللحظة ينهي مغادرته مع كيلي .وفي اليوم التالي، سيقوم بجمع أغراضه التي في مكتبه الصغير .ويوم الاثنين، عندما يعود ترامب إلى الجناح الغربي المجدد حيث الطلاء الجديد، والأثاث الجديد، والسجاد الجديد، والإطلالة على فندق ترامب،

سيكون ستيف بانون في مبنى الكابيتول هيل في بريتبارت .ومع ذلك، كان واثقاً، أنه هو كبير استراتيجيي ثورة ترامب.

خاتمة

بانون وترامب

في صباح يوم شديد الحر من شهر تشرين الأول/أكتوبر 2017 ، وقف الرجل الذي كان وحده تقريباً وراء انسحاب الولايات المتحدة من اتفاق باريس للمناخ . وقف على درج مقر بريتبارت، وقال ضاحكاً من قلبه» :أظن أن الاحتباس الحراري أمر حقيقي.«

لقد خسر ستيف بانون 9 كيلوغرامات من وزنه بعد خروجه من البيت الأبيض قبل ستة أسابيع .فقد ألزم نفسه بحمية غذائية قاسية لا يأكل فيها إلا السوشي .وقال صديقه ديفيد بوسي» :ذلك المبنى، يأخذ إليه أشخاصاً بكامل صحتهم، فيحولهم إلى أشخاص قد نال منهم الهرم والاعتلال«، قال ذلك وهو يقصد مبنى البيت الأبيض على عهد ترامب خصوصاً .فردّ عليه بانون، الذي كان له بوسي خير معين حقيقي في حياته، وخلال أيامه الأخيرة في الجناح الغربي، قائلاً بكلماته الخاصة مرة أخرى» :فليحترق .«لقد انتقل من» المنزل الآمن «في

أرلينغتون، وعاد إلى مبنى سفارة بريتبارت، ليحوّله إلى مقر لبدء المرحلة المقبلة من الحركة الترامبوية، التي لعلها تخلو من ترامب تماماً.

وعندما سئل بانون عن زعامة ترامب لحركة القومية الجماهيرية4، سجل تغييراً ليس بالقليل في المشهد السياسي للبلاد؛ حيث قال» :أنا زعيم حركة القومية الجماهيرية.«

ومن أسباب تبجح بانون ورأيه الجديد، كان أن ترامب قد تبنّى المرشح الحزبي لميتش ماكونيل في انتخابات الجمهوريين الأخيرة في ألاباما؛ ومن دون أي سبب واضح تكهّن بانون بالأمر، وذلك بدلاً من دعم مرشح القوميين الجماهيريين للمقعد في مجلس الشيوخ، الذي أخلاه آنذاك النائب العام جيف سيشنز؛ مع أن ماكونيل والرئيس لا يكاد أحدهما يتحدث مع الآخر .وفي» عطلة العمل «في شهر آب/أغسطس في بيدمنستر، حاول موظفو الرئيس ترتيب صلحة ألفة مع ماكونيل، إلا أن موظفي ماكونيل أرسلوا ردّاً بأن ذلك مستحيل، بالنظر إلى أن رئيس مجلس الشيوخ لديه موعد لقص شعره.

إلا أن الرئيس، الذي يؤذيه ويقلقه دائماً عجزه عن التآلف مع رئاسة الكونغرس، وسخطه، على نحو معاكس، من رفضه الكونغرس التآلف معه، قد بذل غاية جهده في دعم لوثر سترينج مرشح ماكونيل، الذي ترشّح في وجه مرشح بانون :روي مور اليميني المثير للمشكلات) .وحتى وفق معايير ولاية ألاباما، كان مور يمينيّاً متطرفاً :فقد عزل من منصبه رئيساً للمحكمة العليا في ألاباما لرفضه أمراً من المحكمة الفيدرالية بإزالة نصب للوصايا العشر في المبنى القضائي بولاية ألاباما.(

أما بانون، فكان يرى أن التفكير السياسي للرئيس هو تفكير بليد في أفضل أحواله .ومن غير المرجح أن يحصل على شيء من ماكونيل .والواقع أن ترامب لم يطلب أي شيء مقابل دعمه للوثر سترينج، وهو ما ظهر في تغريدة عابرة له في شهر آب/أغسطس .ولم تكن فرص نجاح سترينج ضئيلة فحسب، بل كان من المرجح أنه سيخسر خسارة مخزية .أما روي مور، فكان المرشح الواضح عند قاعدة ترامب الشعبية، وكان مرشح بانون .وبذلك ظهر الصراع :ترامب في مواجهة بانون .والحق أن الرئيس لم يكن مفروضاً عليه دعم أي شخص .فلن يشتكي أحد من بقائه محايداً في الانتخابات الأولية .أو كان بإمكانه أن يدعم سترينج ضمنيّاً، من دون المجازفة بالكثير والكثير من التغريدات اللجوجة.

وكان بانون لا يرى في هذه الواقعة مجرد استمرار لارتباك الرئيس الغريب في مواجهة ما يطرحه، بل كان يرى فيها أيضاً دوافعه المتقلبة، والمسرفة، والعابثة في أغلب الأحيان .فبخلاف أي منطق سياسي، قال ترامبب لبانون إنه دعم لوثر سترينج لأن» :لوثر صديقي.«

ويقول بانون مشمئزّاً» :لقد قالها كما يقولها ابن تسع سنوات«، وذكر أن ليس ثمة عالَم فيه صداقة فعلية تجمع بين ترامب وسترينج.

وبالنسبة إلى جميع أفراد الإدارة العليا في البيت الأبيض، كانت هذه أحجية دائمة في التعامل مع الرئيس ترامب :إنها كلمة» لماذا «في سلوكه المحير غالباً.

وكان تحليل كايتي والش للأمر أن» الرئيس يريد بطبيعته أن يكون محبوباً . إلا أنه يحتاج بطبيعته إلى أن يكون محبوباً على نحو متطرف، حيث يكون ...كل شيء دائماً نضالاً في سبيله.«

ويفسَّر هذا بأنه احتياج دائم إلى الفوز بشيء ما، أي شيء كان .ومن المهم بالدرجة ذاتها، أن من الأمور الأساسية بالنسبة إلى ترامب أن يبدو كأنه الرابح . وبالطبع فإن الفوز بلا تفكير، ولا تخطيط، ولا أهداف واضحة المعالم، لن يؤدي إلّا إلى الخسائر، في الأشهر التسعة الأولى من إدارة الرئيس .وفي الوقت نفسه، فإن التخبط في المنطق السياسي، الذي ينقصه التخطيط، وتدفعه النزوات، وتلفه نشوة الحرب، قد ساعد على نشوء اضطراب بدا مخرباً بشدة للوضع الراهن في نظر الكثيرين.

لكن باعتقاد بانون، فإن البدعة الترامبوية تتلاشى الآن.

وفي نظر بانون، كانت انتخابات سترينج ومور اختباراً لشخصية ترامب .ولا شك في أن ترامب استمر في الاعتقاد بأن الناس يتبعونه، وأنه المحرك للأحداث، وأن دعمه الانتخابي يساوي 8 إلى 10 نقاط في أي انتخابات .فقرر بانون اختبار هذه الفرضية، بصورة مثيرة قدر ما أمكنه ذلك .فكان في المحصلة أن أنفقت زعامة الجمهوريين في مجلس الشيوخ 32 مليون دولار على حملة سترينج، أما حملة مور فأنفقت مليوني دولار.

وعلى الرغم من إدراك ترامب عجز سترينج المطبِق في استطلاعات الرأي، فقد وافق على تقديم دعمه إليه في خطوة شخصية .إلا أن ظهوره في مدينة هانتسفيل، في ألاباما، في 22 أيلول/سبتمبر، أمام حشد يليق بترامب، كان جلطة سياسية .ففي خطاب مسهب لترامب، استمرّ 90 دقيقة من التشتت والارتجال، قال إن الجدار سيبنى) أصبح الآن جداراً شفافاً(، وإن التدخل الروسي في الانتخابات الأميركية كان ضلالة؛ وإنه سيطرد أي فرد من حكومته قدم الدعم إلى

مور .لكن مع تحوُّل قاعدته الشعبية إلى كتلة واحدة، لا تزال مأخوذة بالبدعة الترامبوية، كان تشجيعه للوثر سترينج قد جعل الصمت يخيم عليها في أحسن الأحوال .ومع ازدياد عدم ارتياح الحشود الحاضرة، أوشك الحدث على التحول إلى خزي لا فِكاك منه.

لكن بعد أن قرأ ترامب حال جمهوره، ويئس من إيجاد سبيل للخروج من مأزقه، جاء فجأة على ذكر كولن كيبرنيك؛ الذي داوى ركبته أثناء عزف النشيد الوطني في مباراة الدوري الوطني لكرة القدم الأميركية .وقد قابلت الجماهير ذلك بحفاوة كبيرة .وعند ذلك، أقلع الرئيس فوراً عن ذكر لوثر سترينج فيما تبقى من خطابه .وبالصورة نفسها، وعلى مدى الأسبوع التالي، استمر ترامب في تناول شؤون الدوري الوطني لكرة القدم الأميركية .ولم يولِ انتباهاً للهزيمة المدوية لسترينج التي حدثت بعد خمسة أيام من خطابه المسهب في هانتسفيل، متجاهلاً مقدار الرفض له، ومتجاهلاً انتصار مور وبانون، مع ما ينبئ به ذلك من مشكلات قادمة .فترامب الآن لديه موضوع جديد، هو موضوع رابح :إنه موضوع الركبة.

***

كان الافتراض المبدئي عند غالبية من دخلوا البيت الأبيض مع ترامب، هو : يمكن لهذا الأمر أن ينجح .بإمكاننا العمل على نجاح هذا الأمر .والآن، وبعد ما لا يزيد على ثلاثة أرباع السنة الأولى فقط من عهد ترامب، لن تجد فعليّاً أي فرد من الإدارة العليا يمكن أن يكون واثقاً بذلك الافتراض المبدئي بعد اليوم .وعلى نحو خلافي، كان يقيناً لا شك فيه في أيام كثيرة، اعتقد معظم أفراد الإدارة العليا أن

الجانب الإيجابي الوحيد من دخولهم البيت الأبيض على عهد ترامب كان العمل على منع حدوث الأمور الأكثر سوءاً.

ففي شهر تشرين الأول/أكتوبر، أصبح مصير وزير الخارجية ريكس تيلرسون محتوماً، إن لم تكن ازدواجية موقفه مع الرئيس قد حتّمت مصيره مسبقاً؛ وذلك بعد الكشف عن أنه نعت الرئيس بأنه» :أبله لعين.«

وهذه الإهانة لذكاء ترامب كانت تعني من جهة أنه لا يستطيع القيام بشيء، ومن جهة أخرى أن الجميع متهمٌ بها، بعد أن قوبلت بقهقهات أفراد الإدارة العليا ناهيك بتيلرسون .فكل فرد في الإدارة العليا، بطريقته الخاصة، قاوم التعبير عن الحقيقة الناصعة الجلاء بأن الرئيس لم يكن يعلم ما يكفي، فهو لا يعلم ما لا يعلمه، وهو على نحو خاص لم يكن يأبه، وكان كذلك واثقاً ومطمئنّاً إلى اعتقاداته التي لا تقبل الشك .وهناك الآن قدر كبير من القهقهة في الأروقة الخلفية بشأن مَن ينعت ترامب بنحو ذلك .فستيف موتشين وراينس بريبوس يريانه» أحمق .«وغاري كُون يراه» معتوهاً .«أما ماكماستر فكان يراه» مخبولاً .« والقائمة تطول.

ولم يكن تيلرسون إلا مجرد مثال آخر على مرؤوس يعتقد أن قدراته الخاصة يمكن بطريقة ما أن تعدّل إخفاقات ترامب.

وكان في صف تيلرسون ثلاثة من القادة العسكريين :ماتيس وماكماستر وكيلي، وكل منهم يرى في نفسه مثلاً للرشد، والاستقرار، والانضباط .وكل منهم طبعاً كان محل امتعاض ترامب، لتلك الأسباب ذاتها .فالإشارة إلى أن أيّاً منهم

يمكن أن يحظى بتركيز أكبر، أو معاملة ألطف مما لترامب، كانت سبباً يدعو إلى استياء الرئيس وإيقاظ نوبات غضبه.

وكان الجدل اليومي بين أفراد الإدارة العليا، الذين ما زالوا فيها والذين خرجوا اليوم، أي جميع مَن محَوا مستقبل تيلرسون من إدارة ترامب، هو :كم سيبقى الجنرال كيلي كبيراً للموظفين؟ فقد كان هناك شيء من لعبة حظ افتراضية، وكانت النكتة الرائجة هي أن راينس بريبوس ربما كان كبير الموظفين الأطول مدة في وظيفته على عهد ترامب .فنفور كيلي من الرئيس أمر معروف . وقد تجلّى ذلك في كل كلمة أو إيماءة يتلطف بها إلى ترامب .وكان نفور ترامب من كيلي أكبر من ذلك أيضاً .فقد كان الرئيس يلهو بتحدّي كيلي، وبات من الأشياء التي لم يعد كيلي يستطيع تحمُّلها في حياته :شخصية الأب العيَّاب المستهجِن.

***

ليس هناك فعلاً أي أوهام في جادة بنسيلفانيا .1600 فالكراهية التي طالت معاناة كيلي منها تجاه الرئيس، لم يكن يجاريها إلا ازدراؤه لأسرة الرئيس .فقد صرحِ أن» كوشنر متمرد .«وكان الاحتقار الساخر من كُون تجاه كوشنر والرئيس، أعظم أيضاً من ذلك .وكوَّم الرئيس، بالمقابل، مهاترات أكثر لكُون :فالرئيس السابق لمصرف غولدمان ساكس أصبح الآن» :أحمق الحمقى، وأغبى الأغبياء .« والحق أن الرئيس توقّف أيضاً عن الدفاع عن أسرته، متسائلاً» :متى سيفهمون التلميح ويذهبون إلى منازلهم.«

لكن بالطبع كان ذلك أيضاً من السياسة :فمن يسعه التغلب على الإهانة والجحود، يمكنه الحصول على منفعة سياسية فريدة .فبالرغم من جميع

فظاظات ترامب وسخافاته، كان هناك من يتملّقه ويفرج أساريره .وما يحدث أن قليلين يسعهم ذلك.

لكن في شهر تشرين الأول/أكتوبر، لاحظ كثير من موظفي الرئيس ملاحظة خاصة على واحدة من انتهازيي ترامب الباقين، وهي نيكي هالي، سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة .فقد خلُصت نيكي، وهي من أفراد الإدارة العليا وتوصف بأن»لها طموح إبليس«، إلى أن عهد ترامب لن يدوم في أحسن الأحوال إلا فترة رئاسية واحدة؛ وأنها ستكون، في رضوخ لا بد منه، الوريثة الواضحة له .لقد توددت نيكي إلى إيفانكا وناصرتها .وأدخلتها إيفانكا في دائرة الأسرة، حيث لاقت اهتماماً مركَّزاً خاصّاً من ترامب، كما لاقى هو عندها ذلك .ونيكي التي أصبحت أكثر فأكثر بارزة في السياسة الخارجية الواسعة، وفي فريق الأمن القومي، كانت خيار الأسرة لمنصب وزير الخارجية بعد استقالة ريكس تيلرسون المحتومة .)وعلى نحو مشابه في هذا التعديل الوزاري، يمكن أن تحل دينا باول محل نيكي هالي في الأمم المتحدة.(

لقد دأب الرئيس على قضاء قدر كبير من وقته الخاص مع نيكي في الطائرة الرئاسية .وقد شوهد وهو يعدُّها لمستقبل سياسي على مستوى البلاد .ونيكي التي كانت أقرب إلى فرد تقليدي من الحزب الجمهوري، ذات نزعة معتدلة واضحة، وهو نمط يزداد شهرة باسم جمهوريي جارفانكا، كانت قد وُجّهت، كما يبدو للكثيرين، كي تدخل في مسارات ترامب .والخطر هنا كما يقول أحد كبار الترامبويين» :إنها أذكى بكثير من ترامب.«

وما قد وقع الآن، حتى قبل نهاية السنة الأولى للرئيس هو فراغ حقيقي في السلطة .فالرئيس، بإخفاقه في المضي أبعد من الفوضى اليومية، كان بالكاد ينجز شيئاً في يومه .لكن، كما هي حال السياسة، كان هناك من ينجز أموره.

ومن هذا المنطلق، كان مستقبَل ترامب والحزب الجمهوري يتحرّك إلى ما هو أبعد من البيت الأبيض .فكان هناك بانون، الذي يعمل من خارج البيت الأبيض، ويحاول الاستيلاء على الحركة الترامبوية .وكانت هناك زعامة جمهورية في الكونغرس، تحاول وضع العقبات في وجه الحركة الترامبوية، إن لم تكن تريد ذبحها .وكان هناك جون ماكين، الذي يبذل كل جهده لإعاقة الحركة الترامبوية . وكان هناك المكتب الاستشاري الخاص، الذي يتعقب سقطات الرئيس وكثيرين ممن حوله.

كانت قسمة الحصص واضحة جدّاً في نظر بانون .فنيكي شخصية ترامبوية إلى حدّ ما، وهي حتى الآن أقرب أعضاء حكومته إليه، وربما أغوت بحيلها السياسية الذكية ترامب ليسلّمها مقاليد الثورة الترامبوية .وواقع الأمر أن جبهة بانون خوفاً من استحواذ نيكي على الرئيس، قد مضت في الصباح نفسه الذي وقف فيه بانون على درج مقر بريتبارت في جوّ تشرين الأول/أكتوبر الحارّ الذي جاء في غير أوانه، إلى مضاعفة سرعتها لتدفع بمدير وكالة الاستخبارات المركزية مايك بومبو إلى وزارة الخارجية، بعد مغادرة تيلرسون.

وهذا كله كان جزءاً من المرحلة المقبلة من الحركة الترامبوية، لحمايتها من ترامب.

***

كان الجنرال كيلي يحاول بجهد وعناد إزالة الفوضى من الجناح الغربي في البيت الأبيض .فبدأ بتجزئة مصادر الفوضى وفصل طبيعتها .وكان المصدر الرئيسي طبعاً لهذه الفوضى ثورات الرئيس نفسه، التي لم يكن بمقدور كيلي التحكم بها فسلَّم بها .وبالنسبة إلى فوضى المساعدين، فكثير منها زال بزوال بانون، وبريبوس، وسكاراموتشي، وسبايسر؛ وذلك نتيجة جعل الجناح الغربي تحت نفوذ جارفانكا بالكامل.

والآن، وبعد مضي تسعة أشهر على إدارة ترامب، تواجه الإدارة مشكلة إضافية هي الصعوبة البالغة في توظيف أي شخص من أصحاب المكانة العليا ليحل محل الشخصيات الكبيرة التي غادرت البيت الأبيض .كذلك كانت مكانة من ظلّوا فيه تتضاءل أسبوعاً بعد آخر.

فهوب هيكس البالغة من العمر ثمانية وعشرين عاماً، وستيفن ميلر البالغ اثنين وثلاثين عاماً، اللذان بدأ تدريبهما الفعال في الحملة الانتخابية، أصبحا اليوم من الشخصيات شبه الكبيرة في البيت الأبيض .فتولّت هوب أمر بوابة الاتصالات، وحل مولر محل بانون بفاعلية في منصب المخطط الاستراتيجي السياسي الكبير.

وبعد خيبة سكاراموتشي، وإدراك صعوبة توظيف أحد في منصب مدير الاتصالات، مُنحت هوب وظيفة المدير» المؤقت .«وقد أعطيت صفة المؤقت لأسباب منها عدم تصديق أنها مؤهلة لإدارة بوابة الرسائل الإلكترونية المضعضعة، ومنها أنها مُنحت الوظيفة التي يتلقى فيها الرئيس يوميّاً القذائف باستمرار .لكن بحلول منتصف أيلول/سبتمبر، تحوّل المدير المؤقت إلى مدير

دائم؛ بلا ضجيج .وفي وسائل الإعلام الكبرى والعالم السياسي الأرحب، كان مولر، الذي يشير إليه بانون بقوله» :كان كاتباً عندي «شخصية تزداد الشكوك حولها باستمرار .فلا يكاد يخرج إلى العامة إلا ويرتكب حماقة ما، أو يصدر جعجعة ما، في استنكاره وتشكّيه .لقد كان صانع السياسات والخطابات بالأمر الواقع، إلا أنه حتى الآن يملي ذلك إملاءً في أغلب الأحيان.

إن أكثر المريبين في إدارة ترامب، من هوب وميلر إلى كل من كان في جانب جارفانكا، أصبحوا الآن على اتصال مباشر بالأعمال الجارية في التحقيق بشأن التدخل الروسي، أو الجهود المبذولة لنقله إلى وجهة أخرى، أو حرفه عن مساره، أو حجبه برمَّته عن العامة .فقد رسم مولر وهوب نسخة كوشنر من الرسالة الأولى التي كتبت في بيدمنستر لطرد كومي، أو على الأقل كتبا أحرفها .فقد انضمت هوب إلى كوشنر وزوجته في التخطيط على متن الطائرة الرئاسية للنشرة الصحفية التي أعطاها ترامب بشأن اجتماع دون جونيور وكوشنر بالروس في مبنى ترامب تاور.

وشيئاً فشيئاً، أصبحت هذه القضية قضية تحديد لموظفي البيت الأبيض : من كان موجوداً في المكان غير الملائم؟ وحتى فيما وراء الفوضى العامة، كان الخطر القانوني المستمرّ يشكل جزءاً من الحاجز العالي الذي يحول دون مجيء الناس للعمل في الجناح الغربي من البيت الأبيض.

فكوشنر وزوجته، اللذان ينظر إليهما اليوم على نحو واسع بأنهما قنبلة موقوتة داخل البيت الأبيض، كانا يمضيان وقتاً كبيراً في الكفاح والدفاع عن إحساس يتعاظم عندهما بجنون العظمة .ومن ذلك مواجهة ما يقوله اليوم

أفراد من الإدارة العليا خرجوا لتوهم من الجناح الغربي .ومن اللافت للنظر أن كوشنر أراد في وسط شهر تشرين الأول/أكتوبر إضافة تشارلز هاردر إلى فريقه القانوني، وهو محامٍ في قضايا القدح والتشهير؛ كان قد دافع عن هالك هوغان في قضية القدح التي طالته في مواجهة موقع الشائعات على شبكة الإنترنت : غوكر .ودافع عن ميلانيا ترامب في قضية رفعتها بوجه صحيفة ديلي ميل .فقد كان التهديد الضمني للإعلام والنقاد جليّاً واضحاً :تحدّث بشأن جاريد كوشنر إذا أردت المجازفة .كذلك يحتمل أن يعني ذلك أن دونالد ترامب كان لا يزال يدير الدفاع القضائي للبيت الأبيض، مدرجاً ذلك المحامي في قائمة محاميه» العتاة « المفضلين.

وفيما وراء تصرّفات دونالد ترامب اليومية الغريبة، تأتي هنا القضية التي استنفدت جهد البيت الأبيض :التحقيق المستمر الذي يديره روبرت مولر . فالأب، والابنة، والصهر، وأبوه، والجبهة الأُسرية الواسعة، والنائب العام، والممولون الذين يريدون أن يحفظوا مصالحهم، والموظفون الذين جزاهم ترامب جزاء سنمَّار .جميعهم هدّدوا، في رأي بانون، بتمزيق كل الأعراف.5

الجميع انتظروا أحجار الدومينو لتتهاوى، ليروا كيف سيرد الرئيس في سَورة غضبه، ويغيّر اللعبة من جديد.

***

كان ستيف بانون يخبر الناس أنه يعتقد بوجود احتمال نسبته 33,3% أن يؤدي تحقيق مولر إلى توجيه الاتهام إلى الرئيس، واحتمال نسبته 33,3% أن يؤدّي إلى استقالة ترامب؛ ربما إذا ظهر تهديد من الحكومة بالتصرف وفقاً

للتعديل) 25 الذي يحق للحكومة بموجبه عزل الرئيس إذا فقد أهليته للعمل(: واحتمال نسبته 33,3% أن يترنح الرئيس وصولاً إلى نهاية فترته الرئاسية الأولى . وفي كل الأحوال، لن يكون هناك حتماً فترة رئاسية ثانية، ولا حتى محاولة للوصول إليها؛ بالإجماع.

يقول بانون في سفارة بريتبارت» :لن يستطيع الوصول إليها .لقد خسر موظفيه.«

وعلى نحو أقل هذراً، كان بانون يقول للناس شيئاً آخر :إنه هو، أي ستيف بانون، سيدخل الانتخابات الرئاسية سنة .2020 فكانت عبارته» :لو كنت الرئيس«...، تتحول إلى عبارة» :عندما أصبح الرئيس.«...

ويزعم بانون أن أكبر ممولي ترامب منذ سنة 2016 كانوا في جانبه؛ وهم: شيلدون أديلسون، وآل ميرسر، وبارني ماركوس، وبيتر ثيل .وقد غادر بانون في وقت قصير، وكأنه كان يحضّر لهذا الانتقال يوماً ما .غادر البيت الأبيض، وسرعان ما قام على عجل بتنظيم شيء من حملة انتخابية .وحتى الآن كان بانون وراء الكواليس يتفق في منهجيته مع كل زعماء المحافظين في البلاد .وكان، كما يقول، يبذل أقصى جهده في» تملُّق الكبار وإجلالهم .«وكان يخص بالذكر قائمة بمحافل المحافظين التي لا بد من حضورها.

ويعلق الرئيس قائلاً لمعاونيه بحيرة وقلق متزايد» :لماذا يلقي ستيف الخطابات؟ لم أعلم بأنه صاحب خطابات.«

وكان ترامب يعامَل بازدراء بطرق أخرى .فقد كان له موعد في مقابلة مهمة لبرنامج 60 دقيقة التلفزيوني في أيلول/سبتمبر، إلا أن المقابلة ألغيت فجأة بعد مقابلة بانون في البرنامج مع تشارلي روز في 11 أيلول/سبتمبر .فقد شعر مستشارو الرئيس أن عليه ألا يضع نفسه في موقف يجعله يقارَن ببانون .وقد قلق الموظفون أن يعاني من هذه المقارنة، وكان ذلك يخيفهم لأنه كان مشتتاً، بالإضافة إلى أن تنبيهه بالجمل والتعابير ذاتها كل بضع دقائق قد ازدادت وتيرته، وأن قدرته على التركيز، التي لم تكن أصلاً كبيرة، قد تراجعت بشكلٍ ملحوظ .قد ازداد بصورة ملحوظة .وبدلاً من ذلك، تحوّلت مقابلة ترامب إلى سين هانيتي، مع عرض مسبق للأسئلة التي ستطرح عليه.

كان بانون يتولى أمر مجموعة البحوث المعارضة في بريتبارت؛ ويركز جهودها على ما كان يصفه باسم» النخب السياسية«، وهي مجموعة لها النوع نفسه من التحقيقات المالية التي جمعت الفضائح المالية التي أدينت بها هيلاري كلينتون في كتاب أموال كلينتون .Clinton Cash وكانت لديه قائمة كبيرة بأعدائه؛ ضمت من الجمهوريين قدر ما ضمته من الديمقراطيين.

وبصفة رئيسة، كان تركيز بانون منصبّاً على تخطيط مواقع المرشحين عام .2018وفي الوقت الذي هدّد فيه الرئيس مراراً بدعم الترشيحات الأولية ضد أعدائه، كان بانون في نهاية المطاف، وبمكاسبه الهجومية الأولى، هو من يسوس هذه الترشيحات .كان هو من ينشر الخوف في صفوف الحزب الجمهوري، وليس ترامب .والواقع أن بانون كان راغباً في اختيار مرشحين غريبي الأطوار أو حمقى كان منهم عضو الكونغرس عن منطقة جزيرة ستاتين في مدينة نيويورك :مايكل

غريم، الذي قضى حكماً بالسجن في السجن الفيدرالي، ليثبِتوا، كما أثبت بترامب، قَدْر السياسة ودهاءها وخطرها على طريقة بانون .ورغم أن انتخابات الكونغرس للجمهوريين سنة 2018 كانت تتطلع، بحسب ما يقوله بانون، إلى عجز بنسبة 15 نقطة، فقد كان بانون يعتقد أنه كلما زاد تحدّي الجناح اليميني المتطرف، زاد احتمال أن يزج الديمقراطيون بمخبولي الجناح اليساري الأقل حظّاً انتخابيّاً من مخبولي الجناح اليميني .لقد بدأت البلبلة لتوها.

وترامب، في نظر بانون، كان فصلاً، أو منعطفاً، في الثورة الترامبوية، التي كانت دائماً تستهدف مكامن الضعف في الحزبين الرئيسين .والعهد الرئاسي لترامب، مهما تكن مدته، قد أنشأ البداية التي ستعطي المجهولين بحق فرصتهم . ولم يكن ترامب إلا البداية.

وهو يقف على درج بريتبارت في ذلك الصباح من شهر تشرين الأول/أكتوبر، ابتسم بانون وقال» :ستكون معركة وحشية مسعورة.6«

كلمة شكر

أود التعبير عن امتناني لجانيس مين Janice Min وماثيو بيلوني Matthew Belloniمن مجلة» هوليوود ريبورترHollywood Reporter «، اللذين دفعاني ذات صباح إلى متن طائرة في نيويورك لمقابلة المرشح غير المتوقع مساء في لوس أنجلوس .وأود القول أيضاً إن ناشري ستيفن روبن Stephen Rubin والمحرر جون ستيرلنغJohn Sterling ، من دار نشر هنري هولتHenry Holt ، دعماني بلا قيود إلى جانب الرعاية التي كانا يقدمانها بكل حماس يومياً .كما أن وكيلي أندرو وايلي Andrew Wylie كان، كعادته، السبب في إنجاز هذا الكتاب بسرعة قياسية.

كان مايكل جاكسون Michael Jackson من تلفزيون توسيتيزTwo Cities ، وبيتر بينيديكPeter Benedek ، من وكالة يونايتد تالنت أليجنسي UTA [United Talent Agency]، والمحاميان كيفن موريس Kevin Morris وأليكس

كوهنرAlex Kohner ، قد أسهموا جميعاً في تطوير هذا المشروع ودفعه إلى الأمام.

أنا أدرك أن قراءة نص من قبل محامٍ بحثاً عن كل ما يمكن أن يؤدي إلى إقامة دعوى قدح، هي أشبه بزيارة طبيب الأسنان .ولكن يمكنني القول إنني، ومن خلال تجربتي الطويلة، لم أصادف محامياً يعمل في هذا المجال يفوق إيريك ريمان Eric Rayman من حيث دقته وحساسيته وتفكيره الاستراتيجي .وأعود لأكرر ثانية، كانت تجربة يمكن وصفها بالبهيجة.

لقد أسهم العديد من الأصدقاء والزملاء والأشخاص من ذوي الشهامة، في مجال الإعلام وفي الوسط السياسي في رفع قيمة هذا الكتاب، من بينهم مايك ألن Mike Allenوجوناثان سوان Jonathan Swan وجون هومانز John Homans وفرانكلين فوير Franklin Foer وجاك شافر Jack Shafer وتامي حداد وليلا دي كريتسر Leela de Kretser وستيفن كين Stevan Keane ومات ستون Matt Stoneوإدوارد جيه إبشتاين Edward Jay Epstein وسيمون دومينكو Simon Dumencoوتاكر كارلسون Tucker Carlson وجو سكاربوروJoe Scarborough وبيرس مورغان Piers Morgan وجوليانا كلوفر Juleanna Glover ونيكي كريستوف Niki Christoff وديلان جونز Dylan Jones ومايكل ليدين Michael Ledeenومايك مورفي Mike Murphy وتيم ميلر Tim Miller ولاري مكارثي Larry McCarthyوبنجامين جنسبرغ Benjamin Ginsberg وآل فروم Al From وكايتي روملر Kathy Ruemmler وماثيو هيلتزيك Matthew Hiltzik وليزا دالوس Lisa Dallos ومايك روجرز Mike Rogers وجوانا كولز Joanna Coles

وستيف هيلتون Steve Hilton ومايكل شريج Michael Schrage ومات كوبر Matt Cooper وجيم إمبوكو Jim Impoco ومايكل فيلدمان Michael Feldman وسكوت ماكونل Scott McConnell ومهرن مالوك Mehreen Maluk.

وأود التعبير عن تقديري لجهود الأشخاص الذين قاموا بتدقيق الوقائع، وهم دانيت ليدور Danit Lidor وكريستينا غولدنغ Christina Goulding وجوان جيربر.

أتقدم بالشكر العميق إلى فكتوريا فلويث Victoria Floethe ، لكل ما قدمته من دعم وصبر وأفكار معمقة، ولذوقها الرفيع الذي جعل الكتاب يحتل هذه المكانة القيمة في حياتنا.

صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر



سلسلة السّياسة

روبرت فيسك

- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة – الجزء الأول – الحرب الخاطفة
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة – الجزء الثاني – الإبادة
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة – الجزء الثالث – إلى البرية
- الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة – (المجلّدات الثلاثة في كتاب واحد)
- زمن المحارب
- ويلات وطن

د. عصام نعمان

- أميركا والإسلام والسلاح النووي
- حقيقة العصر – عصام نعمان وغالب أبو مصلح
- العرب على مفترق
- على مفترق التحوّلات الكبرى... ما العمل؟
- هل يتغيّر العرب؟

د. محمد حسنين هيكل

- آفاق الثمانينات
- بين الصحافة والسياسة
- حديث المبادرة
- الحل والحرب!
- خريف الغضب
- زيارة جديدة للتاريخ
- السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة
- عند مفترق الطرق
- قصّة السويس
- لمصر.. لا لعبد الناصر
- وقائع تحقيق سياسي أمام المدّعي الاشتراكي

د. سليم الحص

- تعالَوا إلى كلمة سواء
- سلاح الموقف
- صوتٌ بلا صدى
- عُصارة العمر
- في زمن الشدائد لبنانياً وعربياً
- قِطاف من التجارب
- للحقيقة والتاريخ
- ما قلّ ودلّ
- محطّات وطنيّة وقوميّة
- نحن... والطائفيّة
- ومضات في رحاب الأمة

د. وليد رضوان

- تركيا بين العلمانيّة والإسلام في القرن العشرين
- العلاقات العربية التركيّة
- مشكلة المياه بين سوريا وتركيا

جوزيف أبو خليل

- قصة الموارنة في الحرب
- لبنان وسوريا: مشقّة الأخوّة
- لبنان... لماذا؟

بول فندلي

- أميركا في خطر

498



سلسلة السّياسة

- الخداع
- لا سكوت بعد اليوم
- من يجرؤ على الكلام

كريم بقرادوني

- السلام المفقود
- صدمة وصمود
- لعنة وطن

شكري نصرالله

- السنوات الطيبة
- مذكرات قبل أوانها

شادي خليل أبو عيسى

- رؤساء الجمهورية اللبنانية
- قبودٌ تتسرّق
- الولايات غير المتحدة اللبنانية

إعداد مريم البسّام

- حقيقة ليكس
- وثائق ويكيليكس الكاملة: لبنان وإسرائيل (الجزء الأول)
- وثائق ويكيليكس الكاملة: لبنان وإسرائيل (الجزء الثاني)
- مصر ثورة العشرين عاماً عبر تلفزيون الجديد

غادة عيد

- ...؟! أساس الملك
- الخلوي أكبر الصفقات
- سوكلين وأخواتها: النفايات - ثروة... وثورة

موريال ميراك - فايسباخ

- عبر جدار النار
- مهووسون في السلطة
- السياسة الخارجيّة التركيّة - موريال ميراك - فايسباخ وجمال واكيم

جيمي كارتر

- السلام ممكن في الأراضي المقدسة
- ما وراء البيت الأبيض

إسلام كريموف

- أوزباكستان: على تعميق الإصلاحات الاقتصادية
- أوزباكستان: على عتبة القرن الواحد والعشرين

بيل كلينتون

- بالعطاء... لكلٍّ منّا أن يغيّر العالم
- العودة إلى العمل

بيار سالينجر - إريك لوران

- حرب الخليج
- عاصفة الصحراء
- المفكرة المخفية لحرب الخليج

جمال واكيم

- سوريا ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط
- السياسة الخارجيّة التركيّة - موريال ميراك - فايسباخ وجمال واكيم
- صراع القوى الكبرى على سوريا



سلسلة السّياسة

د. علي وهب

- الأخطبوط الصهيوني والإدارة الأميركية
- الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط

ستيفن غرين

- بالسيف: أميركا وإسرائيل في الشرق الأوسط
- مساومات مع الشيطان

نعوم تشومسكي

- احتلّوا!
- صناعة المستقبل
- غزّة في أزمة – نعوم تشومسكي وإيلان بابه

د. سمير التنّير

- أميركا من الداخل
- أوباما.. والسّلام المستحيل
- محمودية النار

جون كوولي

- تواطؤ ضدّ بابل
- الحصاد

بنازير بوتو

- ابنة القدر
- المصالحة: الإسلام والديموقراطية والغرب

د. عبد السلام المجالي

- بوّابة الحقيقة
- رحلة العمر: من بيت الشعر إلى سدّة الحكم

إيلان بابه

- غزّة في أزمة – نعوم تشومسكي وإيلان بابه
- الفلسطينيّون المنسيّون

بالتعاون مع جامعة كولومبيا

- الانتقال العسكري – نارسيس سيرّا
- أنماط الديمقراطية – آرند ليبهارت
- الديمقراطية والإسلام في إندونيسيا – تحقيق: ميرجام كونكلر وألفريد ستيبان
- الديمقراطية: أبحاثٌ مختارة – تحرير: لاري دايموند ومارك ف. بلاتنر
- ديمقراطيات في خطر! – تحرير: ألفرد ستيبان
- شرح أسباب الانتفاضات العربية – تحرير: مارك لينش
- عن الديمقراطية – روبرت أ. دال
- المقاومة المدنية في الربيع العربي – تحرير آدم روبرتس ومايكل ج. ويليس وروري مكارثي وتيموثي غارتون آش

د. ياسر عبد الحسين

- الحرب العالمية الثالثة – داعش والعراق وإدارة التوحّش
- السياسة الخارجية الإيرانية

تيم واينر

- الأعداء
- إرث من الرماد: تاريخ «السي.آي.إيه.»



سلسلة السّياسة

جيريمي سكاهيل

- بلاكووتر: أخطر منظمة سرية في العالم
- حروب قذرة

نوال السعداوي

- ذكرياتٌ بين الثورة والإبداع
- نوال السعداوي والثورات العربية

إيمانويل ماكرون

- إيمانويل ماكرون تحت الاستجواب - مقالات
- ثورة



- أبي لافرنتي بيريا - سيرغو بيريا
- الأحزاب السياسية في العراق - عبد الرزاق مطلك الفهد
- اختراع الديموقراطية - منصف المرزوقي
- أرض لا تهدأ - د. معين حداد
- الأسد - باتريك سيل
- أسرار مكشوفة - إسرائيل شاحاك
- الأشياء بأسمائها - العقيد عاكف حيدر
- أصوات قلبت العالم - كيري كندي
- أمبراطورية الإرهاب - أليهاندرو كاسترو أسبين
- الأمّة اللبنانيّة - د. إسماعيل الأمين
- الأمة العربية إلى أين؟ - د. محمد فاضل الجمالي
- امرأة تبحث عن وطن - ماريا المعلوف
- الأمن الوطني الداخلي لدولة الإمارات العربية المتحدة - عائشة محمد المحياس
- أوضاع العالم ٢٠١٣ - برتران بادي ودومينيك فيدال
- الأيادي السود - نجاح واكيم
- إسرائيل والصراع المستمر - ربيع داغر
- البعد التوراتي للإرهاب الإسرائيلي - وجدي نجيب المصري
- بكامل رصيدنا - بولا برودويل وفيرنون لوب
- بلا هوادة - د. حسن موسى
- بيتٌ من حجر - أنتوني شديد
- التحدي الإسلامي في الجزائر - مايكل ويليس
- التشكيلات الناصرية في لبنان - شوكت أشتي
- تعتيم - آمي وديفيد جودمان
- تقي الدين الصلح: سيرة حياة وكفاح (جزآن) - عمر زين
- التمادي في المعرفة - نورمان فنكلستاين
- توازن الرعب - هادي زعرور
- الثورات العربية في ظل الدين ورأس المال - راضي شحادة
- ثورات الفيسبوك - مصعب حسام الدين قتلوني
- ثوراتٌ في كل مكان - بول مايسون
- حرب تحرير الكويت - د. حبيب الرحمن
- حرب الشفق - د. ديفيد كريست
- حربا بريطانيا والعراق (١٩٤١ - ١٩٩١) - رغيد الصلح
- حركات ثورية - ستيف كراوشو وجون جاكسون
- حروب الأشباح - ستيف كول
- حروب الظلّ - مارك مازيتي
- حروب الإمبراطوريات - تحرير روبرت غيروارث وإيريز مانيلا
- الحروب الميسّرة - نورمان سولومون
- حزب الله والدّولة في لبنان: الرؤية والمسار - الدكتور حسن فضل الله
- الحكّام العرب - رودجر أوين
- حياتي مع طالبان - عبد السلام ضعيف
- الحلوي: أشهر فضائح العصر - آلين حلاق
- خيارات صعبة - هيلاري رودهام كلينتون



سلسلة السّياسة

- **الخيارات الصعبة** – د. إيلي سالم
- **دارفور: تاريخ حرب وإبادة** – جولي فلنت وألكس دي قال
- **دروب دمشق** – كريستيان شينو – جورج مالبرونو
- **الدولة الديموقراطية** – د. منذر الشاوي
- **ديبلوماسيّة إسرائيل السريّة في لبنان** – كيرستين شولتزه
- **الديبلوماسية على نهر الأردن** – د. منذر حدادين
- **الرايات السود** – علي صوفان بالاشتراك مع دانيال فريدمان
- **رؤية للمستقبل** – الرئيس أمين الجميل
- **رئيس مجلس الوزراء في لبنان بعد الطائف (١٩٨٩ – ١٩٩٨)** – محمود عثمان
- **السايفرباتك** – جوليان أسانج
- **سجن غوانتانامو: شهادات حيّة بألسنة المعتقلين** – مايفيتش رخسانا خان
- **السكرتير السابع والأخير** – ميشيل هيلير
- **سورية: سقوط مملكة الأسد** – ديفيد ديليو ليش
- **صراعات الجيل الخامس** – إميل خوري
- **الصراع على السلطة في لبنان: جدل الخاص والعام** – زهوة مجذوب
- **الصهيونية الشرق أوسطية والخطّة المعاكسة** – إنعام رعد
- **صيف من نار في لبنان** – الجنرال آلان بيلليغريني
- **ضريبة الدم** – ت. كريستيان ميلر
- **الضوء الأصفر** – عبدالله بو حبيب
- **الطبقة الخارقة** – دايفيد ج. روثكوبف
- **طريق أوسلو** – محمود عباس (أبو مازن)
- **عدوّ عدوّي** – ثورا أيزنبرغ
- **العرب والإسلام في أوزباكستان** – بوريبوي أحمدوف وزاهدالله منوروف
- **عزيزي الرئيس بوش** – سيندي شيهان
- **العلاقات الأردنية – اللبنانية** – أسعد كاظم جابر العزّي
- **العلاقات اللبنانية السورية** – د. غسان عيسى
- **العودة إلى الصّفر** – ستيفن كينزر
- **الفرص الضائعة** – أمين هويدي
- **فنّ التجسُّس** – هنري أ. كرامبتون
- **الفهم الثوري للدين والماركسية** – زاهر الخطيب
- **في قلب المملكة: حياتي في السعودية** – كارمن بن لادن
- **قراصنة أميركا الجنوبية: أبطال يتحدّون الهيمنة الأميركية** – طارق علي
- **قصور من الرمل** – أندريه جيروليماتوس
- **قضية سامّة** – يوست ر. هيلترمان
- **قضيتي ضد إسرائيل** – أنطوني لوينستاين
- **القياصرة الأميركيون** – نايجل هاملتون
- **قيام طائفة... أمّة موسى الصدر** – صادق النابلسي
- **لبنان بين ردّة وريادة** – ألبير منصور
- **اللوبي** – إدوارد تيفنن
- **اللوبي الإسرائيلي وسياسة أميركا الخارجية** – ستيفن والت وجون ميرشايمر
- **اللوبي الصهيوني في فرنسا** – شاكر نوري
- **الماسونية: دولة في الدولة** – هنري كوستون
- **المال... إن حَكَم** – هنري إده
- **مبادئ المعارضة اللبنانية** – الرئيس حسين الحسيني
- **محو العراق** – مايكل أوترمان وريتشارد هيل وبول ويلسون
- **مدن تحت الحصار** – ستيفن غراهام
- **مذكرات نيلسون مانديلا** – نيلسون مانديلا
- **المراقبة الشاملة** – أرماند ماتّلار
- **مزارع شبعا: حقائق ووثائق** – منيف الخطيب
- **مصر على شفير الهاوية** – طارق عثمان
- **مفاتيح السياسة الروسية** – ستيفن وايت



سلسلة السّياسة

- منبر الحوار ٢٠٠٨ **لبنان: أزمات الداخل وتدخلات الخارج** – مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية
- **ميادين التدخّل** – جيمس ستوكر
- **نحو دولة حديثة: بعيداً عن ٨ و١٤ آذار** – الشيخ محمد علي الحاج العاملي
- **نظرية الاحتواء** – إيان شابيرو
- **النفط: استراتيجياً وأمنياً وعسكرياً وتنموياً** – د. هاني حبيب
- **النفط والحرب والمدينة** – د. فيصل حميد
- **هكذا.. وقع التوطين** – ناديا شريم الحاج
- **الواجب** – روبرت م. غايتس
- **الوجه الآخر لإسرائيل** – سوزان نايثن
- **الولايات المتحدة: الصقور الكاسرة في وجه العدالة والديموقراطية** – تحرير: برند هام
- **وهم السلم الأهلي** – حسين يعقوب
- **ويليس من تونس** – ناديا خياري
- **٥٠٠ يوم** – كورت آيكنوالد

Notes

[←1]

مصطلح يستخدم لوصف شعار أو فكرة تنتشر بسرعة من شخصٍ إلى آخر عبر الإنترنت) ويكيبيديا.(

[←2]

لغة يهود أوروبا.

[←3]

طاغية أثيوبي، كان يفتك بكل من حوله، وُلدَ سنة.1818

[←4]

الجماهيرية :شاعت في لغة الإعلام والصحافة بمصطلح» الشعبوية«؛ وهي مذهب تحريك الجماهير الغوغائية والتحكم بها لتنفيذ مآرب لا ترضاها النخبة] .المترجم[

[←5]

في الأصل الإنكليزي» :هددّوا ..بجعل شكسبير يبدو مشابهاً للدكتور سويس .«وهي عبارة مجازية] .المترجم[

[←6]

لا تخلو عبارات بانون المذكورة في هذا الكتاب من بذاءة الألفاظ .وقد جهدنا في إعطاء المعنى المقصود دون التعرض لبذاءاته] .المترجم[

Table of Contents

مكتبة الكندل العربية1

نار وغضب1

إلى فيكتوريا ولويز، الأم والابنة1

المحتويات1

ملاحظات الكاتب1

تمهيد أيلز وبانون1

الفصل الأول1

يوم الانتخابات1

الفصل الثاني1

برج ترامب1

الفصل الثالث1

اليوم الأول1

الفصل الرابع1

بانون1

الفصل الخامس1

جارفانكا1

الفصل السادس1

في المنزل1

الفصل السابع1

روسيا1

الفصل الثامن1

الهيكل التنظيمي1

الفصل التاسع1

مؤتمر العمل السياسي المحافظ1

الفصل العاشر1

غولدمان1

الفصل الحادي عشر1

التنصّت1

الفصل الثاني عشر1

إلغاء واستبدال1

الفصل الثالث عشر1

معاناة بانون1

الفصل الرابع عشر1

غرفة الأزمات1

الفصل الخامس عشر1

الإعلام1

الفصل السادس عشر1

كومي1

الفصل السابع عشر1

في الخارج وفي الوطن1

الفصل الثامن عشر1

عودة بانون1

الفصل التاسع عشر1

مايك مَن؟1

الفصل العشرون1

ماكماستر وسكاراموتشي1

الفصل الحادي والعشرون1

بانون وسكاراموتشي1

الفصل الثاني والعشرون1

الجنرال كيلي1

خاتمة بانون وترامب1

كلمة شكر1

Table of Contents 1